تأليف

أحمد أبو سعدة

أرتريَا

من الكفاح المسلّح إلى الاستقلال



إهـــــــداء2005

الكاتب / احمد أبو سعده

الجمهورية العربية السورية

أرتـــريَا

من الكفاح المسلّح إلى الاستـقلال

تأليف

أحمد أبو سعدة

مطبعة دار العلم - بدمشق
هاتف: ٢٢٢٥٧٠٧

الطبعة الأولى

الإهداء

إلى إخوتي ورفاقي الشهداء . .

عثمان صالح سبي - إبراهيم سلطان - ولد آب ولد ماريام - محمود حسب - سعيد صالح - ولد داويد - إبراهيم عافه - علي حنطي - محمود إبراهيم شكيني - هيله كرزة - عبد القادر رمضان - علي محمد إبراهيم - ابراهام تولدي - حمد صالح حمد - محمود محمد صالح . .

إلى السبعين ألف شهيد الذين قدموا دماءهم لأرضهم وشعبهم من أجل تحقيق هدفهم ألا وهو الحرية والاستقلال .

إلى إخوتي ورفاقي الأحياء : . .

صالح أحمد أياي - محمد عمر يحيى - أحمد محمد ناصر - عبد الله إدريس - خليفة عثمان - حامد تركي صالح - محمد أحمد عبده - حروي تدلا بايرو - حامد محمود - الدكتور هبتي تسفاماريام - آدم صالح - آمنة ملكين - حسن كنتباي - طه ياسين - هيلا

إسكادوم . تسفاي تخلة. أحمد صويرة - يوهنس زرءماريام -
محمد سعيد ناود - محمد علي عمارو - اسبروم منقستآب -
إبراهيم محمد علي - يوسف برهانو - حمد كلو - إبراهيم
منتاي . عمر برج . عثمان دندن .
إلى الشعب الارتيري الأمين الذي عشت معه طيلة ثلاثين عاماً .
إلى الشعب الذي زرع حبوب القمح في تربته لتنمو سنابل الحياة .
إلى كل من شدّ أزري وأعانني أهديه كتابي هذا

أحمد عبد الفتاح أبو سعدة

مقدمة

عندما أعود بذاكرتي قليلاً إلى الوراء. إلى الظلم. من سجن وعذابٍ وفقر وجوع أجد نفسي على حق في انضمامي. إلى هؤلاء الوطنيين من البشر.

بت لا أخاف شيئاً مطلقاً.

الإنسان للإنسان، كنت هكذا وسأبقى ما حييت. مكان إقامتي وسط أشجار الدوم والتاواي، هنا يسود صمت جامد. وأصمت أنا أيضاً، ومن خلال صمتي هذا، كنت أنظر إلى قمم الجبال. هذه القمم المبهرة لعين كل إنسان حر، هذه القمم التي أثرت بي لدرجة أنها أجبرت أفكاري على الانطلاق من حجمها.

لوحدي هنا ودون أحد؟

أنظر إلى السهول والوديان والأنهار. وأنا صامت. ومن خلال صمتي كنت أصحو على خيوط الشمس الملونة. عندها يلمع في نفسي بريق الحرية يصحبه أمل ينير هدفي.

لما أتيت من وطني الحبيب؟! هل استنفزتني نفسي لاقاتل من أجل الإنسان؟ نعم أتيتُ من أجل الإنسان المقهور. الإنسان الذي أعطاني القوة لأستمر في هدفي حتى النهاية، وهدفي حرية الإنسان

العربي بل الإنسان أينما وجد. أتيت من أجل الشـرارة التـي انطلقـت في عقلي وقلبي.

ناضلت، قاتلت، اضطهدت، من أجل الانسان الذي حاولوا أن يجعلوا منه ظالماً ومظلوماً. رأيت تراب الأرض مصبوغـاً بدمـاء النسـاء والأطفال والشيوخ الذين سالت دماءهم من أجل ذنـب اقـترفوه، ذنـب هو حب الوطن وحريته، هذا هو إيماني بالانسان..

هذا هو إيماني بالشعب الإرتري الـذي أعطـى لأرضـه حريتهـا ولوطنه استقلاله، فكنت معه.

أحمد عبد الفتاح أبو سعدة

دمشق

الفصل الأول



ذكريات

في حياة الانسان ذكريات لاتنسى. وصور لا تموت. ولعل من أحب هذه، الذكريات أن، يطل المتذكر على نفسه، من خلال سجن الماضي، فيرى نفسه، كما تطل غيمة على نهر فترى خيالها فيه.

ومما يثير الفرح، والأسى معاً، أن يرجع المرء إلى الأمس ويسترجع ذكرياته وخاصة إذا كان لتلك الذكريات طابع «مصيري» طابع «نضالي» مع أصدقاء وأخوة كان اللقاء بهم والتعرف عليهم الثمرة الحقيقية في الحياة.

إلتقينا في المساء، حول القائد ابراهيم سلطان، كان يجلس وحوله، المناضلون والنار مشتعلة، والسماء سوداء لا قمر يسطع ولا نجوم تتلألأ فيها.

أخذ الشباب والشابات، يؤدون رقصة وطنية، والنيران ترافقهم برقصتها، وكأنها عروس تراقصهم، فَرِحةً سعيدة. الطبول تُدَقُّ بقوة، والأغاني ترتفع في، نغم وطني أرتري جميل. كنت أفهم المعنى، من خلال بعض الكلمات، التي تعلّمتها من الأخوة الثوار.

شعرت بالاندماج فيها، شعرت برباط قويّ، يشدّني إلى هؤلاء الأخوة. لم أُدهش حينما رأيت كثيراً، من المناضلين يتجهون، إلى حلبة الرقص. ونهضت معهم، وأخذوا ينشدون بصوت، قوي مدوٍ، وعلائم الرجولة على وجوههم، تدل على الصبر والصمود، والتفاؤل بالنصر.

كانوا يردّدون، أغنيتهم المحببة لديهم:

«الليلة ليلة كوريه،[1] وياشباب سوريا

الليلة ليلة كوريه، وياشباب سوريا.....» الخ

نظرت حولي فوجدت، كل من كان موجوداً، يبتسم في رضى وسعادة. كانوا يردّدون كلمات الأغنية، في حماس منقطع النظير.

إن مشاركتي في الحفل أبعدت عني الشعور بالغربة. بل أزالتها تماماً من داخلي. وأخذت أتجاذب معهم أطراف الحديث. بكل ود وصراحة. فتارة أصفّق مثلهم، وتارة أردّد كلمات الأغنية، ومرة أرقص، ثم أعود وأجلس، بين أخوتي وأهلي الجدد.

التفت إليّ أحد الأخوة وقال لي:

ـ إن كلامك اليوم، كان بسيطاً سهلاً لايتعب الرأس.

أجبته:

ـ شكراً /يامحمود/، الحقيقة إنني أشعر إني بين أهلي وأصدقائي.

أما سعيد فكان يقترب مني ويمد يده ويقول:

ـ انهض. سوف ترقص اليوم، الرقص الافريقي.

ومن جهة أخرى تمتد يدٌ لتناولني سيفاً.

ـ بدأت أضرب الأرض بقدمّي وأصرخ صرخات، لا أعلم ما هي والسيف مشرعٌ، إلى الأعلى، أهزّه يُسرةً ويمنةً، وأمامي صبيّة أرخت

---

(١) كوريه ـ إناء خاص للحلوى في اللهجة المحلية الارترية.

شعرها الأسود الفاحم، إنها صبية المرتفعات الجميلة، تهتز أمامي كأوتار العود، ويهتز قلبي أمام عينيها السوداوين. لقد طلع القمر وأضيئت السماء، وانعكس النور على الجميع، وأنا أهزّ السيف، وأتلاعب به، وهي تهّز جسدها، وتتمايل لي مع صوت الربابة، فأقفز على قرع الطبول.....

خارت قواي، وجلست ألهث، وجاء صاحب السيف، والتقطه مني، وأنا أستعيد أنفاسي. وبدأ يقفز كالغزال و/الكانيش/ تنظر إليَّ، كانت عيناها تقول لي، هل تتعب الرجال؟!.

ـ نعم لقد انقطع نفسي! ونظرتُ إليها، (رفقاً بي ياذات الشعر الطويل)، ألا تكفي سهام عينيك، ألم ترِ كيف، كان القاطع، يهتز في يدي؟

ـ لايهمك يا أخ سعيد: قد أبقى عندكم لأعيش معكم، في بلادكم وإلى الأبد..

وتمر السنوات، وأصارع عبر الأيام والشهور، الجبال والوديان، وأقدامي تغوص، في رمال الصحراء، وعينا تلك الصبية تملأ كياني كله.



المؤتمر الوطني الأول

كان الشيخ ادريس محمد آدم، يحدثنّي ويقول:

ـ لقد ذهبتُ وأدليت بصوتي حول استقلال ارتريا.

فسألته:

ـ (يا أبا ابراهيم ما رأيك في الذي، يحدث اليوم في ارتريا، بعد أن تنكر الجميع)؟ وأقصد الذين حكموا وهم على رأس السلطة.

وتساءلت: «أليس من المفروض، أن يكون الشيخ ادريس ورفاقه في /اسمرا/[1] بعد الاستقلال».

لم يجبني أبو ابراهيم بل ابتسم وقال:

ـ اسأل نفسك يا أحمد، وسألني:

ـ ألم تكن بجانب من دمّر الجبهة؟! ألم تكن بجانب زملائك، أصحاب حزب العمل[2]؟!

فأجبته:

ـ /نعم/ كنت مع أصدقائي، قادة الجبهة، ولم أكن مع أصحاب حزب العمل. أنا كنت ومازلت مع الشعب الارتري. كنت مع أصدقائي قادة الجبهة، وذكرت له أسماءهم. «أرجوك يا /أبا ابراهيم/

---

(١) عاصمة ارتريا.

(٢) حزب العمل/ حزب ماركسي.

أن لاتظلمني. ورويت له هذه لحادثة. قبل خروج الجبهة إلى /كركون/[1]. أي قبل انهيار وتفتت جبهة تحرير ارتريا.

كنا ثلاثة في مكتب العلاقات الخارجية بدمشق. وضمن جلسة ضمت كلا من /عبد الله ادريس[2]. وصالح أياي[3]. وحسين خليفة[4]/.

قلت لهم: يا إخوتي أنتم تمشون إلى الهاوية.

وبانفعال شديد صاح بي عبد الله ادريس:

«خليك بافلامك يا أبو سعدة».

فقلت له: أرجوك ألا تظلمني يا شيخ ادريس.

فرد علي وقال: يا أخ أحمد! إذا لم نعد إلى أصالتنا، إلى صدقنا وإلى صفائنا. سيكون المستقبل غير معروف!

وتابع حديثه قائلاً: إن ما يحدث الآن، في أرتريا شيء خطير. وخطير جداً.

وروى لي هذه الحادثة:

«في يوم من الأيام. اتصل بي رئيس الوزراء الاثيوبي، من /اديس أبابا[5]/. وكنت في حينها. رئيس مجلس النواب في ارتريا، قال لي رئيس الوزراء: إن الامبراطور، ويعني به /هيلاسيلاسي/

---

(١) كركون منطقة سودانية حدودية.

(٢) رئيس المكتب العسكري في ج. ت. أ.

(٣) رئيس مكتب العلاقات الخارجية في ج. ت. أ.

(٤) أحد القادة العسكريين في ج. ت. أ.

(٥) أديس أبابا: عاصمة اثيوبيا.

سوف. يستقبل كبار قادة أثيوبيا) وعليك أن تحضر. وذهبت إلى القصر الامبراطوري. وقد وجدت أمامي ـ وحسب البروتوكول ـ رئيس الوزراء. وأنا خلفه. وجدت نفسي وجهاً لوجه مع الامبراطور، فما كان من رئيس الوزراء الأثيوبي. إلا أن خرّ ساجداً على، حذاء وركبة الامبراطور وقبلَها. وهنا أصابتني الحيرة. فأنا لا أسجد ولا أركع إلا إلى الله عز وجل. وجاء دوري. فرفعت يدي اليمنى إلى مستوى رأسي وقلت بالعربية: السلام عليكم».

واليوم بعد حوالي أربعين عاماً أو أكثر، أجد الشيخ ادريس بقامته المديدة. ولغته العربية التي، يتباهى بها وبعروبته، متنقّلاً بين السعودية. وسورية. والسودان، ومصر. على الرغم من أن أرتريا أصبحت دولة لها استقلالها، ولها صوتها بين دول العالم.

ـ كان أول لقاء بيني. وبين الشيخ ادريس، عام ١٩٧١ في منطقة /آر/[1] في أرتريا يوم انعقد المؤتمر الوطني الأول، لجبهة التحرير الارترية.

ـ جلست معه. وسمعت منه الكثير. كان يحدثّني عن العروبة والاسلام. وعن الوطن والاستقلال. وحرية شعبه، كان في صحبته ابنه. الاخ ابراهيم. وهو شاب مناضل. كنت أرتاح لطريقة حديث، الشيخ إدريس. خاصة عندما يقول لي:

---

(١) آر ـ منطقة في أرتريا.

ـ اسمع /يا أحمد/! إن سورية هي البلد العربي الأول، الذي أعطانا السلاح والدعم.

كنا نرسل أبناءنا، إلى الجامعات والمدارس، ونرسل شبابنا ليقوموا، بدورات عسكرية، في سورية، والبلاد العربية، وأخيراً أقول: إن سورية هي في ضمير كل ارتري.

ـ أنتم منا ونحن منكم. هل تعلم يا شيخنا، كم هو عدد الشباب الذين، تلقوا تدريبهم العسكري في سورية؟

ـ كثيرون جداً.

ـ إنهم حوالي ٨٠٠ شاب. إن أول دورة عسكرية، تلقت التدريب، كانت في سورية. وتألفت من ٢٠ شاباً. كان ذلك في عام ١٩٦٣ أي بعد قيام ثورة الثامن من آذار.

ومن هذه الدورة أذكر، بعض الأسماء التي، ما تزال عالقة في ذاكرتي:

١ ـ ابراهيم عافه ابراهيم: استشهد.

٢ ـ عبد الكريم أحمد.

٣ ـ رمضان محمد نور[1]: الذي أصبح فيما بعد، الأمين العام للجبهة الشعبية.

٤ ـ محمد علي عمارو: مسؤول الاعلام سابقاً، في الجبهة الشعبية، وسفير حكومة ارتريا. في دولة الامارات ثم في كينيا.

---

(١) أعفي من منصبه ويهيم على وجهه في شوارع أسمرا.

٥ ـ الأمين محمد سعيد: الأمين العام للجبهة الشعبية حالياً.

٦ ـ أفورقي قبرسلاسي.

٧ ـ محمد أحمد عبده[1]: الذي أصبح قائداً عاماً، لجيش التحرير الارتري.

وفي نهاية عام ١٩٧٩ استقبلت الكلية الجوية ٩ شباب ليتخرجوا بعد سنوات، ضباطاً طيارين وملاحين. وأذكر منهم الأخ شيكاي رمضان الذي، وصل الى رتبة رائد طيار، في القوى الجوية السورية. هذا على سبيل المثال لا الحصر.

فيقاطعني الشيخ ادريس قائلاً:

ـ وبعدها جاءت الخيرات من أشقائنا العرب.

ـ ومن المعروف أن الشيخ ادريس هو رئيس مجلس النواب الارتري الأسبق، ومن مؤسّسي جبهة تحرير ارتريا. وأنا أتساءل: ماذا يفعل الشيخ ادريس محمد آدم بعد الاستقلال؟! وماذا قدمّت له الحكومة الارترية الحالية؟! لاشيء؟!!، إنه مازال يعيش في الخارج، كما كان قبل الاستقلال، وبجواز سفر عربي، وعلى فكرة، إن الشيخ ادريس هو من قبيلة بني عامر، وتعتبر هذه القبيلة، من أكبر القبائل، في أرتريا. ولها فروع كثيرة، وهي قبيلة معروفة بجذورها، ولها نسبها ومكانتها، في المجتمع الارتري، ومن الأشياء التي أذكرها إنه كان يقول لي:

---

(١) محمد أحمد عبده: يعمل الآن في حدائق مدينة كسلا السودانية بعد أن رفض العيش في أرتريا تحت ظل حكومة الجبهة الشعبية.

ـ أنت لابد أن تكون، قد استنتجت بتجربتك الميدانية، وبعد مرور تسعة وعشرين عاماً، ما سأقوله لك الآن. أنت أصبحت تعرف، عاداتنا وتقاليدنا، ولكنني أريد أن أضيف بعض المعلومات التي، من المفروض أن تعرفها جيداً. أنت تعرف أن الاسلام له جذوره، في كلٍ من أرتريا وأثيوبيا، وتمتد هذه الجذور، إلى أوائل القرن السابع الميلادي، وذلك قبل أن ينتصر الاسلام في /مكة/، وينتشر في المدينة المنورة، ولقد جاء الاسلام بقيم وأخلاق جديدة، ويضاف إلى ذلك، المصاهرة بين السكان المحليين، والقادمين من العرب المسلمين. من هنا كان التأثير والتأثر، كما أن المسلمين وبعلاقاتهم، مع المسيحيين، كانوا قدوة حسنة. أبرزها الموقف التاريخي المعروف، حين حوصر بيت المقدس، من قبل جيوش المسلمين، فطلب المسيحيون، التسليم لأمير المسلمين /عمر بن الخطاب/ بنفسه، وجاء الخليفة، واستلم المدينة، وكتب أماناً لسكّانها، على أموالهم وأنفسهم، وكنائسهم وأديرتهم. من هنا نلاحظ أن الخليفة /عمر بن الخطاب/ رضي الله عنه، كان أول من منح الكنيسة حقوقها الدينية كاملة، ومن المعروف أن /صلاح الدين الأيوبي/ هو من حرّر القدس أثناء حروب الفرنجة، وللأسف فان مدينة القدس، سقطت عام ١٩٦٧ بيد الصهاينة؟.

ويجب أن ننوّه هنا، أن العلاقات بين المسلمين والأحباش المسيحيين، في فترة فجر الاسلام العظيم، كانت سليمة وطبيعية، ومن هنا استمرت، العلاقات العامة بين المسلمين والمسيحيين الأحباش، مستندة إلى القيم العظيمة للاسلام الحنيف.

ويُعْتَقَدْ أن قبائل /الدناكل/ في جنوب ارتريا، و /السمهر/ في ضواحي /مصوع/، تعتبر من أقدم سكان أرتريا اعتناقاً للإسلام، **وبعد** أن انتشر الاسلام، اعتنقت قبائل /الساهو/ والتي، تسكن في **المنطقة** الممتدة، من خليج /زولا/ الى مرتفعات /أكلى قوزاي/، في القرن الرابع عشر ميلادي، أما قبائل الساحل، والبني عامر، فقد انتشر الاسلام بينهما، ابتداء من القرن العاشر ميلادي.

كانت هناك أيضاً، القبائل الوثنية، مثل /الباريا/ و /البازا/ وقد اعتنقتا الاسلام، على يد الشيخ محمد عثمان الميرغني، بعد منتصف القرن التاسع عشر، كذلك نشر الشيخ /الميرغني/ الاسلام بين قبائل /البلين/ و /الماريا/ و/بيت جوك و /المنسع/ وبعض قبائل /الحباب/ في الساحل وبالذات الفروع الثلاثة /عد تماريام[1]/ و /عد تكليس/ و/بيت اسقدي/ حيث كانت تعتنق المسيحية، والأسر الدينية التي ساهمت في تعلم القرآن الكريم، وأقامت الزوايا[2] في بقاع /ارتريا/ وعلى سبيل المثال ـ وليس على سبيل الحصر ـ:

١ ـ عد شيخ.

٢ ـ حامد و /دنا فعوتاي/ في الساحل.

كما كان لها مركز آخر، في /أمبيرس/ على بعد، أميال قليلة من /مصوع/، وفي قرية /أمبيرس/ عدد كبير من أضرحة الأولياء

---

(١) عد: قرية أو ضاحية.

(٢) الزوايا: مكان لتعليم القرآن الكريم.

والصالحين. وقرية /بيت الشيخ محمود/ ومركزها /زولا/ تقيم ندوات قراءة القرآن الكريم وتعليمه، و/عد سيدنا مصطفى/ وتقع في: بركة/ و /عد درقى/ و /عد معلم/ في شمال أرتريا وغربها وبيت /الشيخ ابراهيم الخليل /في /طيعو/ في /دنكاليا/ و/عد كبيري/ في الهضبة وكانت في الأصل تقيم في جزر /دهلك/[1]، هذه البيوت وكما قلنا كانت وساهمت في نشر الاسلام في ارتريا، كانت ومازالت تدير الندوات وتلاوة القرآن الكريم.

كما أنها تنتسب، كلها بصلة الرحم، إلى الجزيرة العربية. وبفعل الزيجات التاريخية المتواصلة، انصهر العنصر العربي المعاصر، وسط السكان من /البجة/[2] وغيرهم.

وبالرغم من احتفاظ القبائل الارترية، بلغتها السامية والحامية والكوشية القديمة /تجري/ و/حدارب/ و /سيهاويه/ و /عفريه/ وغيرها ومع كل هذا ظلت، تتمسّك بانتسابها إلى الأصول العربية. وإذا أردنا أن نوضّح أكثر حول الأصول العربية أقول مايلي:

١ ـ إذا نظرنا وأمعنا النظر، إلى سكان الهضبة الارترية، نجدهم ينتسبون إلى اليمن، كما ينتسبون إلى قبائل /البجة/.

٢ ـ /بيت شيخ محمود/ يرجعون بانتسابهم إلى /الزبير بن العوام/.

٣ ـ /عد شيخ حامد/ و/دنا فعوتاي/ ينتسبون إلى أشراف قريش.

---

(١) دهلك: جزيرة في البحر الأحمر.

(٢) البجة: قومية افريقية تعيش ما بين السودان وأرتريا ويطلق عليها اسم الهدنداوا.

٤ ـ قبائل /البني عامر/ و /البلو/ تنتسب إلى بني العباس.
٥ ـ قبائل /الحباب/ المتعددة تنتسب إلى قريش.
٦ ـ /الاساورته/ تنتسب إلى علي بن أبي طالب.
٧ ـ /المنيفري/ تنتسب إلى عمر بن الخطاب.
٨ ـ /الماريا/ و/سنعدقاي/ في المرتفعات وقبيلة /طروعه/ و /حزو/ و/منسع/ إلى الأمويين.
٩ ـ /الجبرته/ ينتسبون إلى عثمان بن عفان وعقيل بن أبي طالب.
١٠ ـ /العفر/ ينتسبون إلى الامام /زيد بن علي/ بن الحسين بن علي ابن أبي طالب.

وباعتبار أني لا أفصّل كل القبائل والبطون والفروع، فأنا أرمي إلى جذورها وأصولها العربية، وهذا مثال واضح وصريح، على عروبة أرتريا، وإني أوردُ هنا بعض الأسماء الاسلامية العربية اسم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والخلفاء الراشدين، والصحابة، واسم آدم وهي أسماء شائعة ومتداولة. ثم إن هناك أسماء كثيرة، من الناس مقرون اسمها باسم الله تعالى مثل: (عبد الله، عبد الحي، عبد المولى، عبد الرحمن، عبد الوهاب، وهكذا...) وهناك أسماء سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل أحمد، نذير، مصطفى، محمود/ واسم نذير وارد في القرآن الكريم: (**وأرسلناك نذيراً**)..

أما الأسماء المؤنثة فهي: (فاطمة، زهراء، خديجة، حواء. زينب، كلثوم، بلقيس، بتول... الخ) وهناك التأثير اللغوي فيها، فإذا

قرأنـا كتـاب /الأغـاني/ لأبـي الفـرج الأصفهـاني، وكتـاب /الحيـوان/ للجاحظ، وإذا اطلعّنا على حروف اللغة /التجرية/ وجدنـا الكثـير مـن المفردات، مذكورة في القرآن الكريم، ولها المعنى ذاته في /التجـري/ هنا نقول: ان اللغة التجرينية، والتجري مشتقان من اللغـة /الجئزيـه/ وهي لغة /سبأ وحمير/ والتي أتت من جنوب الجزيـرة العربيـة، واننـا نؤكـد علـى أن المفـردات العربيـة الموجـودة فـي اللغــة /التجرينيــة والتجري/ تتجاوز النصف بكثير، أما بالنسبة للهجات الارترية ففيهـا الكثير من حـروف ومفـردات اللغـة العربيـة، وهنـا أقـف وأضـع هـذا الجدول:

الكلمة العربية	الكلمة المقابلة لها بالتجري
أقرأ	أقرا
حاجب	حاجب
أنف	أنف
أذن	أذن
عبد	عبد
الخ......	

كمـا أن الشـهور تلفـظ كمـا هـي باسـتثناء شـهر شـعبان حيـث يسمّونه /مداجن/، أما أيام الأسبوع فهي. كما نلفظها. نحـن مـا عـدا يوم السبت حيث يسمونه /سنبات عباي/ أي يوم السبت الكبـير، أمـا الصلاة فاسمها كما هو دون تغيّير.

وقبل أن ينتهي لقاؤنا أخذت أفكّر في هذا، الانسان الكبير، الشيخ /ادريس محمد آدم/. بعد أن عرفت أنه يتمتع بصفة المعلم والمناضل والمفكر الذي، لاينحني أمام المصاعب ولايطأطأ رأسه، لأحد مهما كان كبير الشأن، ودعّته وقلت له: (أرجوك أن تبقى الأب لنا، لأننا بحاجة إليك اليوم أكثر من أي وقت مضى).

ووقف /الشيخ ادريس/ وكأنه الجبل، ثم مضى وبقيت لوحدي.

وهنا عدت بذاكرتي إلى أيام المؤتمر الوطني الأول عام ١٩٧١.

ـ عودة إلى المؤتمر الوطني الأول

لي رفيق أرتري اسمه /صالح أحمد أياي/ وهو صديقي الحميم، وكان مسؤولاً عن مكتب دمشق، لجبهة تحرير أرتريا، جاءني في الصباح كعادته وبعد أن شربنا الشاي سوية تمشينا:

وقال لي: يا /أحمد/! هناك دعوة موجّهة لك، من اللجنة التحضيرية، للمؤتمر الوطني الأول، وأنا ورفاقك في الجبهة، نريدك أن تحضر، هذا المؤتمر التاريخي.

وجرى بيننا نقاش طويل، حول رأيي في هذه الدعوة، فوافقت بعدها على الذهاب. وسألته: متى نمضي أيها الرفيق العزيز؟ وطلبت إليه أن يهيئ لي بطاقة طائرة، ويساعدني في شراء أفلام سينمائية وفوتوغرافية، كي أقوم بتسجيل وقائع، المؤتمر، ليبقى الفيلم وثائقياً، ويكون وثيقة تاريخية أيضاً للشعب الأرتري.

بعد أسبوع تقريبـاً، تـم كـل شـيء، وأصبحـت جـاهزاً للسـفر، وسافرت بالطائرة المصرية إلى القاهرة، ومنها إلى السودان، ثم أرتريا.

وقبل سفري اتصل بي، أحد المسؤولين السوريين، وأخبرني أن أحضر إلى مكتبه وهكذا تم..

قال لي المسؤول: ان /شكا/ بقيمة (مائة وخمسة وسبعين ألـف درهم) وصلت إلى البنك باسم الارتريين فلمن هذه النقود؟ وكنت أعرف ضمناً، أنه يعلم أن هذه النقود، هي لقوات التحرير الشعبية، وليسـت إلى جهة تحرير أرتريا.

وطلب مني المسؤول، أن أعطيـه رأيـي، إلـى أي طـرف تعـود هذه النقود.

فقلت له: إن هذه النقود هي /لجبهة تحرير أرتريـا/، وممثلهـا الأخ /صالح أياي/. فأعطاني ورقة كـانت أمامـه، ومعّـدة سلفاً وطلـب مني أن أوقّع، بأن هذه النقود تعود إلى جبهة التحرير، وإلـى ممثلهـا في سوريا /صالح أحمد اياي/، ودون تحفّظ وقعتّ على الفور، ولم أكن أعرف ما سيحدث، بعد ذلك وما هي ذيول ذلك!.

وسـافرت، دون أن أرى الأخ /صـالح/، لأخـبره مـا عليـــه، أن يفعل. ولكنه عرف، وأخذ النقود، وسافر إلى /لبنـان/، وارسـلها إلـى القيادة العامة للجبهة.

وكانت القيادة بحاجة ماسة، إلى هذه النقـود، لأنهـا لـم تكـن تملك شيئاً، وعلـى فكـرة، فـإن هـذه النقـود، كـانت مرسـلة مـن الأخ

/عثمان صالح سبي/ الرجل الأول في. تنظيم قوات التحرير الارترية.
إلى /سليم الكردي/. مندوب قوات التحرير الشعبية بدمشق.

وأريد أن أذكر. بأنني حين عدت. من المؤتمر /أوقفت/. من قبل أحد المسؤولين الأمنيين. حوالي أربعة أيام. ثم تم إطلاق سراحي. ودارت الأيام وأصبح هذا المسؤول الأمني. وزيراً للداخلية فيما بعد في بلدي سوريا، وتدور الأيام تباعاً، وألتقي به في الوزارة، وكان في مكتبه. وقد كنت موظفاً، في التلفزيون العربي السوري، مصوّر سينمائي في قسم الأخبار، وأثناء تصويري السيد الوزير، مع الوفد الضيف، ذكّرني وقال لي:

(ألا تزال تسرق؟).

قلت له:

ياسيدي: نعم. لو جاءت نقود مرة أخرى، لأخذتها وقدمتها لجبهة التحرير الارترية.

فبادرني قائلاً:

ـ سأحبسك هذه المرة أكثر.. وضحك.....

وتشاء المصادفات، وبعد ثلاثة وعشرين عاماً، كنت أحضر خطبة ابنته، فذكّرته هذه المرة أنا، وقلت له:

ـ هذه المرة دون سجن ياسيادة الوزير.

فعاد بذاكرته وضحك وقال:

ـ لقد قمت بعمل جيد، في حينها.

ـ إلى القاهرة فالخرطوم

غادرت دمشق إلى القاهرة، وبعد أن ودّعت عائلتي، وكانت زوجتي حاملاً، وفي الأيام الأخيرة للحمل. وقد وضعت زوجتي ابنتي /ليلى/، وأنا أحضر المؤتمر الوطني الأول لـ /ج.ت.أ/.

إن أولادي الكبار، يعرفون سبب سفري، ويدركونه، ولكنهم لايريدونني أن أسافر، لمعرفتهم بأنهم يبقون، بلا مصروف ويضيّق عليهم الخناق. وأريد أن أروي لكم هذه الحادثة.

«إن ابنتي غادة ـ وقد أصبح لها طفل يدعى /أمجد/، كانت مرحة وتحب الفكاهة، وكثيراً ما كنا نجلس على المائدة، ومائدتنا بسيطة جداً، وتنقصها أشياء عديدة، وأنا لا أستطيع أن أتنفسّ، سوى /عبس وتولى/ كل ما هنالك، أنني أقول لهم هذا هو الموجود.

فتردّ /غادة/ بروحها المرحة وتقول، لأخوتها وهي تضحك:

ـ هذه رشة وطنية! هذا صحن إنسانية! هذا شراب قومية! المائدة /عمرانة/، والحمد لله. كلوا وانبسطوا! هذا هو شرابنا وطعامنا! وطنية زائد قومية زائد إنسانية، تساوي أجمل وألذ الطعام.

وتدير وجهها إليّ متسائلة:

ـ «كيف أبوي؟..».

وأنا لا أستطيع الكلام أو الحراك، وأبقى صامتاً، ولكنني أملي عليهم كثيراً من الكلمات الثورية، كما كانوا يسمّونها.

حطّت الطـائرة فـي مطـار القـاهرة، وتوجهـتُ إلـى الجـوازات حسب العادة، وأنا أعـرف الاجـراءات الطبيعيـة، والقاسـية والأسـئلة الكثيرة، حينها ولا أبالغ إذا قلت، إن السفر من دمشق إلـى القـاهرة، يستغرق حوالي الساعتين تقريباً، أمـا الاجـراءات فـي، مطـار القـاهرة حينها فلا أبـالغ إذا قلـت: إنهـا تسـتغرق أربـع سـاعات، فـي أكـثر الأحيان.

مثال: تقـدّم جـوازك وتنتظـر طويـلاً ويصبـح جـوازك فـي علـم الغيب، ثم يُنادي عليـك فجـأة، فـترى جـوازك فـي، يـد الضـابط أو المسؤول فيبادرك بالسؤال:

ـ «أهلاً وسهلاً يا بيه»، حضرتك مصوّر، ستعمل عندنا «أفلام»، أنت من وين؟ فأجيبه داخلياً في قلبي /من غوغـلا/[1]، وهـذه يُضـرب فيها المثل، في بلادنا بالبعد والضياع، وهي كلمة شائعة.

ويقلّب المسؤول الجـواز، بيـن يديّـه، يمنـة ويسـرة، ثـم يعيـد السؤال:

ـ «حتقعد كم يوم عندنا انشاء الله»؟

ـ ثلاثة أو أربعة أيام.

ويعيد عليك السؤال مرة ثانية:

ـ حتعمل «أفلام» عندنا ولا إيه؟

---

(١) غوغلا قرية صغيرة في سورية.

ويستمر هذا المونولوج الطويل البديع: «الحمد لله حقائبي في السيارة، وأنا في طريقي إلى القاهرة. وأتساءل في نفسي: لماذا نحن العرب أمورنا معقدة؟».

نحن عرب، لغة واحدة، تاريخ واحد، ثقافة واحدة، أماني مشتركة واحدة، - أي نحن أمة واحدة، فلماذا هذه الأمور المعقّدة؟ أتساءل وكأن عمري صغير ولا أعرف سبب ذلك!

ويسألني سائق التكسي:

- على فين يا بيه؟

فأجيبه:

- الزمالك.

- حاضر يا بيه.

وأقول له مرة ثانية:

- إلى فندق /جنرال/، جانب مسرح الزمالك.

- تؤمر على رأسي، على عيني، الأخ من وين؟!

- من سورية.

- آه.. إحنا أخوات.، هل معاك دخان؟

- لا!

- هل معاك وسكي؟

- لا!

- هل معاك دولارات؟

ـ لا!

ـ هل معاك. هل معاك. هل معاك؟

ـ لا. لا. لا..

ـ طيّب اسم حضرتك أيه؟

ـ الآن تذكرت ما هو اسمي؟!...

وبعد رحلة التكسي، والأسئلة أنزلني. السائق وقال لي:

ـ تفضل يا بيه هذا هو /الاوتيل/؟ الحمد لله على السلامة. نحن عايزين نخدم يا بيه...

ودخلت الفندق، ووجدت غرفة متواضعة. ست ساعات من دمشق، الى القاهرة. ساعتا طيران وأربع ساعات. بين الجوازات والجمارك. والآن أريد أن أنام. وبعد نوم عميق ومريح. أستيقظت بعد الظهر، ونزلت ومشيت إلى /التوفيقية/[1]. والله أنا أحب القاهرة وأهلها كثيراً. وفجأة وجدت نفسي، أمام مطعم /الحاج محمود السمّاك/. وهذا المحل لديه أجود أنواع السمك. ويعد أن (امتلأت المعدة) لابد من العودة إلى الفندق، واخذ قسطاً من الراحة. لأني مسافر صباحاً إلى السودان، ولا بد من مواجهة بعض. الزملاء الفنانيين، السوريين المقيمين في الفندق ذاته، وعلى فكرة إن الفندق عبارة عن شقق مفروشة.

(١) التوفيقية ـ أحد أحياء مدينة القاهرة.

وكان أحد الزملاء والذي، يقيم في الطابق الثاني، متزوجاً من الفنانة /ميرفت أمين/، والأخير يقيم في الفندق نفسه، وبادرني قائلاً:

ـ أهلاً أحمد! أهلاً.

وبعد السؤال عن، الصحة والبلد والزملاء.. الخ قالا لي:

ـ نحن نبحث عنك. بعدها أخبرنا الخواجه، إنك نازل عندنا.

«والخواجه هو مدير الفندق، وهو رجل طيب ولطيف»، وأخبرني الزميلان أننا سنسهر سهرة عامرة. وقلت لهما:

ـ ياجماعة طائرتي الساعة الثالثة صباحاً، وأنا مسافر إلى الخرطوم.

وبعد إغراءات كثيرة، أخبرتهما إنني غير جاهز للسهر. إلا أن الإصرار كان من شيمهما. وحضر الزميلان العزيزان، ووضع أحدهما في، يدي ربطة عنق وقال:

ـ المكان لا يمكن الدخول، إليه دون ربطة عنق.

ـ على بركة الله.

دخلنا /الشيراتون/ وتوجهنا فوراً إلى صالة القمار، وكان /الصديقان العزيزان/ يرحّبان بي كثيراً، حتى بت أشك بتصرفاتهما، إلا أن شكي لم يصل إلى، أن أتصور أن يعاملاني بالأسلوب الآتي:

ـ صالة القمار تنقسم إلى قسمين، قسم شبه مرتفع، والقسم الآخر منخفض قليلاً. أماكن القمار، في القسم المنخفض، وتشمل قاعة القمار، طاولات خضراء وروليت وفنون أخرى.

ومن حيث الإنارة فهي خفيفة وبيضاء. أما القسم العالي فالإضاءة خافتة وملّونة، والشراب مجاناً من الوسكي حتى آخر نوع من أنواع الخمور، ولكن من يقدّم الشراب؟ إنهن من أجمل الحسناوات المختارات على /الصينية/ ـ ولا يرتدين سوى قطعة صغيرة من القماش تغطي جزءاً من الصدر، وجزءاً من تحت البطن. /وهات يا سيقان. وهات يا صدور وهات يا ابتسامات/ والوسكي والشراب دائر: وغطست في هذا الجو /المفرفح/ المنعش.

«أما زميلاي، فقد طلب مني أحدهما، أن أقرضه نقوداً. لأنه يريد أن ينزل إلى، مكان القمار ويدور ويخبر، من يعرفونه أنه شخص مهم ومعه عملة صعبة» وقال لي:

ـ هل من الممكن أن تقرضني، بعض الدولارات؟ لأني أريد أن /أتنغنغ/ ودون مقدمات أعطيته، محفظتي كلها. ونزل الزميل الكريم، وبقيت أنا مع الزميل الآخر، هو يشرب الوسكي، وأنا أتمتع وأدقّق نظري بالحسناوات، وفجأة دق قلبي وأهتزت أوصالي. ونزلت إلى مكان /المقمرة/ وجهاً لوجه، مع الشريف وأمسكت برقبته وسألته:

ـ أين النقود؟..

فاصفرّ وجهه وكاد أن يقع، من الخوف ومن المصير. الذي سيلاقيه مني، وهو يعرفني جيداً، ويعرف عندما /ينتهي الكلام يبتدىء الغناء/.

وهذا ما حدث وأمام، كل من كـان فـي المقمـرة، أخـذت /أشـتمه و../ وذهبت إلى الآخر، فوجدته قد هرب. حين رأى مصير زميله الأول.

هرب النذلان، كانا متآمرين عليّ، ونزلت من الشـيراتون، بعـد أن فقدت كل نقودي. وتساءلت (إلـى أيـن أذهـب وليـس معـي سـوى خمسون قرش مصري)؟ وذهبت إلى الفندق، سـيراً علـى الأقـدام مـن، الجيزة إلى الزمالك، وربطة العنق تكاد تخنقني.

كان مدير الفندق الطيب موجوداً، ورويت له ما حدث، فسلّفني خمسة جنيهات، مازالت في ذمتي حتى الآن. وعـدت بعـد سنوات، ولكنني لم أجده فقد ترك الفندق. كم هو طيب الشعب المصري.

ومن مطار القاهرة إلى، مطار الخرطوم كان، الوقت يمر بطيئـاً، يمر وصوت الطائرة كأنـه يصدّح، وأنـا أبكـي ـ نعـم لقد بكيـت مـن الاحتيال ـ وما أكثر المحتالين في هذا الزمن؟

إني أحب شروق الشمس على العاصمة المثلثـة ووجـوه السـودانيين الطيبة، ذهبت كالعادة إلى فندق /الخليل/، الذي يقع في السوق العربي، وكان هذا الفندق صديقي. ولم أستطيع النوم رغـم تعبـي وارهـاقي، حيـث شاركت ثلاثة من النزلاء السودانيين في الغرفـة، وانتظـرت حتـى تصحـو المدينة، ورغم جمـال ووجـوه السـودانيين المحببـة، فقـد وجـدت نفسـي متضايقاً جداً، ثم بدأت أبحث عـن منـدوب الجبهـة. ولا أريـد أن أطيـل الحديث، فبعد عناء وجدته، واسمه /عمار/ وقد توفي منذ سـنوات رحمـه اللـه، كـان رجـلاً متّدينـاً جـاداً، وأخـبرني بـأني سـوف /أتحـرك/

إلى /كسلا/[1] ومنها إلى الميدان[2]، في يوم أو يومين على الأكثر، لأني آخر من وصل من المدعووين إلى السودان، وعدت إلى فندق الخليل، وأنا بانتظار غد أو بعد غد، وجاء /أحمد/ عامل الفندق يسألني ما إذا كنت سأتغدى. وأخبرني بأنه مكلّف، بتلبية كل حاجاتي.

قلت له:

ـ شكراً فأنا لا أريد شيئاً، فقط أريد كأساً من الماء البارد.

وبعد أن شربت الماء وخلال دقائق أحسست بألم شديد في رأسي ومعدتي. وقعت على الأرض، وحاولت أن أنادي /أحمد/، ولكنني أحسّست بدوار، ولم أشعر بعدها، إلا وأنا مرمّي على سرير في غرفة واسعة.

ـ وتساءلت: (أين أنا وماذا حدث؟).

وجدت يدي قد ربطت على السرير الموضوع على الرمل، وأحسست بإبرة /السيروم/ في يدي والألم في رأسي وبطني، وجلت بنظري يمنة ويسرة، وسمعت أنيناً صادراً من الأسرّة البيضاء، من المرضى ضمن هذا /القبر/ الفسيح. كان هنا حوالي ثلاثون مريضاً، وكان هناك زائرون وحركة متواصلة. ورأيت السيدين /خليفة كرار[3]،

---

(١) كسلا: مدينة سودانية.

(٢) الميدان: يقصد به الريف الارتري حيث تدور العمليات العسكرية.

(٣) عقيد في جهاز الأمن السوداني.

وإدريس قريش[1]/ يقفان بجانب السرير، وسمعت صوت الأخ /خليفة/ يقول:

ـ كفّارة يا أبو سعدة.

قالها /خليفة/. أما /قريش/ فلم أنسَ رؤيتي لدموعه، وهي تنحدر من عينيه، وهو يسألني:

ـ ماذا حدث؟

وسألته وأنا متعب:

ـ أين أنا يا قريش؟ وماذا حدث لي؟

كنت في وضع يائس، إلا أن دموع /قريش/ الحقيقية، وطيبة، ورقة يدّي الأخ /خليفة/، اللتان مسح رأسي بهما، جعلتني أحس بأني أفضل من السابق، وأنني لست غريباً عن الوطن.

وقالا لي:

ـ هيا يا أبو سعدة، سننقلك إلى مشفى آخر.

وهذا ما حدث، فقد نقلت إلى مشفى /دار الشفاء/، بجانب سينما /الكولزيوم/، «سبعة أيام وأنا في المستشفى، وقد أشرف على مراعاتي ومداواتي، طبيب لست أذكر اسمه، إلا أنني أذكر سلوكه الطيب ومراعاته، وقد عرفت أنه كان، وزيراً للدفاع أيام، حكم الفريق /عبود/».

---

(١) مناضل ارتري يهيم على وجهه في السعودية.

- رحلة إلى بورسودان

وبعد سبعة أيـام، خرجـت مـن المستشـفى، وتولّـى الأخ /ادريـس قريش/، دفع النفقات وكانت عبارة عـن /مـائتي جنيـه/ سـوداني. كـانت هذه النقود معدّة لشراء مواد غذائية، وغيرها استعداداً للرحلة إلى /أرتريا/.

وتم الاستعداد كاملاً للسفر، باتجاه /كسلا/، ولكن فـي الدقـائق الأخيرة، حدث تغيير. فبدلا عن /كسلا/ إلـى /بورسـودان[1]/. وركبنـا القطار والى رحلة الألف ميل؟.

ليلتان وثلاثة نهـارات، اسـتمرت رحلتنـا مـن، الخرطـوم إلـى /بورسودان/. وبقينا في منزل أحد المواطنين، هنـا مـدة ثـلاث ليـال، دون أن نخرج من الدار، خوفاً من جواسيس الحبشـة، حيـث نشـطوا في تلك الفترة. وتحركنا من /بورسودان/ إلـى /سـواكن[2]/ ومنهـا إلـى /توكر/ وقد استغرق الطريق باللوري من /بورسودان/ إلى /توكر[3]/ يوماً واحداً. كنت أجلس أنا وقريش جانب السائق، أما بقية الركاب فكانوا في أرض اللوري. ونمت فـي /توكـر/ مـدة يوميـن، لـم أخـرج إلا فـي الليل، وكانت الليلة الثالثة، واتجهنـا نحـو /أرتريـا/ إلـى /آر/ مكـان المؤتمر الوطني الأول.

---

(١) بورسودان: مدينة يقع بها الميناء الرئيسي للسودان.

(٢) سواكن: مدينة وميناء يقع على البحر الأحمر.

(٣) توكر: قرية سودانية حدودية مع ارتريا.

كنا خمسة أشخاص: أنا و /ادريس قريش/ وثلاثة من المناضلين الأشدّاء للحماية.

وقد كنت ذا حظ سعيد، لأن الوفود كافة، الرسمية والصحفية، دخل رجالها من مدينة /كسلا/. واستغرق الطريق، من /كسلا/ إلى مكان المؤتمر، ستة عشر يوماً: مشاها أعضاء الوفود على الأقدام، وسط الأحراش والجبال الوعرة.

وكانوا يمتطون الجمال، في أحسن الأحوال، ومن بين هذه الوفود، كان هناك وفد فلسطيني من منظمة التحرير الفلسطينية، وصحفيون إيطاليون، وفرنسيون، ووفد من جبهة تحرير /ظفار/، ثم وفدان رسميان من /سورية/، ومن /الصومال/.

ومعظم الوفود عاد أعضاؤها من أول الطريق لصعوبة الاستمرار في السفر، وقد وصل الوفد السوري، والوفد الصومالي، وبعض المصورين. أما أنا فلقد قطعت المسافة من قرية /توكر/ السودانية إلى /آر/ في خمسة أيام. والسبب أني دخلت من قرية /توكر/ وليس من /كسلا/. وحين خرجنا من /توكر/ باتجاه /آر/ كان الليل في بدايته، وكما يقولون فإن الليل /ستّار/. وبعد خمس ساعات من المشي، وعند هضبة عالية، وجدنا من كان في انتظارنا، جملاً وسيده كما يسمّوه هنا، وبعد السلام والكلام ـ ولكن بلهجة لم أفهمها ـ وتساءلتُ في نفسي، لماذا لايتكلم /سيد الجمل/ باللغة العربية؟ ان ملامحه عربية واسمه /سليمان/. وفي الصباح سمعته يتلو آيات قرآنية. اذن لماذا لايتكلم العربية؟

وجاءني يقول:

ـ السلام عليكم.

ـ عليكم السلام.

ـ روقا (ومعناها تمام).

ـ كيف حالك؟

وقد علمت أن صديقنا /سليمان/، هذا ينتظرنا هنا منذ عشرة أيام، وتساءلت (كيف استطاع هذا الرجل، البقاء هنا مدة عشرة أيام لوحده، وهو لايحمل من السلاح سوى السيف، وبعض الماء وقليلاً من الطعام)؟

إن من الخصائص الهامة للشعب الارتري، والتي تعلمتها منه، هي الصبر. والإخوة الارتريون جميعاً يقولون عليك بالصبر، ونظرت حولي فلم أر شيئاً، لأن الظلام كان حالكاً! ما عدا بقعة صغيرة مضاءة، هي لهيب النار التي اشعلها صاحبنا /سليمان/، من أجل العشاء، وأي عشاء هذا! إنه كأس الشاي، وهذا وحده هو العشاء. وجلست أمامه وهو يقلّب النار، وأنا أنظر إلى وجهه، وإلى سيفه المطروح إلى جانبه وسألته:

ـ كيف حالك يا سليمان؟

ـ روقه.

ونظرت إليه طويلاً، إلى شعره وقامته، وحركتهاالسريعة. وعرفت أنه من قبلية /البجة/. كان شعره طويلاً وملفوفاً، وعيناه مكحلتان، أما لونه الأسمر الغامق، فذكرنّي بعنترة بن شداد. ويذكر /اليعقوبي/ ان عاصمة

/البجة/ هي مدينة /هجر/ وهذه تقع في محافظة الساحل الارترية، وعلى مقربة من الحدود السودانية، ولازالت تعرف بهذا الاسم حتى الآن.

وإذا أردنا الحديث، عن قبائل /البجة/، فهو طويل. إلا أننا نستطيع القول باختصار، أن هذه القبائل موزعة، في /أرتريا/ بين /خوربركه/[1] وساحل البحر الأحمر، ومن السواحل الجنوبية حتى جبل /رورا بقله/[2] والقريب من /نقفه/ عاصمة اقليم الساحل الارتري، و/البجة/ ينقسمون إلى عشر قبائل هي كالتالي:

(البشارين ـ الامارار ـ الارتيقة ـ الاشراف ـ الكمبلاب ـ الهدندوا ـ المهيلنان ـ الحباب ـ الحلنفة ـ البني عامر) وقد ذكر /ابن حوقل/ قبل ألف عام أن هناك قبائل لاتزال تحتفظ باسمائها الأساسية ألا وهي: /الرقيات ـ عيدمن ـ منج/ وان /البجة/ وهم موجودون أيضاً شرق السودان، أي في الحدود، وتعدادهم يصل إلى المليون شخص، ومعظمهم يعيش على رعي الماشية وقد برز منهم التيار الانفصالي ونادى باستقلال ذاتي ومن ثم إلى الاستقلال وهذه نزعة استعمارية، والبيجاويون معروفون عبر التاريخ، بأنهم شعوب محاربة، وقد خاضت هذه القبائل حروباً طاحنة، ضد الفراعنة والبطالسة والرومان وملوك أكسوم.

وفي عام /٢٧٢/ لقي الرومان، متاعب شديدة في /مصر/ لأن ملكة /تدمر/ /زنوبيا/، زادت في نشاطها والتصدي للرومان، حيث

---

(١) الخور هو النهر الجاف.

(٢) رورا بقلة ـ جبل يقع في ارتريا.

استطاعت أن تعقد تحالفات، مع الكثير من الفئات المتذمرة المصرية. ثم اتفقت مع /البجة/ في جنوب شرق مصر، وذلك على فتح جبهة أخرى ضد الرومان، ونتيجة لتحالف /البجة/ مع الملكة /زنوبيا/ قام /البجة/، بهجوم عنيف على الرومان، وتقدموا داخل الحدود المصرية، إلا أن الحلفاء التدمريين أصيبوا بهزيمة، وخرجوا من المعركة. عندها عاد الجيش الروماني إلى الحدود الجنوبية وصد الهجوم البيجاوي، الذي وصل إلى مقربة من /سوهاج/[1]، وقد وقع بعض البيجاويين وغيرهم، أسرى بيد الرومان، وإن بعض هؤلاء الأسرى كانوا من العرب.

وفي عام /٤٢٩/ ميلادية، عبرت الجيوش البيجاوية الصحراء، مندفعة نحو /أسوان/ وعبروا النيل، حتى وصلوا إلى واحة تدعى /الخارجة/، وكانت معقلاً رومانياً محصناً، فقتلوا الحامية التي، كانت هناك وأسروا سكان الواحة.

اشتد هجوم /البجة/ على ريف مصر، في أوائل القرن /الثالث/ الهجري، عندها رفع والي /أسوان/، إلى أمير المؤمنين /هارون الرشيد/، كتاباً بما يحدث. وأمر الخليفة بإخراج، جيش لمقاتلة /البجة/، فكانت حروب مشهورة وطاحنة، ثم أوقفت الحرب وتم الاتفاق على هدنة وعقد معاهدة مع /مكنون بن عبد العزيز/، ملك أو

---

(١) مدينة سوهاج في مصر.

عظيم /البجة/، كما يسمونه واستتب السلم: وعلى فكرة فإن /البجة/ كلهم مسلمون.

ـ وكما أسلفت كنت إلى جانب /سليمان/، وقد استسلمت للنوم مكرها على الأرض، وصحوت على أزيز النار، والشرر يتطاير منها، كان الأخوة الحرس قد وضعوا ابريق الشاي على النار، وفي الجانب الآخر كان صاحبنا الدليل، يعطي الحارس الآخر واسمه /عبد الله/، الطحين ليصنع الخبز، وكانت الشمس لمّا تشرق بعد، إلا أن الخيوط الأولى للصباح بدأت تظهر، وأصوات العصافير وطيرانها بدأ يبشّر، باليوم الجديد، على الحدود السودانية الارترية، وتململت يمنة ويسرة، وسحبت /الشدة/ من تحت رأسي، وكانت هذه الوسادة الوحيدة، في /أرتريا/ للمقاتلين. أما /الشدة/ فهي /الصندل/ كما نسميها في بلادنا.

ـ صباح الخير يا أبو سعدة، صباح الخير يا عبد الله، هل تريد أن تغتسل.؟

ـ لا.. أريد أن أنظف أسناني فقط.

وبدأت ترتفع الشمس والشاي أصبح جاهزاً. وأخذ الإخوان يشربون الشاي، ويأكلون الخبز ـ وأردت أن أعطيهم شيئا من (الجبن) الذي كان معي، فمنعني /ادريس/ من ذلك وقال لي:

ـ كل (الجبنة) أنت: هكذا نعيش نحن في الثورة، وهذا في أحسن الأحوال شاي مع الخبز.

وجاء صاحبنا الدليل، وجلس في مواجهتي، وجهاً لوجه، وحاولت أن أقرأ ما في دخيلته، وفضلّت السؤال:

ـ كيف حالك يا سليمان؟

فابتسم. وخيل إليّ أنه، يسأل نفسه (من أين هذا الرجل الأبيض؟ لماذا هو هنا؟)

وأجاب سليمان:

ـ روقه.

ـ وأنت كيف؟

ـ ما بال صاحبنا ينظر إليّ هكذا؟

وأجابني / قريش/ وعلى الفور:

ـ إنه يريد أن يأكلك..

وضحكنا.. ضحكنا كثيراً. وضحك /سليمان/ بقوة، وهو يهز رأسه خاصة بعد أن ترجم له أحد الحراس. وهرب /سليمان/ وهو يضحك. وعلى فكرة إن الأخ /ادريش قريش/ صاحب نكتة، وإن اسمه الحقيقي هو /ادريس ابراهيم/، أما كلمة /قريش/ فقد جاءت معه، من مكان الخلوة حيث كان يتعلم القرآن الكريم.

والخلوة تعني هنا في بلادنا /المكتب/، ففي يوم من الأيام كان /ادريس/، يقرأ القرآن فوقف كثيراً، عند كلمة /قريش/، ورددّها مرات كثيرة /قريش.. قريش قريش/، /ادريس/ رفيقي هذا له أخ يدعى /شكيني/، وقد استشهد على يد الجبهة الشعبية، عندما كان اسمها

(قوات التحرير الشعبية). كان /محمود ابراهيم/ قد اتبع دورة عسكرية في سورية وكان عضواً في القيادة العامة وعضواً في المجلس الثوري.

ـ زغاريد الحرية

كان الشهيد، البطل قد اجتمع بي، في منزلي في حي /الميدان/، بدمشق قبل استشهاده بسنة. ولقائي الثاني به، كان في الريف الارتري، حيث رافقته في، حصار معسكر /كركر/[1] الاثيوبي، والذي يقع بين الحدود السودانية الارتيرية، وهو مدخل إلى منطقة، /ساوا/[2].

كان الوقت بعد منتصف الليل، بقليل عندما انضم إلينا، عدد من الأخوة المناضلين، وكانوا يرتدون اللباس الوطني، وهذا عبارة عن جاكيت يشبه إلى حد ما، /المنيتان/ اللباس العربي القديم في بلدنا، وتحته سروال ولونه أبيض، وتحت الملابس الوطنية هذه، كان اللباس العسكري للمقاتل الارتري، الذي هو عبارة عن قميص وبنطال قصير من اللون الخاكي.

وأصبح عدد المقاتلين أربعين مقاتلاً، وجاء /محمود/ ووزّع المقاتلين في عدة اتجاهات، وكانت نقطة البدء قنبلة هاون من عيار /٨٢/مم، انطلقت على معسكر الجيش الاثيوبي، وكان هذا أقوى سلاح عند الجبهة، وكان متطوراً كثيراً في حينها، واعتقد بأنه موجود منه

---

(١) كركر منطقة ريفية أرترية.

(٢) منطقة ريفية أرترية.

/٤/ حبات، كما يقولون وابتدأ الهجوم. كان الوقت حوالي الثانية صباحاً، والانتشار والاستدارة حول المعسكر يستغرق ساعتين، كل أربعة مناضلين، ذهبوا في اتجاه.

إني أذكر أن التقاء المقاتلين مع /محمود/ كان في منطقة قريبة، من /فورتو/[1] نعم... كانت العملية عملية حدودية، ولكن الانطلاق كان من الأراضي الارترية وليس من الحدود، وكان من عمق منطقة /بركة/[2] وكنت أنا أمشي مع /محمود/ ومعي ثمانية مناضلين.

كنت أشعر بالبرد، رغم أن الجو كان حاراً، إلا أن الخوف من المجهول، يبقى مسيطراً على الإنسان أولاً. وبعد تسعة وعشرين عاماً أشعر بلذة الذكريات، ولا شيء أجمل من الذكريات، وخاصة عندما تجتاز الخطر، وتبقى الذكرى وتتحول إلى قصة ترويها وترويها بشغف.

لقد أصبحت في خريف العمر، ولكنني أعيش في الذكرى، أعيش في الشباب، أعيش في الحب والأمل. وبعد ساعة من المشي السريع بين الحجارة الكبيرة، والصغيرة أصبحنا على مسافة قريبة جداً من المعسكر، ولم يشعر بنا أحد من الأعداء. وانتشرنا.. ولازمت /محمود/ رحمه الله، ورفعت آلة التصوير وتساءلت: /ماذا أصوّر/ وما هي الفائدة التي سأقدمها للثورة؟ ألا يعيقهم وجودي؟ غير أنني شعرت بسعادة غامرة، عندما سألني /محمود/:

---

(١) منطقة ريفية أرترية.

(٢) منطقة ريفية أرترية.

ـ كيف حالك يا أبو سعدة؟ وهل أنت مرتاح؟ أتريد شيئاً؟

وسألته:

ـ هل أنتم مستعدون؟

ـ سوف تسمع الآن زغاريد الحرية.

وكان يحمل في يده، الرشاش الخفيف /الدكتريوف/، وعلى التوقيت الدقيق، شق الهدوء، صوتُ القنبلة. وعلى صوت الزغاريد وجدت نفسي، أزغرد أنا أيضاً بآلة التصوير وليس ببندقية.

استغرقت المعركة حوالي، خمس عشرة دقيقة، تحول المعسكر الاثيوبي، إلى كتلة من النار، ثم انسحبنا، وهات يا ركض، ووجدت نفسي مع /محمود/ وأحد المقاتلين وصاحب الجمل وقال لي:

ـ أعطني عفشك، أي الكاميرا، وأعطيته إياها بسرعة، ثم ذهب وتابعنا الركض، وسط الصخور والشوك. وتساءلت: لماذا نركض؟ ألا نريد أن نعرف ماذا حدث في هذا المعسكر الاثيوبي؟

أجابني /محمود/ بهدوء:

ـ هذا من أجل سلامتك يا أبو سعدة. بقية الأخوة المناضلين هم الذين سيأتوننا بالأخبار.

وتابعنا الركض. وتساءلت: ماذا صوّرت؟ وماذا سأرى على شريط الفلم؟ آه.. ثم آه.. لقد تذكرت كيف صوّرت قصف المجنزرة الاسرائيلية، مع طاقمها في غور الأردن، وقد قصف المجنزرة أحد الفدائيين الفلسطينيين، بواسطة سلاح الـ/ ا ر ب ج/، وسقط من

الفدائيين شهيدان ودُمرتْ المجنزرة، وكانت إصابتنا دقيقة، حيث قصفت من منطقة قريبة جداً، أي لا تبعد سوى أمتار قليلة، وهذا منتهى الخطورة والشجاعة، والذي ساعدني في حينها في التصوير، الإضاءة /البروجكتور/ الموجود، على ظهر المجنزرة الاسرائيلية، والذي يدور يميناً ويساراً، وعندما سدّد الفدائي سلاحه نحو مجنزرة العدو الصهيوني، كانت الإضاءة كافية، وخاصة بعد أن لامس الصاروخ المجنزرة التي، أصبحت بعد ثوان قليلة، كتلة من النار واللهب، وتناثرت الشظايا، وبدأ الرصاص الملّون والقذائف الصاروخية، تنهمر علينا شمالاً ويميناً. واذكر تماماً أن رأسي كان في التراب، ولم أرفع رأسي إلا بعد أن هدأت الحالة. وقد استشهد اثنان من المقاتلين رحمهما الله. أما المجنزرة وعناصرها، ومن خلال رؤيتي بآلة التصوير، شاهدت المجنزرة وعناصرها، أصبحوا كتلة من النار، ولن أنسَ الومضة التي لمعت عندما لامس صاروخ الفدائي الشهيد المجنزرة. واستغرقت العملية ثوان، ولكنني تابعت التصوير وأنا جاثٍ على ركبتيّ، لقد نسيت الخوف وكل التطابقات، كانت تدور في رأسي بوقت واحد.

١ ـ لقد دمرنا وقتلنا أعداءنا.

٢ ـ حصلت على أعنف وأصدق لقطة سينمائية حية.

٣ ـ صوّرتها بشريط سينمائي عريض، أي أنني حققت التقنية والمضمون على حساب حياتي، وللعلم أن الكاميرا ومخزن الفلم

الكبير والبطارية يزيد وزنها على /١٦/ كغ، هكذا كان: فقد أراد الله تعالى لي، الحياة وأراد بعض الزملاء أن يموت الفلم النادر.

كان هذا في بداية عام /١٩٦٩/ والآن نحن في /١٩٩٨/ فعندما رجعت، من الشونه الشمالية لغور الأردن، كنت سعيداً وقد وصلت ظهراً إلى دمشق. وذهبت فوراً إلى معمل التحميض التابع لمؤسسة السينما، أعطيتهم الفلم وكدت أن أقبّل أياديهم ليهتموا به، وقلت لهم سأعود بعد قليل، ويكون الفلم قد انتهى، من العملية الفنية.

كنت فرحاً كطفل صغير، وكيف لا أفرح وما أجمل أن يرى الإنسان، نتائج عمله خاصة، وإن لهذا العمل روحاً ونكهة عزيزة، وذات مغزى لقلبي، وقلب كل عربي، فالمقاومة كانت أمل كل عربي، وإنها الدواء الذي سيشفي كل الجروح التي حرقتنا وأذلتنا.

عدت إلى المعمل بسرعة.

ـ أين الفلم يا شباب؟ أعطوني النيكاتيف. ولم يجبني أحد. وكررت السؤال، ومرّت لحظات صعبة وقاسية. وأتت لحظة تمنيّت فيها أن أطلق الرصاص. ولكن... على من أطلق؟ على آلة التحميض أو على...؟!

ـ سمعتهم يقولون: (آسفين لقد انقطع الفلم في آلة التحميض وتلف)، هكذا وبكل بساطة؟؟

ـ اليوم زغرد رشاش الثورة الارترية ولم أرَ منه سوى هذا الوميض المتواصل الموصول على العدو الاثيوبي، وكتل النار المتصاعدة من المعسكر الاثيوبي.

ـ وتساءلت في نفسي وأنا أركض كالغزال أين ذهب الجمل وآلة التصوير وبقية العفش؟ والله لا أعلم.. كما لا أعرف المسافة التي قطعناها وسط الشوك والحجارة! لذيذة الذكريات.

وأفيق من ذكرياتي وأنا أستظل بظل، شجرة التاواي[1] الكبيرة، حيث أمضينا يومنا الطويل، في انتظار وترقب حدة الشمس، أن تخف حتى نتوكّل، ونتابع السير. وأزفت الساعة وابتدأنا السير، وكانت الساعة حوالي الثانية بعد الظهر، وبدأ العرق يتصبّب من جبيني، وأنا أرفع قدميّ بقوة ونشاط، وكان صاحبنا /سليمان/ يتقدمنا بحوالي عشرين متراً، وتساءلت: (ما هذه الأرض وما هذه التضاريس؟ إنها الصحراء بذاتها).

وبدأ الهواء وحبات الرمل الناعمة، تضرب وجوهنا. إلا أن شدة الحر خفت نسبياً، وغابت الشمس وظهر القمر والنجوم، وأخذت أراقب البرق من بعيد، لقد كنا على مقربة من الساحل والآن وقت الأمطار هنا، ونظرت إلى القمر وتساءلت في نفسي: إنه الآن في بلدي يشع كما يشع نوره هنا، ما أجمل الحرية، إن الفارق بين بلدي وبين هذه البلاد كبير جداً، إن أجدادنا وآباءنا أعطونا الحرية كاملة. الأرض والأنهار والجبال، أعطونا إياها سليمة معافاة، يرفرف عليها علم الحرية وعلم الاستقلال، رحم الله شهداءنا.

---

(١) شجرة التاواي: شجرة شوكية تشبه المظلة.

ـ على تراب أرتريا

أما هنا فالشهداء يتساقطون يومياً، والدمار والتشرد يتم كل يوم. وتساءلت: «ألهذا السبب أنا موجود هنا؟ هل لأني شعرت بطعم الحرية، وأنا الذي رأيت أول عيد جلاء وأنا مع والدي الذي، كان يحدّثني عن أبطال الحرية وعن الشهداء، من زمن تركيا إلى الفرنسيين؟

كان يحكي لي، عن بطولات الثوار وأعمالهم، وإني لا أزال أذكر كيف قصف، الفرنسيون دمشق وسجن القلعة، ولا تزال الذكرى تعاودني، كيف خرجنا من بيتنا وركضنا، باتجاه الفسحة الموجودة في حارتنا القديمة في حي الميدان، كيف كانت السماء حمراء، وصوت النساء وصراخ الأطفال، وتهدئة الشيوخ بعضهم لبعض! كم هو كريه ومقيت الاستعمار؟ نعم.. لقد أعطانا أجدادنا وآباؤنا الحرية، بعد أن رووا الأرض بدمائهم.

أما هنا في أرتريا، فإن الشعب يقدّم دماءه من أجل حريته. نعم كان والدي يروي لي قصة الثورة وأبناءها. لقد أحرق الفرنسيون، بيتنا وحيّنا مرتين. فأين المستعمرون الآن؟.

كان والدي يردّد دائماً الحكايا الوطنية والبطولية للثوار، ما أجملها من حكايا حتى، أنني تمنيت أن أشارك في تحرير وطني. إن حب الوطن هو واجب قومي وإنساني، كما أمر الله تعالى. أليست أرتريا بلداً عربياً؟ إذن سأشارك في تحرير هذه البلاد. إني مع كل عربي في أي قطر عربي.

الساعة الآن الرابعة صباحاً. أربع عشرة ساعة، من السير المتواصل دون توقف. كنا نريد أن نقترب أكثر، من أية قرية حتى نتزود بالماء والطعام.

إن الريف الارتري هو المموّن الرئيسي والأساسي للثورة. وتوقف الركب بعد أن استقر الرأي، على المكان الذي حددّناه لمبيتنا. ولم تمض ثوان، حتى استسّلمت لنوم طويل وعميق، إلا أني وجدت نفسي أتكيء على بعض الوسائد التي، أُحضرتْ لي من القرية. وخلعت /الشدة/[1]، وبدأت أبحث عن الشوك الذي، لازم جسدي وأنا أحتسي كأس الشاي، واستمع إلى أزيز نار القهوة، وعزف /المهباج/ الذي، يدق حبات البن، وشربنا /الجبنة/ أي القهوة العربية.

أطل قرص الشمس الأحمر، من وراء الجبل الأحمر، وقد أراد الله تعالى أن نرى بزوغ، شمس يومٍ جديد على أرض أرتريا. لكن صديقي /محمود ابراهيم/ و/سعيد صالح/، لم يريا قرص الشمس، ولم يشاهدا حرية شعبهما واستقلاله. أرادا الحياة لشعبهما، فسقطا قبل أن تكتحل عيناهما بنور الحرية: كم هو طيب وأمين الشعب الارتري، إنه شعب يحب، الضيف ويحترمه كما أسلفتُ. ولقد ارتبطتُ بثورة الشعب الارتيري، ارتباطاً أبدياً، وأصبحت عضواً في، جبهة التحرير الارترية.



---

(١) الشدة: أي الصندل أو النعل.

عظمة الأمة

أنا الآن على التراب الارتري، وعلى مقربة من الساحل، ولم أكن أعرف أنني، بعد عدة أشهر سأكون، في أرتريا مرة أخرى.

وفعلاً كنت في منطقة /ساوا/، وعند أحد آبار الماء تقدمتْ إحدى الصبايا الجميلات، وأعطتني دلواً من الماء لأشرب وأغتسل. كنت مع المناضل /حامد محمود[1]/ و/ادريس محمد/، شدّ ما هنّ جميلات تلك الصبايا؟ وكيف يملأن دلو الماء، من البئر المحفور وسط الرمل، ويملأن القرب الجلدية المحمولة، على ظهر الحمير، ويتضاحكن على هذا الأبيض، الذي كان يغتسل، ويسرقن النظر إليه، وأنا أيضاً كنت أسرق النظر إلى نهودهن العارية. ما أجمل خلق الله، وتقدمتُ من إحداهن وسألتها:

ـ ما اسمك ياحلوة؟

وأعدت عليها السؤال مرة ثانية، فلم تردّ، بل أخذت تضحك بدلال وغنج. وتقدم رفيقي في الرحلة، وكلمّها بلهجتها فلم تجب. عندها تجرأتُ وتقدمتُ منها وأمسكتُ يدها من معصمها وقلت لها:

ـ إذا لم تخبريني عن اسمك فلن أتركك.

ـ اسمي زينب.

---

(١) قائد ارتري كبير.

قالتها في ابتسامة ودلال.

قلت لها:

ـ أنا أحمد..

ـ أنت مسلم؟

ـ نعم.. هل تتزوجينني.

ضحكتْ وهربتْ. لكنني أحسست بأنها صادقة، إذ كنت أنا صادقاً.

نعود الآن إلى صديقنا، الراعي /عبد الوهاب/ الذي، كان يجلس قريباً مني. كان يسألني كثيراً فأجيبه قليلاً. إن /عبد الوهاب/ أحرجني كثيراً، عندما أخذ يسألني عن البلدان العربية وسبب تفرقها. فلم أعرف بماذا أجيب؟!.

وقلت له:

ـ ألا تعزف لي على، هذه الربابة ونؤجّل، الموضوع إلى وقت آخر؟

وقف الفتى الراعي وقال لي:

ـ أنت لاتريد الكلام، وأنا عليّ أن أجمع أغنامي.

ـ لم أجب عبد الوهاب، على سؤاله عن سياسة الأقطار العربية لأني أعيش في دوّامة، من الضياع.

وعند الغروب ـ وبعدما ملأنا قربنا من الماء، تحركنا على بركة الله. كنت منقبض النفس متضايقاً. كنت آخر واحد بين رفاقي. وبدأت الرمال تلسع وجوهنا، والهواء يغنّي وتحول هذا الغناء، إلى أصوات غريبة لا نفهم منها شيئاً. إنها ليلة صعبة وقاسية. وجاء الوقت الذي

لم استطع فيه، أن أفتح عيني من شدة الريح، المصحوبة بالرمل. (وجاء دليلنا وأخبر أحد الحراس بشيء).

فقال لي الحارس:

ـ الأخيّر لك يا «أبو سعدة». أن تركب الجمل، فالطريق طويل وسوف يشتّد الهواء. إركب أخير لك!

وفعلاً ركبتُ الجمل، وأغمضت عينّي من الهواء القوي، المصحوب بالرمال الناعمة، وبين الفينة والفينة كان، الجمل يقف ويأكل شيئاً، من الأرض ومن الأشجار.

وتساءلت: (كيف يأكل هذا الجمل الشوك ويمضغه؟). صدقوّني إذا قلت لكم إن طول الشوكة حوالي عشر سنتمترات. كنت أسمع اجتراره للأكل. إنه مبسوط. إنه مرتاح، ساعات وساعات، وأنا فوق الجمل، ولقد أحسست بالتعب. ونزلت وتابعت طريقي ماشياً وسط الرمال الطرية، التي كانت أقدامنا تغوص فيها. ومع بزوغ الفجر أصبحت الأرض قاسية، وأقبلنا على أشجار /الدوم/[1]، وهذا يعني أننا دخلنا في أماكن مأهولة، إن هذه الأشجار تعني وجود حياة ومياه. وعندما وصلنا إلى ذلك الموقع، كان التعب قد أخذ منا كل مأخذ، ولم يكلّم أحدنا الآخر، بل أخذنا نكلّم أنفسنا. وجلسنا تحت

---

(١) الدوم: أشجار تصنع منها أزرار الملابس، كما يستعملها القرويون في تنظيف أسنانهم.

الأشجار وحـامت فـي ذهنـي، أمجـاد أمتنـا وماضينـا التليـد. وعـدت أتساءل كيف وصل أجدادنا وآباؤنا إلى هنا وهنـاك؟ هنـا كـانت أرض آمنة، وقد حرّرتها الجبهة من الاثيوبيين. وقلت في نفسي:

(إذن سأرتاح وأعود إلى عظمة أمتنا وقوتها).

كانت عظمة أمتنـا، تشغلني دائماً، وأنـا أعيـش فـي ذكراهـا وأمجادها. كيف دخل العرب والإسلام إلى هذه المنطقة من العالم؟ لقد بدأت الهجرات العربية ـ قبـل الإسـلام ـ باتجـاه الشـاطىء الافريقـي للبحر الأحمر في عهود عابرة، وهذه الهجرات تختلف عن الهجـرات التي عرفها العالم. ويتضح من عمق الهجرات، التأثير والتأثر الواضح، والـترابط الوجدانـي، كاللغـة والثقافـة والسمات البشـرية. وإن هـذه الهجرات دخلت من موانىء عديدة: وكمثال وليس للحصر:

١ ـ باب المندب.

٢ ـ سواكن.

٣ ـ دهلك.

٤ ـ مصوع..... الخ.

إذا نظرنا في أسباب الهجرات، نراها كثيرة منهـا، سياسـية ومنها اجتماعية بحتة، فالحروب والثورات هي أعمال سياسية، أمـا قسـوة الظـروف والبحـث عـن المعـادن وغيرهـا، فهـي اجتماعيـة واقتصاديـة. ويعتقـد بعـض المؤرخيـن، أن العنصـر المعـروف باسـم /كوش/، نسبة إلى (كوش بن حام بن سيدنا نوح عليـه السـلام) هـو

أول من سكن سواحل البحر الأحمر الغربيــة، ثـم كـان الانتقـال مـن جنوب الجزيرة العربية، قبل أكثر مـن عشـرة آلاف عـام، ثـم أتـت الهجـرة السـبئية مـن الجنـوب العربـي، فقـد تركـت آثارهـا بشـكل واضح، وإن قدوم القبائل /السبئية/ والمعروفة اليــوم باسـم /اليمـن/، كل ذلك تم عبر /باب المندب/. وإن المكتشفات الأخيرة فـي المـدن المندثرة، والمعابد وأماكن الاستراحة التـي، تمتـد مـا بيـن /العقبـة/ والبحر الأحمر، والاحتمال الكبير على حصول هذه الهجـرات، قبـل عشرة آلاف سنة.

ومـن الثـابت والواضح مـن المكتشـفات الأثريـة، أن النقــوش الحجرية أعطت الدليل الأكيد، على أن قبائل /سبأ/ و/حمير/ عـبرت البحر الأحمر وتوجهــت إلـى مرتفعـات أرتريـا والحبشة. ورأس هـذه القبائل المهاجرة، من الجنوب العربي، قبيلة يمنية تدعى /الأجاعز/، وأقامت في المرتفعات الارترية الجنوبية، ومنها أتت وانتشــرت اللغـة الجئزية، وهي لغة سامية، مكتوبة ومعروفة، بين سكان الهضبة.

ثم أتت قبيلة /حبشيات/ واستقّرت في الأراضي الواقعة إلـى الجنوب، والتي تعرف اليوم بأقليم /تجراي/ وهو مجاور /لارتريا/، وبمرور الأيام والسنين أصبح هذا الاسم /حبشة/ يطلـق علـى البـلاد كافة. إذن كان الأحبـاش مدينيـن للعـرب مـن نـاحيتين: أعطوهـم الاسم، وأعطوهم اللغـــة المكتوبـة، التـي أنـارت حضـارتهم، وبهـا كتبوا تاريخهم.

فلولا العرب لما استطاعوا أن يدوّنوا معالم تراثهم وحروبهم. وإن اندماج المهاجرين العرب في تلك الحقبة والتي، تمّت عبر مضيق /باب المندب/ إلى /هرر/[1].

ويشير /ابن خلدون/ إلى أن أعداداً كبيرة من عرب النوبة والسودان، وقبل ظهور الاسلام، ضمت بطوناً من حميّر، وإن ظاهرة هجرة العرب آنذاك إلى هنا، كانت للبحث عن المعيشة واستخراج الذهب والمعادن النفسية، وإن قبيلة /بلى/ اليمنية اختلطت /بالبجة/ أيام حكم /البطالمة/ لمصر، وهذا يؤكّد الصلة العربية القديمة في البحر الأحمر، وإن ما أشار إليه الرسول (محمد، صلى الله عليه وسلم) بالهجرة إلى الحبشة عندما قال لهم: (إن في الحبشة ملكاً لايُظلم عنده أحد) وهي أرض صدق. وكان من هؤلاء المهاجرين، المسلمون الأوائل /عثمان بن عفان/ الخليفة، وزوجته الأولى بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وبعدها تتابع المسلمون المهاجرون. ورست سفن هؤلاء المهاجرين الأوائل، في بلدة /معدر/ على الشاطىء الارتري.

ـ وأفقت على صوت «قريش» يناديني:

من تكلّم يا أبا سعدة، «نفسي أسترجع جزءاً من تاريخ أمتنا العظيم.

أعود لأتمم رحلتي مع أصدقائي».

ـ إذا كنت تريد الاغتسال فالماء موجود.

---

(١) هرر: مدينة تقع في الصومال الغربي المحتل من قبل أثيوبيا وتتمتع بحكم ذاتي اليوم.

نعم.. كنت بحاجة إلى الاغتسال، فكأنني أعيش في /ساونا/ دائماً، وبعد الحمام عدت، إلى النوم ولم، استيّقظ إلا بعد الظهر.

ـ قم يا أبا سعدة! الغداء جاهز...

الله.. لقد نمت ست ساعات متواصلة. وقد أحسست بالراحة. وكان غداؤنا دسماً، وقد أهدانا أحد الرعيان، خروفاً صغيراً وذلك إكراماً لي. عندما عرف أني، عربي واسمي /أحمد/. جلس إلى جانبي وخرافه تبحث عن العشب والماء، وقد ذهبتْ إلى النهر الجاف، ولم نرها بعد ذلك.

ـ اذهب يا عثمان وابحث عنها!

كان يريد أن يعرف كل شيء، ولماذا أنا هنا؟ وأجابني:

ـ كويس ـ غنمي قريبة وليست هناك مشكلة، أريد معك الونسة يا أحمد. أتعرف فلسطين والصومال؟

ـ نعم أعرفهما..

ـ العرب والمسلمون كثيرون. لماذا لا نهجم على اليهود ونخلّص فلسطين، ونعطي الشعب أرضه..؟

ـ على من نهجم يا عثمان؟

ـ على اليهود يا أحمد. أعداؤنا وأعداء الاسلام.

ـ أين تعلمت يا عثمان؟

ـ تقصد أين قرأت..

ـ نعم هذا ما أقصده..

ـ تعلمت القراءة والكتابة في الخلوة، ألهذه الدرجة اليهود أقوياء؟.

وحاولت أن أشرح له، ما أفهمه عن الدول الكبيرة، وعن مساعدتها لإسرائيل، وكيف زرعوها بيننا، ثم نشر التفرقة بين العرب. ولم يقتنع بهذا الكلام، بل يريد أكثر، وعاد وسألني:

ـ إن أولادنا يتعلمون ويقرأون، عندكم ويحكون لنا حكايا وقصصاً من أعمال اليهود. ثم إن عمنا /ابراهيم سلطان/، كان يحكي لنا عن اليهود وفلسطين. أريد منك يا أبا سعدة، أن تأخذ ولدي حتى يحارب معكم.

ـ إن شاء الله يا عثمان.

ولم يقتنع بل تركني ومضى. وحين ناديته لم يرّد عليّ وكالعادة تحركنا بعد الظهر وبعد ساعات قليلة دخلنا إلى منطقة /آر/ والتقينا بأول جنود من الجبهة، وبعد حديث قصير معهم، أخبرونا بأن التحرك في الليل ممنوع. وقالوا لي: عليكم أن تبيتوا هذه الليلة، عندنا وفي الصباح تتحركون. وعرفت بأنهم أرسلوا رسالة، إلى مسؤول أمن المؤتمر، يعلمونه بقدومي ومن بصحبتي، وجلست مبكّراً وأخذت استمع بالراديو إلى المحطات العربية. السعودية كان إرسالها واضحاً، وكذلك /صوت العرب/ الذي أسمعه باستمرار، والأخوة المناضلون كانوا يستمعون معي، بشوق وشغف، وخاصة أخبار المقاومة الفلسطينية. إن هؤلاء الجنود البسطاء كانوا يشتمون اسرائيل /وهيلاسيلاسي/،

ويخبرونني كيف أنه يتعاون، مع اسرائيل. وكيف أن قنابل اليهود تقتل الارتريين، كما تقتل الفلسطينيين، وغيرهم من العرب.

فيجب أن تتّحد، كل الدول العربية المسلمة ضد اسرائيل، وبعدها نتخلّص من اثيوبيا واسرائيل.

هكذا كان كلام، الجنود الطيبين البسطاء، ولقد سمعت هذا الكلام من المناضلين في كل أنحاء أرتريا.

وجاء الأمر إلى الأخوان، بالتحرك السريع، وكان الأخوة كلهم بانتظار رفيق الثورة /أحمد أبو سعدة/. كان هذا مضمون كتاب مسؤول الأمن عن المؤتمر.

ـ الرفاق الجدد

وودّعني الدليل والأخوة، وصاحب الجمل، ولم يبقَ معي سوى /ادريس قريش/، أما عفشي فقد انتقل إلى جمل آخر، وأصبحت مع رفاق جدد. وما هي إلا ساعات حتى سمعنا الأصوات الصادرة، من مكان المؤتمر. وعلى مقربة من المؤتمر، جاء اثنان من الأخوة المقاتلين وقالا لي:

في ظل شجرة

ـ أنت الآن في /آر/، وهذه الشجرة الكبيرة يجلس تحتها الأخوة المؤتمرون، ولقد أعددّنا لك خيمة خاصة بك، وعليك أن تأخذ قسطاً من الراحة، وبعدها تفعل ما تريد.

قلت لهم:

ـ خذوا عفشي إلى الخيمة، وأنا سأذهب إلى قاعة المؤتمر.

ـ علي كيفك يا أبا سعدة!

وخلال دقائق كنت أجلس بين الأخوة المناضلين بهدوء تام. جلست في قاعة المؤتمر التي، كانت عبارة عن شجرة كبيرة جداً، وعلى شكل نصف دائرة، جلس المؤتمرون والضيوف على الأرض الصخرية، وأخذوا يناقشون ويقترحون. وما هي إلا لحظات قليلة، حتى سرت همهمة بين المؤتمرين وعم نوعٌ من الفوضى. فقام الأخ /إبراهيم توتيل/ وأمسك بمكبّر الصوت، وطلب من المؤتمرين (نقطة نظام). كررّها مرات عديدة والهمهمة تزداد وكما قلت لكم عم شيءٌ من الفوضى. وصاح إبراهيم بأعلى صوته وقال بالحرف الواحد:

ـ نعم أيها الأخوة المناضلون والأصدقاء.. ان بينكم صديقكم، شقيقكم، صديق شعبنا وثورته أحمد أبو سعدة.

وهات يا تصفيق، وهات يا هتاف بالحرية والاستقلال.

وطلب الأخ /إبراهيم/ أن ألقي كلمة فقلت له:

ـ إني تعب.. وكانت الدموع تملأ عينيّ. والحقيقة أقولها الآن ـ بعد تسعة وعشرين عاماً، من ذلك التاريخ، إنني لم أكن تعباً، ولكنني لا أعرف كيف أخاطب الثوار الحقيقيين. وأنا أمام هذه المشاعر ماذا أقول لهؤلاء المناضلين الشرفاء؟

وعاد الأخ /توتيل/ وطلب نقطة نظام. إلا أن النظام فُقد نهائياً. فما كان من المسؤولين عن ادارة المؤتمر، إلا أن طلبوا انفضاض الجلسة وتأجيلها إلى وقت آخر. وكان كل ذلك بسببي.

وانفضت الجلسة وجاءني الاخوة الاشقاء /محمد عمر يحيى/ والأستاذ /محمود محمد صالح/ و /عبد الله ادريس/ و /محمود حسب/ و/محمد أحمد عبده/ و /عبد القادر رمضان/ و /تسفاي تخله/ وغيرهم. ورحبّوا بي، ثم ذهبوا على أن نلتقي بعد أن آخذ قسطاً من الراحة.

وذهبت إلى خيمتي، والحقيقة لم تكن خيمة بل بيتاً من القش، وكنت مدلّلاً جداً، وتساءلت أنا لوحدي في هذا الكوخ وعندي طباخ وحرس، أما الطبّاخ فهو الأخ المناضل /موسى/ .

ـ انني في أرض آمنة.

ـ لست في الغابات الاستوائية، حيث يكمن الموت في كل بقعة وتحت كل شجرة، حتى عندما كنا نخلد إلى النوم، لا يفارقنا الخوف أبداً ويبقى مسيطراً على أنفسنا.

ـ هل رأيتم أشجاراً يبلغ طولها ٣٠ متراً وأكثر؟!

ـ هل رأيتم كيف تكون، الأشجار الطويلة متشابكة، ببعضها ببعض، لتمنع تسرب أشعة الشمس إلى الأرض؟!

ـ الظلام والسكون يولّد الخوف، من شيء مجهول تترقّبه ولاتعرفه.

ـ الموت قد يفاجؤك في أية لحظة، قد تدوس مثلاً على أوراق الأشجار المتساقطة، على الأرض وسط الظلام النهاري، فإذا بأفعى تنتفض عليك، وتلتف حول ساقيك بسرعة كبيرة، لتلقيك أرضاً ثم تبتلعك في فترة قياسية، لتلفظ في البداية آلة التصوير، إذا لم تسقط من يدك خوفاً، والأشياء المعدنية التي تكون بحوزتك، مع حذائك. عندما تبتدىء الأفعى بعملية بلعك ثم مضغك، تلفظهما مع عظامك لأن المدللة، لا تستطيع هضم الجلد المصنوع، وهضم العظام والأشياء المعدنية.

نعم فطول هذه الأفعى قد يصل أحيانا إلى ما بين [١٠ ــ ١٢م] وعرضها يتراوح بين ٤٠سم إلى ٩٠سم، ملمسها حريري، بل أكثر من حريري في نعومته، هذا نوع واحد من الأفاعي، فما بالكم بعشرات الأنواع الأخرى من الثعابين؟

ـ عندما كنت أبحث عن رزقي، وأنا الذي عانيتُ في ذلك الكثير والمرير، كنت أغامر بحياتي، من أجل حبي لعملي، وطلباً لرزقي، وفي أحد الأيام طُلب مني أن أذهب إلى جنوب السودان، أو

أفريقيا الوسطى، ونظراً لكثرة سفري إلى جنوب السودان، قررت الذهاب إلى أفريقيا الوسطى.

ـ قرية عدد منازلها، حوالي الثلاثين بيتاً، من القش وأصوات الطبول تقرع بقوة، من كل حدبٍ وصوب، والذي لايملك طبلاً يقرعه، يضرب (تنكة)، وأصوات النساء والرجال والأولاد بين ضحك متواصل يصل إلى حد القهقهة «الهستيرية»، وخوف شديد يصل إلى حد المرض.

ـ رجل ممدد على الأرض، يربط في رجله، حربة طويلة حادة. وتقترب المدللة(١) باتجاه الرجل الممدّد على الأرض، وهي تسحق العشب تحت بطنها الرخو واللزج، والرجل ممدّد وكأنه يغط في نوم عميق، على سرير أبيض، وسط غرفة وردية، وموسيقى كلاسيكية حالمة ينتظر محبوبته.

ـ المدللةُ تقتربُ وتشم، رائحة الانسان اللذيذة، وقرع الطبول والتنك وضوضاء البشر، تُفتح أبواب النعيم، فتلمع عيون المدللة، لقد أتاها الرزق الحلال، أتاها الرزق دون البحث والتعب، فيسيل لعابها على طرفي فمها، وصديقنا ممدّد وينتظر المحبوبة، وفجأة يدق الجرس، لتدخل المحبوبة حبيبها، في ثغرها الجميل (شافطة) قدميه الاثنتين، ومن شدة ولع المدللة بمحبوبها، /تشفط/ الحبيب من قدميه إلى فوق ركبتيه دفعة واحدة، ثم تقف وتسترد أنفاسها، لتكمّل ابتلاع

---

(١) الأفعى.

حبيبها الذي انتظرها أياماً طويلة: لقد كانت /شفطة/ قوية أتعبتها، ولِمَ التعجل؟ أليس الحبيب قد دخل إلى جوفها، وما هي إلا دقائق لتعود لضم الحبيب، عفواً /لسحب/ الحبيب إلى أعماقها مرة أخرى، فها قد دخلت ساقاه إلى جوفها، وفجأة يتمرد الحبيب، وبسرعة البرق يحرّك المحبوب ساقه التي ربطت عليها، الحربة الحادة، ليشطر المدللة إلى شطرين، ليخرج من جوف العشيقة سالماً. بينما المدللة تتخبط يمنة ويسرة، وكأنها ترقص على صوت الطبول والتنك. ترقص رقصتها الأخيرة، لقد غدر بها محبوبها.

- تقع «الأصلة» كما يسمونها في السودان، لاحراك فيها. ليبتدىء المحبوب بسلخ جلد هاكي يبيعه، بسعر باهظ من أجل لقمة العيش، لكّن الحياة أغنى من أي رزق، يدفع الإنسان ليغامر بحياته من أجله، إن /نواكي/ وهذا هو اسم المحبوب، لايمتلك البندقية ولاطلقات السم، ليقف بعيداً عن عشيقته ويرميها، إن حبه لعشيقته يدفعه، لأن يغامر بحياته من أجل لقمة العيش له ولأولاده.

- نحن في منطقة شبه صحراوية، ولسنا في الغابات الاستوائية.

- سأنام وأنا هانىء البال، دون خوف لأني بين أهلي وأصدقائي.

في اليوم التالي

قبل الجلسة الصباحية، جلست مع الأخ /محمد أحمد عبده/ قائد جيش التحرير. جلسنا لوحدنا. وبعد السؤال عن الصحة والأهل والأحباب سألته:

ـ أين كنت بعدما تركتك. في بركه عام ١٩٦٩؟.

ـ في الميدان يا أبا سعدة.

ـ ألم تخرج مطلقاً؟..

ـ لا.. لم أخرج من وقتها.

ـ إعتقدت يا أخ محمد أنك في السودان.

ـ لا أبداً.. أنا لم أخرج، وهذه ليست مدة طويلة.

ـ سنتان ومدة غير طويلة؟

ـ أبداً.. ان كثيراً من المناضلين، مثل /تسفاي تخله/، لم يخرج من الميدان مدة خمس سنوات، وهناك مناضلون لم يخرجوا من الميدان منذ التحاقهم بالثورة.

ـ اعتقد بأنك مسرور من انعقاد المؤتمر؟..

ـ والله يا أبا سعدة إن مؤتمرنا، هذا هو أول عمل منّظم تقوم به الجبهة، وأنت تعرف ما عانينا!

ـ ماذا تقصد بعمل منظم؟..

ـ في عام ١٩٦١ بدأ الكفاح المسلّح، في المنطقة الغربية من ارتريا، وكان هناك شعور سائد، في كل أنحاء أرتريا، وهو التركيز على الكفاح المسلح ضد اثيوبيا. فاخواننا المقاتلون الاوائل الذين تحمّلوا عبء، النضال، وعبء الكفاح المسلح، كانوا بسّطاء شبه أميين، لكنهم كانوا مفعمين بالروح الوطنية.

جبهة التحرير الارترية أعلنت يا أحمد عام ١٩٦٠، أما الكفاح المسلح فكان عام ١٩٦١. وكان على رأس هؤلاء الوطنيين /حامد

ادريـس عواتـي/، والمنـاضلين /فـايد/ و /محمـد علـي ابراهيـم/ و /كراييب/ و/كبوب حجاج/ أما البقية فإن الذاكرة تخونني الآن.

من هؤلاء الناس بدأ الكفاح المسلح. لكن هؤلاء الاخوة الأبطـال، كان مستوى التعليم شـبه معدوم عندهـم، والوعـيّ السياسـي لـم يكـن مبلوراً، لكنهم تحمّلـوا عـبء، المواجهـة السياسـية والعسكرية، مـع اثيوبيا. فكان بينهم وبين الاثيوبييـن وعملائهـم عمليـات الكـر والفر، وخـاضوا حربـاً ضـد أعـوان أثيوبيـا، واستطاعوا تعبئـة الـرأي العـام وأقحموه بالروح الوطنية، من هنا بدأت الثورة وقد بـدأت مـن المنطقـة الغربية كما قلت لك سـابقاً ومـن هنـا بـدأ /ادريـس عواتـي/ واخوانـه الكفاح المسلح.

وبعد مرور خمس سنوات امتدت الثورة إلـى السـاحل وإلـى مدينـة /كرن/ و /منطقة القاش/ وكان عملاء أثيوبيا كثيرين، وعـانت الثـورة منهـم الكثير، إلا أنه وفي عام ١٩٦٢بدأت الثورة تستوعب أعداداً مدرّبـة، مثـل الجنود والشرطة الذين، دربهّم الانكليز بعد الحرب العالمية الثانية.

وأثنـاء هـذا السـرد التـاريخي جـاء الأخ /عبـد القـادر رمضـان/ وجلس بيننا. وقلت للأخ /محمد أحمد/:

ـ تابع نضالك..

وعلى فكرة ان الأخ /محمد أحمد عبده/ هو خريـج كليـة ضبـاط الاحتياط في مدينة حلب، كذلك الأخ /عبد القادر رمضان/. وتابع الأخ /محمد أحمد/ حديثه قائلاً:

ـ انضمت إلينـا أعـداد لابـأس بهـا، ممـن كـانوا يخدمـون فـي الجيـش السـوداني، أمثـال اصدقـاؤك /عثمـان أبـو شـنب/ و /محمـود إبراهيم/ و /محمد سعيد شمسي/ و /عثمان آدم/ و /عمر نـاصر شـوم/ و /عمر ازاز/ و /ادريس حجاج/.

بهذا العدد تم تكوين جيش التحرير، اضافة إلى الطلبـة الذيـن تدرّبوا في سورية ومصر عـام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣. وفـي سـورية كـان يتـم تدريّب الضباط، بشكل دورات سـريعة، ومنهـم /محمـد علـي عمـارو/ و/عبـد الكريـم أحمـد/ كذلـك الطلبـة الذيـن كـانوا فـي القـاهرة، ثـم العسكريين الذين كـانوا يخدمـون مـع ايطاليـا، وحـاربوا معهـا هـؤلاء انضموا للثورة، وكذلك رجال القبائل الاشدّاء.

من هنا كانت نواة الخبرة العسكرية الارترية، وهنا استأذن الأخ /عبد القادر رمضان/ وقال أن الجواسيس كانوا كثيرين. والاخوة المنـاضلون، حيـن كانوا يتحركون يخفون آثار أقدامهم. خوفاً من الجواسيس.

وسألتهم:

ـ ومن أين كان يأتي السلاح؟

أجابني /محمد أحمد عبده/

ـ نحن بخير الآن يا أبا سعدة. نحـن نحمـل الان الكلاشـينكوف، وهذا بفضل سورية وأشقائنا في الدول العربية. كانت عندنا اسلحة قديمة، ايطالية وانكليزية مخبـأة مـن أيـام الحـرب العالميـة الثانيـة. وكنـا نـأخذ ونستولي على السلاح. بالهجوم على المخافر والنقاط العسكرية الاثيوبية.

الأسلحة السورية

ويصمت /محمد أحمد عبده/ ليتكلم /عبد القادر رمضان/:

- أتذكر /أبو سعدة/ حادثة السلاح في السودان عام ١٩٦٥.

- نعم أذكرها جيداً.

وبدأت أروي لهم ما أعرفه عن هذه الحادثة

- بعد سقوط نظام الفريق /عبود/ في السودان في أكتوبر من عام ١٩٦١ كان الفريق عبود ونظامه يطارد الثوار الارتريين ويعتقلهم ويسلمهم إلى اثيوبيا لتقتلهم فوراً.

يهز /محمد أحمد عبدو/ رأسه: الله يرحم شهداءنا.

في ٢٦ آذار /مارس/ من عام ١٩٦٥، اتصل السفير السوري في السودان بالحكومة السودانية، وأخبرها بأن سوريا، ستقدّم سلاحاً للثوار الارتريين كهدية.

وفي شهر أيار /مايو/ من عام ١٩٦٥ حطت طائرتان سوريتان من نوع «D-C-6» في مطار الخرطوم قادمتين من دمشق، وعلى متنهما /٦٠ طناً/ من الأسلحة والذخائر.

وأنظرُ إلى /محمد أحمد عبده/ و/عبد القادر رمضان/ وهما يستمعان إلى ما أقول، بل كانا يتلقفانه. وقاطعني /عبد القادر/ قائلاً:

هذه هي المرة الأولى التي تنقل بها أسلحة بالطائرات. هل تعلم يا **أبا سعدة**، كم هي كمية السلاح التي، وصلت على هاتين الطائرتين؟

ـ تفضل تابع.

ـ اسمحوا لي قال /محمد عبده/، أن أخبركم عن كمية السلاح التي وصلت قولوا واحد.

ـ ١٢٥٠ كلاشنكوف أخمص خشبي /اثنان/.

ـ ٧٥٠ كلاشنكوف أخمص حديدي.

ـ ٢٥ رشاش كرينوف متوسط.

ـ ٢٠ ديكتروف ٤,٥ ملم ثنائي السبطانة ٧,٦٢.

ـ ٥٠ بندقية سيمينوف نصف آلية.

ـ ٥٠ قاذف أ ر ب ج ٧.

ـ ١٠ رشاش دوشكا ١٢,٧ مم.

ـ ٢٠ مدفع هاون ٨١ مم.

ـ ١٠ مدفع هاون ٨٢ مم.

ـ ١٠٠ مسدس ماكروف.

ـ ٥٠٠ قنبلة يدوية دفاعية وهجومية.

ـ ١٠٠٠٠٠٠ مليون طلقة لبنادق الكلاشنكوف.

ـ ٥٠٠٠٠٠ طلقة للرشاشات ٧,٦٢.

ـ ٥٠٠ قنبلة هاون ٨١، ٨٢، ٦١.

ـ ١٥٠٠ قذيفة أ ر ب ج.

ويصّمت /محمد أحمد عبده/ وينظّر إليَّ قائلاً:

وماذا حدث بعد ذلك يا أخ /أحمد/؟

أتنحنح في جلستي، وأنا صامت، ثم استعيد ذاكرتي، لأقول لأصدقائي، تم تفريغ شحنة الطائرتين في مطار الخرطوم، ووضع السلاح في مخازن الخطوط الجوية السودانية، ثم نقلت بعدها إلى..

يقاطعني /عبد القادر رمضان/، نعم وضعت في المكان المعّد لها سلفاً، وبالاتفاق مع الحكومة السودانية. نقلنا هذه الأسلحة إلى منطقة (بري)، وبري هذه تقع في إحدى، ضواحي الخرطوم، ثم بوشر بنقل السلاح براً إلى الحدود السودانية، القريبة من مدينة كسلا السودانية، وخلال أسبوع تم نقل معظم السلاح إلى الحدود السودانية الارترية، تمهيداً لنقلها إلى داخل أرتريا.

ـ وماذا حصل بعد ذلك يا عبد القادر؟

تبسّم /محمد أحمد عبده/ ويقول: أنت تعرف يا أخ أحمد ماذا حصل بعد ذلك.

ـ صحيح ولكني أريد أن أسمع منكما.

في مساء يوم الخميس ٣ حزيران ١٩٦٥، وتحديداً في الساعة ٤,٥، داهمت مجموعة من رجال الأمن السوداني، ويبلغ عددهم حوالي ٥٠ شخصاً، داهموا منزل الجبهة الموجود، فيه ما تبقّى من هدية الشعب السوري/ الشقيق من السلاح.

ويصمت محمد أحمد عبده.

ـ وبعدين يا محمد؟

ـ ألقى رجال الأمن السودانيين، القبض على الشباب الارتريين الذين، كانوا يتولون حراسة الأسلحة، ثم قام رجال الأمن السودانيين بنقل ما تبقى من الأسلحة، إلى مخازن الجيش السوداني.

ـ يسود الصمت قليلاً، فأقطعه أنا.

ـ ثم قامت السلطات السودانية، باعتقال المناضل /عثمان صالح سبي/، ووضعته في السجن، تمام يا محمد أحمد؟ تمام يا عبد القادر؟

ـ تمام! هذا ما حصل فعلاً يا أبا سعدة!

ـ وفي اليوم ذاته عقد السيد الصادق المهدي، رئيس حزب الأمة السوداني، مؤتمراً صحافياً قال فيه: وصلت السودان في تاريخ ٢٧/٢٦ مايو الماضي، طائرات محمّلة بالسلاح، وهناك خلاف حول هويتها.

يضحك /محمد أحمد عبده/ و /عبد القادر/ ضحكة عالية.

ـ طائرات محمّلة بالسلاح ولا تُعرف هويتها؟..

ـ أرجوكم اسمعوا بقية الرواية: يتابع الصادق المهدي بأن حزبه أبلغ الأمر لمجلس الأمة، وأن لديه معلومات موثّقة وهامة، ولن يفصح عنها الآن..

قاطعني /محمد أحمد عبده/ قائلاً:

ـ اسمح لي يا أبا سعدة أن أقول لك، إن حادث الأسلحة ملفّق، واسمع مني هذه الرواية التي، عشتُ أحداثها لحظة بلحظة،.

ـ تفضّل يا أخ محمد أحمد.

ـ إن إعلان مؤامرة على السودان، والقبض على مشبوهين وأسلحة في مساء يوم ١٩٦٥/٦/٣، والمؤتمر الصحفي، الذي عقده الصادق المهدي: أريد به أن يوحي للمواطن العادي، بوجود صلة بين الأسلحة وبين حزب الشعب الديمقراطي المعارض.

وقاطعته قائلاً: كثرت الإشاعات وطالت بلدي سوريا؟.

ـ الأمن السوداني، قام صباح الجمعة في ٦/٤ باستدعاء كلٍ من اللواء السوداني السابق /عبد الرحيم محمد خيرستان/ عضو المكتب السياسي لحزب الشعب الديمقراطي، والقائم مقام السابق /أبو بكر فريد/، والعقيد السابق /محمد علي السيد/. كل هؤلاء استدعاهم الأمن السوداني، وقام باستجوابهم حول الأسلحة التي، تم ضبطها ثم أفرجت سلطات الأمن، عن كلٍ من السيد /عبد النور خليل/ والقائمقام السابق /أبو بكر فريد/ واحتجزت كلاً من اللواء السابق /عبد الرحيم شنان/ والعقيد السابق /محمد علي السيد/.

وبعد ذلك ترأسّ السيد وكيل وزراة الداخلية، السيد /أمير الصاوي/ التحقيق، ولم نسمع بعده شيئاً، وبعد أيام صرّح وزير الداخلية في حينها (امبورو) قائلاً:

سنحقّق مع كل من نرى، له صلة بالأمن، وعلى ما أعتقد بأن السيد /الرشيد الطاهر/ وزير العدل ووزير الإعلام، والعمل والناطق الرسمي باسم الحكومة بالنيابة، قال بالحرف الواحد: يتوقع أن يبحث مجلس الوزراء، اليوم في حادثة الأسلحة، التي تم العثور

عليها في منطقة بري، وحتى ينتهي التحقيق إلـى غايتـه، يجـب أن نؤكّد حقيقة هامة، وهي أننا نؤمن بحق كل الحركات التحريرية، فـي أفريقيا والعالم العربي، وإن من حق تلك الحركـات علينـا أن نؤيّدهـا وأن نشدَّ من أزرها، حتى تحقّق لشعوبها ما حققته ثورة أكتوبر لشعب السودان، وأضـاف إن الضمـير الوطنـي، يحتّـم علينـا جميعـاً حكومـة وشعباً، أن نلتزم بهذه السياسة.

وفـي يـوم السـبت ٦/٥، قـال سفير اثوبيا فـي السـودان /صـالح حنبت/، إنه سيقوم باتصالات مع المسؤولين السودانيين، حـول مـا تـردد عن اعتقال أرتريين، في مخبـأ الأسـلحة المضبوطـة فـي (بـري) وإن هـذه الأسلحة موجّهة ضد اثيوبيا للتخريـب، وإن حكومـة سـوريا وراء هـذا؟؟. وإن حكومته تولي هذا الموضوع اهتماماً بالغاً، وسـوف نرفـع شـكوى إلـى مجلس الأمن ضد سوريا؟! وفي التاريخ ذاته اعتقلت سلطات الأمن، وزيـر العدل والناطق الرسمي بإسم الحكومة السودانية بالنيابة.

واستمرّ التحقيـق معهـم لمـدة ثـلاث سـاعات، وعندمـا اقـترحت سلطات الأمن إطلاق سراحه بتعهد. رفض السيد /الرشيد الطـاهر/ وقـال إنه في هذه الحالة من الأفضل، أن ينقل إلى سجن كوبر، وقـال السـيد وزير العـدل إنـه لـم يمـانع عندمـا طلـب منـه التحقيـق فـي الأسلحة، والأسلحة التي وصلت إلى الخرطوم، وصلت بطريقـة شـرعية واضحـة، وجاءت إلى ثوار أرتريا. وقال إن أحـد ثـوار أرتريـا اتصـل بـه فـي يـوم ١٧/١٦ أيار من الشهر الماضي، وذكر لـه أن لديهـم أسـلحة مهـداة مـن

الجمهورية العربية السورية، ستصل إلى الخرطوم. وقد سبق أن تحدثوا في الأمر مع رئيس الوزراء الذي، رحّب بالفكرة وأبلغه بشحنة أسلحة الثوار الارتريين القادمة من سوريا، وقد وافق رئيس الوزراء، وطلب منه الاتصال بالسيد /أبو شحمة/ سكرتير مجلس الوزراء، ليقوم بالإجراءات ليمكّن الارتريين، من استلام أسلحتهم، وتساءل السيد /الرشيد الطاهر/ وزير العدل، أن الطائرة لم تصل في موعدها، والمقرر في ٢٣ إلى ٢٩ أيار وأنه كان موجوداً في كركوج، وقد اتصل الثوار بالسيد /محمد جبارة العوضي/ وزير شؤون الرئاسة الذي، تعرّف مع سكرتير مجلس الوزراء في تسليم الأسلحة للأرتريين. وقال السيد الرئيس أنه أبلغ هذه المعلومات عند حضور رئيس مجلس الوزراء، إلى منزله يوم السبت، ولا يري سبباً لما يثار. فالأسلحة جاءت إلى الخرطوم بطريقة واضحة، وسياسة الحكومة في هذا الأمر أكثر وضوحاً، فقد أعلنت الحكومة أكثر من مرة، مساندتها للحركات التحريرية في افريقيا والعالم العربي، وسبق أن أعلن الناطق الرسمي في الحكومة السابقة تأييد الحكومة للثوار الارتريين، وقال السيد /الرشيد الطاهر/ أن السيد /سر الختم الخليفة/ رئيس الوزراء، قد ذكر للوزراء في منزله، ان الرشيد قد اتصل به فعلاً في مسألة خاصة بشحنه أسلحة، ولكنّه كان يعتقد انها قادمة من الجزائر للثوار الكونغولين.

وفي الوقت ذاته اصدرت جبهة الميثاق، التي ينتمي إليها السيد /الرشيد الطاهر/ بياناً قالت فيه: .. انني اشيد باسم جبهة

الميثاق بـالدور المجيـد الـذي قـام بـه الأخ /الرشـيد الطـاهر/... بعلـم وموافقة رئيس الحكومة في سبيل، تسهيل نقل السلاح، لثـوار جبهـة التحرير الارترية المجاهدين، واعتقد أن جزاء مثل هذا العمل الرائـع.. الذي استلهم فيه المبادئ التي تدافع عن جبهـة الميثـاق، وتلـتزم بـه حكومة السودان في سياستها الخارجية، كما يجب أن يكـون تكريمـاً لا تجريحاً، كما المعاملة التي عُومل بها الأخ /الرشيد الطاهر/..

التوقيع

حسن الترابي

الأمين العام لجبهة الميثاق الإسلامي

وفي اليوم ذاته تم القبـض، علـى وزيـر شـؤون الرئاسـة السـيد /محمد جبارة/ ونُقل مـن جنـوب السـودان، إلـى الخرطـوم علـى متـن طائرة خاصة، للتحقيق معه. وتم التحقيق معه واطلق سراحه، بأمر من رئيس مجلس الوزراء.

قال السيد الوزير: إن التحقيق معه، جرى حول الأسلحة وأنها اسلحة للارتريين، مقدّمة هدية من حكومة عربية وإنه تولى الترتيبـات المتعلقة بإنتقالها وتسلميها: فلماذا هذه الزوبعة؟

نعم هذا ما حدث بإختصار شديد.

وخيّم الصمت علينا.

أمام كل هذا العمل لم يكن هناك مفهوم سياسي ولم يكن هنـاك برنامج للثورة وتسألت:

كيف تعبىء الجماهير؟ كيف تنتخب قيادة شرعية؟ كيف يكون لكم برنامج وخاصة بعد توسع الجبهة؟.

وعاد /عبد القادر رمضان/ واستأذن ثم قال:

في عام ١٩٦٥ عندما قام جيش التحرير، في المنطقة الغربية الساحل ـ مدينة وكرن، بالاتصالات فيما بينهم، ارادوا عمل مناطق وذلك حسب التجربة الجزائرية، وكانت كلها في حينها أعمالاً غير مدروسة دراسة كافية. وكان ذلك باشراف المجلس الاعلى، الذي كان يرأسه /ادريس محمد آدم/، والمجلس الاعلى هو السلطة الوحيدة التي، كانت تشرف على الثورة، وقد كان المجلس الاعلى مؤلفاً من:

١ ـ ادريس محمد آدم.

٢ ـ ادريس عثمان كلايدوس[1].

٣ ـ عثمان صالح سبي[2].

٤ ـ محمد صالح حمد[3].

٥ ـ سيد أحمد محمد هاشم.

٦ ـ محمد نور.

٧ ـ عثمان ادريس خيار.

٨ ـ تدلابايرو انضم إلى الحركة عام ١٩٦٧[4].

---

(١) توفي في أسمرا.

(٢) توفي في القاهرة.

(٣) توفي في القاهرة.

(٤) توفي في السويد.

وأثناءها قام الاخـوة المنـاضلون، بتقسـيم ارتريـا إلـى ٥ منـاطق حسب التجربة الجزائريـة.

نعود ونقول أن هذا التقسيم كان جيداً في حينه، انما المجلـس الاعلى، كان يهدف من وراء هذا التقسـيم، إلـى أشـياء أخـرى، علمـاً بأننا لم نكن نملك، رؤية سياسية مستقبلية، وليس لنا أي برنامج، من هنا يجب علينا أن نفهم، ما تم قبل المؤتمـر الوطنـي الأول، وانتهـت جلسـتنا وذهبنـا سـويّة إلـى قاعـة المؤتمـر، قاعـة الشـرف والوطنيـة الصادقة، جلست على حَجَرة وجلس بقربي كل من:

- الزين ياسين[١].
- ادريس كلايدوس[٢].

وافتتحت الجلسة، وكان الكلام كله بالعربية، ثـم يـترجم إلـى التجرينية وبقية اللهجات الاخرى. وكان يحضر المؤتمر /٥٦١/ عضـواً يمثّلون جيش التحرير، والمنظمات الجماهيرية، وشـخصيات وطنيـة، والمواضيع التي، كانت تطـرح كثـيرة ومتشـعبة، لكـن أهمهـا الوحـدة الوطنيـة، والرؤيـة المسـتقبلية، والبرنـامج السياسـي، والتفـاوض مـع اثيوبيا، في حال دعت للتفاوض مع أجل الاستقلال، ثم موضـوع هـام أيضاً وهو، علاقة الثورة الارترية بالدول العربية.



(١) توفي في جدة.

(٢) توفي في الرياض.

جو المؤتمر

كان المؤتمرون يعبّرون عن آرائهم بحرية تامة، صحيح أننا كنا في غابة، إلا أن جو المؤتمر كان مفعماً، بالروح الوطنية النضالية والديمقراطية الحقة. وكانت هناك أجهزة أخرى تقوم بعملها كالالة الكاتبة وسحب القرارات، والعيادة الطبية والتموين ثم المطبخ، وهو معّد للضيوف فقط.

أما المؤتمرون فكان كل واحد يدلبخ بنفسه. وبدأتُ أتغيّب عن جلسات المؤتمر قليلاً، والسبب هو، إجتماعي مع الأخوة الثوار.

كان /الخور/ وهو النهر الجاف يجمعنا دائماً/ وحلقات النقاش تكبر وتكبر، حتى أن بعض الرفاق من القياديين، لفتوا نظري إلى أني /ألخبط/ الجلسات، وقالوا لي بالحرف الواحد: نريد منك أن تحضر الجلسات لأننا سننتهي في الوقت المحدد، فقد تكشفنا الطائرات الاثيوبية عندها سنعرّض حياة الناس للخطر، ناهيك عن موضوع التموين.

وهكذا انصعتُ للأمر، إلا أنني في كثير من الأحيان كنت أهرب، وألتقي بالجنود وبالمواطنين، وكان سروري عظيماً عندما التقيت بـ (الشيخ حسين) الذي، كنت بضيافته في عام ١٩٦٩ في منطقة /ساوا/، ولا أنسى ضيافته وكميات السكر الذي، كان يضعه لي في الرز، وأنا أسكت على مضض، فأنا لا أحب السكر مع الرز وبادرته قائلاً:

ـ كيف حالك يا شيخنا. وكيف حال الأهل، وكيف البلد؟.

وهذه الكلمات التقليدية كانت تدور بيننا. وكان الشيخ /حسين/ مرتاح الصدر وعيناه تلمعان، من شدة الفرح، وأمسكني من يدّي وجلسنا وحدنا، وكان حديثه حديث الاخ لاخيه.

ـ يا أبا سعدة لقد حُرقت بيوتنا، ونُهبت ممتلكاتنا، وقُتلت زوجتي وابنتي. ولم أكن وحدي في هذه المحنة، بل كان أهالي المنطقة الغربية كلها والساحل أيضاً.

ـ يا أبا سعدة إننا لم نصل إلى المؤتمر، إلا بشق الأنفس، كم تعرضنا للمؤامرات! كم تعرضنا للذبح! نحن نفتقر إلى قيادة، نفتقر إلى من يخطّط لنا، نريد قيادة شرعية منتخبة، لا نريد من يقول لنا افعلوا كذا وكذا. نحن نحترق ونذبح في الداخل، وبعضهم يجلسون في الخارج، ويرسلون لنا الأوامر /بالمظاريف/. نريد قيادة تجلس معنا هنا في الداخل/.

لقد تطوّرت هذه المناطق وأصبحت اقطاعيات، لأن الانتماء إلى المناطق أصبح انتماء عشائريا اقطاعياً، يعني أن كل واحد جلس في منطقته، وأصبح يحكم وينهي على كيفه، وهذا لا يجوز وبالتالي، لايمكن أن نرى الحرية بهذا الأسلوب الخاص، وإليك هذا المثال، المنطقة الثالثة والرابعة والخامسة، اجتمعتْ وتوحدتْ وشكلتْ قيادة تحت اسم (القيادة الثلاثية) بقيادة /محمد أحمد عبده/ وكان هذا تعبيراً عن رأي الشعب والجنود، وقد تم ذلك في مرتفعات /أكلى قواري/، كان هذا في عام

/١٩٦٨/ وكانت الوحدة مطلباً ثم دُمج الجيش مع بعضه، وفي المنطقة الثانية في /عراديب/[1] وعلى ضوء ما تم فيها بتاريخ ١٩٦٨/٦/١٩ نادى الموجودين بعقد مؤتمر عسكري، موسّع تحضره القيادات والمفوضون السياسيون، والنتيجة لهذا الحدث الطبيعي، انقسم المجلس الاعلى إلى قسمين: القسم الاول ويرأسه /إدريس محمد آدم/ والقسم الثاني يرأسه /عثمان سبي/. وبدأت الاشاعات تسري هنا وهناك وكانت تروج اشاعتان: الأولى تقول: ان الوحدة الثلاثية التي تمّت، من صنع /ادريس محمد آدم/ وزملائه. والاشاعة الثانية تقول: الوحدة الثلاثية هي صنع /عثمان سبي/. والحقيقة لا هؤلاء ولا أولئك لهم علاقة بما تم. بل هذه الوحدة الثلاثية تمت رغم أنف المجلس الاعلى، وقامت قيادة الوحدة الثلاثية، بالاتصال بالوحدات الاولى والثانية، وتم الاتفاق مع المناضلين في هاتين الوحدتين.

وانعقد المؤتمر المقترح كما أسلفتُ سابقاً في ١٩٦٨/٩/١٠ في منطقة /أروقة/، وأطلق عليه من أجل السرية مؤتمر /عنسبا/. وقد تغيب عن الاجتماع المنطقتان الأولى والثانية، وسبب غياب مسؤول المنطقة الثانية هو نشوب معركة مع العدو الاثيوبي، وهذه المعركة المشرفة هي معركة /حلحل/.

وقد استشهد فيها، قائد المنطقة /عمر ازاز/ رحمه الله. فمؤتمر /عنسبا/ كان خطوة نحو التوحيد، وفيه تم انتخاب قيادة

---

(١) عراديب: شجرة لها ثمارها ونكهتها وتسمى ثمارها، في سوريا بالتمر هندي.

مؤقتة، للمناطق الثلاث، وقد تم تسميتها /الوحـدة الثلاثيّـة/ وهـؤلاء الأعضاء هم:

محمد أحمد عبده ـ أحمد محمد ابراهيم ـ اسياس افورقي ـ عبد الله ادريس ـ رمضان محمد نور ـ محمد علي عمارو ـ عمر دامر ـ محمد علي أبو طيارة ـ ابراهام تولدي ـ عبد الله يوسف ـ حامد صالح سـلمان ـ عبد الله صافي.

وهنا طلب الأستاذ محمود محمد صالح الاذن وقال:

ـ يا أخ أبا سعدة: إن وجودنا هنا فـي المؤتمـر، هـو دلالـة قويـة على ارادتنا وصمودنا، لكنني أريد أن أقول شـيئاً، لقـد وجهّنـا دعـوات إلى كل الأطراف، من /عثمـان سـبى/ إلـى /اسـياس افورقـي/ إلـى كـل الاريتريين المعنيين. لكنهم للأسف لم يلبوا ولـم يحضـروا. كـانت هنـاك مؤشرات واضحة على هؤلاء الرفاق الذين كان منهم /أسياس/ و /رمضـان محمد نور/ و /محمد علي عمارو/. إنهم لم يكونوا جادين مطلقاً، لحضور المؤتمر الذي دعا إليـه، رفاقنـا العسـكريون لتوحيدهـم، ألا وهـو مؤتمـر /أدوبحا/، فأعضاء المجلس الأعلى، وبمـا كـانوا يملكـون مـن امكانيـات بدأوا يخلقون المشاكل، ويفتعلونها هنـا وهنـاك، وعلـى الرغـم مـن كـل هذا، انعقد مؤتمر /ادوبحا/ الذي، نتجـت عنـه قيـادة موسّـعة، شـملت الأخوة المناضلين كافـة. وتـم ذلـك بتـاريخ ١٠ ــ ١٩٦٩/٨/٢٥[١]. ومـن مؤتمر /ادوبحا/ تمت الدعوة إلى مؤتمرنا الوطني هذا.

---

(١) أي قبل دخولي أرتريا بحوالي ثلاثة أشهر.

القيادة العامة

وكما أسلفت بدأت المعارضة، وكان هناك اتفاق بين، /عثمان سبي، رمضان، عمارو، اسياس/. هؤلاء عارضوا بشكل واضح، ثم طالب اسياس سراً بمطالب طائفية، وقد ظهرت عرقلتهم في عام /١٩٧٠/. ان المناضلين /عمارو/ و /رمضان/ من قرية /عثمان سبي/ وتربطهما أواصر قوية. واسياس/ تربطه بمنطقة /حماسين/[1] رابطة الطائفية، اذن لكل مصلحته. لكن المصلحة المشتركة جمعتهم ألا وهي الحيلولة دون انعقاد المؤتمر الوطني. وككل المناضليين سيقولون رأيهم في المؤتمر، وهو أنهم سيضعون البرنامج للثورة والرؤية للمستقبل.

ـ أريد أن أقول لك شيئاً هاماً يا أخ أبو سعدة.

عند الشروع بالوحدة الثلاثية تكوّنت في القضارف ـ وهي مدينة سودانية ـ لجنة سميت بالقيادة الثورية، يكون لها سلطة على المؤتمرين. ان ما تم في مؤتمر /ادوبحا/[2] رغم كل العراقيل، ورغم كل الصعاب، فقد نجح تماماً، وهنا نقطة اضيفها، لم يحضر هذا المؤتمر /رمضان محمد نور/، لأنه كان في /دنكاليا/ وتم انتخابه أثناء غيابه

(١) منطقة حماسين: بها تقع مدينة اسمرا.

(٢) منطقة في ارتريا.

وللأسف ان ذهاب /رمضان محمد نور/ ووجوده في /دنكاليا/ كان المشكل ثم عاد. نعم عاد وطالبنا بمنطقة سادسة، وهذا معناه زيادة التجزئة، قال لنا طالبوا بمنطقة خاصة بكم وبهذا يكون زرع بذرة الانشقاق ورجع وللأسف الشديد: اقول أن أول من وقف وقال:

ـ انا ضد هذا المؤتمر. أي مؤتمر /ادوبحا/ هو /محمد علي عمارو/ وما زالت اذكر أنه كان ضد المؤتمر وحرّض على العصيان. اقول ان الاثنين /رمضان وعمارو/ كانا يتحركان بمباركة /عثمان سبي/، وكان هذا واضحاً من البداية والذي اثارهم هو، انزال بعضهم من قيادات المناطق. والذين أنزلوا هم /محمود ديناي/[1] و /عمارو/ و /ابراهام تولداي/ و /عمر ازاز/ و /عبد الكريم أحمد/ وغيرهم. وهؤلاء يجب إلا يكونوا قادة، وطبعاً هذا أثرّ في نفوسهم، لكن الشيء الاساسي الذي دعاهم للوقوف ضد مؤتمر /أدوبحا/، وقد ظهرت دوافعهم لاحقاً ودوافعهم هذه، هي تشكيل قوات التحرير الشعبية: ان نجاح مؤتمر /أدوبحا/ كان رد فعل على قيادة المجلس الاعلى، وكان /عثمان سبي/ هو المحّرك الأول للمجلس الاعلى و /كلايدس/ وغيره أما البقية فلم يكونوا فعالين.

إن /عثمان/ هو الذي كان يتحرك في كل الاتجاهات وقد عقد مؤتمرا له، في /عمان/ في شهر /١١/ عام ١٩٦٩. وكان قد تلقّى رسالة من قيادة المؤتمر تقول (يا إخواننا ان مهمتكم هي دعمنا بالسلاح

---

(١) محمود ديناي: موضوع حالياً في السجن بأمر من الرئيس اسياسي أفورقي.

والالبسة والمواد الغذائية، ونحن هنا في الداخل نقاتل العدو نرجوكم أن تبقوا في دعمكم لنا، إلى حين انعقاد المؤتمر الوطني، وعندها يأخذ كل ذي حق حقه.

لكن رأي عثمان كان مختلفاً إن /عثمان/ يريد تقوية الوحدة الثلاثية، ويمكن أن نسمّي هذا التيار الأول. أما التيار الثاني فيقول أنه مع الشباب ومع القيادة العامة، ويمثّله /ادريس محمد أدم/ وقد وقف مع القيادة العامة. وعندما تشّكلت القيادة العامة، حدث وأن أُلقي القبض على ستة أعضاء، منها لتعاملهم مع /عثمان/ من خلف القيادة العامة. وكان /عثمان سبي/ يدعمهم ويطلب منهم خلق البلبلة والفوضى.

ـ ان إخوانكم اعتقلوا وعليكم بالتحرك.

وكان /ادريس سيد/[1] هو الذي يحمل القروش والرسائل من /عثمان سبي/، وهذا كان قد أرسل مبالغ كبيرة، وهو على علم بوضعنا المادي المتردي، أرسل هذه النقود إلى أفرادٍ من القيادة العامة. ولما علمت القيادة ولمَ عقد اجتماع، وقررتْ اعتقالهم.

ومن الغريب في الأمر أن الذي، وقّع أمر اعتقالهم كان على رأسهم /اسياس افورقي/، وهو زميلهم في التآمر وكنا لا نعلم. وكان أمر الاعتقال موقّعاً أيضاً من /محمد أحمد عبده/ و /عبد الله ادريس/ ـ من هنا كان التركيز على القيادة العامة واتهامها، بأنها تعتقل ابناءها ليخلو الجو لبعض اعضاءها.

(١) رئيس أركان قوات التحرير الشعبية فيما بعد.

وبدأ عثمان يتحرك هو وزملاؤه، ويجمعون الناس من الاتجاهات كافة، تمهيداً لارسالهم إلى /عدن/ وتشكيل قوة جديدة يدخلونها إلى /دنكاليا/، وقاموا بوضع سيناريو لهذا الموضوع الخطير.

وقد تم نقل هؤلاء المواطنين الارتريين، في طائرات مستأجرة، من الخطوط اليمنية وغيرها. وقد ساعدهم الأخوة من رجال الامن السوداني، لتذليل الصعوبات الامنية وغيرها، ومنهم العقيد /خليقة كرار وهو صديق للأخ /عثمان سبي/.

وقامت منظمة فتح بدورها بل إن /ياسر عرفات/ شخصياً كان يتدخل لحل الأمور المالية وغيرها. وفي منطقة /سيدو علا/، تم اخراج العملية إلى الوجود، أي خلق تنظيم كان هو، قوات التحرير الشعبية، لكن سرعان ما دب الانشقاق. فمنهم من قال أنا عفري ومنهم من قال أنا سمهري، ومنهم من قال، انا /دنكلي/ وهكذا بدأ الانشقاق قبل العمل، لأنهم كانوا غير متجانسين فكرياً، ولهم أمزجة خاصة، ويسعون من وراء ذلك لتحقيق الامتيازات الشخصية البحتة، لا مصلحة وطن ولا يحزنون!!.

أما البقية الباقية فانتظروا في اليمن، فجاءهم وفد من جبهة التحرير على رأسه الأخ /عبد القادر رمضان/ وشرح لهم الموقف، فعادوا جميعاً إلى الجبهة. أما البقية من قوات التحرير الشعبية فبقيت بين اليمن الجنوبي والساحل الارتيري. واتجه /اسياس أفورقي/ مع شلته الطائفية إلى المرتفعات. ونتيجة لهذا اجتمعت القيادة العامة، وحلّت المجلس

الأعلى، لقوات التحرير الشعبية التي، يرأسـها /عثمـان صـالح سـبي/ والمعروفـة باسـم البعثـة الخارجيـة. وفـي نهايـة عـام ١٩٧٠ ظهـرت مجموعة جديدة أطلق عليها اسم /العوبليين/ واسمها الحقيقي /القـوات الثورية الارتيرية/ وقيادة جبهة تحرير ارتيريا هي التي، اطلقت عليهم اسم /العوبليين/ لانهـم عقـدوا مؤتمـراً لهـم فـي منطقـة /بركـة/، كـان برئاسة /آدم صالح/، فالساحة الارترية أصبحت ميداناً للصـراع وحتـى الآن يوجد في الساحة، ثلاثة فرقـاء منشـقين مـع مجموعـاتهم، وهـي /عثمان صالح سبي، اسياس أفورقي/ و /آدم صالح/.

وقـد ظهـرت الانتهازيـة والطائفيـة فـي هـؤلاء، وعندمـا شـعر /اسياس/ أنه معزول في المرتفعات و /عثمان سبي/ جنوب /دنكاليا/، وجدوا من مصلحتهم الالتقاء سوية. ذهب /اسياس/ إلى /دنكاليا/ عـبر البر، وانضم إلـى قـوات التحريـر الشـعبية، فـأعطوه السـلاح وعـزّزوه بالمال وغيره، وهنا ظهر تباين في وجهات النظر، /محمد علي عمارو/ لا يثق بأسياس، ويرفض اعطاءه سلاحاً ومالاً، و /رمضان محمـد نـور/ يثق بـاسياس ويضغط من أجل اعطاء /اسـياس/ السـلاح والمـال، لكـن الذي انتصر في النهايـة هـو /اسياس/ نتيجـة لتدخـل /عثمـان/ إلـى جانب /رمضان/. وكان /عمارو/ هو الرجل القوي في السـاحة وقتهـا، وكان يعزّز /عمارو/ رأيه بقوله، هؤلاء المسـيحيون متعصبـون، وأحـس بـأنهم ينقلبـون ضدنـا فلنبحـث عـن المسـيحيين الوطنييـن، أي أن /اسياس/ وشلته كان مشكوكاً بأمرهم. ولنعد قليلاً إلى /العوبليين/ فقـد

بُذل معهم جهد غـير طبيعـي، فلـم ينفـع الحـال معهـم، وبعـد وقـت ونتيجة لوساطات، عدد من المشـايخ الوطنييـن، التقـت الجبهـة مـع العوبليين، وعلى فكرة فالعوبليين كلهم من منطقة بركة ومن قبيلة بنـي عامر، فآدم صـالح، وأحمـد آدم عمـر، ومحمـد أحمـد أدريـس، كلهـم أعضاء في القيادة العامة سابقاً، لكن رئيسهم كان آدم صالح.

فجأة جاء آمر الأخوة ا مناضلين وقال:

ـ هيا عليكم التواجد في قاعة المؤتمر.

انصعنا للأمر من الأخ المناضل وذهبنا إلى قاعة المؤتمـر: أخـذ الأخوان أمكنتهم وأنا بدأت اسـجّل بكـاميراتي، هـذا الحـدث الكبـير الذي، ستكون قراراته الضوء الذي يضيء الظلام:

ذهبت أبحث عن الحقيقة، وأنا المصوّر الذي يلتقط كـل شـيء موجود، وقلت في نفسي أين هي الحقيقة من هذا كلـه؟ تعبـت فكريـاً وجسدياً وتمنيت أن أكون مصوراً فقط، أعيش بين الكاميرات والأضـواء وزملائـي الفنـانين، ولكنـي فضلّـت أن أبقـى هنـا إلـى جـانب الحــق والمستضعفين، ألم يعلمني والدي إلى أي جانب انحاز في هذا العالم؟ ألم يزرع والدي حب الوطن والامة والانسانية في نفسي؟ نعـم.. عندمـا كان عمري ١٢ سنة كنت عضواً عاملاً في حزبٍ تقدمي، وكنت أصغـر عضو في هذا الحزب، وإذا عدت بذاكرتي قليلاً إلـى الـوراء إلىالظلـم والسجن والعذاب والفقر والجوع، أجد نفسي على حــقٍ فـي انضمـامي

إلى هؤلاء الوطنيين مــن البشـر، وبـت لا أخـاف شـيئاً، لا سـجن ولا عذاب ولا اضطهاد فالانسان للانسان. كنت هكذا وسأبقي ما حييت.

في المساء جلست وحدي، انظّف /كاميراتي/ من الغبار الـذي، علق فيها أثناء تجوالي هنا وهناك.

استلقيت على جنبي واستسلمت للنوم، وأنا أشعر براحة نفسية مما سمعته من مناقشات، بين الأخوة الثوار، وخاصة عندما وقف الأخ عبد الله ادريس وقال:

إن جبهة التحرير الارترية جزء من حركة التحرر العربية؟

غفوت ولم أعرف المـدة التـي، قضيّتهـا فـي نومـي، طويلـة أم قصيرة؟

صحوت على صوت، مع هزة عنيفة، وضربات قويـة، واضـأت (المصباح). فوجدت الشاب الذي كان، يحرس (بيتي) ماسكاً بندقيتـه من فوهتها، ويضرب بقوة فـي (كعـب) البندقيـة جسـما اسـوداً طويـلاً وضخماً، ونهضت لأكمّل النظـر إلـى مـا يحـدث: كـان نصـف جسـم الثعبان وذنبه داخل خيمتي، وبقية جســمه مـع رأسـه خـارج كوخـي الصغير: كان الثعبــان يشـاطرني (غرفـة نومـي)، ثـم خـرج ليستنشـق الهواء. إن قدره قد جــاء. كـانت ضربـات هـذا، المقـاتل قويـة جـداً، فمؤخرة البندقيــة كـانت كافيـة مـن الضربـة الأولـى، أن تسحق رأس الثعبـان إلا أن الأمـان مطلـوب، ولا يــأتي الأمــان الا بســحق، رأس الثعبان وتطايره، أما الذنب فهو ذنب.

ـ ماذا حصل وكيف انسل هذا الثعبان إلى /منزلي/: وما الذي أعجبه في منزلي (القش هذا)؟.

ـ لا يهمك يا عم أحمد، كنت أراقبه، عندما دخل إلى خيمتك ولكني لم استطع ن افعل شيئاً خوفاً، من أن يلدغك. فقد كنتُ ادعو الله أن لا تتحرك في نومك، والحمد لله على سلامتك.

وسلامتك يا عبد الله. وكان هذا اسم المقاتل الذي يحرسني.

ـ أكمل نومك يا عم احمد، فأنا جالس ولا يهّمك!

ـ كفاية يا عبد الله، لقد نمت زيادة.

ولم أرضخ لاصرار عبد الله على متابعة النوم، وخرجت من منزل القش أنظر حولي: كل شيء كان هادئاً، لا صوت لاحركة، الظلام ينشر أجنحته، وأشعلت البطارية الصغيرة التي، كانت في يدي، لأنظر إلى ساعتي. إنها الثالثة صباحاً: اطفأتُ المصباح الصغير، وناديت على عبد الله: عندك شاي يا عبد الله!

ـ حبابك يا عمي أحمد.

ـ جلست أمام منزلي (القشي) انظر إلى السماء الصافية والمرصعة بالنجوم المتلألئة، أليس من المفروض أن أكون الآن، في عداد الشهداء؟ وهل أنا شهيد أم ميت لو لسعني هذا الثعبان اللعين؟



لَمْ الشمل

صباحاً، وبعد شروق الشمس، جلست لوحدي. وكـان /موسـى/ مع الحرس ينامون جانب بيت القش.

وأحس /موسى/ بي وقال لي:

ـ حبابك.. أي يا مرحبا.

ـ صباح الخيرِ يا موسى.

ـ ألف صباح يا أبو سعدة. اعملك جبنه[1]؟

وفكرت قليلاً وأجبته:

ـ نعم إذا أردت يا موسى.

ذهبت وتمشيت لوحدي إلى /الخور/، كنـت أحـب أن أجلـس لوحدي. وجلست في وسط /الخور/ اتأمل هذه الطبيعة، اتأمل أشـجار /الدوم/ الطويلة، اتأمل أشجار /التاواي/، ونباتات لا أعرفها.

وأنا جالس جاء /موسى/ ومعه القهوة. إن الارتريين لا يشربون، من القهوة المهيّلة فنجانا واحداً بل عدداً كثيراً من الفناجين، ويضعون فيها الزنجبيل.

قلت لموسى ـ لماذا عذّبت نفسك؟

فقـال لـي: ــ حبـابكِ يـا أبـو سـعدة، أنــت صديــق الثــورة. وأنا أخوك.

---

(١) القهوة.

صدّقوني إذا قلت، إن أجمل وأطيب أيام حياتي، حين كنت اعيش، بين المقاتلين. شربت القهوة وسرحت بخيالي، نحو بلدي وأسرتي. ولم أفق من شرودي، إلا عندما جاء /حروي تدلابايرو/ ومعه /ابراهيم توتيل وعبد الله ادريس/ جلسوا بجانبي وقال توتيل لي:

ـ لماذا أنت وحدك يا أبو سعدة؟.

ـ أليست الوحدة عبادة؟

ـ كيف يا أبو سعدة لماذا؟

وضحكنا وشربنا القهوة، واستعرضنا ما يتم في المؤتمر. ثم قلت لهم:

ـ لماذا لم يأت بقية الأخوة المناضلين. ويشاركون في المؤتمر.

اجابني توتيل لقد فعلنا ما بوسعنا، وارسلنا الوفود والرسائل، وللأسف لم يرد أحد. كان الأخوة العسكريون يريدون، مؤتمراً خاصاً بهم، وهم لهم حقوقهم، فلولا الوعي الذي بدأ ينمو تدريجياً، لما تمت دعوتهم إلى مؤتمر، سمّي بمؤتمر /عواتي/ تقديراً ورمزاً للشهيد. مفجّر الثورة وقد حضر الأخوة القياديون العسكريون، جميعهم هذا المؤتمر مع الكوادر. حضر هؤلاء الشباب مؤتمر /عواتي/، وتمت مناقشة الأمور المطروحة، وخرج المؤتمرون كافة بعد نقاش، طويل ومستفيض، بقراراتٍ مهمة، ومن هذه القرارات، ضرورة الاتصال بالمنشقين كافة، ودعوتهم لحضور المؤتمر الوطني الأول.

وقبل عقد المؤتمر العام، عقدت مؤتمرات مصغّرة، وذلك للانتقال إلى المؤتمر الوطني الأول. وتم تشكيل وفود مشت، إلى هؤلاء

المنشقين. ومن هذه الوفود التي ذهبت وقد ضمت كلا من الشهيد /صالح عمر شوم، عبد الله سليمان، محمد نور درماس[1]، آدم أكي/.

هذا الوفد مشى إلى منطقة /قدم/ ليقابل /محمد علي عمارو/ وبعدها يتجهون إلى المنطقة المتواجد فيها /اسياس/، وبالاضافة إلى هذا وُجهت رسالة خاصة إلى /اسياس/، وحتى الان لم يعرف سبب توجيه هذه الرسالة، ومن كان وراءها وهذا ما اعتقده أنا شخصياً.

وتهرّب /اسياس/ من الالتقاء بالوفد. أما /عمارو/ فقد قابله هذا الوفد، الذي ذهب وعاد مرتين، من قرب مدينة /اغردات/ إلى /قدم/. ذهبوا وعادوا على الأقدام. ومن يعرف المسافة يقدّر الصعاب و/قدم/[2] هذه المنطقة تقع في جنوب مصوع، اذن من المنطقة الغربية إلى جنوب مصوع مرتين سيراً على الأقدام.

وأقدامنا هي وسيلتنا للوصول: وأنا الذي، ذهب إلى /اسياس/، وبعد التهرّب والمراوغة استطاعوا أن يقابلوه، وقد وعدهم قائلاً:

ـ إما أحضر المؤتمر، أو أكتب لكم رسالة.

وهذا يعرفه المناضلون القدامى كافة.

اليوم ـ وبعد مرور /٢٩/ عاماً وفي مدينة /دمشق/ الحبيبة، التقيت بالأخ /أحمد ناصر/ وسألته عن هذا الموضوع فقال لي:

ـ كنت ممن ذهب، لمقابلة اسياس ودعوته.

---

(١) يعمل الآن في حكومة الجبهة الشعبية.

(٢) قدم: جبل وسميت المنطقة باسم الجبل وهي منطقة حارة جداً.

وكان هذا في شهر /٦ ـ ٧/ عام ١٩٧١. لكن /اسياس/ لم يحضر، ولم يكتب رسالة كما وعد.

وقال /أحمد ناصر/:

ـ ان الكتاب الذي أُرسل إلى /اسياس/، قمت أنا بتحويله وترجمته إلى التجرينية، بيديّ هاتين، حيث إن /اسياس/ لا يعرف حينئذٍ لا القراءة ولا الكتابة، باللغة العربية إلا القليل جداً. والنقطة الهامة في هذه الرسالة، تدور حول الانشقاق. وقلنا له اننا لا نقبل به مطلقاً. يجب أن نجلس ونتحاور وتخبرنا ماذا تريد؟ أما الانشقاق فهو غير مقبول.

هذا ما رواه لي /أحمد ناصر/ بعد /٢٩/ عاماً. أما إذا سألتموني عن إبراهيم توتيل، فإني أقول لكم، إنه الان يعمل تحت امرة الرئيس اسياس أفورقي، بصفة محافظ . ولي عودة للحديث عن /ابراهيم توتيل/ فيما بعد.

وأعود إلى الجلسة مع الرفاق، حيث تابع /إبراهيم توتيل/ الكلام عن المناضلين /عمارو/ و /أبو طيارة/ يعتبران من أكبر المنشقين لكن بمفهومهم الخاص. فقد روى علينا بلهجة عربية ركيكة قائلاً: نحن نعرف تكتلكم وأساليبكم القبلية ونحن لن نحضر المؤتمر أما /عمارو/ فقال : وبعد أعجاز أن شاء الله سوف أحضر إليكم، ولطمأنينة هؤلاء المنشقين كان من ضمن الوفد، /أبو بكر محمد حسن/ وهو من قوات التحرير الشعبية، وعضو اللجنة التحضيرية للمؤتمر.

أنت هنا يا أخ أحمد، في المؤتمر ترى القيادات والكوادر والشعب الارتري، هنا يُمثل باستثناء المنشقين.

وخطر لي خاطر غريب: في عام /١٩٧٠/ كنت في بيت القائد /محمد أحمد عبدو/، في مدينة /كسلا/، كنت في ضيافته وبصحبتي كثير من الأخوة المناضلين.

كانوا يأتون للسلام والحديث معي. وكان من هؤلاء المناضلين /حامد محمود/ /أدم صالح/ و: /صالح فرج/ و/محمد عمر يحيى/ وآخرون وكلهم أعضاء في القيادة العامة، باستثناء /محمد عمر يحيى/. وبدأ النقاش حول العمل الثوري والثورية، وما هو المفهوم الثوري؟ كان هذا هو محور النقاش، وهل هناك إنسان ثوري يا أبا سعدة؟ وطُلب إليّ أن أجيب على هذا السؤال. وقلت لهم:

- يا أصدقائي إن رأيي هو الآتي. ليس هناك إنسان ثوري، إنما هناك حالة ثورية، يتفاعل معها الإنسان، فيصبح ثورياً. وعند انتهاء هذه الحالة يعود الإنسان إلى طبيعته. وتطور النقاش بين /حامد محمود/ و/آدم صالح/. بدأ نقاشاً وانتهى بمعركة. وللحقيقة أقول إن الذي بدأ بالمهاترات كان /آدم/، وهو من العسكريين الذين تدرّبوا في العراق. وابتدأت المعركة واشتدت، وتمزقت الملابس وصار استعمال الكراسي للضرب وهات يا عنف ثوري. لقد التحم العرب ولكن بمن؟ هل التحموا بالصهاينة بالأعداء؟ لا... كالعادة التحموا، بعضهم ببعض، (وتبهدلتُ مع المتبهدلين) لأني شاركت في، فض الشجار

ولكن على الخفيف. إني آسف، نسيت أن أخبركم، أن الإثنين من قبيلة واحدة، هي قبيلة بني عامر. وبعد مرور /٢٩/ عاماً على هذه الحادثة، يجلس /حامد محمود/ و/آدم صالح/ في مدينة /كسلا/، وعلى حد علمي واطلاعي بالأمور، فلقد اجتمعوا من جديد بعد أن، أصبحا لاجئين في السودان، ويحملان بطاقة لاجيء من الأمم المتحدة. /حامد محمود/ هذا المناضل الكبير عضو في جبهة تحرير ارتريا، برئاسة /عبد الله ادريس/ و/آدم صالح/ قائد اللجنة الثورية فقد فقدَ مكانه بعد انعقاد مؤتمرٍ لهم. قلت لكم إن الاثنين عرب، وفعلاً هما عرب أقحاح، أما زملاؤهم المنقشون فقد أصبحوا حكام ارتريا، وعلى رأسهم رئيس الجمهورية السيد /اسياس/.

وتوجّه الأخوان إلى قاعة المؤتمر، أما أنا فبحثت عن شجرة أجلس تحتها، وأدوّن ما سمعته من الإخوان، وبجانب شجرة /الدوم/ تمددت لأستمع إلى إذاعة دمشق، فوجدت ارسالها صعباً جداً..

وانتبهت على صوت المناضل /محمد عمر/ وهو يسألني:

ـ هل تريد ماء؟

ـ أهلين محمد عمر، اجلس لنتحدث قليلاً! يا محمد، إني أسمع الكثير عن اسياس أفورقي وعن عثمان سبي وغيرهما، ألهذه الدرجة يرفضان الوحدة الوطنية؟ هل من أجل مصالحهما الشخصية؟ وهل هما خطران لهذه الدرجة؟

كنت في حينها لم أقابل عثمان ولا اسياس، ولا أعرف عنهما إلا القليل. قال /محمد عمر/، كما تعلم إن القيادة عملت كثيراً، مع /عثمان/ لقدومه إلى الميدان ليحضر المؤتمر وقالت له (يجب أن تحضر ونحن نضمّن لك سلامتك) وأنا يا أحمد من الذين، قاموا بالمحاولة. وهناك /٤/ شخصيات عربية رسمية تمثل كلاً من سورية، ومثلّها /وهيب جبر/ القائم بالأعمال السورية في السودان في حينها، و/عبد الرحمن أحمد علي/ سفير الصومال في السودان، وهو اليوم رئيس الجبهة الوطنية ورئيس جمهورية أرض الصومال: والقائم بأعمال السفارة العراقية ويسمى /طارق العاني/ و/خليفة كرار/ وهو ضابط كبير في جهاز الأمن السوداني.

قال /محمد عمر/:

ـ يا أحمد إن عثمان سبي، أرسل لي مندوباً عنه، وقال المندوب إن عثمان يريد أن يلتقي بك لوحدك ودون مشاركة أو محاولة من أحد، وهذا شأن خاص بنا، ونعالجه لوحدنا. رحم الله /عثمان/ كان يناور كثيراً ولهذا لا يضع شهوداً على عهد قطعه على نفسه.

قال مندوب عثمان: لا نريد هؤلاء المسؤولين الرسميين.

وتابع محمد عمر قائلاً:

ـ عندها قلت لمندوب عثمان: اسمع! قل لعثمان من دون أشقّائنا هؤلاء، لن أجتمع بك ولا أعرفك ولا تعرفني!.

عاد موفد عثمان ليقول: حسناً سيلتقي بك عثمان، وحدّد المكان وهو السفارة الصومالية.

وكان المناضل سليم الكردي[1] هو الذي ينقل الكلام ذهاباً وإياباً. وذهبتُ إلى السفارة الصومالية، في الموعد الذي حدّدناه، وحضر الأشقاء المعنيون، لكن عثمان لم يحضر مع الأسف.

كان هذا الكلام في /خور آر/ قبل /٢٩/ عاماً وفي شهر /١١/ عام /١٩٧١/ وكانت لي جلسة مع أحمد ناصر ومحمد عمر في دمشق عام ١٩٩٤ ، وأحمد ناصر هو رئيس جبهة تحرير ارتريا سابقاً.

قال أحمد والألم يغمره: لقد بذلنا كل جهدنا، من أجل لمِ الشمل، وتوحيد الساحة الارترية، كانت هناك مشاكل كثيرة وحاسمة، ومن بين هذه المشاكل، كانت مشكلة مسؤول الأمن في حينها /صالح حيوتي/ و/آدم صالح/ أنوّه هنا، أن صالح حيوتي هو صديقي ويعيش الآن لاجئاً في السويد، وصالح حيوتي مناضل له أفعاله الحميدة وهفواته، كذلك /آدم صالح/ وكانوا يلعبون بهما وهما لا يدريان ويبثون بينهما التفرقة ويزرعون الفتن.

تساءلت لقد أصبح الاثنان لاجئين بعد استقلال ارتريا وقبلها، الأول في السويد والثاني في السودان، وبقيتْ الأمور على ما هي عليه، إلا أن هذه المشاكل، حُسمت حسماً كاملاً في المؤتمر الوطني،

تبادر إلى ذهني أن اسأل الأخ /أحمد ناصر/ رئيس الجبهة سابقاً، وهو صديقي بل أكثر من ذلك: كيف يا أحمد بدأ قتال الأخوة؟

---

(١) هائم على وجهه في شوارع أسمرا.

إن أحمد ناصر جاء رئيساً للجبهة، في المؤتمر الوطني الثاني، وكان عضواً في المجلس الثوري، للمؤتمر الوطني الأول، وخريج كلية الضباط في العراق، وتخرج بدرجة ممتازة، وأمضى ثلاث سنوات كاملة في الكلية العسكرية العراقية.

أجاب أحمد ناصر بهدوء ورصانة: (فهو معروف بأخلاقه الارترية العربية الأصيلة).

ـ يا أحمد في شهر /١٢/ من عام ١٩٧٠ كانت مجموعة /أسياس/ المتمركزة، في المرتفعات فقد فعلت مالم يفعله أحد، قامت بعمل خسيس دنيء، حيث غدرت بمقاتلين فدائيين، كانوا في طريقهم إلى المرتفعات، ليقوموا بأعمال ذات أهمية تهدف إلى كسر شوكة الجيش الاثيوبي وعملائه، إن هؤلاء الفدائيين، ومجموعة اسياس، كانوا في خندق واحد، وكانوا مقاتلين. وقد دعوهم، أي جماعة /اسياس/ للغداء معهم والنقاش، وطبعاً استجاب هؤلاء الفدائيين، أليسوا هم رفاقهم..؟ كان مع الفدائيين، مناضل شاب اسمه /كداني كفلة/. جلسوا بانتظار الغداء والحوار، فما كان من جماعة /اسياس/ إلا أن فتحت النار عليهم، وقتلتهم جميعاً وبوحشية تامة، كان هذا بأمر /اسياس/. كيف حدث هذا؟ وكيف يقتل المناضل أخيه المناضل؟ إنه عمل دنيء وبإيعاز مبّكر من الأسياد.

هكذا قال أحمد ناصر لي، وتساءلتُ (كيف حصل هذا؟ وهل من المعقول أن يقتل المناضل أخاه المناضل؟) ما أقسى هذه الفعلة

الشنعاء، والتي لا تنطوي إلا على الدناءة والهمجية، وهنا نستطيع أن نؤكد، يا أخ أحمد، أن أول من قام بالتصفية، وضـرب الطلقة الأولى هو /اسياس/ الذي، أشعل نار الحرب الأهلية.

وإذا تساءلنا أيضاً من قام بتصفية حركة تحرير ارتريا؟ نستنتج أن أي أرتري يعرف، مـن قـام بتصفيـة الحركـة وقادتهـا فعليـاً، إنـه /عثمان صالح سبي/. ونتيجة للتصفية هرب من هرب، وقُتل من قتـل. كان هذا عام /١٩٦٥/ وعندما يـبرّرون ذلـك كـان /عثمـان/ و/اسـياس/ يقولان:

(لا يجوز إلا تنظيم واحد على الساحة).

وكل الأخوة المناضلين الذين التقيت بهم، يروون لـي أفعـال /عثمان/ بتصفية حركة تحرير ارتريا، ألم تكن أنت صاحب نظريـة التصفية، وعدم السماح لأي تنظيم فـي السـاحة، إلا تنظيـم واحـد فقـط؟ كـانت هـذه نظريتـك وكيـف الآن تسـتطيع أن تبنـي قـوات التحرير الشعبية؟ وتوجد قوى عسكرية كبيرة وشبه كاملـة؟ وكيـف تتحمل الساحة أكثر من تنظيم واحد؟ أنت يا عثمان الـذي صفيّـت حركة تحرير ارتريا، و/اسياس/ هو الذي غـدر بفدائيـي الجبهـة، هـذا هـو الـذي وحدّهـم. إذن، حدثـت تصفيتـان، فتصفيـة حركـة تحرير ارتريا، وقتل الفدائيين الارتريين في المرتفعات.

التصفية الأولى، قد نعطيها المفهوم السياسي، والثانية التصفية الجسدية، أي عملية الغدر. والسؤال البسيط الذي يطرح نفسه: لماذا تمت تصفية هؤلاء المناضلين من قبل /سبي وأفورقي/؟.

فالجنود الذين قُتلوا لم يكونوا سياسيين، ولا هم قادة صانعو قرار، إنهم بسطاء، إذن إن /اسياس/ منشق، والمنشق هو المتّمرد.

ماذا حدث بعد ذلك؟ أراد بعض أعضاء القيادة وكرد فعل، جلب /اسياس/ ومحاكمته، أما الرفاق المقاتلون البسطاء، فأرادوا الانتقام لرفاقهم الشهداء، وهذا عمل مشروع. ما العمل إذن؟ إن دم الفدائيين قد ذهب هدراً، لكن إذا ما قورن بأهمية نزاع، يؤدي إلى حرب أهلية نعود ونقول: «اللـه يرحمهم ويساعد أهلهم، ويساعدنا على تضّميد هذا الجرح البليغ».

هذا ماروواه لي الأخ /أحمد ناصر/:

ـ لقد أنيط بي أنا /أحمد ناصر/ أن أمشي إلى /اسياس/ ضمن وفد مؤلف من /ابراهيم قدم/ صالح حيوتي/ عبد الله سليمان/ صالح صباح الخير/ نمشي إلى اسياس وقوات التحرير الشعبية. لقد رفض /اسياس/ مقابلتي في منطقة سمهر (وتحديداً في عشومة)، وهذه تقع في المنحدرات الشرقية، مابين /جندع/ و/كرن/ لقد قابلتنا مجموعة /اسياس/ مقابلة، غير كريمة وباستفزاز، وكانت هذه المقابلة في شهر حزيران، وهذه المناطق معروفة بقسوة الطقس، كانت مناطق /حريق/ حيث أن درجات الحرارة، تتجاوز الخمسين درجة. بصعوبة كنا

نتنفّس وبصعوبة أكثر نجد الماء. لم تكن معاملتهم لنا تليق بالأخلاق الارترية، وعندما اجتمعنا باسياس، وباعتبار أن /ابراهيم قدم/ كان من اللجنة التحضيرية هو الذي تكلّم معه وقال له حرفياً:

ـ إننا باسم القيادة، ندعوك لحضور المؤتمر، وأنت واحد من القيادة العامة، وهذه دعوة ورسالة نرجو أن تلبي مطامح شعبك.

بعدها قابل /عبد الله سليمان/، قوات التحرير الشعبية المشكّلة حديثاً، واللذين قابلهما من قوات التحرير هما:

/أحمد قيسي/ و/بارودي/ لكن الوفود عادت، والوعود هي وعود ميتة للأسف.

ومرت الأيام وأنا في /آر/، مكان المؤتمر الوطني، ألتقي بالأخوة المناضلين وأتبادل معهم الحوار، وفي ظل إحدى الأشجار التي، كانت تظلّل المنطقة، جلست مع الأخ /ابراهيم توتيل/ وسألته سؤالاً غريباً مبطناً:

ـ يا ابراهيم.. أنت مناضل وصديقي، بالله عليك أجبني بالحقيقة، لماذا لم تدع سبى واسياس إلى المؤتمر؟.

وضحك وقال:

«أنت تضحك عليّ يا أبو سعدة، والله أقول لك صادقاً، إن اسياس وعثمان ما هما إلا رموزاً للطائفية البغيضة. فعثمان يريد ضم المسلمين المتشردين وأبناء الساحل بالذات، واسياس يريد ضم مسيحيين حماسيين»، ثم قال توتيل:

ـ أنا لا أغشّك يا أبو سعدة،اسياس رجل طائفي، وكذلك عثمان. الأول يريد ارتريا مسيحية، والثاني يريدها مسلمة، والاثنان يريدان أن يحققا مأربهما وبينهما، نوع من التنسيق. وسوف يلتقيان قريباً ليكونا في صف واحد (توقف ثم قال) سمعت أنك مغادر اليوم، فلماذا لاتبقى حتى تصدر القرارات والتوصيات؟ ثم تقوم بجولة مع أخيك وصديقك /عبد القادر رمضان/.

فجأة أصبحت بعجلة من أمري، لقد طرأ أمر، وهذا الأمر سوف يبقى في، ذهني ودفتري الخاص، إلى وقت أرويه بوضوح وأضمه إلى، كتابي في المستقبل.

وقررت العودة إلى بلدي الحبيب سورية، وأخبرت أصدقائي من القياديين عن رغبتي بالمغادرة.



تيه في الصحراء

وفعلاً استجاب الأخوة المسؤولون، لرغبتي بالخروج من المؤتمر. وكان المؤتمر قد اتخذ قرار عدم خروج، أي انسان منه ولأي ظرف كان. إلا أن الثقة العالية بي، دفعتهم إلى السماح لي بالخروج منه. ودّعت أصدقائي وإخوتي /محمود ابراهيم/شكيني[1]/ و /عبد القادر رمضان/ و /محمد عمر يحيى/.

لم أكن أدرك أنها المرة الأخيرة، التي ألقاهم بها. رحم الله الشهيدين /محمود وعبد القادر/.

شدّوا حيلكم. وهذه كلمة يحبها الارتريون. كنا خمسة أشخاص، إثنان حماية والدليل /وادريس قريش/ وسيد سفينة الصحراء وأنا، مشينا ومشينا، وما أسهل لفظ هذه الكلمة من السادسة مساء حتى السابعة صباحاً ودون توقف أو كلام. في الساعة السابعة حط الركب. وتمدّدت تحت شجرة التاواي الكبيرة، ونمت كنوم أهل الكهف، ولم أستيقظ إلا في الثانية بعد الظهر، استيقظت على نداء: /الغداء جاهز/.

إن قريش يعرفني جيداً لا أفطر ولا أشرب الشاي. وعندما أنام لا أريد أن يوقظني أحد، وقطعنا المنطقة الوعرة والجافة وهذه المنطقة كانت ملاذاً لقطّاع الطرق والمهربين، إلا أن الثورة التي حرّرت الريف

---

(١) لقبه.

وحرّرت الانسان من عبودية، الاستعمار الأسود، وحرّرته من العمالة والجهل، جعلت هذه المنطقة، مكاناً آمناً.

وبعد الغداء الفخم والشهي، فقد اشترينا من، أحد الرعيان عنزة، وقام الاخوان، بذبحها على الطريقة الاسلامية، توجهت بالسؤال:

ـ يا ادريس كم سيستغرق الطريق من آر إلى توكر..؟

ـ لا أعرف..

وتقدّم /سيد الجمل/ وقال:

ـ أعتقد ليلتين، والليلة الثالثة سوف نخش /توكر/ على بركة الله، ثلاث ليال قصيرة.

إن الوصول إلى منطقة /آر/ استغرق /١٦/ يوماً، وكثير من الوفود عادت من أول الطريق، وهي لم تدرك أنها في الريف الارتري، لا راحة ولا فنادق من /٥/ نجوم ولا سيارات فارهة ولا.. ولا.. ان الانسان يشعر أنه في أرض الثورة التي أعطت /٧٠/ ألف شهيد، ان ثقة الانسان بنفسه تزدّاد عندما يكون في أرض الثورة.

إذن علينا أن نسير في هذه الليالي، الحرارة شديدة والهواء شديد، هذا الرمل الناعم أصبح شوكاً مدبباً يضرب، وجوهنا عندما نجتاز هذه الصحراء. وهبّت هذه السموم كما يسمّيها صديقنا الدليل ـ ولم أستطع أن أفتح عينيّ، وحاولت أن أمشي بجانب الجمل، فوجدته قد أغمض عينيه أيضاً، ولكنه يسير بشكل طبيعي، ونحن نستظل به، والبنادق التي نحملها وضعناها على ظهر الجمل مع الذخيرة.

حاولنا مع /صديق/ أن يترك سيفه على ظهر الجمل لكنه رفض، هذا كل ما يملكه في هذه الدنيا وكرامته رمزها هذا السيف، ونحن في جو هذا الكرنفال، الحرارة مرتفعة جداً، والرمال تسف وجوهنا، وأقدامنا تغوص في الرمل الساخن، وببطء شديد نرفعها وننزّلها. ما الذي أتى بي لهذه المنطقة؟ كيف وصل أجدادنا وآباؤنا إلى هنا؟ وأناروا درب الحياة وسط هذه الصحراء؟.

وأنا على هذه الحالة من التفكير، وجدت نفسي في موقف صعب. إني أمام ثعبان لعين، عيناي في عينيه، إلا أن يديَّ كانتا تمسكان بالعصا الغليظة التي أحملها، وضربت الثعبان ورميته. هل ضربتي للثعبان الأصفر الذي انتصب أمامي (كالخازوق) كانت نتيجة للخوف أم للشجاعة؟ فلنقل الأمرين معاً. لقد اقتلعت الخازوق من جذوره وقلت:

ـ يا شباب انتبهوا.

وصاح سيد الجمل:

ـ انشاء الله مات.

وهرب الجمل أو جفل، كما يقولون في بلادي، وركض /صديق/ نحوي، والسيف في يده. وقَتْلُ الثعبان بالسيف، شيء جميل.. ما أجمل قطع رأس الثعابين! قدما صاحبنا /صديق/ تغوص في الرمال. وتحرك الثعبان والسيف فوقه، الرمال طرية، وضربُ الثعبان فوق الرمال حالة صعبة، إلا أن سيف /صديق/ كان حاداً، إذ

قطع الثعبان عدة أجزاء، وكان طوله حوالي مترين ونصف المتر حسب خطواتي، أما الجمل فقد كان أصيلاً كعادته، فوقف بعيداً بانتظار أصحابه.

لقد تعلّمت من الأخوة الثوار، الارتريين ميّزات كثيرة، ومنها الصبر والجلد. وأراد دليلنا أن يختصر الطريق. لكن الذي حدث أننا خرجنا عن مسارنا، ودخلنا في متاهة الضياع. وهكذا يومان، ونحن هائمون وضائعون، لانعرف أين نذهب، ولانعرف كيف نعود إلى مسارنا الأصلي؟ ونفد الطعام والماء معاً، وخلال هذين اليومين لم نمّر ولم يمّر أحد، فلا قرى ولا رعيان ولا حتى أثيوبيين، ولا طيور ولا حيوانات، ولم نر أمامنا غير الافاعي والعقارب، ونحاول تجنبها ولانقتلها إلا عند الضرورة، لأن هناك أنواعاً خطيرة ومن الصعب مباغتتها وهكذا بدأت حلوقنا تجف دفعة واحدة، وانتهى الشاي وما كنا نحمله، من زاد وماء. ولكن الذي حدث هو الضياع غير المقصود، ولايمكن نسيان شكلنا. ولا أنسى كيف تورّمت شفاهنا وتحولّت الى كتل غليظة، وأصبح السكوت من شيمّنا، حرف في ساعات. كلمة في يوم. أنا مدين بأشياء كثيرة، للأخوة الارتريين، ما أجمل الصدق والأمانة، كيف كانوا يلاطفونني ويدارونني، ولاشيء مهم عندهم، سوى حياتي. ان حياتهم غير مهمة بل المهّم أنا. لقد خجلت كثيراً وطلبت منهم، أن يعاملوني معاملة عادية، مثلي مثلهم لا أكثر ولا أقل. في نهاية اليوم الثاني للضياع وعند نفاد الماء وقد رأى مطرتي

الأخ /طاهر جبريل/[1]، أحد مرافقيّ تقدم وأعطاني مطرته، التي فيها قليل من الماء. قلت له:

ـ إن هذا الماء من حقك، وليس من حقي.

إلا أنه رفض وأبى، وقلت له:

ـ سأدلق هذا الماء على الأرض.

ـ أرجوك يا أبا سعدة أن تشرب الماء.

فلم استجب لرجائه، ودلقت الماء القليل على الأرض، وقلت لهم:

ـ كلنا مثل بعضنا فالذي، يحصل لكم يحصل لي.

وجلسنا في ظل حجر كبير، ننتظر أن تخف حدة الشمس، ونحن بحاجة إلى الماء، إلا سفينة الصحراء، فهو نائخ يجتّر بهدوء دون أن يحسب حساباً. وتساءلت (لماذا لايجتر الانسان؟) وأخذت أراقب سفينة الصحراء وقلت في نفسي (يا ليتني كنت جملاً)!

جلسنا جميعاً، إلا أن الأخ /عثمان/، وقد عرفت أنه شقيق محمد شيخ عبد الجليل/ الذي، كان آخر مسؤول عن مكتب الجبهة في دمشق. قام /عثمان/ وتيمّم ولحقه الباقون، وصّلوا ونظرت إليهم، وهم يؤدون الصلاة وقلت في نفسي (ما أجمل الايمان، ولو عدنا إلى الوراء لوجدنا الاسلام قد دخل أرتريا وأثّر ديننا في الناس. كانت الوثنية سائدة في أرتريا فالآثار المكتشفة في /أكلى قوزاي/ تشير إلى عبادة الاله

---

(١) ترك الجبهة ويعمل حالياً في السعودية.

/عشتار/[1] أي آلهة الزهرة، وعبدوا إله البر والبحر والحرب وكل الآلهة وثنية، وكانت تُصنع لها تماثيل في الجزيرة العربية، وانتقلت مع القادمين إلى أرتريا.

إن الهجرات العربية القديمة منذ عهد /سبأ وحمّير/ وعلاقاتها بمملكة /أكسوم/ ودخول المسيحية، في وقت مبكّر من القرن الرابع الميلادي، وحروب /اكسوم مع حمّير/ حيث أن الحرب التي حركّت هذه الجيوش، غادرت عن طريق الشواطىء الارترية ثم إن علاقاتها مع أرض الحجاز، كان للتجارة والمصاهرة ثم، وصول المهاجرين الأوائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان عن طريق أرتريا. وعلاقة أرتريا بثورة الامام /أحمد بن ابراهيم/ ومشاركتها بالثورة، ثم علاقة ارتريا بالثورة المهدية، واشتراك ارتريا بهذه الأحداث ناتج لموقعها الوسط في المنطقة، فهي نموذج للتواصل بين جنوب وشمال منطقة القرن الافريقي، والتواصل بين هذه المنطقة والجزيرة العربية، فالشعب الارتري هو نتاج للزواج التاريخي، بين مختلف العناصر التي تشكّل منها هذا الشعب، ألا وهي /الكوشية/ و/الحامية/ و/السامية/ و/الزنجية/ وهذه السمات تلتقي بتطابق كامل بهذا التكوين.

فالهجرات المعاكسة، على مدى الأزمان الطويلة، تعتبر حالة لازمت أراضي أرتريا، من قبل الموجات البشرية. ان المدخل الوحيد

---

(١) عشتار: آلهة الزهرة.

للقادمين من الجزيرة العربية هو /باب المندب/ علـى البحـر الأحمـر، فدخول الاسلام الى المنطقـة كـان، عـبر الشـواطىء الارتريـة. كمـا أن الآثار والمخطوطات التي تم العثور، عليها في جزيرة /دهلك/ تقول أن أرتريا قد ارتبطت بالاسلام في، وقت مبكّر، وبالدولة الاموية في عهـد الخليفة /عبد الملك بـن مـروان/ سـنة /٦٨٥/ ميلاديـة. ثـم إن امتـداد السلطة الأموية أدّى إلى تجمعٍ، مسلم منّظم، على السـاحل الارتـري، يشمل عدداً من المناطق مثل، /دخنو/ حرقيقو/ مصوع وغيرها. وجزيرة /دهلك/ التي قامت بدورها كمركز انطلاق للإسلام في القرن الافريقـي. فالصراع الروماني الفارسي الذي أقحم اليمن وأكسوم في الحروب اضطّر العرب الأمويين للاستيلاء على عدة جزر في، البحر الأحمر وشواطئه.

وعودة إلى ما كنا فيه. قلت للاخوان: بعد انتهاء الصلاة ـ تقبّل الله، والله يوفقّكم وينصّركم على أعدائكم.

وجلسنا نفكّر: ما الذي يجب عمله؟ حتى إن ســفينة الصحـراء توقفت عن المضغ، ويبدو أنها أخذت تفكّر مثلنا. هذا ما تراءى لي!.

وأغفيت قليلاً، وحلمت أني في دمشق، أشرب الماء البارد ولـم يطل الحلم فقد أيقظني ادريس:

ـ هيا! علينا أن نسير!.

وسرنا.. ودون كلام إلى، أن غابت الشمس.. ولـم نتكلـم أبـداً. وجاء دليلنا وقال:

ـ يجب أن نبات الليلة، هنا حتى الصباح، لنسلك الطريق الصحيح..

ونمنا تلك الليلة، ولا أعرف إذا كنت نمت أم لم أنم، الحقيقة لم أنم، وكلما غفوت للحظة، أرى الأحلام المزعجة. ولا أعلم لماذا سيطرت عليّ ذكرى عشتها في نيجيريا، عندما كنت أمشي وحيداً في احد شوارع مدينة لاجوس المظلمة، لأعد نفسي للسفر إلى منطقة /بيافرا/ حيث كان الحاكم العسكري، للأقليم الشرقي، الكولونيل (أوجوكو) قد أعلن التمرد، وأقام دولته المدعومة من الغرب واسرائيل، وبينما كنت أسير في ذلك الشارع، وبشكل فجائي أحسست بهواء شيء، ثقيل يرتفع ليعود على رأسي، ولولا عناية الله، لكنت الآن في عداد الأموات. لقد شعرت بيد تمّتد وتبعدني عن العصا التي كادت تهوي على رأسي، من يد أحد اللصوص، فوقعت على الأرض، وجاءت العصا على الأرض، بدلاً من أن تأتي على رأسي، ومن شدة الضربة وقع اللص على الأرض، إلا أنه نهض وركض هارباً تاركاً العصا على الأرض. فالتقطها وأخذت أتأملها، وأتأمل الشاب الذي يحتضن الفتاة ويأكلان /موزة/ ولا أبالغ إن قلت لكم أن طول تلك الموزة حوالي ٦٠سم وقطرها حوالي ٣سم. وكان العاشقان يأكلان من الموزة ثم يرميان قشرها على الأرض. وصمتُ لبرهة شارد الذهن، أتأمل وأفكر بأجوكو وبهذه الموزة التي يلتهمها الحبيبان، وكيف جاءت قشورها لتنقذني وتدفع بقدمي للسقوط على الأرض، فأنجو من عصا اللص الغليظة، يا الله! ألا يوجد في هذه الصحراء، ثعابين عاشقة أو عقارب لتنقذني، من موت طويل وبطيء؟.

في الصباح الباكر، كان أصدقائي يصلّون صلاة الصبح. قلت في نفسي: ربما تكون هذه هي الصلاة الأخيرة.

ومشينا وراء الجمل، لأن عاصفة رملية هبّت، وبدأ الهواء الساخن مع الرمل يلسع وجوهنا. مرت ساعات ونحن، على هذه الحالة. ولم نمت. ألسنا أبطالاً.؟ أم أن الأبطال هم الذين يموتون، إلا في السينما الامريكية فالأبطال هنا لايموتون. وسألت نفسي (مابالك؟ هل بدأت تخرّف؟ نحن لسنا في سينما، ولسنا أبطال سينما، بل نحن أمام واقع، وأرجو ألا يتّحول هذا الواقع إلى كارثة. وانتفخت شفاهنا وتشققت، وغدت أفواهنا جافة كالحطب، والشمس تحرقنا ولاترحمنا، وبدأت خطانا تخف قليلاً قليلاً. الرمل الساخن يحّرق قدمي وأنا انتعل (الشدة) مثل زملائي. كلنا صامتون وسفينة الصحراء صامتة. كنا موكب الصامتين. وتذكّرت كلام والدتي حين قالت لي:

ـ حين تعطش يا ولدي، ضع في فمك، بحصة صغيرة وحرّكها.

فقلت في نفسي: (أين البحصة في هذه الصحراء؟) ودقيقة بعد دقيقة، ستون دقيقة مثل ستين عاماً من القسوة والعذاب. هدأتْ الريح، وأخذنا نرى بعضنا بعضاً. كيف أنسى في حياتي هذه الوجوه الطيبة؟ وهذه العيون النقية التي تنظر إليّ وتقول لي: (نحن فداك يا صديقنا) لقد أصبحتْ وجوه أخوتي لا لون لها إلا أني كنت ألاحظ شفاههم المنتفخة الدامية وصحت أنا:

ـ الله... هل هذا ماء أم سراب..؟

ـ لا يا أبو سعدة إنه ماء...

وسرنا باتجاه الماء، ولكن للأسف كان ماء مالحاً وساخناً، فلم نستطع أن نشربه، على كل حال بدأنا بمعاودة السير من جديد. فعلاً سرنا في الطريق الصحيح ونرجو أن نصل إلى منطقة، نجد فيها ماء عذباً. هذا ما قاله /طاهر/:

-عليك بالصبر يا أبا سعدة وهزّزت رأسي وتوكلت على الله ومشينا، وبدأت قوانا تخور بعد مضي فترة إلا أن الصمود هو، الطريقة الوحيدة لمواصلة السير، وغابت الشمس وبدأ الظلام يخيّم. كنا جميعاً مرهقين وعطشى، أما الجوع فلم نكن نحس به، العطش هو وحده الذي يعّذبنا. وهذه هي الليلة السادسة دون ماء، في هذا الجو الحار، ولا أبالغ إذا قلت أن درجة الحرارة تزيد على الخمسين.

ونظرت إلى نهاية غروب الشمس، وإلى الأفق نظرات لها معنى واحد. اليوم أشرّقت الشمس عليّ وإخواني، وغربت وما نزال أحياء، وتساءلت:

(هل ستشرق الشمس غداً ونحن أحياء؟ أم أن هذا هو الغروب الأخير؟).

فعندما تغرب الشمس، تغرب معها حياة الكثيرين، فهل جاء قدرنا لنغرُبَ ولن يكون لنا شروق مرة ثانية؟ هل سنكون شهداء؟ وهل تجوز علينا هذه التسمية؟ وهل أكون أنا العربي السوري الأول الذي استشهد على تراب أرتريا؟.

ونمت متعباً مرهقاً عطشاناً، ولم أشعر بيد لطيفة كالسابق، تلمسني. لا يد /ادريس/ ولا يد /طاهر/ و /عثمان/ وبقية الأصدقاء.

استيقظت مرات عديدة، في الليل وتساءلت (أين الثعابين. أين العقارب؟ نريد أن نلسعها ونأكلها أو تلسعنا وتقتلنا، يا الله!.. حتى العقارب والثعابين ضنت علينا. وأخذ رفاقي ينظر بعضهم إلى بعض ويتساءلون: (أما نزال أحياء؟ الحمد لله إننا مازلنا أحياء، لا أستطيع أن أفتح فمي أو أغلقه، أدخلت اصبعي في فمي أنظّفه من الرمل، وناديت على أحدهم خوفاً، من أن يكون حدث لهم شيء، فردّوا جميعاً بصوت واحد: كيف حالك يا أبو سعدة؟

فأجبتهم:

ـ حتى الآن أنا حيّ الحمد لله...

ـ نحن ننتظرك حتى نعود للسير فما رأيك؟

ـ والله أنا لا أريد السير، إنـي أنتظر الفرج هنا، أو أن ألقى قدري ولكن لا بأس.. أنا أعيش معكم وأموت معكم، لكن هل نستطيع استئناف السير؟ وقفت على قدمي بصعوبة. وأقول في نفسي: أين الثعابين؟ صحراء دون ثعابين؟ إن حظها ألا نراها. فان ثعباناً واحداً يفي بالغرض. وقلت في نفسي: (لماذا لا نذبح الجمل؟ لا.. ليست مشكلتنا الطعام، بل هي الماء فهذا ما ينقذنا. لماذا لانفعل مثل القائد العربي خالد بن الوليد، حين ذبح الجمال واستخرج الماء من سنم كل منها؟.

ولم تخطر هذه الفكرة على بالي ولو خطرت لي لذبحنا البعير. وببطء شديد كنا نتقدم، والجمل وحده كان نشيطاً ويجتر، وأنظر إلى مشفريه وأرى الزبد، وكثيراً ما تمنيت أن آخذ هذا الزبد من مشفريه.

ومررنا ببحيرات كثيرة، إلا أن ماءها كان مالحاً مراً وملوثاً. هل بدأت عيناي تزوغان، أم أنها حقيقة؟ وصرخت على رفاقي:

ـ هل ترون ما أرى؟

الحمد لله.. ولأول مرة ضحكنا منذ أيام، وأخذنا نركض، ولكن ببطء شديد.

صرخت بهم:

ـ يا جماعة.. أصبحنا قريبين...

لقد تغيّرت جغرافية الأرض. والله رجعنا شبّاناً. انه شجر الدوم والتاواي، لقد رجعنا شبّاناً. وعند أول شجرة دوم، ألقيت نفسي العطشى، لقد أخذ التعب والعطش منا كل شيء إلا الأمل. وأعتقد أني غفوت مدة ساعتين أو أكثر.

هيا يا إخوان نسير! ومشينا وأصبح الجو، أفضل من الأول. على الأقل يوجد هنا شجر نستظل به، وطالما أنه يوجد شجر فيوجد ماء، وكنت الشاهد الأول على الأمل الذي أصبح حقيقة، نعم إنها حقيقة وليست خيالاً. عشرات الجمال أمامنا، انها قافلة. وكانت الصيحات:

ـ عليهم يا شباب..

وعندما لامست عيني مطرة الماء لم أصدّق.. إنها حقيقة، إنها الحياة نعم... أمسكت المطرة لوحدي وشربت.. وشربت.. وعندما رفعت القربة، ارتحت قليلاً إلا أني أحسست بشيء، في حلقي وتساءلت: (ما هذا الذي في حلقي وما هذه الرائحة الكريهة)؟ ثم شربت مرة ثانية، وكادت بطني أن تنفجر وعادت الرائحة الكريهة إلى فمي وأنفي إنها رائحة (صنه) وسألت:

ـ ما هذا؟

فقيل لي:

ـ إن هذا الماء وسخ، والمواطنون هنا يضعون في قربة الماء شعر الغنم، حتى يصفى. والأن فهمت الحقيقة، شعر الغنم في الماء هذه هي الرائحة الكريهة (صنه)؟.

كان إخواننا في القافلة، من الشعب ومعهم الجنود والحرس، نعم إن هذا الماء وهذا التموين ذاهب إلى المؤتمر والمؤتمرين، لقد ارتحت حينها، أحسست بأن الأخ /صالح اياي/، قد أرسل النقود التي أخذناها من /عثمان سبي/ في دمشق، وعاودنا السير ونحن نشعر بالتعب. وكثر الماء والطعام والشاي وماذا نريد غير الراحة، وودّعنا القافلة بعد أن أخبرونا أننا على بعد يوم من /توكر/، وأمامنا القرى والماء. ولكن لن نشرب الماء لأنه مليء بالجراثيم وأعطونا مطرة (زمزمية) وقالوا:

ـ القرى أمامكم.

وركبت انا الجمل وقلت لهم بالتناوب، ولكني أنا الأول.

وسرنا وسط أشجار الدوم ولم أنزل عن ظهر الجمل. وظهر الصباح دون قرص الشمس، وغفت عيناي قليلاً، فسقطت من فوق الجمل. وركض الاخوان.

باسم الله... باسم الله...

ولم يصبني مكروه، كأني سقطت على ريش نعام، كما يقول العامة ان الكريم لايؤذي والمثل يقول: إذا ضربك جمل لايؤذيك مطلقاً سوى أنه يبعدك. نعم لقد جازاني الله لأني ركبت لوحدي مع أننا في حال واحدة. وقالوا لي:

ـ لانريد الركوب فقد أصبحنا قريبين، من /توكر/. اركّب وحدك. وقلت: اذن أركب أنا. وتقدم /قريش/ قائلاً:

ـ أعطني الجمل! وحل عني فقد جاء دوري.

ساعات ولاحت المنشودة انها /توكر/ العظيمة. وعند الغروب أخذنا ندّق الأبواب، وقد أراد الله تعالى ألا تغرب شمسنا.

وفي الصباح الباكر في اليوم التالي، ركبت السيارة وهي عتيقة ولكنها قوية، واتجهنا الى /بورسودان/ حيث كانت الحرارة قوية جداً. وتعتبر بورسودان من أشد بلاد العالم حرارة. ومنها سافرت إلى الخرطوم ومن الخرطوم مباشرة إلى دمشق، وبعد أسابيع تلقيت نتائج المؤتمر الوطني الأول وأهم ماجاء بها.

إن جبهة التحرير الارترية، جزء من حركة التحرير العربية والعالمية...

❀

الفصل الثاني



عـــدن

وفي دمشق أنجزت الفلم الذي، صورّته وأخرجته في رحلتي، وتبنى فلمي هذا، التلفزيون العربي السوري، وأوفدني إلى المانيا الديمقراطية، لعرضه في مهرجان لايبزغ الدولي.

وعند عرضه على المشاهدين كان له وقعه، ونال الجائزة التقديرية. إلا أن الفلم كان مرشّحاً لنيل الجائزة الثانية على أقل تقدير، وإني اعتقد أن ضغطاً سياسياً قد مورس على لجنة المهرجان لعدم عرضه. إلا أني أذكر أن مدير التلفزيون الالماني الديمقراطي - عندما كان في زيارة لسورية. شاهد هذا الفلم وأعجب به جداً. وهو الذي أوصى بأن نعرضه في مهرجان لا يبرغ، إلا أن التبديل السريع الذي حصل في المواقف في لا يبزغ أثار تساؤلي، ولم يدم تساؤلي طويلاً فقد أقامت المانيا الديمقراطية علاقات دبلوماسية مع أثيوبيا.

ومرت الأيام والاسابيع وانا في دمشق أحضّر لفلم سينمائي طويل، وظهرت الضائقة المالية على الجبهة، وتعاونت مع الأخوة قدر ما أستطيع، واعتقد أن الأخ /صالح اياي/ يعرف مدى تعاوني ولاينساه. واليكم هذه الرواية.

غادرت القاهرة السادسة مساء، على متن الطائرة اليمنية /اليمدا/ والطائرة من النوع القديم، والطريق طويل، وممل والطيران مدته ست ساعات من القاهرة إلى عدن، انما الخدمة كانت جيدة ان هذا الارتجاج الذي تحدثه الطائرة متعباً. فالمطبّات الهوائية كثيرة وأتساءل: (لماذا أنا أسافر وأتعرض للأخطار والخوف وأعرّض اسرتي ومستقبلي للضياع؟، هذه الأسئلة كانت تدور في ذهني ثم ماذا عن القضية الفلسطينية وكنت من المتعاطفين جداً معها، وقد عملت مع الثوار الفلسطينيين بجد وشرف واخلاص. أليست هي قضيتنا الأساسية، أليس الصهاينة أعداؤنا وأعداء ديننا؟

ولم أكن أعرف ما يخبؤه المستقبل بعد /٢٩/ عاماً. هل أنا في حلم؟ لقد طال هذا الحلم أنه طويل ومزعج. ما هو المستقبل الذي كنت أحلم به؟ الفن أم الثورة واعتقد أنهما الأثنان معاً.

لا أستطيع أن أفكّر ولو مجرد تفكير بسيط، أننا يمكن أن نرضى بما يتم الان من اتفاقيات وحلول واتساءل: (أين ارضنا؟ أين الشهامة العربية؟ أين الكرامة العربية؟ لماذا ذهبت أنا إلى /ظفار/ وتعاملت مع الثوار هناك؟ وفي عام /١٩٧٣/ كنت المصوّر الأول في التلفزيون العربي السوري، الذي ذهب إلى الخطوط

الامامية. وعدت بالافلام واللقطات الحية المعبّرة والمؤثرة، لماذا ذهبت إلى /غور الأردن/ مع الأخوة الفلسطينيين؟ لماذا ذهبت إلى /شبعا/ و/كفر شوبا/ في لبنان؟ لماذا ناضلت مع الثوار الفلسطينيين؟ أليس هذا كله من أجل شعبي وأمتي؟

عندما كنت طفلاً صغيراً، كنت أتشوّق لما أسمعه من والدي عن البطولات العربية والاسلامية، كنت أريد أن أعرف تاريخ أمتي وأبحث عن الكتب فلا استطيع شراءها، وكنت استأجرها من المكتبات وإني أتذكّر كيف كنت أذهب إلى مكتبة صغيرة تقع جانب جامع /السنجقدار/ بدمشق واستأجر الكتب. كانت أجرة الكتاب عشرة قروش أو /فرنكين/ كما كنا نقول. وأعتقد أن كثيراً من الشبان الدمشقيين وغير الدمشقيين قد مروا على هذه المكتبة. وصحوت على صوت ناعم لطيف.

هل تريد /كوفي/؟ قالتها المضيفة السمراء. هل هذا الجمال وهذا التناسق البديع هو الذي سمعت عنه؟ هل هذه المضيفة هي سمراء /عدن/؟ التي تُروى عنها الحكايات والاساطير؟ إن هذه الفتاة الماثلة أمامي تريدني أن أشرب (الكوفى).

قلت لها:

- نعم.. اريد فنجاناً من القهوة، أيتها اليمنية الجميلة!

وضحكت بدلال وقالت:

- أنت تتكلم العربية؟

ـ نعم.. أنا عربي ومن سورية، واسـمي أحمـد. ومـا هـو اسـمك أنت يا سمراء عدن؟

ـ أنا لست من عدن.

ـ من أين أذن.

ـ اتعرف حضرموت؟ هل سمعت عن بنات المكلا؟

ـ من منّـا لا يعـرف، ومـن منـا لـم يقـرأ عـن حضرمـوت؟ عـن حضارتها إني أعرف بعض المحافظات في اليمن.

ـ سوف احضر لك فنجان قهوة.

ـ لا تنسِ يا زينب أن يكون البن عدنياً أيتها الجميلة العربية.

إن زينب مضيفتنا تشبه في تقاطيعهـا /حليمـة/ الارتريـة، وكـانت /حليمة/ تحدّثني باللهجة ذاتها، وعدت بذاكرتي إليهـا لونهـا أغمـق مـن زينب بقليل، إنما تقاطيع الوجه واحدة. غير أن /حليمـة/ ترتـدي اللبـاس الوطني الخاص بمنطقة الساحل الارتيري، أما زينب فترتدي ثياب مضيفة طيران. اللهجة واحدة، واللون متقـارب، والابتسـامة الهادئـة واحـدة، إن حليمة تحمل كثيراً من الألم والمعاني لفتاة ارتريا السمراء. كثـيراً مـا خيّـل لي أن عيون أطفال ارتريا ونساءها لها معنى واحد، ألا وهو الألم والتسـاؤل أين أنتم يا إخواننا العرب؟ أين أنتم يا أشقاءنا المسلمين؟ نحن منكم وأنتـم منا، نحن أهلكم وأنتم آباؤنا وأمهاتنا، أنتم أهلنا.

وعادت زينب تسألني إن كنت أريد شيئاً آخـر: لقـد أيقظتنـي من خيالي.

ـ شكراً يا زينب على القهوة، لكني لا أظن أنها قهوة عدن العربية. واتسعت الابتسامة على شفتّي زينب، ولمعت عيناها ببريق العيون العربية.

نعم.. انها «نسكافة» ولقد شربتها على مضض. القهوة العربية تصدّر للاوربيين، ونحن نستوّرد «النسكافة» (هـه هي الدنيا) قالتها /زينب/ وهي تضحك. وقلت:

ـ نعم.. هذا هو الحال.

طائرتنا تهتز وتهبط وتصعد. باق لنا ساعتان ونصف. هل ستستمر وتصمد هذه المحركات الأربعة في الطيران باقي الساعات؟ أم سنكون طعاماً للسمك؟

ازدادت المطبات وقلت للمضيفة:

ـ المطبات كثيرة!

ـ دقائق ونتخلّص منها.

نعم.. لقد صدقت زينب، وعادت الطائرة إلى الاستقرار. كم هي تشبه /حليمة/ الارترية. ان اليمنيين والارتريين يشتركون بصفات عديدة وهي اللهجة والشكل والتصرفات. ولاحت أضواء /عدن/ من الطائرة. لقد اقتربنا كثيراً من الماء ورأيت السفن مضاءة وهي في البحر. الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق عندما لامست عجلات الطائرة أرض المطار.

(الحمد لله لقد وصلنا بسلام وقد قطعت المرحلة الأولى وسأذكرها كثيراً).

وعندما وصلت إلى مقدمة الطائرة لفحني الهواء الحار، وعدنا للحر والرطوبة مرة ثانية. الساعة الان الثانية عشرة وعشر دقائق ليلاً؟ درجة الحرارة الخارجية /٤١/ درجة مئوية والطقس لطيف، هكذا أخبرتنا سمراء /عدن/ الحرارة /٤١/ والطقس لطيف. هذا ليلاً فكيف نهاراً؟

بارك الله فيك. وبعد اجراءات قاسية في المطار خرجت بعون الله من المطار سالما. ذهبت إلى فندق /ليبرتي/ ووجدت غرفة وفيها مروحة سقفية، وبدأ الهواء يلعب، لابأس وفي غدٍ سأرى ما يمكن عمله. وقلت في نفسي ماذا سأفعل غداً في هذا الجو، ذو الرطوبة والحرارة العالية؟ ونمت نوماً هادئاً. وشعرت براحة وأمان. وصحوت باكراً وأخذت الدوش المعتاد، وارتديت ملابسي ونزلت على الدرج الخشبي إلى فسحة ضيقة ومستطيلة، انها صالة الفندق وبجانبها الاستعلامات وجدت هناك أناساً كثيرين، لماذا يصحو هؤلاء باكراً؟ لعلهم يذهبون إلى أعمالهم من شدة الحر.

ـ السلام عليكم.

ـ عليك السلام.

أجابني أحد الأشخاص:

ـ ألست خواجا؟

ـ لا.. أنا مثلكم عربي.

وبحثت عن الهاتف. وفي ركن صغير من صالة الفندق تكلمت مع /شحيم إبراهيم/ وهو مسؤول مكتب ج ـ ت ـ أ في عدن، على أن نلتقي

خارج الفندق، لانريد أن يعرف أحد ان لي علاقة مع /شحيم/، وأنا موجود من أجل الذهاب والتقاط فلم عن قوات التحرير الشعبية. والمفروض أن أتصل بـ/أحمد جاسر/ مندوب قوات التحرير الشعبية، وليس /بشحيم إبراهيم/.

كانت بين يديّ وثيقة هامة جداً من /عثمان سبي/، إلى /أحمد جاسر رئيس مكتب ـ ق ـ ت ـ ا/ وكنت قد فتحت الرسالة في دمشق وقرأت ما جاء بها وخلاصتها: (ان المدعوين / أحمد إبراهيم/ وأحمد آدم عمر/ متفقان مع /عثمان صالح سبي/ على الانخراط في قوات التحرير الشعبية. علماً بأنهما عضوان في القيادة العامة للجبهة. أليس هذا تآمراً على الجبهة؟.

في دمشق ذهبت إلى /صالح اياي/ في الساعة الرابعة صباحاً وأطلعته على الرسالة ومضمونها فذهل تماماً. لم يصدّق وبدأ يرتجّف. ورأيته يرتجّف مرتين على مدى تسعة وعشرين عاماً. المرة الأولى عندما قرأ الرسالة، والثانية عندما تم اغلاق مكتب الجبهة في دمشق بعد توقيع اتفاقية /جدة/ وسألت /صالح/ ما العمل؟ فقال لي (هذه الوثيقة يا أحمد انقذتنا من التفتت والضياع). لم أكن اعتقد أنا وكل إخوتي في الجبهة أن الاحمدين هذان يحاولان قتل جبهة التحرير الارترية، هذه الوثيقة يجب أن تصل إلى رفاقنا ويعرفوا ما يتم في الخفاء. وقمت بتصوير الوثيقة وأعطيتها لصالح الذي سلمّها بدوره إلى /زملائه ومنهم محمود اسماعيل/ الذي كان مسؤولاً عن مكتب الجبهة في بغداد.

والتقيت /بشحيم ابراهيم/ وكان لدينا عمل في غاية الأهمية وخاصة بعد قراءة الوثيقة التي كتبها /عثمان صالح سبى/ إلى /أحمد

جاسر/ أحد أركان قوات التحرير الشعبية. وكان عضواً هاماً فيها، يجب افشال رحلتي هذه. واتفقت مع /شحيم ابراهيم/ على خطة للعمل.

عدت إلى الفندق واتصلت /بأحمد جاسر/ وللحقيقة والتاريخ أقول (كنت مخطئاً بتعاملي مع شحيم إبراهيم) ومع كثير غيره من أعضاء القيادة.

- كيف حالك يا أحمد؟

سألني /أحمد جاسر/ على الهاتف.

- بخير والحمد لله.

- أين أنت الآن يا أبا سعدة؟

- أنا في فندق ليبرتي.

- سوف أكون عندك خلال دقائق.

وكان لقائي الأوّل مع الأخ /أحمد جاسر/. هل أخطأت في تصرفي؟ أين /أحمد جاسر/ الان؟ وأين /شحيم إبراهيم؟/ وأين /محمود اسماعيل/ وأين.. وأين؟

/شحيم إبراهيم/ سلّم نفسه إلى اثيوبيا في العام ذاته.



سر يعلن للمرة الأولى

أما أحمد جاسر الذي أصبح، مسؤولاً لتنظيم خاص به، بعد فترة من الزمن، والذي كان مرتبطاً سراً بالجبهة الشعبية، وهو الآن يعيش في القاهرة، في ثبات ونبات (ويخلّف أولاداً وبناتاً).. لماذا..؟!.. لأن حكومة الجبهة الشعبية راضية عنه، ألم يكن ينفّذ كل ما تطلبه منه؟!.. وما أود قوله يعتبر سراً خطيراً في تاريخ الثورة الارترية ويُعلن للمرة الأولى:

كان أحد أصدقائي المجاهدين، واقفاً بجانب الطائرة في مطار جدة والعمال يفرّغون الصناديق المكتوب، عليها عبارة /قابلة للكسر/. وُضعت الصناديق على عدد من الشاحنات الصغيرة، وجلس صديقي المجاهد بجانب السائق، في أول شاحنة ليخرج ومعه، باقي الشاحنات من باب مطار جدة الخلفي، متوجّهاً إلى ميناء صغير في أطراف مدينة جدة، وتقف الشاحنات ويتم نقل الصناديق منها، إلى ظهر السفينة بكل هدوء وتأنٍ خوفاً من كسر محتوياتها.

وسارت السفينة على هدىً النجوم، وعاد صديقي المجاهد إلى منزله هانئ البال، لقد تم كل شيء بهدوء، ثم عاد وكان بصحبته شخص إسمه عبد الرحمن جاسم، كان صديقي المجاهد يعتبّره احد الثوار المتشدّدين لنيل حرية بلاده كاملة.

ذهب صديقي إلى منزله وذهب /الثائر/ المتشّدد إلى مركز للهاتف وطلب الخرطوم، كان على الجانب الآخر من خط الهاتف أحمد جاسر، المسؤول العسكري في قوات التحرير الشعبية، وهو ابن عم /الثائر عبد الرحمن جاسر/ قل المسؤول العسكري في قوات التحرير الشعبية الارترية سوف تحفظ لك الجبهة الشعبية هذا العمل الكبير وسترى نتائجه في المستقبل.

كان العقيد كرار والمسؤول الثاني في، جهاز الأمن السوداني واقفاً بجانب السفنية، وهي تفرّغ الحمولة في ميناء بور سودان، غادرت الشاحنات ميناء بور سودان، بحراسة بعض عناصر الأمن السوداني برئاسة العقيد خليفة كرار.

الشاحنات تغوص في الرمل، وتعن لتخرج وتستأنف سيرها، عبر البلدات /سواكن/ و /توكر/ و /مرافيد/ و /قارورة/ السودانية. المسؤول العسكري لقوات التحرير الشعبية يلعب بشاربيه الصغيرين وعندما رأى غبار الشاحنات من بعيد، ترك شاربيه وفتح فمه؟!.

وصلت الشاحنات. وتعانق العقيد مع المسؤول العسكري لقوات التحرير الشعبية، وقال له هذه هي هدية الشعب الايراني للثورة الارتيرية ٨٠٠ بندقية أم ١٦ مع ذخيرة لها تقدّر بمئات الآلاف من الطلقات. تعانق المسؤلان وقال العقيد خليفة كرار /لأحمد جاسر/: الله يطوّل لكم عمر الأخ /عثمان سبي/ فهذا جهده، وجذب أحمد جاسر العقيد قائلاً /الله يخليلنا ياك/.

وحُملت الأسلحة على الجمال، سفن الصحراء لتخترق قرية قارورة السودانية، إلى قارورة الارترية المحرّرة ومنها لتنطلق إلى قواعد الثوار في العمق الأرتري لتخفظ في مستودعات قوات التحرير الشعبية. بعد أيام وصلت سفن الصحراء ووُضعت الأسلحة والذخيرة في مخازنها في الساحل الشمالي من أرتريا.

في حي الامتداد في الخرطوم يقع الشارع رقم ٢٩ وفي فيلا أنيقة، سأل السيد أسياس أفورقي، أحمد جاسر متى ستسلّمنا الأسلحة يا رفيق جاسر؟

ـ هل أنتم مستعدون يا رفيقي العزيز؟

ـ مئة بالمئة.

ـ الأسبوع القادم سيختفي القمر، وعندها تقومون بشن هجوم وهمّي، على مستودعاتنا في الساحل الشمالي، وتدخل قواتكم المسكن وتستولي على الأسلحة.

ـ لن أنسَ لكم عملكم البطولي، فأنت ابن الجبهة الشعبية الأمين.

نعم لقد كان أحمد جاسر مرتبطاً سراً بالجبهة الشعبية. وعند نهاية الشهر غاب القمر، ودخلت قوات الجبهة الشعبية، معسكر قوات التحرير الشعبية ودون أية مقاومة. لأنه لم تكن هناك حراسة في الأصل. فلقد أعطى المسؤول العسكري إجازات طويلة للثوار المكلفين بحراسة هذه الأسلحة. إجازات لا يعودون منها أبداً!!

واستولت الجبهة الشعبية علـى، السـلاح المقّـدم هديـة لقـوات التحرير الشعبية من الشعب الايراني، بواسطة رئيسها المرحوم عثمـان صالح سبي.

* * *

الآن يعيش المسؤول العسكري، عن قوات التحرير الشعبية فـي مصر، ينعم بالديباج والحلي. أما ابن عمه عبـد الرحمـن جاسـر الـذي كان همزة الوصل بين المسؤول العسكري فـي قـوات التحريـر الشـعبية والجبهة، الشعبية فهو يحمل رتبـة عقيـد فـي جهـاز الأمـن الأرتـري وأخيراً لم يرجع الثوار حراس الأسلحة من اجازتهم! ! !

* * *

أعود لأتمم الحديث عن لقائي مع أحمد جاسر في عدن.

جاء /أحمد جاسر/ وسلّمته الرسالة حول الاحمدين اللذين طُردا من الجبهـة، واشتغلا فراشّين فـي المملكـة العربيـة السـعودية. افشـلنا رحلتي إلى ارتريا وعدت إلى القاهرة لالتقي /بطه محمـود نـور/ ممثّـل التنظيم في القاهرة، وصديق /عثمان/ الحميم. دعاني /طه/ إلـى منزلـه وكان في الزمالك وعرفّني على عائلته، كـانت زوجتـه ايطاليـة، وهـو شاب لطيف ومهذب وشيوعي سابق، وهـذا هـو التنـاقض /طـه محمـد نور/ رجل تقدمّي و /عثمان سبي/ محـافظ، عـدت إلـى دمشـق، وبعـد فترة قصيرة أخبرني ممثل عثمان سبي فـي دمشـق، ويدعـى /اسـبروم/

وقد عرفته منذ عام /١٩٦٨/ عندمـا كـان يـأتي إلـى الأذاعـة السـورية حيث كـان يعمـل فـي برنـامج موجّـه إلـى ارتريـا، وسـألني وبطريقـة مخابراتية ـ بعد أن وضع الضوء على وجهي:

ـ كيف سلمّت الرسالة؟

ـ عن أي رسالة تتكلم؟

وأنكرت الموضوع كاملاً.

فقال لي:

ـ لقد خنتنا.

وأجبته وبحدة أكثر:

ـ أنت تتحدث عن الخيانة! وأنت أكبر خائن! إياك أن تتكلـم عن الثورة والحرية، فأنت مجرم هارب من ارتريا، بعد ان قتلت عمـداً مواطناً وهربت والتحقت بالثورة لتحميك. اذن وجودك كـان للحمايـة، وليس من أجل حرية واستقلال شعب ارتريا.

علـى فكـرة إن /اسـبروم/ يعيـش اليـوم فـي الولايـات المتحـدة الامريكية. إن ألمي اليوم يزداد بعد مرور السـنوات الطويلـة، اعتقـدت بأنني أقوم بخدمة الشعب الارتري عن طريق اصدقائي.

وأقف وقفة صغيرة هنا لاقول:

ـ أين أصدقائي؟ أين /صالح اياي؟ أين عمر جابر؟ أين حـروي؟ أين تسفاي؟ أين محمد نور أحمد؟ أيـن محمـد سـعيد نـاود؟ أيـن طـه محمد نور؟ أين.. وأين؟ هل أعـدّد آلافـاً/. أيـن /زهـرة جـابر/ رئيسـة

الاتحاد النسائي الارتيري. وهذه رواية أخرى وما أكثر الروايات والأحداث مع القياديين الارتريين.

في عام /١٩٩٢/ اتصلت بي /زهرة جابر/ وقالت:

ـ اريدك ضروري يا أحمد.

أجبتها:

ـ في هذا الوقت المتأخر من الليل؟.

قالت لي:

ـ نعم.. أريدك حالاً.

ـ ألا تستطيعين التأجيل إلى غدٍ؟

ـ لا.

ـ حسناً أنا قادم إليك.

وأثناء مكالمة زهرة لي، كان حامد طنبار وهو المسؤول المالي عن مكتب دمشق، موجوداً عندي، ذهبنا إلى /زهرة/ أنا و /حامد طنبار/ سوية واعتقدت بأن شيئاً حدث لها أو لابنتها.

ـ خيراً يا زهرة خيراً.. ما بالك؟

وكانت ترتجّف بشدة وتُرغي وتُزبد..

ـ انظر ماذا يقول اسياس!

ـ الهذا السبب استدعيتني؟. الا تستطيعين الانتظار إلى الصباح؟. ماذا يقول السيد /اسياس/؟.

واعطتني مجلة الصياد بحدة وقالت:

ـ خذ اقرأ!

وعلى صفحة الغلاف خريطة القرن الافريقي والبحر الأحمر وصورة السيد /اسياس: عليها وتحمل عنواناً كبيراً يقول:

مفاجأة في القرن الافريقي، في حديث للصياد (رئيس ارتريا سنعترف باسرائيل) ورقم العدد هو /٢٤٨٦/ السنة /٤٨/ ٢٦ حزيران ١٩٩٢.

لم أقرأ المجلة لاني اعرف مسبقاً ما هو توجه الجبهة الشعبية. وضربت /زهرة/ الأرض بقدمها وصاحت:

ـ لن نقبل بهذا التصرف! وسوف أدوس رأس اسياس بجزمتي هذه؟!!!.

ـ وقلت:

ـ يا الله ما أعنفك يا زهرة! وكم أنت ثورية ومناضلة، أكثر من زوجك محمد نور أحمد. وكان هذا بحضور /حامد طنبار/ الذي هرب من بلدنا بعد أن صدرت له، الأوامر من الجبهة الشعبية بتسلم ممتلكات الجبهة في دمشق، وفعلاً قام هذا /المناضل/ الذي عاش في سورية /١٦/ عاماً وتعلّم فيها وأخذ شهادة الاعدادية والثانوية وشهادة الجامعة، هرب في جنح الظلام مع شلته ودفع بالجواز السوري الذي كان يتنقل به، إلى مكتب الجبهة الشعبية، هل هذا هو الوفاء وهل هذه هي الامانة؟ يا أصحاب الامانة؟.

وإذا عدنا إلى زهرة جابر ونتساؤل: ماذا تفعل الان في ارتريا؟

أولاً ـ إن المناضلة /زهرة جابر/ هي عضو في البرلمان الارتري، وعندما عيّنت[1] لتكون عضواً في البرلمان الارتري، كانت في دمشق. واخبرني أحد الاصدقاء من السعودية بأنها أصبحت عضواً في البرلمان المعيّن، وان الذي رشحّها لهذا المنصب هو رئيس الحكومة السيد /اسياس/.

وقد أخبرت اصدقائي كافة: ان /زهرة/ على علاقة ما بالجبهة الشعبية، ولم يستّجبْ أحد منهم، إما كانوا متعاملين معها أم على علمٍ بذلك ولم يفعلوا شيئاً أو قصر بصر؟!!!.

وزارتني في منزلي وتناولت الطعام معي عشرات المرات وكذلك انا في منزلها لكني لم أثق بها أبداً، وكانت تحاول معرفة أمور الجبهة وتتمتع زهرة بثلاثة مناصب هامة:

الأول ـ عضو البرلمان المعّين والثاني عضو في لجنة الدستور والثالثة عضو في اللجنة المركزية للجيهة الشعبية. أما كيف تم انتخابها في الجبهة الشعبية فله قصة.

لقد دافع عنها /رئيس الدولة/ شخصياً وقال للمؤتمرين في مؤتمر الجبهة الشعبية الذي انعقد عام /١٩٩٤/ إن زهرة جابر هي عضو في الجبهة الشعبية منذ عام /١٩٨٠/. لقد خدعت اصدقاءها وزملاءها في جبهة التحرير، خريجةُ الجامعة الجزائرية، لم يكن ولاؤها ولا انتماؤها

---

(١) كبقية أعضاء البرلمان كلهم معيّنون.

للامة العربية كما كانت زهرة تدعّي بل كان ولاؤها للجبهة الشـعبية، أمـا زوجـها /محمد نور أحمد/ فهو يعمل الآن عملاً بسيطاً رغم قدرته وامكاناته الفكرية. أما أخوها /عمر جابر/[1] فقـد لجـأ إلـى استراليا وأصبـح مواطنـاً استراليا. إن ألمي يزداد اليوم وبعد مرور الاشهر والسنوات لأنني لـم أقـف إلى جانب الأخ /عثمان صالح سبي/، على الاقل هو رجـل عربـي مسلم، كنت أعتقد سابقاً بأني أقوم بخدمة تنظيم جبهة تحرير ارتريا.

وقفة صغيرة لي:

أين أصدقائي؟ لم يبق الا القليلين، أيـن ثـوار جبهـة تحريـر ارتريـا، لا أحد.. معظمهم ذوّبوا أنفسهم في الجبهة الشعبية أما بعـض البـاقين فهـم يعيدون لملمّة أنفسهم مـن جديـد؟. لمـاذا فعلـتُ هـذا بعثمـان؟ وقابلتـه مـرة أخرى في دمشق وكان على علم بأني تآمرت عليه مع أصدقائي. وقلت له:

- مالك؟ هل أنت غاضب مني؟

قال:

- لقد تعاملتَ مـع الارتريـن، وليـس مـع أعـداء ارتريـا، وهـذه وجهـة نظرك.

- أريد أن أعود إلى ارتريا، وعلى نفقتي. يا اخ عثمان!

رحم الله /عثمان/ قال لي:

- جيبك وجيبنا واحد.



(١) هاجر إلى استراليا.

سجين كوناكري

عدت إلى /عدن/ لم أذهب إلى فندق /البيرتي/، بل ذهبت إلى فندق /روك/ في حي التواهي الراقي، وعلى فكرة كانت مدينة /عدن/ مدينة مفتوحة، لاضرائب على بيع المواد الكهربائية وغيرها، فهي موجودة بكثرة، واشتريت راديو ومسجّلة وماتزال موجودة عندي حتى الان. وعشت أشهر في /عدن/ هذه المدينة الجميلة، وجمالها يزداد في الليل، كنت اتنّزه على الشاطئ المطل على المحيط الهندي، واسبح في /الغولدُن مور/ على البحر الأحمر. في الظهر أتغذى السمك بأنواعه. وحان وقت الرحيل إلى ارتريا عبر البحر. وقال لي الأخ /أحمد جاسر/:

ـ يا أخ أحمد نريد السلامة لك. ونحن بانتظار عودتك.

أود الآن أن أتكلم قليلاً عن /عدن/:

عندما كنت اتنزّه في حي التواهي، يبدو لي كل شيء مألوفاً إني في بلد عربي، وبين شعب شهم وشجاع، شعب قاتل الانكليز وأرعبهم وانتزع حريته بالقوة، وأجبّر دولة عظمى على الجلاء. هذه الجبال العالية وهذا الخليج يلفّها كلها مجتمعة ضمن هذا الالتفاف الجميل من المحيط الهندي حتى البحر الأحمر.

وسألت /أحمد جاسر/:

ـ من أي نقطة سينطلق بنا /السمبوك/ أي الزورق.
ـ هيا نذهب للإفطار، وهناك أخبرك!
ـ أنا لا أفطر في العادة.
ولم أذهب. وقلت له:
ـ متى نتحرك يا صديقي؟
ـ الليلة!.
ـ اذن عليّ أن استعد، وألمّلم حاجياتي.
ـ إلى اللقاء بعد الظهر يا أبا سعدة، وسأمرّ عليك، وأرجو أن تكون جاهراً.
ـ إلى اللقاء!
كان من عادتي دائماً عندما أصل إلى أي بلد، أن أرسل برقية إلى زوجتي، أشعرها بوصولي، ثم اختم البرقية بكلمة /تحياتي/ وهذا رمز بيني وبينها على أني بخير. وعلى فكرة البرقية والرمز فقد أفاداني كثيراً، لانه حدث لي حادث مؤلم ومضحك في آن واحد، في حينه.
كان الحادث مخيفاً وحياتي في مهب الريح. أما الان فهو مضحك ومسل. وكما أسلفت سابقاً فقد زرت معظم حركات التحرير في العالم وإليكم الآتي.
عندما هبطتْ الطائرة في /كوناكري/ عاصمة غينيا توجهتُ إلى الجوازات كبقية الركاب وأنا التفت يمنه ويسرة وأتساءل: من

سيستقبلني في المطار كما أخبروني؟ أين مندوب جبهة تحرير /غينيا/ بيساو ورأس الجــزر الاخضـر؟ ألـم يقـل لـي مندوبهـم فـي القـاهرة أن مندوبهم في كوناكري؟ سيستقبلك في المطار؟ أين الرفاق؟ وبعد طـيران استمر /١١/ ساعة من القاهرة إلى كوناكري ووجدت نفسي أمام ضـابط يبتسم ويشير لي أن أتبعه: (الحمد لله رفـاقي بالانتظـار) وأشـار إلـيّ الضابط أن أقف ولا أذهب من مكاني. لابأس!. سـوف يذهـب ويـأتي بمن يستقبلني. هكذا تعودّت وهذا ما يتـم عنـد زيـارتي للسـودان بـأن يأتي أحد الضباط السودانيين ويقول لي بأدب واحترام:

ـ تفضل اجلس هنا..

أما هنا. فقد أمرني الضابط الغيني:

ـ قف! لا تجلس!

ربّما كـانت العـادة هنـا هكـذا. إن جـو السـودان يختلـف عـن غينيا، صحيح أن الحرارة واحدة إلا أن الرطوبة هنا كانت عالية جداً، ولا تقارن برطوبة الكويت أو جدة. وخلال دقـائق أصبحـت مبلـلاً مـن الرطوبة. تمام. الحمد لله لقد أتى اثنان يرتديان اللباس المدني، وبكل وقاحة دفعاني أمامهما. وتساءلت: ما هذا الاستقبال؟. ولـم أتكلـم ولـم أعرف ماذا يجري. ودفعاني إلى غرفـة مظلمـة، انهـا زنزانـة، لكنهـا فارغة، ما هذا؟ وما الذي يحدث؟ وما هذا الاستقبال؟.

فـي الخرطـوم كنـت أجلـس ويقدمـون لـي الشـاي بـاللبن أي الحليب، ويحضر العقيد /خليفـة كـرار/ وهـو ضـابط كبير فـي الامـن

السوداني ويسلّم علي ، ويأخذ مني الجواز وأخرج من المطار دون أي اجراء، إلى سيارة خاصة حيث ينتظرني فيها بعض الاخوة الارتريين. أما هنا فبعد الدفش والنعر وكلمات لم أسمعها ولم أفهمها إلا أن تعابير الوجوه والشفاه الغليظة التي تبربر كانت توحي بأن شيئاً سيئاً سيحدث.

عندما دُفعت إلى غرفة (الضيافة) في مطار /كوناكري/، اعتقدت بأني وحيد لانني لم أشاهد أحداً في هذه الزنزانة، ثم فجأة ارتطمت بكتل بشرية. لقد تحسستها بعد أن وقعت على الأرض. كان الجو مظلماً والموجودون في الزنزانة كثيرون، وبعد حوالي عشرة دقائق أو أكثر، ثبتت الأشياء وفاحت رائحة نتنة كأن هناك حيوانات ميتة. الله أكبر. هنا بشر كثيرون ولم أعرفهم إلا في اليوم الثاني. ما هذا القبر الجماعي؟ ماذا فعلت؟ قلت في نفسي: ربما نزلتْ طائرتي في جنوب افريقيا. والله لم أخطئ الطائرة! فلماذا يحدث هذا هنا؟ إني ذاهب إلى رفاقي إلى الثورة إلى /غينيا بيساو/ ماذا حدث وما العمل؟ ماذا أحكي وماذا أكتب؟ أحد عشر يوماً وانا في المنتجع؟ ماذا اسمي هذه الزنزانة هل هي سجن أم مكان لتخزين البشر؟ هنا يتغوطون وهم واقفون! لا ماء ولا ورق!!

في أحسن الأحوال يمسحون بالقميص ويحتفظون به للمرة القادمة. لعن الله الثورة والثوريين وهذه الدنيا. ولم أفكّر بأحد، ولم أفكر الا بنفسي. وأردت فقط لقاء وجه ربي. أحد عشر يوماً ليلاً

ونهاراً. كل /٢٤/ ساعة يُفتح الباب ويقوم أحد النزلاء من فندق الخمس نجوم، بتنظيف القاذورات وبراز الأفاضل المساجين. والله لم أجد عدلاً الا في هذا المنتجع، فمنتجعي هذا سكانه نظاميون. فكل يومٍ يقوم أحد النزلاء بتنظيف /السويت/. وعندما جاء دوري دفعت عشرين دولاراً إلى الحارس، وعشرة دولارات إلى أحدهم ليقوم بالتنظيف بدلاً عني. ثم قلت للحارس أريد ماء. ومددت يدي بعشر دولارات أخرى، فزمجر الحارس يريد الدولارات قبل الماء. قلت له:

- لا.. الماء أولاً ثم النقود.

ودفعني إلى الداخل وأغلق الباب.

قلت له بالعربية:

- إلى جهنم.. «الله يلعن أبوك وابو يلي جابني لهون».

ومرّت ساعات وربما سنون، هكذا احسستها. الثانية بشهر والدقيقة بسنة. وفُتح الباب وظهر الحارس وهو يحمل دلواً من الماء. وتساءلتُ: ما هذا ماء أم؟. ومد يده يريد الدولارات.

- تفضّل يا سيدنا.

كلامي كله بالعربية. وعلى فكرة في /غينيا/ يتكلمون لهجات كثيرة أما الرسمية فهي الفرنسية. وكان أكثر كلامي بالاشارات والشتائم باللغة العربية. والله إن الأيام التي قضيتها كانت صعبة ومخيفة، وكِلتُ فيها من الشتائم ما كلته طوال عمري كله. بعد تنظيف نفسي نظّفت مكان جلوسي وأنا ازمّجر وألعن غينيا من

/أحمد سكوتوري/[1] إلى الحارس، وإلى كل من نادى بالحرية والثورية، هكذا كانت تمر أيامي. لقد دفعت دولارات كثيرة رشوة للحارس ورفاقه وإلى بعض النزلاء الذين يطلبون بعض الخدمات والسجائر.

كنت ادفع لهم لينظّفوا الأرض بدلاً عني، وان يتغوطوا في الجردل الذي أحضره الحارس. هكذا كنت أمضي أيامي في المنتجع.

ولم تصل برقية مني إلى زوجتي، يوم يومان. ثلاثة، أين الرجال؟ هل ضاع الزوج؟

واتصلت زوجتي بصديقي واستاذي /خالد الغزي/ رحمه الله، وأخبرته أنني لم أتصل بها. وكان المرحوم يعمل كرئيس لقسم الرموز في وزارة الخارجية وهو رجل صادق. وفي اللحظة نفسها اتصل بسفارتنا في القاهرة وطلب من أحد اصدقائه في السفارة السورية، الاتصال بالجمعية الافريقية ومقرها في حي الزمالك، وفي هذه الجمعية توجد مكاتب حركات التحرير الافريقية. ومرّ يومان دون إجابة.

وذهبت زوجتي إلى شركة الخطوط المصرية واستعلمت عني وفي المساء جاءتها الاجابة عن طريق الخطوط المصرية: إن زوجك أخذ الطائرة من مطار القاهرة إلى /كوناكري/ ورقم الرحلة كذا وقامت الطائرة ساعة كذا. والطائرة وصلت إلى /كوناكري/ وهو عليها. وقالت زوجتي لنفسها:

---

(١) رئيس جمهورية غينيا.

أحمد إذن في /كوناكري/ أين اختفى؟ وهو على غير عادته. وبدأت الاتصالات والبحث عن سيادتي، وأنا أعيش في /الجنة/ مرتاحاً مبسوطاً.

واستغرقت عملية البحث هذه عشر ليال ونصف نهار. وجاء الفرج وفُتحت الأبواب وابتسم الحارس وأخذ التحية. كان بعض المدنيين واقفين مع الحارس وقال أحدهم:

ـ الأخ أبو سعدة.

قالها بالعربية:

ـ نعم سيادتي أبو سعدة.

ـ استغفر الله.. استغفر الله نحن آسفون جداً.

ـ على أي شيء آسفون أيها الثوار؟

ـ لنخرج من هنا ونصحّح ما حصل. وباسمنا وباسم الثورة نعتذر، حصل خطأ. إن البرقية التي جاءت من مكتبنا في القاهرة، لم تصلنا الا بعد أيام من وجودك هنا. وإن الخلل الذي حصل نعتذر عنه، وسنخبرك عنه، ونحن آسفون جداً.

ـ إلى أين ذاهبون الان؟

ـ إلى المدينة إلى داخل كوناكري.

ـ لا أريد منكم، لا مدينة ولا غيرها. اريد العودة إلى بلدي! هذا ما أريده فقط!

وبعد الرجاء والكلام، عن الأزهر والكعبة. كان صاحبنا المتكلم ويُدعى /علي/ هذا هو خريج جامعة الازهر. ذهبتُ معهم، ورميت

ملابسي، وكان أطول حمام في حياتي. وعاد رفاقي وذهبنا للعشاء. ولم اسمع منهم الا الأسف وسألتهم:

ـ لماذا فعلتم بي هكذا؟. ماذا فعلت أنا لهذا البلد؟ ماذا فعلت لسيكوتوري؟

ـ يا أخي أحمد، أرجوك أن تهدأ وتصبر، إن الله مع الصابرين إذا صبروا. لقد حصل في البلد انقلاب قبل مدة وقد فشل واشترك في هذا الانقلاب، بعض اللبنانيين ومن هؤلاء شخص من عائلة أبو سعدة وهو تاجر كبير. وهو دفع مالاً كثيراً ضد رئيس الجمهورية /أحمد سكوتوري/ وهذا ما حدث.

ـ أنت مجنون يا بكر كان هو من يخاطبني. أما بقية الرفاق وعددهم يزيد عن العشرة ينظرون إليّ، ينظرون إليّ نظرة واحدة فلم أفهم من وجوههم شيئاً. أريد العودة، هكذا وببساطة حدث التباس والأحد عشر عاماً ونصف، وهذه السنون كانت أياماً. أين ذهبتْ هذه الأيام وهذا العذاب. الحمد لله أننا موجودون هنا هذا ما قاله لي الرفيق بكر:

ـ اسمعوا! أريد العودة!

وفكرت أن أذهب إلى سفارتنا لكن ذاكرتي اسعفتني. فليس لدينا سفارة في /كوناكري/ في حينها. هذا الفلم الدرامي الكوميدي لا يمكن نسيانه، كيف أنسى هذه المأساة؟ وكيف أنسى الإنسان الذي يتغوط وهو واقف؟ نعم رأيت هذا (الإنسان) في منتجعي طيلة المدة التي عشتها، لله در الديمقراطية وما أجمل الحرية بعد العذاب.

باب المندب

ورجعت إلى بلدي، ولكن بعد فترة عدت إلى /كوناكري/، ومنها إلى /غينيا بيساو/ ألست ثائراً أقف بآله التصوير والبندقية والقلم وإلى جانب كل من يطالب بالحرية؟.

وأفيق على صوت أحمد جاسر يقول:

- جاهز يا أبو سعدة للسفر!

- نعم جاهز يا سيدي على بركة الله!

ومرت السيارة في شوارع /عدن/ من شارع إلى آخر، من التواهي إلى /خور مكسر/ إلى /الشيخ عثمان/ وغاصت الشمس في البحر وأنا سأغوص في المجهول إلى ارتريا الساحل. نعم.. جميل أن يعيش الإنسان المجهول في الواقع. وغطس قرص الشمس الاحمر في المحيط الهندي، ليشرق على المحيط الاطلسي. نقطة النهاية تتصل بنقطة البداية. اليوم غربت الشمس ولابد أن يكون قد غرب معها كثيرون في هذه الحياة، فمتى يأتي غروبي؟ الله وحده يعلم. لماذا كل هذا التشاؤم والخوف؟ إني أرى اخوتي اليمنيين، على شاطئ البحر. منهم من كان وحيداً ومنهم من كان مع رفيقته يؤانسها أو مع عائلته. هل يحسّون بالغربة كما أحس بها؟ لماذا هذا الاحساس الخاطئ؟ انني في اليمن /انني في بلد عربي/ لماذا الخوف؟ وأيضاً أنا ذاهب إلى أرض عربية. أليست ارتريا بلداً عربياً؟ نحن في سورية ندرّس أولادنا وضمن المنهاج الدراسي نقول: إن /ارتريا/

عربية. وأنا مع بلدي وتوجّهات بلدي. شيء من البهجة شعرت به: الحمد لله أنا لست في /سايغون/، أنا في /عدن/، لست في /فيتنام/ ولا في /دانانغ/، أنا في خليج العرب. عندما كنت في /دانانغ/، كنت أعمل من أجل كسب الرزق، أما هنا فأعمل من أجل حرية الإنسان الارتري. هناك في /هايفونغ/ كنت أتحمل الحرارة زائد الرطوبة العالية التي تصل إلى ١٤٠٪ كنت أرى وجوه الفيتناميين تدلّ على الألم، وكثيراً ما أرى خطين أسودين ينحدران من عيون الأطفال خطين أسودين يمتدان من العيون إلى أسفل الذقن.

وهذه الخطوط السوداء على الوجوه رجالاً ونساء وأطفالاً؟ هذه الخطوط السوداء هي نتيجة البكاء والجوع والحرمان والقتل. كم رأيت وكم صوّرت هذه الوجوه الجميلة، ذات الملمس الحريري، وهي تدمع. ويبكي القلب بصمت.

هل بكى قلب أحدنا بصمت. كان قلبي يبكي بصمت. هذه الدنيا عجيبة والاعجب من العجب ظلم، الانسان للانسان. الامريكي يظلم الفيتنامي، والاثيوبي يظلم الارتري، ونحن العرب تظلمنا دول العالم الاستعمارية كلها، ثم نقوم بظلم بعضنا بعضاً.

ان صاحب العدالة في بداية الاسلام /عمر بن الخطاب/ كان له خطان اسودان من عينيه إلى ذقنه، وكان هذان الخطان خوفاً من الله عز وجل، خوفاً من أن يكون الفاروق قد ظلم أحداً، فكيف له أن يواجه الله؟ فقد يكون قد أخطأ أو ظلم أحداً. أما خطوط أطفال الفيتنام

فمختلفة. انهم يظلمون ـ تُقتل أمهاتهم أمامهم. ويقتلون أمام أمهاتهم. تحرق قراهم كما شاهدت وصوّرت في الفيتنام. أطفال دون أطفال. مقطّعة أوصالهم الروحية ما أصعب الوحدة وما أصعب الفراق! والاصعب من هذا وذاك أن تكون غريباً في وطنك؟

هكذا كنت أرى الفيتناميين الجنوبيين يعاملون من القوى الغريبة، ذات «الديمقراطية الكافية» فانا لا أنسَ كيف أمنت الشركة التي أعمل بها عليّ بمبلغ بسيط لا يذكر على أي بند حساب. أما الغربي فالتأمين على حياته يعادل ١٠٠ انسان عربي. كانوا ينسبون أعمالي إلى غيري، وأنا ساكت وعندما أحتج وأقول لهم: أنا أعرّض حياتي للخطر من أجل الحصول على مشاهد حية قوية ومؤثرة فكيف تنسبونها إلى غيري؟ وكان الجواب يأتيني بهذا الشكل.

ـ صحيح أنك شجاع ومصوّر سينمائي قدير، لكننا هكذا نريد. إذا أحببت أن تستمر هكذا، فاستمر وإلا فأنت حر.

وكنت أسكتُ وأشكو امري إلى الله. وإني أريد العيش. وأريد أن يكون لي بيت، وأريد أن أعلم أولادي فما العمل؟ العمل هو السكوت. وإلى متى سوف اسكت؟ هل أنا جبان كلما صمتُّ. أم ماذا؟!!

اذن كل غربي يساوي عدداً من العرب، أليست أموالهم هي أموالنا من منتجاتنا و.. إني كنت من الأوائل في العمل، كنت معروفاً بشجاعتي وإقدامي، كنت لا أخشى الخوف واحب مهنتي. أنا أعرف لماذا سمحوا لي بالعمل، لاني كنت متميّزاً عنهم، وبفارق كبير في العمل. سافرت من

بلدي وأنا أحمل آلة تصوير فوتوغرافية نوع /كييف/ ثمنها كان /٤٠٠/ ل.س وبطاقة طائرتي كانت ذهاباً فقط. وقبلت أن أعود وأعمل مصوّراً فوتوغرافياً، بعد أن تركت التصوير الفوتوغرافي أعواماً طويلة. بعد أن أصبحت مصوّراً سينمائياً بل مديراً للتصوير ومخرجاً سينمائياً. ونتيجة لجهودي في العمل الذي كنت أقوم به عدت إلى التصوير السينمائي وأصبحت لي مجموعة فنية خاصة بي، أو كما يسمّونه /الصطاف/[1].

ان حياتي أصبحت كلها سكوت. في يوم من الأيام عدت إلى بلدي، وقدّمت صوراً عن حدث هام في افريقيا، إلى مدير احدى الصحف في بلدي. قال لي مدير الجريدة: (هذه الصور لا تصلح للنشر) فطار صوابي فذهبت واعطيتها إلى جريدة /الهيرالدتربيون/ فنشرتها في الصفحة الأولى، وذكرتْ بأن مصورها أبو سعدة ومن سورية. اذن عليّ أن أسكت لاني لست غريباً (كما أن زمار الحي لا يطرب) وعندما رفضتُ السكوت وطالبتُ بحقي عدتُ إلى بلدي. والحمد لله وشكرا لاجدادنا وآبائنا وإلى شهدائنا الذين اعطونا الاستقلال والحرية.

قال لي أحمد جاسر:

ـ تفضّل يا أبو سعدة.. هذا هو مركبك الذي سيقلك إلى ارتريا عبر البحر الأحمر.

وجدت نفسي عند زورق قديم بال له محرك وشراع. ولون الشراع أسود من الوسخ، رأيت هذا على ضوء المصباح. أنزلت عفشي وكان قليلاً، معدات التصوير وبعض الملابس الخفيفة. وسألته:

---

(١) Staff.

ـ كيف سينقلنا هذا السنبوك بحالته هذه؟

وصعدت السنبوك. وتعرّفت على قائده /عثمان/. هذا هو اسمه، وعلى الحارسين / محمود وعبد الوهاب/ أما مساعد /عثمان/ فكان اسمه /شحيم/ ثم شاب آخر يدعى /موسى/ وهذا يعمل كل شيء من قيادة الزورق إلى الطعام.

وتحرك «الطائر الميمون»، تحرك السنبوك إلى أعماق البحر الأحمر، كل شيء كان في الظلام الا الأنوار القادمة من بعيد. صوت الماء وارتطامه بالزورق. يبعث الرهبة في النفس. ونحن إلى أين؟ إلى جنوب الساحل الارتري. ما شاء الله. مرت الثواني والدقائق والخوف يسيّطر عليّ. فنحن لا نملك من وسائل الدفاع غير هاتين البندقيتين، وهما من نوع /كلاشنكوف/، كل بندقية لها مخزن فقط، أعني في أحسن الأحوال نملك ستين طلقة فقط، وبعدها تصبح هذه البنادق كالعصا.

ـ يا محمود.. لو هاجمنا الاثيوبيون ماذا تفعل هاتان البندقيتان؟

وردّ ضاحكاً:

ـ كويس..

ـ «شوهاد الكويس يا محمود..»؟.

أجابني الحارس:

ـ عندما يهاجموننا سوف نتصرف.

وسألت نفسي (كيف سيتصرفون بهذه الطلقات القليلة أم بهذا السنبوك الذي يئن ويعن ويصرخ ويولول. كيف نتصرف؟

وصرخ محمود:

ـ ألا تعرف السباحة يا أبا سعدة.

ـ نعم أعرف.

ـ اذن سنسبح إذا حصل شيء.

ـ أين نسبح؟! في البحر الأحمر؟!.

ـ على كل سعرنا، بسعر بعضنا.

ـ تمام.

هكذا سمعت من /عبد الوهاب/ نعم.. ولكن هذه اللهجة لم أسمعها من قبل من الارتريين. فعلى ما يبدو أننا سنكون وليمة سهلة لاسماك القرش في البحر الأحمر.

وقال /عبد الوهاب/ هامساً:

ـ «ولك شبك خايف؟»

وضعّت يدي على رأس عبد الوهاب وقلت:

ـ بذمتك أين تعلمت هذه اللهجة؟.

ـ أهلين يا أبا سعدة.

كان /عبد الوهاب/ في سورية. واتّبع دورة عسكرية، بين /النبك وحرستا/. وازددت اطمئناناً، أكثر لأنه يعرف بلدنا سورية وخاصة أني أعرف بأن الارتريين شعب أمين، الساعة الواحدة ليلاً لانرى شيئاً، لاشيء سوى صوت الزورق وارتطامه بالمياه، وهذا الحفيف الصادر عن ارتطام الزورق بالماء.

ـ يا عثمان! . كيف ترى وتوجّه الزورق وسط هذا الظلام الدامس؟
ـ عشرون عاماً وأنا اعمل في البحر. وعلى هذا الخط . قبل الثورة. كنت اشتغل بين /عدن/ و/جده/ و/عصب ومصوع/. أنقل المواد التموينية والكهربائية وما شابه ذلك.

فقلت له: يعني كنت مهرّباً.

ـ وهل تعتبر المواد التموينية تهريباً؟

قلت له أن المهربين يجنون أموالاً طائلة وحتماً أنت غني..

وضحك وقال:

ـ ان معظم أهلي يعملون في البحر، وعندما اندلعت الثورة التحقت بها، وعملت على ايصال المؤون والذخيرة عن طريق البحر.

ـ هل أنت دنكلي يا صديقي؟

ـ نعم أنا ارتري.

ـ ألست عربياً؟

ـ نعم الكل عرب، وأنا دنكلي.

وتدخل /عبد الوهاب/ وقال:

ـ انه مناضل جسور والده قتله الاحباش قبل اندلاع الثورة لان والده كان من المسلمين المتشدّدين. ثم استهشد اخوه في الثورة.

وسألت /عثمان/:

ـ هل أنت متزوج؟

ـ نعم.. ولديّ خمسة أولاد. الكبير منهم موجود في الثورة ولم أره منذ أعوام، وقد سمعت أنه موجود في منطقة / القاش/، أما باقي أولادي فهم موجودون في /الخوخة/[1]، وهي قرية يمنية قرب /الحديدة/ في اليمن الشمالي سابقاً. وتابع حديثه قائلاً: إن بقية أولادي يتعلمون على حساب الحكومة اليمنية مثل بقية الارتريين المتواجدين في اليمن، وتوقف هنا الحديث، نتيجة ارتطام الزورق بجسم غير عادي.. وارتج الزورق بعنف، صدقوني أحسست بأن قلبي قفز من مكانه.

ولكن الزورق تابع طريقة بشكل عادي، صحيح كما يقال ان الليل ستّار فالخوف كاد يفضحني. الوقت يمر بطيئاً، وارتطامات الزورق كثيرة وكما يبدو اعتدت عليها، بعدما عرفت بان الذي، يرتطم بالزورق هو السمك الكبير. حيث أننا كنا نبحر بجانب الشاطئ وقرب الشاطئ، توجد شعب مرجانية، تكون ملعباً لهذا السمك، وزورقنا يرتطم به عندما يكون هذا السمك يمارس تمارينه.

شيء واحد لم أفهمه: (متى ينام السمك ومخلوقات البحار؟) هذا الشيء كان يدور في ذهني، وسألني /شحيم/:

ـ كيف حالك؟ اتشرب شاياً؟ واحضر لي كوبا من الشاي، جاء في وقته لان الطقس بدأ يميل إلى البرودة والهواء يزداد قوة. كنت جالساً

---

(١) منطقة تجمع للاجئين الارتريين وكانت مركزاً لانطلاق المقاتلين والسلاح إلى أرتريا.

في مقدمة الزورق، وبدأ الهواء والبرودة ينسلان إلى جسـمي. كم هـي عظيمة كأس الشاي هـذه، ووقـع المحظور وكـاد الـزورق أن ينقلب، ولابد أن سمكة كبيرة ضربت الزورق، وقعـت كـأس الشـاي مـن يـدي وتدحرجـت فـي /سـنبوكنا/ العظيـم، وسـمعت ضحـك رفـاقي. انهـم يضحكون عليّ. وكيف تدحرجت مـع كـأس الشـاي، وأنـا أحـاول أن أتمسك بشيء.

ـ لايهمك! هذه كأس شاي اخرى!

ـ كم الساعة يا أخوان؟ فأنا من شدة الظلام لا أرى شيئاً.

ـ هذه /بطارية/ لك يا أبو سعدة. وهي تعني /المصباح/.

نظرت إلى ساعتي وكانت الثانية صباحاً. لماذا لم يخبروني هم بالوقت؟

في الصباح علمت، وأدركت بـأن أصحـابي، لايملك أيّ منهـم ساعة، إلا /موسى/ وهو كان بعيـداً عنـا. إن الثـورة الارتريـة لاتعطـي راتباً، لأن المقاتل يقـاتل مـن أجـل وطنـه. فلمـاذا الراتـب؟ المنـاضل الارتري له ميزات. لايملك شيئاً سوى سلاحه، الـذي يعتـبره حياتـه. إنه يعيش على الكفاف على وجبتيّ طعام بسـيطتين، ويشـرب الشـاي ثلاث مرات في اليوم. الوقت يمر بطيئاً ثقيلاً إلا أن الهواء قـد خـف، لكن صوت الزورق بدأ يعلـو أو هـذا مـاخيّل إلـي. وعلـى هـذه الوتـيرة استمرت رحلتنا والتي امتـدّت إلـى خمس ليـالٍ، نتحـرك فـي الليـل ونرتاح في النهار وسط الخلجـان الصغيرة، أو بـالأحرى نختبـئ فـي

النهار خوفاً من عملاء اثيوبيا، وماأكثر العملاء في تلك الفترة وفي الليلة السادسة قطعنا /باب المندب/ واستغرق ليلة واحدة. قطعنا هذا الممر الذي اجتازه اجدادنا وآباؤنا إنه أصغر نقطة للوصول إلى البر الارتري، وسر ت بخيالي إلى الماضي. كنت بعيداً جداً عن الخوف. عاد الهدوء والثقة إلى نفسي بعد الليالي السابقة، وسألت (كيف وصل أجدادنا إلى هنا؟ إلى هذا الساحل الذي نقصده)؟ نعم وصل آباؤنا إلى هذا الساحل ودخلوا إلى عمق البلاد وإذا عدنا إلى التاريخ نجد أن /باب المندب/ كان أقدم الأبواب التي دخلها العرب في هجرتهم إلى افريقيا. وأجدادنا لم يطلقوا عليه هذا الاسم إلا لأنه المدخل إلى القارة السوداء. إن العرب هم أول من عرف الموانئ الواقعة على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر. /سواكن، مصوع، بربرة، مقاديشو، زنجبار، دار السلام) من أعالي تنزانيا حتى موزامبيق، جميع هذه المناطق كانت هامة للحضارة العربية الاسلامية. فقبيلة /اجعازيان/ هي أقدم من هاجر إلى الشواطئ الارترية، وهي قبيلة يمنية وكان موطنها الاصلي على الساحل بين /صنعاء وعدن/ هذه القبيلة السبأية حطت رحالها فوق هضبة ارتريا وهضبة الحبشة، وكانت تحمل معها الحضارة متمثلة باللغة المكتوبة بالاضافة إلى فنونهم ومهارتهم بالزراعة، والنحت وبناء السدود التي اشتهروا بها، وماسد /مآرب/ التاريخي إلا شاهداً على براعتهم. وتعتبر /الجئزية/ أقدم لغة سامية في /شمال شرق افريقيا/ وكان الذين يتحدثون بالجئِز يُطلق عليهم اسم /اجاعازيا/ وقد

تأثرتْ منذ القديم بحضـارة الجنـوب العربـي، ودونـت تراثهـا باللغـة واللهجة الجديـدة التـي وفـدت إليهـا مـع هـذه القبـائل وقبـل شـيوع الحروف السبئية. لم يكن للسكان أي لغة مكتوبة والجئزيـة هـي أقـدم اللغـات وأبعدهـا انتشـاراً فـي المجتمـع، إلا أن اللهجـات الحاميـة و /الكوشيه/ المحلية مالبثت أن تغلبت عليها. ومع مرور الأيام اندثـرت لتحل مكانها لغتـان جنوبيتـان أخريـان. اشـتقتا منهـا وهـي التجـري والتجرينية وباندثار الجئزية كلغة تفاهم وكتابة بقـي اسـتعمالها شـائعاً في الطقوس الدينية واللغة الأمهرية وهي لغة سامية كوشية والتجرينية تكتب حتى اليوم بالحرف السبئي.

ستة أيام نبحر في الليل ونستريح في النهار، لاشيء يزعج غير صوت الزورق، كثيراً ما كانت تصادفنا سفن كبـيرة لكنهـا بعيـدة. أمـا الزوارق الصغيرة فكانت تمر أمامنا. عندها كنـت أختبـئ حتـى لايقـال أين يمضي هـذا الأبيـض؟ ولصـالح مـن يعمـل؟ علمنـا بـأن كثـيراً مـن عمليات التهريب تتم مابين اليمـن /ارتريـا والسـعودية وجيبوتـي. كنـا نصطاد السمك ونستمتع به. إن أسماك البحر الأحمر لها نهكة خاصـة وفي صباح اليوم السادس حط بنا الزورق على الشاطئ وسألت الرفاق:

ـ أين اخواننا الثوار؟

لم أجد حولي سوى الرمل والسنبوك، وأعدت السؤال مـرة ثانيـة.. أين المقاتلين؟ إني لاأرى غير البحر والرمال، أجابني عبد الوهاب /اصبر قليلاً يا أبو سعدة. وذهب ومعه أحد الأخوان، وبقيت معنا بندقية واحدة.

تساءلت (هل تورّطت في هذه الرحلة)؟ وما عليّ سوى السكوت والانتظار. ومرت الدقائق والساعات، ونحن بالانتظار. لاشيء أسوأ من الحر ولا أعلم كم وصلت درجات الحرارة.

لكنني اعتقد أنها كانت أكثر من مائة كما خيّل إليّ، لاأستطيع أن أصف كيف كان الوضع، لكنني سأحاول (أولاً: الفراغ. رفاقي لايتكلمون إلا عندما تخاطبهم أو يخاطبونك عند الضرورة. ثانياً: لو هاجمنا الاحباش أو اللصوص والمهربون ماذا سيكون مصيرنا؟ اعتقد أن هذه المنطقة مهجورة، انتصف النهار وارتفعت درجات الحرارة، كنت أتفيأ بظل الزورق فبإنتصاف النهار لم يبق ظل ولا ما يحزنون. الزمن يمر بطيئاً قاتلاً وأنا أنظر إلى الأفق البعيد واتساءل (لماذا جئت)؟ وأقسم لنفسي (والله لن أقدم على رحلة كهذه مطلقاً) كل مرة أقول هذا الكلام ثم أعود. أين هواء البحر؟ إني اتنفس بصعوبة. جسمي توقّف عن التعرق، فقدت كل الماء من جسمي، من شدة الحرارة. طوال اليوم لم اتناول أي طعام، هكذا كان يومي الأول، على الشاطئ الارتري وفي منطقة (تدعى بوري) بعد الترقّب الطويل أقبل صاحبانا ومعهما شخص ثالث. الوقت غروب وهواء البحر بدأ يأتي بخيراته، والموج يزحف ليتجاوز الزورق ثم يعود. بدأت الحالة تتحسّن بل انفرجت من كل الجوانب. مسؤول المنطقة أتى ويُدعى /كفله/ و /عبد الوهاب/ ورفيقنا الحارس وهواء البحر بدأ يهّب علينا وأصبحت الحالة مقبولة على مضض.

الشاي كان ضيافتنا للرفيق /كفله/.

ـ كيفك يا أبا سعدة؟

قالها بلهجة عربية ركيكة.

ـ وكيف سورية ورفاقنا؟

هذه الأحاديث وماشابهها هي التـي كـانت تـدور بيننـا. وجـاء دوري بالسؤال:

ـ أين جيش التحرير.

أجاب /كفله/.

ـ قريباً ستراه.

ـ وكيف ومتى نبدأ الرحيل؟

ـ الليلة!



قوات التحرير

وكلمة الليلة تعني اليوم. بعد حوالي الساعة أعددت نفسي للرحيل وخلعت بنطالي الطويل، ولبست بنطالي القصير، مع الصندل، ووضعت جعبتي على ظهري، وباسم الله تحركنا: /كفله/ وأنا وحارسان، توكلنا، أما البقية فبقوا عند الزورق بانتظار عودتنا. وبدأنا السير على الرمال الملتهبة. ودخل الليل والهواء البارد وبدأت قدماي تغوصان في الرمل الملتهب. ومازلت نشيطاً خاصة بعد راحة سبعة أيام، مازالت همتنا عالية. وهات يارمال.. عندما تحركنا كانت الساعة الخامسة مساءً، والآن الساعة الواحدة والنصف ليلاً والمسيرة مستمرة. اخرجت الراديو وبدأت أسمع إذاعة صوت العرب وكانت نشرة الاخبار (لاشيء جديد في الوطن العربي) انتهت النشرة وبدأ القرآن الكريم ايذاناً بإنتهاء فترة الارسال. وكنا نغوص في الرمل دائماً. كان الهواء بارداً ويزيد في نشاطنا وأنا أسلّي نفسي بذكرياتي. وتوقفنا عن السير عندما بدأ قرص الشمس، يطل علينا رويداً رويداً، توقفنا وقد تبدّلت تضاريس الأرض، وجدت نفسي تحت شجرة تحمل ثمراً يشبه البرتقال عندما يكون أخضر، واستفسرت عن الثمر هذا. قالوا لي ثمرها لايفيد بشيء، وأحياناً يكون مسموماً. لايوجد مكان آخر نتفيأ به، هذا حر /دنكاليا/ وهكذا كان اليوم الأول لي في /دنكاليا/. لم أتناول أي طعام إلا الماء ولا أحس بأية شهية للطعام، ولا أريد غير الماء. وتمددت على الرمل الناعم

وبدأ الهواء يغازل وجهي بلطف ويقبّلني. إنه هواء الصباح النقي. إنه هواء /دنكاليا/ ساعة وراء ساعة مر الوقت. وأنا نائم وصحوت ووجدت جسدي مغمّساً بالعرق. وعلى لفحات الهواء الساخن المصحوب بالرمال.. (الله.. الوقت ظهراً) وأنا لاأشعر بالجوع، إلا العطش والعطش شديد. شرب الماء الذي كان فاتراً إنه مالح قليلاً.

شربت وجلست، ثم ذهبت إلى مكان منعزل لأقضي حاجة، ولم أستطع التبول. وتعبت جداً وبان على وجهي تعبي الشديد، وقلت:

ـ متى التحرك يارفاق؟ لقد نقص واحد من رفاقنا أين هو:

ـ لقد ذهب وسننتظر هنا.

ـ هل أنت مريض يا أبو سعدة.

ـ إني لاأستطيع التبول وأشعر بتعب كبير.

ـ نحن نعرف أن هذا سيحدث، وعانينا قبلك، خذ هذا! وأخرج /عبد الوهاب/ حبوباً وقال:

ـ اشربها بالشفاء يا أبا سعدة.

تناولت الحبوب وقلت له:

ـ لا يهمك.

وبعد ساعات ارتحت، وعادت الأمور إلى طبيعتها. كان سبب مرضي كثرة التعرق والعرق. كان نتيجة الحرارة.. وجلسنا نتكلم وأخبروني بأن الأخوة المناضلين قادمون:

ـ جزاكم الله خيراً. أين مناطق العمليات العسكرية؟

ـ انتظر قليلاً يا أخ أحمد.

في المساء تناولت طعاماً خفيفاً. ونمت مبكّراً وبجانبي الراديو. وأنا أفكّر بالمستقبل وسط هذه الطبيعة القاسية. ونمت على هذا المنوال. إلا أن /عبد الوهاب/ هذا الرجل العربي شكلاً وفعلاً لم ينم، وبقي في حراستي من الوحوش والثعابين الكثيرة.

في الصباح سألت عبد الوهاب.

ـ أنت تحرسني ممن يا عبد الوهاب؟ أنت تحرسني من ثعابين الطبيعة أم ثعابين البشر؟

ـ من الأثنين معاً يا أخي.

مع خيوط الصباح الأولى ومن بعيد لمحت حركة غير طبيعية. قال عبد الوهاب:

ـ إنهم المناضلون.

وماهي إلا دقائق حتى كنت بينهم، وكان عددهم أحد عشر مقاتلاً جاؤوا من بعيد ليروني وأراهم وأقوم بتصويرهم:

ـ أين جيش التحرير يا عبد الوهاب؟ أين العمليات العسكرية التي سوف أصوّرها؟

ـ والله يا أبا سعدة لم نستطع الاتصال بهم.

ـ أين بقية المقاتلين؟

ـ حسناً سنذهب إليهم.

قبل أن أكمل كلامي، تدخّل /كفله/ وقال بلهجته العربية الركيكة:

- صعب يا رفيق! إنهم بعيدون! وهذا يحتاج إلى زمن طويل.

وهنا شعرت وعلمت بأن هذا العدد هو الموجود. وللحقيقة وللتاريخ أقول:

إن هذه هي قوات التحرير الشعبية، التي رأيتها آنذاك. لم أشاهد جيشاً كما قيل لي. أحد عشر مناضلاً فقط! وأصبت بخيبة أمل. ولكن إحتراماً وتقديراً مني لهؤلاء الأخوة الثوار. قمت بالتقاط صورٍ لهم. وهذه الصور لم تعرف النور، لأنها لم تكن تعبّر عن الثوار والثورة. إنها تعبّر عن أفراد يعيشون في هذه الصحراء. ساعدهم الله وماأصعب العيش وقسوة الحياة، وعدت ادراجي ولكن بخيبة أمل، شيء من الألم والضغينة ضد قيادة مايسمى بقوات التحرير الشعبية، وما العمل الذي قمت به من حيث المساهمة في تحويل نقود /عثمان/ إلى مندوبه/ سليم الكردي في دمشق، واعطائهم إلى جبهة التحرير وكشفي المرسالة التي ارسلها /عثمان/ إلى /أحمد جاسر/ والتي تحمل تآمر كل من الأحمدين على الجبهة. كانت خطواتي هذه ضرورية. وكان يجب أن تحصل، وياحبذا لو وافق الرفاق في قيادة جبهة التحرير أن يشكلّوا قوى أمنية تحمي هذه الجبهة العظيمة. عدتُ وأنا خجل من نفسي لأن رحلتي، كانت مغامرة وليست قضية. أردت الابتعاد قليلاً عن الأحداث في ارتريا والنزاعات التي، تحدث. أردتُ الابتعاد بغية الالتفات إلى عملي (ولكن الأخ صالح اياي) الذي ربطتني به أواصر أبدية ومن كلامه المشجّع الذي يقوله (يجب أن أتابع وخاصة أنني أصبحت واحداً من الشعب الارتيري الطيب.

أبطال الثورة وأبطال الأفلام

وتمر الأيام والشهور. لأجد نفسي أجلس مع ـ المناضل عثمان سبى والذي قال لي:

ـ ألا تريد أن تعمل لنا فلماً سينمائياً؟ ألسنا أصدقاء.

ـ والله ياعثمان أنا جاهز. ألديكم قوات ياعثمان؟ أم سأذهب وأعود بخفي حنين كالسابق.

ضحك وقال:

ـ لا.. لا.. تفاءل يا أبو سعدة.

ـ من أين التفاؤل ياعثمان؟

كان رجلاً عربياً، مخلصاً لوطنه وقضيته، رجل يتحرك في كل الاتجاهات، ويعمل ليل نهار، إلا أن حبه وشهوته للسلطة كانت كبيرة.

ـ إذن ستعمل لنا فلما.

ـ نعم أنا جاهز..

واتفقنا فوراً. وقال لي:

ـ اذهب إلى بيروت، وقابل ابراهيم منتاي. وأنا سوف اتصل به الليلة، وسوف ينتظرك ويدفع لك التكاليف الأولية، لهذا الفلم. ثم نلتقي بعدها.

وهكذا وبكل بساطة تم اتفاقنا. مع السلامة يا عثمان.

وباتفاقي مع عثمان سبي طار صواب صالح أياي وقال:

ـ أهكذا تقبل أن تعمل مع عثمان وبكل بساطة؟

سألته:

ـ أليس من حقي يا صالح أن أرى كافة جوانب وفصائل الثورة؟

واحتّد صالح كثيراً وقال:

ـ إن عثمان وشلته يفعلون كذا وكذا.. وأرجوك ألا تذهب أو تفشل رحلتك كما فعلنا سابقاً.

أجبته:

ـ لا أريد أن أكرر، ما حدث سابقاً. أرجوك أن تفهمني.

وألحّ عليّ صالح وقال:

ـ إن عثمان يعمل ضد الجبهة، ولقد سمعت من إخوانك المناضلين عنه، وذهبت إلى عدن، ومنها إلى ارتريا فماذا وجدت؟ أحد عشر مناضلاً! إني استحلفك بدماء الشعب الارتري، أن تقف مع نفسك، وترى الصواب. ثم مارأيك أن تقوم بتصوير فلم، عن الجبهة بإمكانيات عثمان، فتذهب إلى أصدقائك في الجبهة. أما عثمان فليذهب إلى جهنم!

ـ أعطني وقتاً للتفكير.

والحقيقة لم أكن مؤمناً بقوات التحرير الشعبية، وكانت تجربتي معها في دنكاليا صفراً، ولا أريد أن أكرّر التجربة.

واتخذت قراراً في نفسي، وذهبت إلى بيروت والتقيت، بصالح اياي هناك، كما اتفقنا. وفي اليوم ذاته غادرت بيروت، ومنها إلى السودان.

وفي بيروت سألني /إبراهيم منتاي/: مندوب قوات التحرير الشعبية:

- ماذا تريد كلفة أولى للفلم؟
- سبعة آلاف ليرة لبنانية.

ذهبت مع /ابراهيم/ إلى، صرّاف في ساحة /البرج/ ببيروت، واسمه /صدقي/ واستلمت المبلغ، وانطلقت في سبيلي. والحقيقة تقال إن /ابراهيم منتاي/ يُعتبر اليد اليمنى، لعثمان صالح سبي، وكان ابراهيم يعتبر عثمان زعيماً، وهو المناضل والقائد للثورة الارتيرية. وبغض النظر عن صحة هذا أو عدمه فإني أقول:

إن ابراهيم بقي أميناً ووفياً، للمرحوم عثمان صالح سبي. كان صالح أياي ينتظرني في فندقه بوادي /أبو جميل/ ببيروت، وأطلعته على ماتم بيني وبين ابراهيم. وأخذ مني مبلغ /٤٠٠٠/ ليرة لبنانية. وأبقى لي /٣٠٠٠/ ليرة وودعَني وانصرف. أما انا فقد صرفْت ما تبقَى معي إلى دولارات، والعجيب أن الألفين اللبنانية كانت /٩٥٠/ دولاراً في حينها، أما الآن فالحصول على /٩٥٠/ دولار تحتاج إلى مئات الآلاف من الليرات اللبنانية.

وفي المساء غادرت بيروت، متجّهاً إلى الخرطوم، وأنا غير نادم على ما فعلته. إنني بجانب جبهة تحرير ارتريا أي بجانب الشعب الارتري. وهذا ما كان.

وفي الخرطوم استقبلني المناضل /محمد سعيد ناود/ وانزلني في فندق /صحارى/ في الشارع الفرنجي.

كان الأخ /محمد سعيد ناود/، انساناً طيباً، وله تاريخ طويل في الحركة الوطنية، فهو من المؤسّسين لحركة تحرير ارتريا. كان صديقاً /لعثمان سبي/ وهذا يتكّل عليه كثيراً، وأثناء تلك الفترة بدأت قوات التحرير الشعبية تنمو تدريجياً وتكبر.

قال لي محمد سعيد:

ـ أهلاً وسهلاً بك، يا أخ أحمد. وفي اليوم الثاني ذهبنا إلى /المقرن/ لتناول الغذاء.. والمقرن هذا ضمن مدينة الخرطوم وعلى طريق /أم درمان/ أما لماذا سمّيت هكذا، فلأن النيلين الأزرق والأبيض يلتقيان هنا. أثناء حديثي مع محمد سعيد (عندما كنا نتناول الطعام) اكتشفت شيئاً أن هناك، مشاكل وأحداث. ضمن قوات التحرير).

ـ حبّذا لو تأخر رحلتك هذه لوقت آخر.

ـ لماذا يا محمد؟

ـ هناك أمور تنظيمية. والقوات غير مستعدة.

لم يكن هذا هو السبب الحقيقي.

سألته: إذن ما العمل يا محمد سعيد؟

ـ الأفضل أن تؤجل زيارتك.

ـ ما رأيك في أن أقوم بجولة على معسكرات اللاجئين؟

فرّحب كثيراً بالفكرة وقال:

ـ أخبرت الأخ عثمان بالهاتف، حول عملية تأجيلك للدخـول، إلى ارتريا إلى وقت آخر.

حدثت نفسي: (جاءت والله جابها).

قلت إذن سنقوم بجولة على اللاجئين، بـدلاً مـن الذهـاب إلـى ارتريا.

ـ ستقوم لوحدك بالجولة، لأن لي عملاً بالخرطوم.

في صباح اليوم التالي، ذهبنا إلى موقـف الباصـات المتجهـة، إلى مدينة كسلا، ودعنّي /الأخ ناود/ وركبـت البـاص. وانطلقـت إلـى /كسلا/، ولأول مرة سار /الباص/ وكما يقـول الأخـوة السـودانيين بـلا تراب وبلاوي.

وعند قرية /حصاحيصـا/ توقّـف البـاص، ونزلـت مـع الركّـاب لتناول طعام الفطـور، حيـث كـانت المطـاعم منتشـرة علـى الطرفيـن، وكلها مطاعم شعبية. وتشاركت مع بعض الأخـوة السـودانيين بالطعـام وطلبنا فولاً بالجبنة ثم شوربا بالعدس وكبدة. وأخيراً جاء الشاي الـذي لابد منه، وعدنا إلـى البـاص وكنـت اتلفـتَ يسـاراً ويمينـاً لأرى هـذه الأرض العذراء التي تقول:

ـ «ازرعوني واستفيدوا مني».

أنا لا أفهم في الزراعة لكنني اسمع منهم عندما يقولون: (أن أرض هذه المنطقة، مثل الجنة. أي أنها جيدة. إذاً لماذا لاتستفيد الدول العربية من السودان، وتصبح فيه المشاريع الزراعية.

إن مساحة السودان تساوي مليون ميل مربع. صحيح أن هناك بعض المشاريع الزراعية، لكنها صغيرة بالنسبة لمساحة السودان. ولو قارنّا الرحلة بالطائرة، أو الرحلة من دمشق إلى الخرطوم، أو إذا أردنا أن تكون متواصلة، تستغرق حوالي ثلاث ساعات. والرحلة كذلك من الخرطوم إلى /جوبا/ عاصمة الجنوب السوداني ثلاث ساعات. إذن السودان واسع، وتربته غنية، وأهله طيبون.

والطريق بين /كسلا/ والخرطوم، يستغرق /١٢/ ساعة، في السيارة في أحسن الأحوال. وأنا في الباص أفكّر ماذا سيقول لي الأخ /عثمان/ الآن؟ هل أنا الذي فشّل الرحلة أم هم؟

قال لي القائد عثمان في يوم من الأيام:

ـ يا أخ أحمد! إذا لم يلتفت العرب، إلى ارتريا بشكل جدي، فلن يكون لها الوجه العربي بعد الاستقلال؟!!

نعم. صدق عثمان في رؤيته للمستقبل. هذا هو الموجود الآن في ارتريا. لقد خسرنا ارتريا عربياً ولو إلى فترة من الزمن، قصيرة أم طويلة رحمه الله: لقد أتى من الساحل الارتري العربي، وإن قريته /حرقيقو/ التي دمرّها الاثيوبيون، وحرقوها كانت من المناطق المنظّمة

والمهمّة في الثورة. فلا عجب أن يخرج القائد عثمان من الجذور الشعبية . ليقول الحق ويعمل من أجل بلده.

كان يعمل الشهيد مدّرساً قبل أن يلتحق بالثورة. ترك التدريس وقريته والتحق بالثورة. وعندما كنا معاً في /روما/ ذات مرة وكان مستاءاً ومتضايقاً وضجراً، فقد كان يعمل ليلاً نهاراً دون ملل أو كلل. كان يقول لي:

ـ الوقت يا أحمد لايرحم، وخاصة أن فرص نجاح الثورة، بدأ يضعف لكثرة الانشقاقات.

حاولت أن أقول له:

«أنت أول من عمل الانشقاق، في الساحة الارترية، ولكن لم أقل هذا حتى لا أضيف هماً على همه».

قال عثمان: اسمع يا أبو سعدة:

ـ إن بروز اثيوبيا الاشتراكية، ودعم المنظومة الاشتراكية لها، وقبل هذا كان المعسكر الغربي، يدعمهما فضلاً عن اسرائيل التي، كان يصرح مسؤولوها بأن أثيوبيا الماركسية، أفضل من ارتريا العربية، ولا مجال لإعطاء البحر الأحمر إلا صفة واحدة (وهي استراتيجية) وهو موضع تفاهم وصلة بين الوصفين في غير صالح القضية الارترية.

هذا ماقاله لي /عثمان/ في كل مكان التقيت به. كان يحب سوريا كثيراً وسألته:

ـ لماذا تحب سورية؟

واجابني على الفور:

ـ لأن سورية هي أول، من وقفتْ مع الثورة، وأعطتها السلاح والخيرات.

لن أنسى المناضل /عثمان/ الذي ذهب في وقت مبكر. ولي شكوك في موته. كان واثقاً من النصر والاستقلال.

وكان يقول:

ـ الاستقلال قادم لا محالة، وإن تأخّر.

لكنّه كان خائفاً من الانحراف، كما كان يقول دائماً وكما أسلفتُ وذكرتُ.. وفي جلسة في /روما/ ضمتني مع عثمان، وكان بصحبته /عمر برج/ و /طه محمد نور/ قال عثمان:

ـ اذهبا فأنا أريد أن أتمشى مع «أبو سعدة». وأضاف ضاحكاً: «ربما يريد أن يدبر لنا مقلباً جديداً».

كان عثمان صاحب نكتة، ويحب النكات كثيراً، وعندما يلتقي بي يسألني:

ـ هل تحمل نكات جديد يا أبا سعدة؟

تمشّيت وعثمان حتى وصلنا، إلى شارع /بربريني/ ذي الأضواء الساطعة، والمقاهي المنتشرة على جانبيه، والمحلات تعرض أحدث «الموضات»، وإعلانات شركات الطيران، والحسناوات صاحبات الشعر الوردي، و /النيكرو/.

باختصار إن /بربريني/ هي /روما/ الصغيرة، هو شارع كل ماتريد. دخلنا إلى فندق /الاكسلسيور/ صاحب النجوم الكثيرة، هذه هي المرة الأولى، التي أدخل فيها هذا الفندق، والمعروف في ايطاليا والعالم بعراقته وجماله.

جلسنا في ركن منعزل وطلبنا /الكابتشينو/ وتحدثنا، أحسست من حديث عثمان، بأنه كان يثق بي ثقة تامة على الرغم من كل مافعلته معه.

وسألته:

ـ يا عثمان.. ألا تسألني عن الأسباب التي، دعتني للانحياز إلى جبهة التحرير! ألا تسألني عن الأموال التي أخذتها منك، وأعطيتها إلى الجبهة، بشكل مباشر أو غير مباشر.

ضحك وسأل:

ـ أين ذهبت هذه النقود؟ إنما ذهبت إلى الارتريين، إنها ليست في جيبك.

وسألني عثمان بألم لماذا، لاتقف الدول العربية منا، بوضوح وجدية أكثر، باستثناء سورية والعراق؟ من المستحيل أن تتركنا الدول الغربية والشرقية لحالنا، وهي التي تعطي لنفسها، أسماء كثيرة كالديمقراطية والملكية الدستورية والاشتراكية، وغيرها. ونحن العرب ننسى ماتفعله بنا هذه الدول.

ثم تابع طرح أسئلته:

من خلق ودعم اسرائيل؟ أليست هذه الدول الاستعمارية؟ نحن العرب ننسى بسرعة. صحيح أن رب العالمين، أعطانا القدرة على النسيان. لكن وكيف ننسى أجزاء عربية طُمست هويتها؟

والسؤال الكبير أين فلسطين؟ واليوم هناك، توجّه امبريالي لطمس ثقافة ارتريا، فضلاً عن استعمارها، فكيف لنا أن نرضى وأن نقبل بهذا الوضع؟ الواقع الأليم؟ إن البحر الأحمر يجب، أن يبقى بحراً عربياً نظيفاً، إن كل الدول العربية، تطل عليه وأقل، شيء ممكن فعله، هو الحفاظ على عروبته. على الدول العربية أن تدعم ارتريا وتحافظ على ثقافتها، خوفاً من المستقبل.

وأردت أن أقول شيئاً لكنه استمر في الكلام.

ـ إنني أؤكد لك دون العودة إلى تاريخنا وأمتنا، فلن نكون شيئاً، ودون وحدة العرب ودعمها لارتريا، فسوف يخسر العرب ارتريا.

كان هذا هو كلامه قبل /٢٠/ عاماً تقريباً، كان ثاقب النظر واعطاه الله الحدة في التفكير والرؤية المستقبلية.

ـ أين عدالة عمر وقوته؟ أين فصاحة علي وبلاغته؟ أين سيف خالد بن الوليد؟ لنعود إلى أهلنا، إلى أمتنا، إلى أمجادنا، إلى صوت ينطلق باللغة العربية، فلنسمع العالم لغتنا!

إن الوحدة العربية هي الأمل في بقائنا. وبقاؤنا في هذا الكون الذي نقطنه والذي نشكّل فيه مساحة كبيرة. وإذا عدنا ونظرنا إلى

المعادلة التي أعدت وتعد لنا نستخلص، منها عبراً لها معنى ومدلول ولا مجال للشك أو الطعن فيها الا وهي طمسنا وإلى الأبد؟!

اسمع يا أبا سعدة:

ارفع يدك وقل رقم واحد. إن اثيوبيا الماضي والحاضر لاتستطيع، إلا أن تتخيّل نفسها في وسط بحر عربي عدواني من وجهة نظرها، كما عبّر عن هذه النظرية (الملك منيليك) وهيلا سلاسي ومنغستو هيلا مريام.

الملك (فسليك) قال عن العرب أنهم يشكلون بحراً وثنياً. هيلا سيلاسي قال بحراً إسلامياً، وهو أمهري القومية، ومغنيستو قال بحر رجعي، وهو أمهري أيضاً.

بعد كلام /عثمان/ بحوالي /٢٠/ سنة تقريباً، حضرت ليلة الاستقلال في العاصمة /اسمرا/ الارترية. تكلم ملس الزيناوي رئيس الوزراء الاثيوبي، وهو يقف مخاطباً الجمهور باللغة التجرينية، ليشعرهم بأنه واياهم يد واحدة (وأراد أن يفهم العالم والموجودين وكان على رأس الموجودين رئيس الدولة /اسياس افورقي/ بأنهم روحاً واحدة وإن اختلفت الأنظمة في كلا البلدين. لماذا لم يخاطبهم باللغة الأمهرية؟.

كان يريد أن يشعرهم بأنهم امتداد لبعضهم.

عودة إلى حديث عثمان سبي الذي كان يتساءل:

ـ ألسنا نحن العرب، من مسلمين ومسيحيين. نجلس على أرجوحة واحدة، يدفعونها كيفما شاؤوا؟ إن الدول العربية والاسلامية

هي دول شقيقة لماذا يقدم الغرب إلى /اسياس/، هذا الدعم الكبير والمتواصل؟

كثيراً: ما أخاف من المستقبل. يا أبا سعدة هناك أشياء غير واضحة في المستقبل المنظور.

ـ مثل ماذا يا عثمان؟

ـ أجبتك وفي أكثر من مناسبة، وأعيدها لأني أخاف على انتمائنا، أخاف على ثقافتنا، لقد حضرني يا أبو سعدة ما أقوله لك: لو دخلنا قليلاً إلى التاريخ لوجدنا الحقد والكراهية ضد العرب والمسلمين، فالامبراطور الاثيوبي /يوهنس الرابع/ وفور توليه العرش دعا أعضاء قيادته للاجتماع، واتخذ قرارات بشأن العرب والمسلمين. ثم أصدر الامبراطور قراراً بالانتقام والكراهية، وقد جاء هذا القرار كمايلي: توحيد الدين في اثيوبيا بالإكراه وبحد السيف. ثم بعد أيام صدر مرسوم آخر، يجبر المسلمين على الحرب، أو الجلاء عن أوطانهم، أو اعتناق المسيحية خلال ثلاثة أشهر. فأرغم مايزيد على /٥٠٠/ ألف من المسلمين على التنصّر. لكن تنصّرهم كان ظاهرياً، أما في باطنهم فكانوا محافظين على عقيدتهم وهرب الآلاف منهم إلى السودان. ثم إن هيلاسلاسي أصدر قراراً ضد الشخصيات الاسلامية ووضعهم في قوائم سوداء ومنعهم من السفر خارج البلاد. وأذكر لك على سبيل المثال /ابراهيم مختار/ مفتي ارتيريا و /محمد أمان/ والشيخ

سيد محمد صالح هذان الشيخان ساهما في ترجمة القرآن الكريم، إلى اللغة الأمهرية. وتابع المرحوم /عثمان/ قائلاً:

ـ عودة أخرى للوراء. أرسلت الملكة هيلانه، والدة الامبراطور لينا دنقل امبراطور الحبشة إلى عمانويل، ملك البرتغال /سنة ١٥٠٠/ ميلادي رسالة تقول فيها:

«السلام على عمانويل سيد البحر وقاهر المسلمين الكفرة. لقد وصل إلى مسامعنا، أن سلطان مصر، جهّز جيشاً كبيراً لضربكم. نحن على استعداد لمقاومة الكفرة، وذلك بارسال أكبر عدد، من جنودنا إلى البحر الأحمر ومكة وباب المندب. وإذا اردتم أن نسير إلى جدة أو الطور لنقوم بواجبنا الديني، ونقضي قضاء تاماً على جرثومة الكفرة، وأن الوقت حان، لتحقيق النبوءة القائلة، بظهور ملك مسيحي، يستطيع أن يبدّد الأمم الاسلامية المتعجرفة والمتبربرة، ونحن على استعدادا للالتحاق معكم.

قطع حديثه، وسألني عثمان بعد هذا الكلام:

ـ ألا يقرأ العرب التاريخ؟

ـ كيف يا عثمان؟ الآن أريد كأساً من الشراب.

ـ قدحاً أم كأساً.

ـ /أخير/ لك أن تشرب عصيراً وهذا أفضل.

أحسست بأنه لايريدني، أن أشرب شيئاً غير العصير.

قلت له:

ـ حسناً! كأس من العصير الطبيعي.

ـ وأنا سأشرب معك.

وبدأنا نرشف البرتقال:

وعاد عثمان وقال:

ـ إن فكرة ضرب العرب، والمسلمين قديمة حديثة. وستبقى ماثلة أبد الدهر، إلا إذا اتحدّنا كلنا. إن هذه التحالفات ضدنا ليست حديثة. وقد كانت أول فكرة، في منطقتنا لضربنا /هي التحالف الأوروبي الحبشي سنة ٦١٩ هجري ١٢٢٢ ميلادي كان هذا التحالف بعد فشل حملة الفرنجة (الصليبية) الخامسة على دمياط: فملك الحبشة /داوود بن يوسف أرعد/ ١٣٩٠ ـ ١٤١١/ قام بشن هجوم على حدود مصر حتى بلغ أسوان وإن ملك الحبشة /١٧٠٤/ أرسل رسالة وقحة ولئيمة، إلى الباشا العثماني في مصر وهدّده وتوعّده وقال له:

ـ «إننا سوف نعاقبكم بقطع النيل، عنكم ونترككم موتى عطاشا. ألم يجعل الله منابع النيل في بلدنا؟ إذن نحن نعمل الضرورة وسوف نفعل بكم مانريده».

غريبٌ حقد الاثيوبيين علينا، إنه قديم وفي سنة /٧٥٠/ هجري وعندما كانت الحرب مشتعلة بين المسلمين والحبشة، وعندما انتصر هؤلاء الاحباش، قاموا بتخريب المساجد، وبنوا مكانها الكنائس. فقتلوا المسلمين وشردوهم.

ألا يقرأ العرب التاريخ ماذا فعلنا نحن بالحروب (الصليبية) التي استمرت /١٩٦/ سنة؟

إن صلاح الدين الايوبي وامتثالاً لمبادئ الاسلام، منح المسيحيين حقوقاً، وامتيازات ممثلة في كنيسة القيامة، وكنيسة المهد في بيت لحم، ودير الاحباش في بيت المقدس قرب كنيسة القيامة.

هذه هي المعاملة الطيبة التي، عامل بها القادة المسلمون الاحباش بعد تحرير بيت المقدس /١١٨٧/.

لقد استجاب صلاح الدين الايوبي لرجاء ملك الحبشة بالحفاظ على معبد اكتشاف الصليب في كنيسة الصليب في بيت لحم للاحباش: وإن الدير الحبشي المعروف بدير السلطان يعّبر عن التسامح الاسلامي، وحرية الاديان. وقد سمي الدير بهذا الاسم نسبة إلى السلطان البطل /صلاح الدين الايوبي/ تخليداً لشهامته الإسلامية.

ـ ألم تتعب يا عثمان بعد؟

ـ الليل مازال في أوله. وتابع حديثه قائلاً:

إنك تعرف أن المسيحية دخلت إلى الحبشة عن طريق قسيس سوري يدعى /فريمنتوس/ قبل منتصف القرن الرابع الميلادي.

هذا القسيس سوري ومن قرية معلولا.

قاطعت عثمان وسألته:

ـ هل زرت معلولا يا أبو عفان؟

ـ مرات عديدة زرتهـا، وفـي كـل مـرة أتـأمل آثـار هـذه البلـدة، وأتساءل كيف جاء هذا القسيس من هنـا إلـى الحبشـة؟ أقـول مـا أعظـم الإيمان. وبالإيمان تصل دعوة الإنسان في هذا العالم. أنت تعرف يـا أبـا سـعدة أن أول كنيسـة، قـامت فـي الحبشـة، هـي كنيسـة بيـت مريـم وأُحرقت مرتين عبر التاريخ، إلا أنها مازالت باقية. وإن لمن المسـتغرب إن الغرب واسرائيل يمدان /اسياس/ بالنقود والخبراء والتموين، أما نحن فإن اشقاءنا العـرب لايعطوننـا، إلا الفتـات. لقـد تمـاديتُ فـي حديثـي وأرجوك أن تحتفظ بهذا الكلام الآن وفي المستقبل.

إن الافكار تتداخل، لكن هناك تطابقاً فيمـا أريـد أن أروي لكـم هذه الرواية. بعد سنوات التقيت مع عثمان في جدة، وكـان معنـا الأخ صالح أياي. اتفقنا أنا وعثمان وصالح أن نلتقي في مدينـة كسـلا. بعـد اسبوعين وأنا أسـافر إلـى دمشـق وهـم يسـافرون إلـى إحـدى الاقطـار العربية، وهناك يقبضون التبرع السـنوي المقـرر لجبهـة التحريـر وهـو عبارة عن مليون دولار. ومضى الاسبوعان اتصل بي الأخ عثمان من هذه الدولة وقال لي:

ـ لم نقبض حتى الآن، ونحن منتظـرون: لاتتحـرّك مـن دمشـق قبل أن نخبرك.

ومرّت الأيام وتلتها الاسابيع والشهور، وأنـا فـي دمشـق انتظـر وهم ينتظرون المبلغ. كنت اتصل بهم هاتفياً كل فترة وكنت أسألهم:

ـ ماذا تفعلون؟ لماذا تأخرتم إلى الآن؟ لقد تشاجرت مع صالح أياي على الهاتف وحين قلت له ماذا تفعلون لغاية الآن؟ أهكذا اتفقنا؟

ـ إننا نلعب!

وأقفل الهاتف. بعد أيام اتصل عثمان، واعتقدت أن الموضوع قد انتهى، لكنني فوجئت بكلامه.

ـ لم نقبّض حتى الآن، أرجوك قدّر وضعنا.

استمرت هذه الحالة ثلاثة أشهر، وهم يترقبون الفرج، وأزفّت الساعة. وسلموهم الشك بمبلغ قدره /مليون/ دولار. ولكن الذي سلّمهم الشك قال لهم:

اعطوني شيئاً، وحدّد لهم ماذا يريد. /٢٥/ بالمائة عمولة. وافقوا ونزلوا إلى البنك، يريدون صرف /الشك/، ليأخذوا نصيبهم ونصيب صاحبنا. قال لهم المسؤولون، في البنك عليهم الانتظار، حوالي الاسبوعين، حتى يذهب ويعود /الشك/ إلى امريكا.

وقالوا:

ـ كيف ننتظر اسبوعين وما العمل؟

ـ اذهبوا إلى صرّاف خاص وهو يدبّره لكم.

وأعطوهم اسم الصراف الخاص، وذهبوا إليه فرحين، إنه سوف يساعدهم لوجه الله، وشر البلية مايضحك. قال لهم الصراف:

ـ على رأسي وعلى عيني، أنا أريد أن أخدمكم يا أخواننا الثوار، لكنني أريد عمولة /الشيك/ وهي /١٠/ بالمائة.

ـ تريد خدمتنا ونحن ثوار و /١٠/ بالمائة؟

وقبلنا لأنه ليس في اليد حيلة، وأمرنا لله.

قبضنا المبلغ وعدنا إلى الفندق، وحجزنا بالطائرة إلى تونس، وعند مغادرتنا الفندق أتتنا فاتورة الحساب بمبلغ تساوي /١٥/ بالمائة، من قيمة /الشك/. وتساءلنا (ألسنا نحن في ضيافة البلد) لا.... هكذا التعليمات. ودفعنا الـ ١٥٪، من قيمة الشك، وغادرنا بما تبقّى معنا وهو نصف المبلغ؟

ـ الحمد لله أنا خرجنا سالمين، ألا تصلح هذه القصة أن تكون حلقة تلفزيونية؟ هكذا كان يعامل بعضهم الارتريين. الله يسامحني هل نكثت بالعهد الذي قطعته لعثمان؟ ولكنّ وعدي له حين كان حيّاً يرزق، أما الآن فهو في ديار الحق، وما قلته عن عثمان: ألا تبرئه له لأن هناك من يغمز ويلمز، من جانبه إلى تصرفاته، لقد نكثت بالعهد تصحيحاً لأشياء قليلة من كثيرة. أعود إلى عثمان وحديثه:

ـ هل تعرف أن الكنيسة المسماة ببيت مريم؟ موضوع حديثنا هذا، احرقتها الملكة جوديت، ملكة إحدى القبائل اليهودية الحبشية: هذه الملكة حاربت المسيحيين سنين طويلة، وإن الملك عيرانا ملك أكسوم كان أول ملك اعتنق المسيحية، وهل تعلم بأن كثيراً من سكان حماسين، ينتسبون إلى قبيلة /البلو/ العربية، ومنهم على سبيل المثال كما يحضرني الآن /سعد زقا/ و /هززقا/ و /بيت مخا/. وهل تعلم أن قبائل المديرية الغربية، وقبائل الساحل هي أول من

اعتنق الاسلام في ارترية. إن القوى الخارجية والتي لها أطماعها السياسية وغير السياسية هي التي غرست المخاوف والحساسيات. غرست المخاوف في نفوس الأخوة المسيحيين في ارتريا، ثم غرست ذاته الشعور بالحبشة لكن ارتريا غير الحبشة: هذه هي البلد الوحيد في افريقيا الذي يحيط به العرب من كل طرف. ألا تقرأ التاريخ يا أبا سعدة؟ إن الجنرال الانكليزي /غوردون/ الذي حكم السودان في القرن /التاسع عشر/ قال في مذكراته:

ـ إن هناك تشابهاً وصفات عديدة، تجمع بيني وبين الملك يوحنا الرابع. ملك أثيوبيا. فيوهنس متدّين وشديد التعصب لمسيحيته، وله رسالة في هذه الحياة وهي تنصير المسلمين.

ويتابع عثمان الحديث وقد بدا متألماً.

ـ يا أحمد من غريب المصادفات أن رأسيّ هذين الرجلين قطعا. فيوهنس قطع رأسه بيد المسلمين، في منطقة /المتماه/ منطقة بين السودان وارتريا عام /١٨٨٩/ و /غوردن/ هذا قطع رأسه في الثورة المهدية وعلى مدخل قصره في الخرطوم. كل مايدعّيه الغرب كاذب وباطل، وكل مايقوله عن المسيحيين وانتصاره لهم غير صحيح، وهذه سياسة خاطئة ويجب محاربتها، إن قسماً من هؤلاء يستنجدون، بالدول الغربية صاحبة المصالح. يستصرخون ضمائر المسيحية العالمية، كلما توهمّوا أن خطراً قادماً إليهم.

وقاطعت عثمان:

ـ إن هذا غير موجود عندنا في سورية ـ لايوجد فارق بيننا وبين اخوتنا المسيحيين، وما فارس الخوري رئيس الوزراء السوري، وبشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية، و /ايليا أبو ماضي/ إلا دلالة واضحة على ذلك.

وقاطعني عثمان عدة مرات. واستمريت بكلامي وقلت:

في سورية مواطنون لايختلف بعضنا عن بعض، وكان عثمان سبي يريد أن يقول شيئاً. قال إنه أثناء الحروب (الصليبية) ظهرت في اوروبا فكرة إقامة حلف صليبي، تكون الحبشة إحدى قواه، ووجود الحبشة في هذا الحلف هو للضغط على مصر المسلمة، وعندها ممكن تحويل مجرى النيل الذي ينبع من الحبشة. هذه هي الاطماع الغربية. وهي القضاء على العرب وخضوعهم ونهب ثرواتهم. لماذا قاتلت البرتغال إلى جانب الحبشة؟ أحبابهم؟ إن حجتهم مكشوفة، إنه عمل سياسي وليس دينياً؟ ألم يطرد الاحباش، المبشرين المسيحيين البرتغاليين. لقد طردوهم شر طردة! إن الاتراك اصطدموا بالبرتغاليين في البحر الأحمر، وهزموهم شر هزيمة، وأهانوهم ألا تقرأ التاريخ يا أبا سعدة؟ إن /سنان باشا/ القائد التركي خرج بأسطوله إلى البحر الأحمر، وقاتل الاسطول البرتغالي وكسر شوكته وهزم من تبقى من سفن البرتغاليين. ألم يكن هذا عملاً اسلامياً؟ وشرعيته اختصرها بمايلي:

ـ إذاً كان الأوروبيون، قد ارتبط وصولهم، إلى القارة الافريقية بتجارة الرقيق، ثم الاستعمار. فإن وصول العرب المسلمين إلى أوروبا عبر مضيق جبل طارق بقيادة القائدين الفاتحين /موسى بن نصير/ و /طارق بن زياد/ سنة /٩٢/ هجري /٧١١/ م فمنذ ذلك التاريخ وإلى امتداد /٨٠٠/ عام متصلة ضمَّت شبه جزيرة /آبيريا/ و /اسبانيا والبرتغال بظلال الراية العربية الاسلامية طوال هذه القرون كانت تعرف تلك البلاد باسم الاندلس وتتكلم العربية وتدين بالاسلام، وفي افريقيا فإن العرب المسلمين نقلوا الحضارة والثقافة والعلوم، وساهموا في إقامة الاستقرار والعدل. هؤلاء أجدادنا وأباؤنا.

نظرتُ إلى ساعتي وكانت الثالثة صباحاً.

سألني عثمان.

ـ هل تعبت؟

ـ لا إنما أريد، أن اهضم هذه، المعلومات القيّمة.

ـ إلى الغد يا أبا سعدة.



الفيلم المشترك

سرحت بخيالي كثيراً، إلا أن الوقت قد مر سريعاً، ودون أن أشعر، قطعنا /القضارف/. أصبحنا على مشارف مدينة /كسلا/. وعندما وصلت إلى /كسلا/ كان الوقت مساء.

ذهبت إلى فندق /توتيل/ أي الزهرة، وكنت أنزل فيه سابقاً، وأصحابه يعرفونني. ونمت تحت المكيّف من شدة الحرارة. وفي الصباح وكنت عادة أستيقظ في الخامسة، أما في ذلك اليوم فقد كانت السابعة.

بعد الدوش السريع نزلت من الفندق وتجولت في سوق /كسلا/. وعندما يتجول الانسان فيها يجد نفسه في احدى المدن العربية القديمة، هذا ما يخيّل له، ولاينقذه من حلمه إلا أصوات السيارات الكبيرة /اللوريات/، وصوت أجراس الجمال. ثم رأيت بعض الرجال يحملون السيوف الطويلة، والنساء في لباسهن الوطنيَ والصبايا الفاتنات والحنة المنقوشة على أيديهن وأقدامهن. والتي تعطي أشكالاً مختلفة.

والصبية السودانية عندما تتزوج يرسمون على يديها وقدميها أشكالاً هندسية جميلة. ورائحة العطور المحلية تفوح منها. وأما اللباس الذي ترتديه فيعطيها مهابة وجمالاً سحرياً، ان الانسان دائماً يبحث عن الخفايا وعن المجهول، هكذا هي الحسناء السودانية.

كل أنواع الخضار متوفرة، الملوخية، الباميا. الفاصوليا والليمون الصغير والبطيخ الكبير. وعندما وزنت احداهما كان وزنها /٢٠/ كيلوغرام، الله يبارك. ثم القرين والمنكة، الشوارع مكتظة ودكاكين التوابل والبخور والقماش، ونداءات الباعة وترحيب أصحاب المطاعم وهم يدعونك للجلوس، والطعام اذيذ وطيّب، وهو من جميع الأنواع والألوان. الجو مقبول حتى الآن و/كسلا/ تابعة الى محافظة /بورسودان/ إنها منطقة غنية بالبساتين والزراعة والمياه. وفيها يمر نهر /القاش/ وعطبره/ وهذا يأتي من الحبشة وارتريا. فنهر /عطبرة/ يسمى في أثيوبيا /تكازي/ وفي ارتريا يسمونه /بركة/ وفي السودان /عطبرة/. وأما السودة (والكبدة) فتشوى بطريقة غريبة. النار أو الجمر، توضع فوقه أحجار ملساء، من حجارة الشواطىء والأنهار وتوضّب (السودة) أو الكبدة فوقها، بهذه الطريقة. وكثيراً من الأحيان توضع فوقها الشطا الحارة جداً، مع صحن شوربة عدس، ولامانع من أن يقطّع الخبز ويوضع في الشوربة، ويسمّون هذا الخبز الناشف /القرقوش/ وهات يا اكل ويا ماء بارد، وأنا لم أشبع من الكبدة فطلبت صحناً آخر منها. وأحسَست بيد تغمّض عيني من الخلف وصوت يقول:

- احزر من أنا يا أبا سعدة؟

- عثمان أبو شنب.

وهات يا عناق ويا قبل. وكيفك يازول؟ (أي يا رجل). كيفك؟ كيف سورية؟ كيف الأهل؟ والسؤال يتردّد كثيراً. ومثال على أنواع الأسئلة والأجوبة هذه يقال لك:

ـ كيف العائلة؟ أولادك؟ أخوتك؟ بلدك؟ أمك؟ أبوك؟

ويعاد السؤال عدة مرات ـ وتقول باختصار: بخير وتمدّها. وهكذا لا نعرف متى ينتهي السؤال عن الأهل والبلد. هذا المناضل الذي يسألني سمي بأبي شنب. لأن شاربيه كبيران، وكثير لايعرفون اسمه الثاني. وهو رجل عسكري كان في الجيش السوداني. وهو زميل لمفجّر الثورة /حامد عواتي/.

عثمان أبو شنب يسكن في كوخ من الطين والقش، وهو الذي قاتل الأثيوبيين، وأعدّ الثورة وجاب السهول والجبال، على مدى عشرات السنين، وهو الذي لايعرف إلا الحق. وكلمة الحق.

درّب مئات الشبان عسكرياً، وهو الذي يسكن في كوخه، كوخ الطين والقش، ولاتجد على وجهه إلا الابتسامة والدعوة والعمل لنيل الاستقلال، وأبو شنب لايتكلم إلا اللغة العربية، وباللهجة السودانية .

وعندما ذهب إلى /أسمرا/ بعد الاستقلال. ضمن وفد من الرعيل الأول، عاد ليستقر في /كسلا/ في كوخ من الطين والقش.

بعد جولة مع المناضل عثمان في /كسلا/ التقينا فيها بكل من الأخّين /أبو طيارة/ أبو عجاج، والحقيقة لا أعرف الأسماء الأولى لهذين المناضلين. التسمية أتت لأن المناضل الأول كان سريعاً في المشي، ومن لايعرف ارتريا، لايعرف أن المشي، هو الوسيلة الشائعة للتنقل، وخاصة في الريف. أما أبو عجاج فمن شدة قوته وبأسه، سمّي بهذا الاسم، لأنه كما يقولون عندما يتحرك ينتشر الغبار من حوله. وهذان المناضلان من مؤسّسي قوات التحرير الشعبية.

ودّعت /أبا شنب/ وقلت له:

ـ إن لديّ أعمالاً أريد أن أنجزهـا، وبعـد خطـوات لحقنـي أبـو شنب وقال:

ـ أنت ماسي وين؟ كيف تذهب إلـى /الشـعبية/؟ لا أسـمح لـك بالذهاب إلى الشعبية.

ضحكت وقلت:

ـ نعم! أريد أن أعيش الثورة، بكل فصائلها.

وقضيت أياماً في /كسلا/، ثم ذهبت إلى مخيمـات اللاجئيـن، في كل من /سمسم/ و/القضاريف/.

كان اللاجئون بالآلاف. لا أستطيع أن أصف مأساتهم. إنهم عراة حفاة. الموت يأكل أطفالهم يومياً. وتنقّلت في معسكر /سمسم/، فصـرت أسمع البكاء والعويل. لاطعام، لاماء، لادواء، لاشيء سوى الموت.

إنها مجزرة لقتل الانسان والانسانية، وهذا ما بقي في ذاكرتي؛ وأعماق نفسي حتى اليوم.

عدت إلى دمشق وأنا مفعمٌ بالألم، ما أجمل عيون أطفال ارتريـا وما أصعب فراق الأطفال الأبدي، الذي تجسّد في عيني وفـي عقلـي، وكنت دائماً أتساءل: ربما يكون أطفالي مثل هـؤلاء. فـازددت تصميمـاً على أن أعمل وبقوة، لنصرة هـؤلاء الجيـاع العـراة. يجـب أن يتقـدم هؤلاء الأطفال ويسحقوا كل أعداء الحياة.

❀

الفصل الثالث



عودة إلى الوراء

فلنعد قليلاً إلى الوراء، لنجد أن الاقتتال الأهلي والـذي، بـدأ عـام ١٩٧١، وظل دائراً حتى عام ١٩٧٤. توقـف القتـال بيـن الجبهـة وقـوات التحرير الشعبية. وقتلُ الأخ لأخيه منبوذٌ، ولا يقرّه الله ولا الانسان.

وفـي شـهر نيسـان عـام ١٩٧٤ عقـد اجتمـاع لقيـادة /ج ت أ/ برئاسة /ادريس محمد آدم/، وصدر عـن هـذا الاجتمـاع، قـرار لحسـم القتال بالحوار. وفي تلك الفترة تطوّرت الأحداث.

وبسرعة فائقة انطلقتْ من /اسمرا/ عاصمة ارتريا. ففي /اسـمرا/ كانت تتمركز الفرقة الثانية للجيش الأثيوبي، ومنها انطلقت الأحـداث ورياح التغيير في أثيوبيا. ثم امتدت الى مدينة/هرر/[١].

كـان هـذا فـي شـهر شباط ١٩٧٤، فـانطلاق حركـة الجيـش الأثيوبي من /أسمرا/ لها مدلولها ومغزاها. فمنذ عام /١٩٦١/ إلى عـام /١٩٧٤/، والحرب التي خاضتها جبهة التحرير الارترية، ضد الجيش الاثيوبي أضعفت الاقتصاد، ودمّرت الطرق، وضربت المرافق الحيوية، وأعطت ضحايا ومشوهين.

إذن فرضت الحرب أوضاعاً غير طبيعية. ومن هذه النقـاط بـدأ التمرّد العسكري، ضـد /هيلاسلاسـي/ مـن مدينـة /أسـمرا/. فجبهـة التحرير الارترية قد بـدأت بالمواجهـة ضـد الجيـش الأثيوبـي، فـي

---

(١) مدينة صومالية محتلة.

مرتفعات ارتريا وعن طريق حرب العصابات، مع الجيش الاثيوبي، وليس مع المواطنين الارترين سكان المرتفعات. إن نظام /هيلا سيلاسي/ سلّح سكان المرتفعات، ونظّمهم بشكل مليشيات مسلحة، ضد جبهة التحرير الارترية. كان يرمي من ذلك ضرب الارتريين بعضهم ببعض.

لقد وجدت من خلال معايشتي للأخوة الثوار حين رافقتهم الى المرتفعات ـ أن همهم الأول، كان منصبّاً على الحوار مع، سكان المرتفعات وليس قتالهم، ثم محاولة ضم هؤلاء، السكان إلى قوات الجبهة. وإذا سئلتُ لماذا سكان المرتفعات يتعاملون مع الأثيوبيين ضد الجبهة؟

أقول: ليس له أي تبّرير، سوى تبّرير واحد هو التأثير الديني والثقافي على، سكان المرتفعات الذي مارسته أثيوبيا. ألم يكن /تدلا بايرو/ الارتري رئيساً للوزراء؟ وكان من المتحمسين للوحدة مع أثيوبيا؟ ان بعض سكان المرتفعات المسلحون يُطلق عليهم اسم /الباندا/، وتعني هذه الكلمة /المسلحين الشعبيين/ باللغة الايطالية. كانوا يقاتلون ثوار الجبهة بشراسة ودون رحمة. ولايذكرون أن من يقاتلونهم: هم أهلهم وأشقاؤهم.

لكنّ الاستعمار البغيض يستعمل، دائماً أسلوب /فرّق تسد/. والى متى تنطوي هذه الألاعيب؟. لقد استطاع المقاتلون أن يشرحوا

ويوضّحوا لاخوانهم سكان المرتفعات، ومن أهالي مناطق /حماسين وسرايين/ انضموا إلى الجبهة وعادوا إلى شعبهم. وبدأوا يقاتلون العدو الأثيوبي، بهذا النصر الكبير يكون، قد تم أكبر انجاز سياسي، حققته جبهة التحرير الارترية، ولايستطيع أي تنظيم آخر، أن يحقق هذا الانجاز الذي، لعب دوراً أساسياً في الحياة السياسية والاجتماعية، وكان مهماً في حياة ومسيرة الثورة الارترية، ان الوحدات الفدائية الارترية استطاعت، أن تقلب الموازين.

هذه الوحدات والتي كان يرأسها /سعيد صالح/[1]. والذي قتل في مدينة /كسلا/ السودانية على يد مجهولين [ففيما كان يمشي في الليل، ضُرب بحجر على رأسه، من الخلف. وسقط البطل الذي أرعب جنود أثيوبيا، وسقط بغدر العملاء].

هذا البطل الذي حرّر السجناء في سجن مدينة /أسمرا/ وعد خالة/ حرر آلاف السجناء السياسيين والعسكريين. سقط البطل بأيدٍ قذرة مأجورة. أعود وأقول إن الذي وضع، استراتيجية العمل العسكري، لحرب العصابات في المرتفعات، هو الأخ /أحمد ناصر/ و/عبد الله ادريس/ واخوانه. وأصبح /أحمد/ فيما بعد رئيس جبهة تحرير أرتريا. إذن تنظيم الجيش كان /لعبد الله ادريس وأحمد ناصر واخوانه، وسعيد صالح/ أصبح قائداً للفدائيين/ وتسفاي تخلي مفوضاً سياسيا في محافظة /سرايي/ أما في منطقة /حماسين/ فكان المفوض السياسي هو /عبد الله حسن/.

---

(١) تلقى تدريبه العسكري في سوريا.

عندما بدأ الفدائيون العمل، في المرتفعات لم يكن لدى الجبهة أية امكانيات. فبدأوا بقطع أسلاك الهاتف، ومهاجمة القطارات وتدمير الجسور، وأحدث هذا بلبلة بين الأثيوبيين. ثم قام الفدائيون بعملية ذات نوعية خاصة. ففي داخل العاصمة /أسمرا/ توجد، محطة الهاتف المركزية الكبيرة. كانت السلطات الاثيوبية، قد دفعت تكاليف هذه المحطة والتي بلغت /١٧/ مليون دولاراً. وقام الفدائيون بتفجير هذه المحطة. كان ذلك في عام /١٩٧٤/. وكان أحد هؤلاء الفدائيين ويدعى /تسفاي هنا/ وعندما سألتُ /أحمد ناصر/ هل لديه معلومات عن هذه العملية؟ فأكّد لي أن أثيوبيا خسرت /١٧/ مليون دولاراً. وإن /تسفاي هنا/ كان يعمل في محطة الهاتف، وهو الذي أدخل المتفجرات لى المحطة. قال لي /أحمد ناصر/ إن /تسفاي هنا/ كان يدرس معي في /أسمرا/ ثم أن المناضل /فساهي/ و/عبد الله حسن/ و/برخت/ و /محمد عمر/ و/فتوى/ وهذا كان اسمه الحركي أما اسمه الحقيقي فهو /خيار/ وغيرهم هم الذين أوّل من نفذ العملية.

أعود وأقول: لقد تم انجاز الخط الوطني، المحيط بالمرتفعات. هذا الانجاز الذي انفردت به جبهة التحرير الارترية، وقلبت الموازين ضد أثيوبيا، هنا جن جنون الاثيوبيين، وقاموا بعمليات إبادة في كل من مدينتي، أم حجر واغوردات، ثم /حرقيقو/. وامتدّت هذه العمليات الى ضواحي /أسمرا/. هكذا تمت عمليات القتل والابادة.

وهذه رواية أخرى، وهي معروفة من قبل، الارتريين، صحيحة وطريفة أقدّمها لكم، عندما جاء الجنرال /آمان عندوم/[١] الى قمة السلطة

(١) رئيس المجلس العسكري الحاكم في أثيوبيا قبيل الجنرال منغستو هيلا مريام.

في أثيوبيا، وهو ارتري، اجتمع إلى المواطنين الارتريين في /أسمرا/ وبقية المدن، وقال لهم باللغة العربية:

- ان اسمي هو آمان وأنا جئتكم بالأمان.

ثم تلا عليهم الآية القرآنية حيث قال مخاطباً الارتريين:

- ان الله تعالى قال في كتابه العزيز (لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) صدق الله العظيم. وأنا جئتكم بالامان والسلام.

ان /الجنرال الارتري آمان عندوم/ درس في السودان ومصر، وهو يجيد اللغة العربية تماماً، وأخوه كان سفيراً في السودان. واسمه /ملس عندوم/ وأيضاً كان يجيد اللغة العربية، فعندما تشكّلت اللجنة العسكرية الاثيوبية بعد الاطاحة بهيلاسلاسي، والتي عرفت فيما بعد /الدرك/ جاء /أمان/ إلى أرتريا، ورأى تلك الابادة الجماعية، تحرّكت به النخوة الوطنية، لكنه لم يؤمن يوماً باستقلال ارتريا إيماناً كاملاً. عاد إلى /أديس أبابا/ وطلب اجتماع المجلس العسكري بصفته رئيس المجلس وقال لهم:

- لايمكن حل المشكلة الارترية، إلا سلمياً، ولايمكن الحسم عسكرياً.

وتم تفسير كلام هذا الجنرال الارتري، بأنه تعاطف مع الشعب الارتري، وهنا دبّ الخلاف بين /آمان/ والمجلس العسكري /فمنغستو هيلامريام/ هو الرجل القويّ في المجلس العسكري، وهو الذي كان يصرّ ويعمل على ضرب جبهة التحرير الارترية، وهي الرائدة والقوية.

وبعد قتل /أمان عندوم/ على يد منغستو، تم ارسال الامدادات العسكرية الى أرتريا، وهذه التعزيزيات وصلت إلى /٥٠٠٠/ جندي،

بالاضافة إلى القطع العسكرية المتمركزة في أرتريا. كان هذا في شهر اكتوبر عام /١٩٧٤/ وفي هذه الأثناء قام أحد رجال المجلس العسكري الأثيوبي واسمه /اسياس/ وجمع وجهاء البلد وقال لهم:

ـ اطلبوا من أولادكم العودة إلى صفوف الشعب، فهيلاسلاسي قد انتهى. ونحن تقدميون ونريد العمل لبناء أثيوبيا سوية.

قال هذا الضابط مخاطباً الأعيان:

ـ نريد أن نحل المشكلة سياسياً، سلمياً لا عسكرياً.

كان هذا هو الهدف المعلن أما الهدف الفعلي، لهذا الهدف المبطن، فهو ضرب الجبهة وتقليص الانتصارات واحتوائها، وبالتالي إنهاء الثورة.

فما كان من الارتريين، إلا أن خرجوا من أسمرا وضواحيها، وكان عددهم بالآلاف. وذهبت هذه الى مواقع الثورة في أماكن تواجدها في ضواحي أسمرا وقالوا:

ـ يا أولادنا أوقفوا القتال بينكم، ووجّهوا سلاحكم الى الأثيوبيين.

كنت أنا في حينها مع قوات الجبهة، على مشارف أسمرا. مع المناضل /حامد محمود/، هذا البطل الأرتري العربي، هو صديقي وأخذ تدريبه العسكري في سوريا. كما تواجد أيضاً في المرتفعات كل من /ابراهيم توتيل/ عبد القادر رمضان/حروى تدلابایر/ وغيرهم. أما قوات التحرير الشعبية فقد تواجد منهم /اسياس أفورقي/ ومسفون حقوس ورمضان محمد نور/ وابراهيم[1] عافا/ الذي قتل بعدها بسنين

---

(١) تلقى تدريبه العسكري في سوريا.

بظروف غامضة، والشهيد /ابراهيم/ كان رجلاً عسكرياً فذاً. فهو الذي كان يخطّط وينفّذ أكبر العمليات العسكرية. أما كيف قتل فعلمه عند الله، وبعد هذا حصل تدفق من جماهير المرتفعات الى الثورة، كانت نتيجة هذا التدفق الذي حصل، قرار جبهة التحرير الارترية بوقف القتال مع قوات التحرير الشعبية والحوار والوحدة.

اجتمعّت هذه العوامل كلها، وأدّت الى تجميد القتال. وبالفعل توقف القتال، هذا القتال الذي، امتد الى سنوات.

إن جبهة التحرير، هي الوحيدة التي، كان لها تواجد في المرتفعات. وهي التي قاتلت لوحدها، دون أي فصيل آخر، ان مقاتلي الجبهة كانوا يدخلون الى معسكرات الاثيوبيين، ضمن المدن ويقومون بالعمليات الفدائية، ويقارعون الجيش الاثيوبي.

بعد التوقف بين قوات الجبهة والقوات الشعبية، تركت قوات التحرير الشعبية مواقعها في الساحل، واتجهتُ الى المرتفعات بعدما عُبد لها الطريق، من قبل شهداء جبهة تحرير ارتريا. لم تقاتل قوات التحرير الشعبية في الأعوام السابقة أثيوبيا، بل كانت متواجدة في الساحل الشمالي فقط وبظل هذه المستجدات وبعد انتهاء معارك أسمرا التي خاضتها جبهة التحرير.

أ - الاستعداد للمؤتمر الوطني الثاني:

اتجهت النية للاعداد، إلى المؤتمر الوطني الثاني، في جبهة التحرير. وبدأت الاستعدادات لانعقاد المؤتمر.

قال لي /أحمد ناصر/:

ـ إن حوالي ألف شخص، يمثّلون قطاعات الشعب كافة، من عسكريين ومدنيين وشيوخ القرى وغيرهم. ولقد حضرت المؤتمر الوطني الثاني.

ـ عقد المؤتمر في ١٩٧٥/٥/٥ وقد حضرتْ القيادة السابقة كلها، إلا أن عمنا الشيخ ادريس محمد آدم حضر، ولم يرشّح نفسه مرة ثانية. كان هذا لشعوره بما حصل وما كان متوقعاً أن يحدث.

لي ملاحظة هنا. لم تدعوني قيادة الجبهة إلى حضور المؤتمر الوطني الثاني، وذلك للقطيعة التي كانت قائمة بيني وبين الجبهة. لم أكن اسأل هذه القيادة شيئاً خاصاً بهم، أو أفعل شيئاً خاصاً يمسّ شخصياتهم. لكنهم كانوا يقولون، الكثير عني وكنتُ أتغاضى عن ذلك. كانوا يتعاملون معي ـ إذا لم أقل كلهم ـ فأكثرهم على أسس سياسية.

أما أنا فقد تعاملتُ معهم على أسس أخوية. للأسف لم يقدّروا هذا، ليست لي مصلحة مادية، لم يكن لي نظرة خاصة حتى أتعامل معهم. كنت عربياً سورياً، ورؤيتي تأتي من رؤية بلدي للقضية الارترية. كان همي هو استقلال شعب ارتريا، ومساندة هذا الشعب المظلوم والمغلوب على أمره. قيادة الجبهة كانت تعاملني للأسف حسب مصلحتها، وعلى هذا الأساس. وأنا أمضي في الطريق الذي عاهدت نفسي عليه. أحببت هذا الشعب الأمين الذي منحني مودته واحترامه.

وهذه سالفة أخرى أرويها لكم:

أثناء تواجدي في أرتريا وأثناء وجودي في منطقة /ادريس دار/، حيث كان هناك مركز الإعلام الداخلي، وكان مسؤولاً عنه في ذلك الوقت المناضل /عمر محمد/[1] الملقب بـ /ك ج ب/ وهذا اللقب أطلقه عليه /حروي بايرو/ ذهبت إلى هناك لأستطلع، حالة آلات التصوير التي اشتريناها من الكويت، أنا والأخ /صالح أياي/ عندما كان مسؤولاً عن /دنكاليا/. كنا قد اشترينا هذه الالات بآلاف الدنانير، والأخ /محمد عمر يحيى/ شاهد على هذا. بحثت عن هذه الآلات المتطوّرة فوجدتها مرمية على التراب، دون أية عناية، وهي في حالة من الرداءة بحيث لاتصلح إلا للاهمال والرمي في الزبالة. لعنت نفسي ولعنت صالح ولعنت كل هؤلاء المسؤولين. كيف يفعلون هذا بتلك الآلات؟ ألم ندفع ثمنها آلاف الدنانير؟ وأنا على حالي هذه لمحت امرأة تلملم القش والأغصان اليابسة، أردت أن أسلّي نفسي وقمت بتصويرها ولم تبد المرأة أية معارضة. فقلت لها:

ـ أرجوك أن ترفعي هذا الحجاب عن وجهك.

قالت بقوة:

ـ لا.!.

ـ لماذا يا أمونة؟

(١) أحد قيادي الجبهة.

هذه هي عاداتنا، وهذه العادة ورثتها عن أمي. وسأورّثها لابنتي هذه. وكانت ابنتها صغيرة لاتتجاوز /٤/ سنوات واسمها عائشة.

ـ الله يرضى عليك! ارفعي الحجاب! أريد أن أصوّرك.

ـ لا.. لا..

في هذه الأثناء جاء زوجها، وشرحت له الوضع، فطلب من زوجته أن ترفع الحجاب. فقالت:

ـ لا..

ورطّنت، أي تحدثّت بلهجتها الخاصة. وقالت لزوجها أشياء لم أفهمها، وترجم لي أحد المناضلين الواقفين معي ولكن قبل أن أترجمها أقول لكم ما قاله زوجها:

ـ يا امرأة! ارفعي عن وجهك الحجاب.

الآن أترجم ماذا أجابته قالت:

ـ هل تريد أن ترى وجهي الآن، إنك لم تطالبني برفع الحجاب منذ أن تزوجنا على سنة الله ورسوله، ولن أرفع حجابي أبداً! أليست هذه عاداتنا؟

وعرفت أن لها ولداً اسمه /عبد الله/ وعمره /١٨/ عاماً وهو موجود في الثورة.

قلت له:

ـ دعها وشأنها! فلن آخذ الجائزة الأولى، من تصويري وجهها.

ورطن أحد الجنود قائلاً لها بما معناه:

ـ ان أخانا وهو عربـي مـن سـوريا واسـمه أحمد، وإنـه /زعـل منك/. وقال أنت حرة، ان قبلت التصوير أو لا تقبلي.

أجابت أمونة هذا الجندي:

ـ ماذا قلت؟

أجاب الجندي محتداً:

ـ ألم تسمعي ما قلته لك؟

وكان الجندي شاباً صغيراً في عمر ابنها وقالت أمونة:

ـ سمعت، إنما أريد أن أتأكد.

وكرر لها ما قاله في المرة الأولى. فطلبت مـن كـل الموجوديـن وزوجها أن يذهبوا بعيداً. ووافقت أن ترفع الحجاب، ورفعته وسبحان الخالق فيما خلق. لم ترفع حجابها لزوجهـا الـذي، أعطاهـا وأعطتـه عبد الله وعائشة. وصوّرت وجهها عشرات اللقطات، وبعـد أن فرغـت من عملي، سألتها:

ـ لماذا اقتنعت ورفعت حجابك؟

ـ ألا تريد أن تشرب الجبنة عندنا؟

وذهبت مع زوجها إلى الكوخ، بعد أن غطّت وجهها، وأحضرت لي لبناً (أي حليب) وخبزاً مصنوعاً من الذرة الصفراء قالت لي:

ـ اسمك أحمد أليس كذلك؟.

ـ نعم يا امونة.

ـ عندما أتى ولدي عبد الله، كان يحمل سلاحاً، وكان يلمع كثيراً، وشكله جميل وسألت ولدي:

ـ من يعطيكم هذا السلاح؟

ـ إنهم أشقاؤنا العرب يا والدتي، هم الذين يعطوننا السلاح، ويرسلونه لنا، وأنا فهمت يا أحمد أنك عربي. ولهذا رفعت الحجاب عن وجهي.

إن هذه القصة البسيطة، والتي قد لايقف عندها الكثيرون، وقد يصفها بعضهم بأنها التخلف بعينه، لكنني أنا شعرت كما أشعر باستمرار، بأمانة الشعب الارتري. لقد رفعتْ الحجاب لأني من بلد عربي، وتعرف أمونة من كان مع الشعب الارتري الذي، كان يعطيني القوة حتى أستمر في هدفي حتى النهاية. أنا لست نبياً أو أختلف عن غيري بل كنت أعيش بعقلي وروحي مع الشعب الارتري. كنت أحسّ وأرى ما يحدث داخل الجبهة من تصرفات أكثر القياديين الذين، دمّروا الجبهة وأنهوها بتصرفاتهم الشخصية. والآن نعود إلى /أحمد ناصر/ قال:

ـ عندما تخلفت عن المؤتمر الوطني الثاني، كنت في بيروت لبعض العمل أنا والأخ /حمد محمد صالح/. لم أستطع أن أغادر بيروت بسبب الحرب الأهلية. أتذكر يا أبا سعدة عندما قامت الكتائب بعمل كمين لباص وقتلوا من كان فيه؟ كنت أنا في بيروت.

وسألته:

ـ ماذا حدث في المؤتمر الثاني يا أحمد؟

وأنا أعرف أمانة وأخلاق، أحمد ناصر فهو الـذي، سـيقول لـي الحقيقة قال:

ـ الشيء الجديد في المؤتمر هو مشاركة كل الارتريين، من آخر المرتفعات إلى الحدود السودانية، شرقاً وغرباً شـمالاً وجنوبـاً، حضـر الارتريون للمشاركة في هذا المؤتمر، إن هـذا الحضـور أضـاف عنصـراً جديداً في سياسة الجبهة. وإن القتال الـذي دار بيننـا وبيـن الشعبية أوقف. ان التدفق الكبير الـذي أتـى مـن المرتفعـات وغيرهـا، أضـاف عنصراً آخر، أضاف إليهم تفسيرات القادة والجنود، والذي تركّز علـى عدم الحوار مع قوات التحرير الشعبية.

بعض الأخوة تكلموا بعفوية، وبعضهـم تكلـم لغـرض فـي نفـس يعقوب، في هذا الجو تم الصـراع بيـن الموجوديـن، وفـي النهايـة تـم انتخاب قيادة جديدة وأقصي بعض القياديين البارزين والذي برز علـى السطح مشكلة /حروي/ وزملائه، /حروي/ لم يـأت لا فـي القيـادة ولا في المجلـس، أننـي أقـف هنـا لأروي مـا أعرفـه عـن /حـروي/، [ان حروي ابن رئيس الوزراء السابق /تدلا بايرو/ وكان هذا سكرتيراً لحزب الوحدة مع أثيوبيا وهذا الحزب كان موالياً للأثيوبييـن وتأسـس حـزب الوحدة في ١٩٤١/٥/٥ وقد انضمتْ إليه بعض قيادات جمعيــة /حـب الوطن/ ١٩٤٦ /وسكرتير الحزب /تدلا بايرو/ وكـانت أهـداف الحـزب أهمها المطالبة بالوحدة مع أثيوبيـا أمـا مصـادره الماديـة فكـانت مـن الكنيسة القبطية والحكومية الأثيوبية].

أقول إن الذي عرّفني بحروي، هو الأخ /صالح اياي/ فكان لقائي الأول مع /حروي/ في منزلنا في حي الميدان، كنت واياه من تفكير واحد، وكما يقولون نحن تقدميون، كان في البداية يتكلم العربية بركاكة، ويعتبر نفسه منظّراً ولعب دوراً هاماً في جبهة التحرير الأرترية، ويعتبر من المهمين في حزب العمل الأرتري، ذي الصبغة والاتجاه الماركسي اللينيني. كان /حروي/ «دينمو» الجبهة والمحرّك الأول بعد انتخابه نائباً للرئيس في المؤتمر الوطني الأول. ان الرفيق /حروي/ من المؤيدين والمتحمسين لتصفية قوات التحرير الشعبية وكان يسألني دائماً اين ما التقينا؟

ـ ما رأيك بتصفية الشعبية؟

لم أجدْ لهذا السؤال أي معنى. فالحرب الأهلية مستمرة والارتيريون يتساقطون يومياً، كنا إلى جانب بعضنا بعضاً في أكثر من موقع في ارتريا وعدن ودمشق. نعم كنا في /عدن/ سوية كنا نجتمع يومياً في فندق /السايلورز[1] كلوب /حروي/ عمر محمد /محمد صالح حمد/ الدكتور يوسف برهانو/ صالح اياي/ كبريتاي/ وأحياناً /محمد عمر يحيى/ لأن هذا رجل محافظ لا يتناول أي شراب كحولي، أما نحن ما شاء الله فكلنا قرباً مثقوبة.

سألت صالح اياي في حينها:

ـ ألا ترى أن تصرفات وطروحات /حروي/ غير سليمة أم لا؟

ثم أضفت:

---

(١) نادي البحارة.

اسمع يا صالح! إن ما يفعله حـروي سوف يـؤدّي الى ضـرب الجبهة على المستوى البعيد.

وهذا ما حصل فعلاً بقصد أو دون قصد وإني أروي بعض الأمثلة هنا.

حاول /حروي/ بعد التدفق الكبير من المواطنين الارتريين سـكان /كبسة/ المسيحيين الذين، تدفقوا بالآلاف وكانوا متعلمين، وقسم منهم مثقف، وإذا سألتموني عن سبب تعلّم أهل المرتفعات عن غيرهم فالجواب بسيط ومعروف لدى عموم الشعب الارتري، لكني أقول هنا، وأنا الذي عشت الثورة الارترية على مدى /٢٦/ عاماً لم تطلق رصاصة واحدة من سكان المرتفعات قبل عام ١٩٧٤. وبصعوبة تامة وبدماء غزيرة من قبل ثوار الجبهة رسّخوا المفاهيم السياسية والكفاح المسلح في المرتفعات الأرترية، إن الاستعمار الأثيوبي وسكان الهضبة كانوا في وقت من الأوقات متعاونين تعاوناً وثيقاً مع بعض، والارتريون الذين عاشوا في المرتفعات وبشكل طوعي كانوا مدعومين من الجيش الاثيوبي.

إن سكان المرتفعات كانوا مرتاحين، والمبشرون الاوربيون والامريكان لعبوا وما زالوا يلعبون دوراً في بذر الشقاق والتفرقة بين الارتريين.

ان الالآف المتدفقة من المرتفعات، والتي أصبحت بشكل واضح دعما لحروي /بايرو/ بشكل عشوائي، أصبحت بعد فترة قصيرة شبه منظّمة، وبدأت التنسيق مع /حروي/ وأنا أقول بأنه رجل وطني وذكي جداً ومتعلم ومثقف فعلاً: إلا أن السلطة والشهوة للحكم كانت ثم بدأت تظهر عليه وذلك من خلال خلافه مع صديقه الحميم /عبد الله

ادريس/ الذي وصفه /حروي/ بأنه /جياب/ أرتريا. كان ذلك فيما مضى. وعندما كنتُ في /حماسين/ شرحت لي فتاة تدعي /فضة/:

ـ كيف كان /حروي/ يمارس السياسة على الفلاحين البسطاء حين يقول لهم:

ـ نريد أن نخلق منكم عمالاً زراعيين ثوريين لافلاحين زراعيين؟

لم يكن أحد يفهم ما يقوله /حروي/ إلا القليل من المناضلين، ان سقوطه في المؤتمر الثاني للجبهة أدى الى افرازات سياسية معقّدة، خُطط لها على مستوى طائفي بأيدي مناضلين، بعض هذه العناصر، طالبت بمؤتمر عسكري لحل القيادة وانتخاب قيادة جديدة، أي انقلاب داخل الجبهة. ثم ان افشال المعارك ضد اثيوبيا وبالذات معركة /بارنتو/[1] التي شاركت فيها مع البطل الشهيد /محمود حسب/ كانت دلالة على هذه الافرازات السلبية الطائفية. ان صداقة الأمس المزيّفة أو مصلحة الامس انتهت مع انتهاء ترؤس /ادريس محمد آدم/ للجبهة وانحياز /حروي/ الى جانب الوافدين واحساس /عبد الله ادريس/، أن البساط سُحب من تحت قدميه، أو بدأ يُسحب فما كان منه إلا أن بدأ التعبئة لخلع /حروي/ فكان له ذلك. وهنا غلطة قاتلة إذ أن /حروي/ لعب دوراً في تصفية الجبهة بشكل أو بآخر، وبتشكيل ما أطلق عليه /الفالول/ أي الفوضويين. كان من

(١) معركة بارنتو ـ نسبة إلى مدينة بارنتو الارترية.

المفروض على الأخوة ـ ولو تكتيكياً ـ ألا يُبعد /حروي/ عن المجلس الثوري. ولتكن العملية تكتيكية لصالح الجبهة، وعندها سيلتزم /حروي/ بالجبهة. ألم يكن الرجل الثاني في الجبهة؟ بل كان الرجل الأول فعلاً، وإذا قفزنا إلى بعد /٢٤/ عاماً، وعندما التقيت بحروي في فندق (نيالا في أسمرا) وبعد العناق والقبل عرّفته على أعضاء الوفد السوري الذين يشاركون في التهنئة وإقامة علاقات سياسية مع ارتريا قلت لهم:

ـ صديقي حروي بايرو نائب رئيس جبهة تحرير أرتريا سابقاً.

ضحك حروي وقال:

ـ قل لهم يا رفيقي العزيز، إني أنا كنتُ رئيس جبهة تحرير أرتريا. وللأسف أقول كان حروي هو المتزعّم للفالول، لأنه يتمتّع بذكاء حاد وإمكانية في إقناع الناس. إلا أن ممارساته التنظيمية ودفعه للاقتتال والتصفية وممارساته على المواطنين في المنخفضات والمرتفعات واستكباره وضربه للتقاليد [وأهل المنخفضات لهم تقاليدهم وأعرافهم ومتمسكون بأبسط الأمور العائلية ربما يكونون منغلقين على أنفسهم في قضايا تمس الشرف والاخلاق العامة. أما سكان المرتفعات فهم يختلفون كلياً عن سكان المنخفضات وهذا لايشمل كل سكان المرتفعات أبداً فلكل طبيعته]. ان سقوط /حروي/ لاشك كان له تأثيره على الساحة، وأقول هنا وبصراحة كان الرفاق ينقصهم الدهاء السياسي. والحكمة والرؤيا المستقبلية. والحقيقة تقال ان هناك

أشخاصاً منبهرين بحروي فمن قائل بأن الشيوعيين المسيحيين عملوا تحالفاً بعضهم مع بعض، ومن قائل أن /عبد الله إدريس وصالح أياي/ تحالفا ضد /حروي/. وسرت اشاعات كثيرة مختلفة وتفاقمت المشاكل ضمن الجبهة وهنا شكّل ما سمي بالفالول وهذه الكلمة تعني /الفوضويين/ وهي كلمة تجرينية. كان من بين هؤلاء الناس أبرياء وكان منهم من اعتنق آراء حروي ومنهم المتطرفون. إذن /حروي تدلا بايرو/ هو الذي أنشأ الفالول بل كان رئيسهم.

إن سقوط /حروري/ كان لتشبثه بالسلطة وانفراده بكثير من الأمور، أو بشكل أوضح كان يجيد اللعب بالسلطة. كان يحبّ نفسه، وكان يشرب كثيراً. وفي الريف الارتيري هناك أشياء غير مؤلوفة. فقد كان يمارس التعالي على زملائه فمثلاً:

عندما كان وزملاؤه يريدون التوجه، من منطقة إلى منطقة، يجد وسيلة نقل أما زملاءه فيمشون. سمعت هذا من فتاة من المرتفعات واسمها /الكانيش/. هذه الفتاة تحدّثت لي كثيراً عن /حروي/ وممارسته تجاه الفتيات، ثم قال لي /قسيس/ في /سرايين/:

ـ لم نكن نشعر بأن حروي وادنا، كان يعاملنا بترفع وفظاظة، من جراء معايشتي للشعب الارتيري في الريف، وعلى مدى سنوات طويلة بدأت أفهم وإلى حدٍ ما طبيعتهم وتتاليدهم. فمثلاً: في منطقة /بركة/ حضرت زفافاً ذبحت فيه الخراف، وأقيمت حلقات الرقص والمباريات بالخيل والقفز مع السيف والترس، وحين حانت ساعة الدخلة مددت

رأسي إلى الخيمة المنصوبة للعريس، فوجدت السرير عبارة عن قطع من جلود البقر مشدود شداً محكماً وقوياً. وفي أركانه أوتدة مغروسة في الأرض. ويدا وقدما العروس مدهونة بالحناء وبأشكال هندسية وعلى صدرها كثير من قطع الذهب. وفي قدميها خلاخيل، وفي أنفها شِناف وهو قطعة كبيرة على، شكل دائرة من الذهب. وترتدي ثوباً طويلاً ورأسها مغطى، وتتدلى على جبينها خصلة مضفورة من الشعر. ويدخل العريس بزفة وتقريباً كعادتنا ويكون معه والده والمقربون إليه، أما المهر فكثير من الإبل والأغنام، ينام العريس مع عروسه يوماً واحداً، ثم يغادرها ولا يعود وفي أحسن الأحوال قبل عام.

أما العروس فتبقى داخل الخيمة مدة لاتقل عن /١٥/ يوماً، ولا تخرج من الخيمة مطلقاً إلا فيما ندر وللضرورة القصوى. وحول الخيمة تجتمع النساء ويقمن بالزغردة والغناء والضرب على الدف والرقص ويقدّم أهل العريس الطعام والماء لمدة أسبوع لكل من يأتي ويشارك في الحفل.

إذن هناك عادات وتقاليد لا يستطيع الإنسان، تجاوزها مطلقاً. فالشرب أي تناول الكحول، غير وارد مطلقاً في المنطقة الغربية والساحل، وعلى مدى السنوات التي عشتها في الريف لم آر شخصاً واحداً يتناول الكحول ضمن هذه المناطق، ومن يتناولها فهو ملعون، لكن وفي المرتفعات ومدنها فشرب الكحول وغيره هي أشياء عادية أو أقل من عادية. من هنا بدأ الكره /لحروي/ من قبل المواطنين العاديين وذلك لتجاوزه واستهتاره بالأعراف والتقاليد.

/في روما/ التقيت بحروي مرتين متباعدتين. جلسنا في مقهى في شارع /الجمهورية/ أو بالأصح / بيازا ريبابليكا/ أي ساحة الجمهورية وامتدّت جلستنا إلى الفجر قال لي:

ـ يا أبا سعدة هل تصدق بأن عبد الله ادريس /وحبيبك/ صالح أياي هما اللذان تآمرا عليّ في المؤتمر الوطني الثاني، وذلك لإبعادي عن الساحة.

هذا باختصار شديد جداً ما خرجت به من حروي، وهو التآمر عليه، لأنهما أي صالح أياي وعبد الله ادريس (والرفاق شعرا بأن الجماهير التفتا من حول حروي) وأصبحت له شعبية، والرؤية السياسية التي يملكها والتي آمنت بها الجماهير. خافا على نفسيهما من السقوط فتآمرا عليه. قلت لحروي:

ـ ألم تطلق على عبد الله ادريس جياب ارتريا؟

صمت ولم يجب؟ افترقنا ولم نلتقِ إلا بعد فترة طويلة:

تفاقمت مشكلة الفالول وأصبح من الضروري معالجتها، لا بالسلاح بل بإجراء سياسي، ينهي هذه المشكلة التي بدأت في عام /١٩٧٥/ و/٧٦/ و/٧٧/. تدريجياً، كنت أحس مدى الخطورة التي تواجه الجبهة (وقلت لصالح أياي):

ـ يجب أن تعالجوا مشكلة الفالول[١] وقبل كل شيء أن تتفاهموا مع حروي تدلابايرو، إنه رجل وطني مثقف.

---

(١) الفالول ـ الفوضويون.

لكن كما يبدو لم يخرج كلامي ابعد من آلة التصوير حين أضعها على عيني قال لي أحمد ناصر:

ـ لقد استعملنا الليونة السياسية مع هؤلاء ولم يبق من الفالول إلا القليل، لكن الليونة السياسية استثمرت، من الجانب الآخر واعتبروها حالة ضعف، وبدأوا يشنّون علينا الحملات لتضليل الشعب والجنود. مرة يقولون بأننا شيوعيون وأصحاب حزب العمل. وضعونا بين فكي كماشة. طرف يتهمنا بالليونة السلبية والطرف الثاني يتهمنا بالتطرف. وفي نهاية عام /١٩٧٧/ استطعنا أن نطهّر الساحة الارترية. وبقيت هناك بعض الجيوب موزعة على امتداد الساحة الارترية وماحدوث التصفية إلا دليل على وجود هذه الجيوب أليست حادثة قتل الشهيد البطل /عبد القادر رمضان/[١] الذي اغتيل في /دنكاليا/ على يد /الفالول/ الذي يرأسه /حروي/.

سألت أحمد ناصر:

ـ ألا تعتقد ان حروي له يد في عملية اغتيال الشهيد عبد القادر؟

أجابني أحمد ناصر:

ـ لم يكن لحروي يد في عملية اغتيال عبد القادر..

إن عبد القادر رمضان كان محبوباً من الشعب الارتيري كافة. لم يكرهه أحد، سوى القلة من السياسيين الذين كان يضرب على رأسهم ويطلب إليهم الصحو من الفساد، وإن أول مرة التقيت به كان في منزلي على الغداء وفي حي الميدان وكان معه المرحوم الشهيد /محمود[٢]

---

(١) خريج كلية ضباط الاحتياط في مدينة حلب.

(٢) خريج سوريا عسكرياً.

ابراهيم وصالح اياي/ وادريس اندراي/ وادريس قريش وشفا/ قال لي عبد القادر:

ـ إنك تحب المغامرة والتصوير، تعال إلى الميدان، أي إلى الساحة الارترية، لنقوم بعمل كبير ضد الاثيوبيين تقوم بتصويره.

كان لطيفاً وضحوكاً. كم كان رقيقاً وحساساً. والمرة الثانية عندما تعشينا سوية في مطعم صحارى في الخرطوم كان برفقته /حمد محمد صالح/ الذي كان في حينها رئيساً للمحكمة في الميدان. رويت لهم ما حصل لي في /عاليت/ وشد ما تألم الشهيدان. إن /حمد محمد صالح/ كان رجلاً ذا طبيعة هادئة لايتكلم إلا قليلاً. لكنه عندما يتكلم ويشرح ويحلّل، تحس بأن أنهار العالم أنهار المعرفة والثقافة قد فتحت. ترك عمله في السعودية وكان قاضياً والتحق بالثورة في وقت مبكر جداً. عندما كنت ألتقي بالمرحوم /حمد صالح/ كنت أشعر بالراحة والاطمئنان. كنت أفضفض له وهو يسمعني مضغياً بانتباه. كنت أحدّثه ساعات وساعات، لم يملّ مني مرة واحدة. كنت أسميه /الصامت المثقف/ كان بسيطاً يحب وطنه، رغم أن والدته «سودانية ـ مصرية» ووالده ارتري. والغريب أنه ولد في مشفى في القاهرة وفي المشفى نفسه توفي! ورحل هذا الانسان الذي أعطى حياته ولم يعطه الاستقلال شيئاً. جاءت به حكومة الشعبية للقاهرة بعد أن كان منتهياً. كان قد عُين من قبل حكومة الجبهة الشعبية رئيساً للمحاكم اسماً فقط وليس عملاً.

شرحت له وجهة نظري في القيادة واتجاهها إذا لم أقل انحرافها وهو يقول لي:

ـ لاتقل يا أحمد أن القيادة انحرفتْ أو بدأت تنحرف. ولا تنسى أننا نحن الاثنان من أعضاء القيادة.

سايرته وقلت له:

ـ لم أقل القيادة كلها، بل أكثر من نصفها. كان في حينها /عبد القادر رمضان/ يتجه إلى /دنكاليا/ عن طريق /عدن/ كان هذا آخر لقاء بيننا. وروى لي هذه الحكاية:

قال لي اسمع يا أخ احمد: كنا نعقد اجتماعاً مصغراً نناقش فيه أوضاعنا، وكان يحضر هذا الاجتماع /ادريس كلايدوس/ وعندما كان هذا يتكلم كان يلمز ويغمز تجاهي، لكنه زاد في الغمز واللمز وصار يتهمني مباشرة، ويذكر الاشياء التي حدثت والتي لم تحدث، واستمرّ في غيه وذهب بعيداً جداً في الكلام، حتى بت أخشى أن يتهمني بالجاسوسية. وأنا ساكت أكلمه وأنا الذي يخوض المعارك هنا وهناك من المنطقة الغربية إلى /كبسه/ إلى المرتفعات إلى /اكلى كوزاي/: إلى /دنكاليا/ الشمالية والجنوبية، لقد جبت أريريا مرات عديدة، على قدميّ وصاحبنا كلايدوس في الخارج يأكل في الفنادق الفخمة، ونحن هنا لا نجد الماء، وحين نجده يكون ملوثاً. صار /كلايدوس/ يتفلسف ولم استطع أن أتحمّل أكثر من ذلك.

وقفت ورفعت يدي، وصفعته على وجهه، صفعة قوية أخرجت حليب أمه من جوفه وتدخل الحاضرون وأبعدوني عنه.

سألني /عبد القادر/:

ـ كيف تتصور ردة فعله؟

/حمد صالح حمد/ جالس يسمع وكان في حينها حاضراً.

قال /عبد القادر/:

ـ أتعرف كيف تصرف هذا الثعلب الماكر؟ ذو الوجوه العديدة.

وقف كلايدوس وقال: لماذا انتم منبهرون! إن الذي حدث كان طبيعياً. مناضل تضايق من أخيه المناضل فضربه. ألسنا مناضلون؟ ويجب أن نتحمّل بعضنا بعضاً؟

كان /كلايدوس داهية، ولكن على من؟ على رفاقه وأبناء وطنه؟

ـ أتعلم يا أحمد أن كلايدوس قد سُجِنَ لمدة عامين في مصر.

ـ وماذا كانت تهمته؟

ـ التجسس لحساب اسرائيل، والله إن أخذت برأيي فهو أكثر من ذلك. ودارت الايام يا أبا سعدة وأنا أريد أن أوصلك إلى نقطة هامة.

ـ لقد حكم علي ادريس كلايدوس بالإعدام بعدها، لماذا لأننا اختلفنا مع كلايدوس وزمرته على أسلوبهم. وأراد كلايدوس تنفيذ الاعدام بي انتقاماً للصفعة فقط وليس لشيء آخر.

لكن هيهات لكلايدوس وأمثاله أن يقوموا بإعدامي. فأنا أقاتل من أجل استقلال بلدي وسوف أقاتل حتى أستشهد، فالطريق طويل

أمامنا وأعداؤنا في الداخل والخارج كثيرون، وسوف يأتي اليوم الذي ننتهي منهم جميعاً، أرجوك يا أبا سعدة ألا تتأثر بما حدث! أنت تعرف أن شعبنا يحبك ويحترمك.

هنا قال الصامت المثقف: كثيراً ما يسألنا المواطنون وشيوخ القرى عنك يا أبو سعدة يقولون لنا بالحرف الواحد:

- أين صديقنا أبو سعدة؟

نرجوك ألا تتأثر فنحن أشقاء.

رحم الله عبد القادر وحمد صالح وأعود لأتابع لكم بقية الرواية تابع أحمد ناصر:

- لم يكن لحروي يد في اغتيال عبد القادر، ثم استطرد قائلاً:

- من المستحيل أن يُقدم حروي على عمل كهذا، وانا اخلّص ذمتي فيما أقول، إن قسماً من الفالول قاموا بعمل كمين لعبد القادر ورفاقه، ومن الذين استشهدوا مع عبد القادر علي ابراهيم، وهو عضو أيضاً في المجلس الثوري، ثم الممرض الشاب ضرار. كانوا يسيرون /بالعربة/ حين فاجأهم الفالول وقتلهم جميعاً. كان هذا في دنكاليا وهي صحراء، وهؤلاء الفالوليون المجرمون هربوا فماتوا من العطش. وعندما قامت الجبهة بالتفتيش عنهم فلم تجدهم بل وجدت جثثهم التي نهشتها الوحوش. ومثال آخر على جرائم الفالول هناك شاب صغير السن اسمه /حدقو/ وهو المسؤول المالي في حماسين، وكان نائماً مع رفاقه ولم يعرف أنهم من الفالول فقتلوه وهربوا إلى قوات التحرير الشعبية بل

كان أكثر من ذلك لقد تمردت كتائب وسرايا: فحين كنت في أرتريا وقتها كنا نسير في الطرق غير الطرق المتبعة عادة والسبب هو هؤلاء الجنود المتمردون. وكان أبرز عناصر الفالول في /حماسين/ ويرأسهم /قبربرهان ذرأي/ وهو الآن يعيش في /اديس ابابا/، ويرأس الحركة الديمقراطية لتحرير ارتريا، والتي تسمى /اي دي م/ والتي أسسها /حروي تدلابايرو/. بعد هذا كله ترك /حروي/ الميدان وتوجّه إلى السودان وبقي فترة من الوقت في /كسلا/ وتم اكتشاف القيادة الفالولية كان ضمن هؤلاء الفوضويين الجواسيس الذين، عملوا لحساب اثيوبيا.

ذكر لي أحد المناضلين حين كنت في مدينة /اغردات/ الآتي:

ـ اكتشفنا جاسوساً يعمل لحساب اثيوبيا، واسم هذا الجاسوس هو /زكرياس/ وقد تمّ اعدامه. فهذا الجاسوس كان (فالولياً).

كما قلت سابقاً عن تمرد الكتائب والسرايا: فقد انضم حوالي الالفين من الجنود، بأسلحتهم الكاملة إلى الجبهة الشعبية، وكان هؤلاء المقاتلين من الذين دُرّبوا تدريباً عسكرياً جيداً، فقامت الجبهة الشعبية بالتخلص منهم في حرب /مصوع/ الأول وانتهى منهم.

لقد انتهى الفالول في الداخل، وبدأ الفالول في الخارج. بدأت الدعايات ضدنا وكنا نصبر ونتغاضى عن هذه الدعايات.

ـ كيف التقيتم مع عثمان وهو سكرتير البعثة الخارجية لقوات التحرير الشعبية. وشكلتم واياهم وفداً موحداً؟

فقال /أحمد ناصر/:

ـ لم نكن نعلم أن هؤلاء الافراد لايمثلون القوى المسيطرة ضمن تنظيمهم.

ولما جلسنا نتكلم معهم، كانت البعثة الخارجية برئاسة /عثمان صالح سبي/ موجودة بكاملها. سألتهم وقلت لعثمان شخصياً:

ـ ألم تخبرني أن ممثلين عن اللجنة الادارية سوف يحضرون؟ أين هم؟

وفي ذلك الوقت أرسلت، معظم الدول العربية وفوداً عنها، لتحضر مع الأخوة السودانيين، هذا الحوار ويكونون مراقبين. هنا صدرت دعاية عن البعثة الخارجية تقول:

ـ إننا فوضويون ونحن متطرفون ولسنا بحاجة إلى وحدة.

واجتمعت مع /عثمان/ في الخرطوم وكان برفقته /عمر سراج/ ممثل قوات التحرير الشعبية في بغداد وقلت لعثمان:

ـ مبروك يا أخ عثمان اليوم زغرد الشهداء لأن الوحدة قريبة.

أجابني عثمان:

ـ ثلاث كلمات فقط / على بركة الله/.

يتابع /أحمد ناصر/:

ـ عثمان قال لي كيف لاتلتقون معنا ونحن موجودون معكم؟ إن وفدنا مؤلف من رئيس البعثة الخارجية /ولدآب/ولدمريام/ وأنا أي عثمان سكرتير البعثة و /محمد سعيد ناود/ مسؤول الاعلام في حينها و /عمر برج/ وطه محمد نور/ و /عمر سراج/ ممثلهم في بغداد . كل هؤلاء حضروا ولم يحضر أحد من اللجنة الادارية.

قلنا لن نجتمع بكم. أين اللجنة الادارية؟ قالوا لنا:

ـ هذا تدخّل في شؤوننا، وأنتم ليس لكم الحق، بالتدخل بشؤوننا سألت /أحمد ناصر/ قائلاً:

ـ اعتقد أن وفد الجبهة كان مؤلفاً من أحمد ناصر رئيس المجلس الثوري،وابراهيم توتيل رئيس المكتب السياسي و/ملاكي تخله مسؤول الأمن/ عبدالله ادريس مسؤول المكتب العسكري. و/الزين ياسين/ مسؤول العلاقات الخارجية. أليس هذا صحيحاً يا أحمد:

ـ أجابني أبو بردي:

ـ نعم.. هذا صحيح. ثم تابع حديثه قائلاً:

ـ إننا لا نتكلم معكم من الناحية القانونية، لكننا نخشى من المشاكل السياسية، وهي كثيرة.

قال عثمان:

ـ إذا كنتم تريدون أن تكون اللجنة الادارية حاضرة، فانتظروا لأن اعضاءها قادمون.

وانتظرنا طويلاً، ثم عاد عثمان وقال:

ـ إن اللجنة الادارية لاتستطيع الوصول بسبب فيضان نهر بركه تجاه توكر وبور سودان وهنا.

انتهى اللقاء الأول بين الجبهة وقوات التحرير.



مرة أخرى إلى أرتريا

ودّعت ان سبي في الخرطوم، وركبت الطائرة وتوجّهت إلى بورسودان. واستغرقت الرحلة من الخرطوم، إلى بورسودان بالطائرة ذات المحركين أربع ساعات.

وفي بورسودان استقبلني مندوب قوات التحرير الشعبية /محمد[1] علي حرمتاي/، وعرّفني على المقدم السوداني /حردلو/ المسؤول عن الأمن، في بور سودان والمختص بشؤون الارتريين. وكان الأخ /العقيد خليفة كرار/ قد أعطاني رسالة توصية للمقدم /حردلو/ وعندما قدمت له الرسالة قال لي:

ـ إن الأخ خليفة اتصل بي هاتفياً من أجلك.

ثم طلب إلى /محمد علي حرمتاي/ الخروج. واستفرد بي وقال:

ـ لدينا معلومات تؤكّد وجود مشاكل وبعض التصفيات، في قوات التحرير الشعبية، ونرجو أن تأخذ بالك. وهذا بيني وبينك، وأنا سوف أوصّي بك مسؤولي الامن، حتى قارورة السودانية حيث تأتي بعدها قارورة الارترية.

خرجت من غرفة المقدم حردلو شاكراً، له هذا الاهتمام، وهذا التنبيه. صحبني /محمد علي حرمتاي/ إلى فندق، ذي عشرين نجمة نمت فيه ليلتين متخفياً، ولا أعرف سبب ذلك، إلا أنني كنت أنفّذ التعليمات.

---

(١) يقبع حالياً بسجون الحكومة الأرترية.

(أرجو من اللــه أن يلهـم الجبهـة الشـعبية الافـراج عـن هـذا المناضل الشهم والشجاع). غادرنا بورسودان أنا ومحمد علي حرمتاي إلى /سواكن/ ومنها إلى /توكر/[1]، حيث نمنـا ليلتنـا هنـاك، وبعـد الظهر وفي الواحدة تماماً أخذنا، نسـتعد للسـفر إلـى ارتريـا، مشـياً على الاقدام.

وضعنا أمتعتي ومعداتي على جمل، كان قد اسـتأجره حرمتـاي مع سيده وعلى بركة الله. كانت الشمس قوية إلا أننا نريـد ان ندخـل إلى قرية قارورة السودانية في المساء، وكان /حرمتاي/ قد اشترى لـي خبزاً يابساً /يسمى القرقوش/ وجبنه رومي أي قشقوان، وبعـض علـب البندورة والمعكرونة، وكان يحمل بيده ترمساً صغيراً، واعتقدت أن في الترمس شاياً جـاهزاً لكنّنـي اكتشـفت أن فيـه مـاء بـارداً، ومـع شـدة الحرارة شربت الترمس كله.

وعند وصولنا إلى قرية /مرافيد/ كان سيل الانهار يغطّي الأرض بل يغمرها حتى /١٠ ـ ٢٠/ سـنتمتراً فنخّخـت الجمـل وركبتـه خوفـاً من، صعوبة اجتياز هذا النهر أو هذا الخور العريض.

استغرقت هذه العملية أي عبور الماء حوالي نصف ساعة. وعندما اجتزنا الماء نخخت الجمل وترجّلت. عندها أحسست بدوار فـي رأسـي ووقعت على الأرض دون حركة، لقد ضربتني الشمس والماء البـارد فعـلا

---

(١) سواكن وتوكر ـ مدينتان سودانيتان.

بي، ولم أفق إلا وأنا ملقى على /العنكريب/[1] (أي السرير) بجانب مخفر الشرطة السوداني في /مرافيد/[2] وبجانبي (جلس حرمتاي) وكأني طفل صغير وأمه تعتني به. كانت حرارتي عالية والعرق يتصبّب من وجهي، إلا أنني كنت واعياً تماماً وسألني /حرمتاي/:

- كيف حالك؟

- الحمد لله. جيد.

وجاءنا رجل شرطة، وسألني عدة أسئلة، شعرت من خلالها بتوصية المقدم /حردلو/ ثم ذهب. قال لي حرمتاي:

- إن رجل الشرطة هذا كان خائفاً عليك واعتقد بأننا وضعنا لك السم. يا أبا سعدة فهل هذا معقول؟ وأنت صديق عزيز؟.

هنا تبادر لذهني قول المقدم /حردلو/، أنهم يصفّون بعضهم بعضاً، فهل أنا من هؤلاء الذين يصفّونهم؟. ربما فأنا محسوب على جبهة التحرير الارترية، وأنا اليوم في طريقي إلى قوات التحرير الشعبية. قال لي حرمتاي:

- إنه لم يكن يعرفني بالشكل، بل سمع عني كثيراً، من المقاتلين والشعب. وقال «إن شعبيتك كبيرة والناس يحبونك».

في الليل جاءني، ممرض سوداني وأعطاني، بعض الحبوب وحقنة، ونمت على السرير، ونام على الارض قريباً مني /حرمتاي/.

---

(١) عنكريب ـ سرير.

(٢) قرية سودانية.

وقبل شروق الشمس بقليل، صحوت فوجدت حرمتاي جالساً ينظر الي. والحقيقة أنه لم ينم تلك الليلة خوفاً علي.

ـ ها.. كيف حالك يا أبا سعدة؟

وشعرت بتحسن كبير وتوقف العرق عن الترشح من جسدي، سألت حرمتاي:

ـ ما رأيك أن نستأنف السير؟

ـ انتظر هنالك لوري. متوقف في هذه المنطقة وفي الليل أرسلت الجمل وسيده، واحضر لنا بترولاً من توكر وباللوري سوف ندخل إلى قارورة.

بعد حوالي ساعة وصل اللوري وتوجهنا إلى قارورة. بعد ثلاث ساعات من الهبوط والصعود بين أنين اللوري وعنين المحرك الذي، لاينقطع وصلنا بالسلامة إلى قارورة. إنها قطعة من جهنم. دخلت إلى خيمة مغطاة بقش كثيف، وجاءني بعض الاصدقاء ومنهم شاب كثير الحركة، وكان المسؤول عن المنطقة واسمه /دافله/ أي القويّ، وكل خمس دقائق كنت اغتسل بالماء وأغسّل السرير. بعد عشر دقائق يجف السرير وأجف أنا. طوال هذا اليوم استمر هذا العمل هكذا. إلا أن المساء كان بارداً فأخرجنا العنكريب من الخيمة، وتعشّيت وشربت اللبن، ثم جاء الدكتور ليفحصني، والحقيقة هو ممرض وليس دكتوراً، وقام بفحصي وقال لي:

ـ خذ هذه الحبوب ستشفيك!

لم أتناول الحبوب لأني أعرف أن هذا الممرض ليس لـه علاقـة بالطب، ولا بالطبابة بل، تعلم بالناس. في مساء اليوم التـالي غـادرت قارورة السودانية إلى قارورة الارترية والمسافة بينهما هو نهر. وتابعنـا سيرنا في الليل وكنت أركب الجمل و /حرمتاي/ يمشي مع عـدد مـن الحرس الارتريين.

إذن قطعنا الفيضان، وسـألت نفسـي (أنـا قطعـت فيضـان نهـر بركه فكيف لم تستطع اللجنة الادارية قطعه «إذا هناك إنَّ»؟

عـودة إلـى المفاوضـات بيـن قـوات التحريـر الشـعبية وجبهــة التحرير التي جرت في الخرطوم.

قال /عثمان صالح سبي/:

ـ نحن مفوضون، وعلينا ببدء الحوار، وهذه وثيقـة مـن اللجنـة الادارية تثبّت بأننا مفوضون بإجراء الحوار معكم، وهذا التفويض جـاء من قيادة الداخل في ارتريا، وذلك في شهر نيسان /١٩٧٥/.

سألت /أحمد ناصر/:

ـ اعتقد يا أخ أحمد، بأن البعثة الخارجية أصدرت بيانـاً تقـول فيه /مرحباً بالحوار/.

وأجابني أحمد قائلاً:

ـ ولمّا قرأنا هذه الوثيقة بدأنا بالحوار من جديد.

وقاطعته متسائلاً:

ـ ألم يأتكم احد من اللجنة الادارية؟ ويقول لكم أننا لم نوقّع علـى مثل هذه الوثيقة ولم نفوض أحداً مطلقاً؟ لم نر أحداً ولم يخبرنا أحد؟

ثم قال لي:

ـ هل من المعقول يـا أحمـد أن ندخـل بحـوار سياسـي طويـل؟ ونحن نعرف مـن يمثّـل الثقـل فـي الداخـل؟ أتريـد أن نضحـك علـى بعضنا؟ لو كان لدينا شيء من هذا لتوقفنا عن الحوار فوراً.

عدت وسألت أحمد ناصر:

ـ لماذا سكتت اللجنة الادارية إذن؟ لماذا غشّوكم إذن؟

اجابني أحمد ناصر:

ـ اسألهم! أنت تعرف الجميع (والحقيقة أنـي أعـرف الجميـع ومراميهم).

ـ المهم يا أبا سعدة أننا دخلنا، فـي حـوار طويـل وعميـق، ثـم وقّعنا اتفاقية مهمة جداً، لشعبنا ثم شكّلنا الوفد الموحد.



في معسكر بليقات

استغرق الطريق من /قارورة/ إلى /بليقات/ ثلاثة أيام، وهـذه هـي مركـز لقـوات التحريـر الشعبية. عندمـا دخلنـا بليقـات كـان الوقت مساء وانـا منهمـك وتعـبٌ وعندمـا عـرض علـيَّ /حرمتـاي/ العشاء قلت له:

ـ أريد أن أنامَ فقط!

واخترنا لنـا مكانـاً علـى إحـدى الهضـاب المتواجـدة فـي معسـكر /بليقات/. نمت وعلى ما أعتقد الساعة السابعة مساء وفـي الليـل صحـوت ولم استطع النوم. فلم ارتاح مـن وجـودي مـع الشعبية مـددت يـدي إلـى البطارية بجانبي لإضيئها وأبحث عن الراديو. وبحثـت يمينـاً وشـمالاً. يـا الله ما هذا الاصفر العسّلي الذي يئن وكان طوله حوالي /٢٠/ سنتمتراً إنـه عقرب. كان تحت رأسي. لماذا لم يلدغني؟ هذه ارادة الله...

وبسرعة تناولت حجراً وسحقته، وعلـى صـوت الضـرب صحـا /محمد علي حرمتاي/ وقال:

ـ ماذا تفعل يا أبا سعدة؟

ـ لقد جننت يـا حرمتـاي. وصـرت أضـرب الاحجـار فـي كـل الاتجاهات، وقلـت لحرمتـاي أريـد أن أضـرب رأسـك أيضـاً، لكننـي فضّلت أن أضرب هذا. انظر كيف المجانين يضربون.. ويضربـون مـن؟ العقارب السامة.

وعندما شاهد العقرب استغفر ربه كثيراً وقال:

ـ والله لو لدغك هذا العقرب لتوكلت، وعندها يقولون أن الشعبية قتلت أبا سعدة. لم نستطع أن ننام تلك الليلة. جلسنا وتسامرنا عن المفاوضات الدائرة في الخرطوم.

قال لي حرمتاي:

ـ أرجوك ألا تثير هذا الموضوع في الداخل.

ـ لماذا؟

ـ ستعرفه بنفسك عاجلاً أم آجلاً.

ـ تمام..

ـ في الصباح الباكر حملت آلات التصوير، وتجولنا في المعسكر الكبير.. الكبير.

ـ هنا من يوقد النار، هناك من يعجن، وهناك من يغتسل، ومن يحلق. المعسكر كله يعمل، كانت ضمن المعسكر ورشة لتصليح السلاح والآلات الطابعة والطباعة.. كان هذا المعسكر يعمل كخلية نحل منتظمة، كلٌ يعرف واجبه. استغرقت جولتي إلى الظهر، وخلال الجولة تناولنا الشاي عند جماعة من المناضلين، ثم ذهبنا إلى التلة التي بتنا عليها. هناك وجدنا في انتظارنا الأخ /محمد علي عمارو/ وكان مسؤول الاعلام في الشعبية، ولم أكن اعرفه في السابق، إلا أن الأخ /عثمان سبي/ اوصاني بأن ألتقي به، وأن أتعامل معه، فهو شاب جيد وخرّيج سورية أيضاً وله امكانيات متعددة، وكان لقاء /عمارو/ لي

لقاءً طيباً مفعماً بالحرارة الارترية. وحدثني وسألني عن سورية والمناطق التي تدرّب بها. كان يتكلم وبنشوة الحنين إلى سورية وإلى كل من قام بتدريبه ثم قال لي:

ـ أنا سأرافقك طوال وجودك هنا.

وبقيت أنا والأخ /عمارو/ حوالي خمسة وعشرين يوماً جلنا فيها مناطق كثيرة حتى وصلنا إلى منطقة شعب، وكان /حرمتاي/ لايفارقني ثانية واحدة. في إحدى المرات قلت لعمارو:

ـ ألا تريدون أن تتفقوا، أنتم والجبهة وتوحّدوا أنفسكم؟ ألا تريدون أن تبقوا كتلة واحدة ضد اثيوبيا؟

ولم يجبني إجابة دقيقة لا لكونه جاهل، بل عن دراية وعلم. فقد كان يعرف بأني جبهجي وميولي كلها، تجاه جبهة تحرير ارتريا وخلال وجودي مع قوات التحرير الشعبية دخل الفدائيون الارتريون القاعدة الامريكية، لإعتقال اثنين من الذين كانوا يعملون في القاعدة الامريكية المعروفة باسم /كانيوستيشن/، وقمت بتصوير عملية الأسر، وأجريت معهما حديثاً مطولاً /صوت وصورة/ وأخبراني أنهما كانا ينسّقان اتصالات /هنري كيسنجر/ في المنطقة. الأول كان زنجياً والثاني أبيض ويدعيان /جيم هارل، ستيف كامبل/ وقد رافقنا في هذه الجولة المدعو /هيلامنغريوس/ وبعد /١٨/ عاماً أصبح رجلاً مهماً في الجبهة الشعبية.

ـ في /اسمرا/ وعندما كنت هناك سألت عنه، فلم يأتني ولم يسقني حتى فنجان قهوة!. وأثناء وجودي في /شعب/ التقيت في أحد الخيران[1] بكل من /رمضان محمد نور/ محمد علي عمارو/ بطرس سلمون/ مسفون حقوس/ أبو طيارة/ أبو عجاج/ هذه الجلسة امتدت إلى ما بعد منتصف الليل. وكانوا يسألونني:

ـ لماذا سورية لاتقف مع الشعبية؟ ولماذا تقف مع جبهة التحرير الارترية؟ وأنا لست مخوّلاً بالاجابة أو بالرد على هذه الاسئلة. وكما اعتقد فإن السبب، أن جبهة التحرير الارترية ذات الميول الوطنية القومية أقرب لنا من الشعبية. هذا بإختصار عام. سألتهم أنا:

ـ وأنتم إلى أي مدى وصلتم بالعمل الوحدوي مع الجبهة؟ وماهو انتماؤكم؟ وخاصة بعد وقف الاقتتال بينكم وبين قوات الجبهة؟ كانت الاجابات غير واضحة وكان الرفاق مقدمون على عمل ما، وفعلاً كانوا يعدّون لعمل ما. وافترقنا دون أن يفهم بعضنا بعضاً. وفي صباح اليوم التالي صحبني /عمارو/ إلى منطقة قريبة، فوجدت آلافاً من الجنود، وقلت لعمارو:

ـ ماشاء الله انكم تملكون قوة كبيرة هل جمعتموهم لغرض ما؟

أجابني عمارو:

ـ لا.. إننا ننظّم أنفسنا.

---

(١) مفرده خور أي النهر الجاف.

وأعدت السؤال:

ـ لو أتت الطائرات الاثيوبية ماذا يحدث؟

ـ الله يستر.

عندما كنا في /شعب/ أغارت الطائرات علينا عدة مرات. كان مع هذه الألوف من الجنود /محمود شريفو/ وغيره من المناضلين /ومحود شريفو/ وهو أول وزير للخارجية، في أول حكومة ارترية بعد الاستقلال.

عندما نزلت من الطائرة السورية الخاصة التي اقلت الوفد السوري إلى اسمرا كان في استقبال الوفد /محمود شريفو/ و /يوسف صايغ/ حديش درار/ ممثل الجبهة الشعبية في سورية ولبنان وهذا الأخير كان ممنوعاً من دخول سورية في فترة من الفترات. لم تلتق عيناي بعيني /محمود شريفو/ ولم يقل لي (أهلاً وسهلاً) بل تجاهلني تماماً، وكما فهمتُ بعدها بأني لم أكن مرغوباً من حكومة الجبهة الشعبية، وإذا سئلت عن السبب، أقول إنه موقفي الوطني تجاه جبهة تحرير ارتريا وتجاههم أي الجبهة الشعبية. كان خط جبهة التحرير الارترية خطاً وطنياً ويعتبرون أنفسهم جزءاً من حركة التحرير العربية والعالمية، أما الشعبية فلم أسمع مثل هذا الكلام منهم أبداً.

اجتمعت مع القياديين أثناء الزيارة اليتيمة الأولى والأخيرة للشعبية، وعندما كنت بجانب /بليقات/ تعرّفت على الرفيق السابق /ورئيس الدولة الحالي/ اسياس افورقي/. لم نتبادل كثيراً من الكلام.

لقد اختلف معهم على كل شيء. لم يعاملوني المعاملة التـي يستحقها انسان يقف إلى جانبهم، إلى جانب ثورة الشعب الارتري. أليسوا هـم ارتريون؟ قلت لأحدهم في يوم من الايام:

ـ هل الطائرات الاثيوبية تفرّق ما بين جبهة وشعبية؟

غادرت بليقات (وأصبحت متأكداً من أن شيئاً سوف يحـدث. ودّعت /محمد علي عمارو/ الذي عاملني بكل طيبة وكرم، وكانت أياماً عشتها في الجانب الآخر للثورة الارترية «هذا الجانب الذي تنكّر لكل عرف وأخلاق».

ـ عدت إلـى الخرطوم فوجـدت الجبهـة، قـد وقّعت اتفاقيـة الوحدة مع الشعبية. بحثت عن /عثمان سبي/ في الخرطوم، فلم أجده وعلمت أنه موجود في منزله ببيروت.

إن ما كان يجري ويعد في ساحة الشعبية هو الآتي:

دعت اللجنة الادارية إلى مؤتمـر، وهـذا المؤتمـر سـمي (شـمال بحري) وكان هذا في شـهر ١٩٧٥/١١ و /اسـياس افورقـي/ كـان وراء انعقاد هذا المؤتمر، حتى يفشّل الاتفـاق الوحـدوي مـع جبهـة تحريـر ارتريا، وحصل الانشقاق في الشعبية، وتوّج ببيان من اللجنة الاداريـة سابقاً والجبهة الشعبية لاحقاً. يقول هذا البيان /إننا لانعترف بمـا تـم بين جبهة تحرير ارتريا، والبعثة الخارجية، ونحن اللجنة الادارية لا نعترف بالبعثة الخارجية مطلقاً. إذن هذا ما كان يحدث فـي الساحة عندما كنت في أرتريا هذه هي النتائج. وكان احساسي في مكانه.

وعندما عدت من ارتريا التقيت بعثمان سبي وقلت له:

أرجوك أن تسمعني لما أريد قوله، الحقيقة أن هناك شيئاً ما، يحدث في الداخل. وأنت ذكرت لي /عمارو/ وأبو طيارة/ وأبو عجاج وقلت لي تعامل معهم، هؤلاء لن يبقوا معك! وهكذا حصل فلم يبق مع عثمان سوى أبو طيارة وأبو عجاج ومعهم مجموعة صغيرة من الجنود، أما /عمارو/ و /رمضان/ فهم من اسياس. وببرود اجابني عثمان:

ـ سأُقفل الحنفية!

وصدمت من هذه الاجابة التي، أثبت الزمن بأنه تفكير خاطئ، وتصرف خاطئ.

وعدت لأسأل /أحمد ناصر/:

ـ لماذا لم تستفيدوا من هذا الطلاق الذي حصل بين عثمان وأسياس؟

أجابني /أحمد ناصر/:

ـ كنا ننظر بمنظار وطني، وليس لتكريس وخلق تنظيم جديد، لأننا نعرف عقلية عثمان، وعقلية أسياس. لقد عملنا بمفهومنا وهو الوحدة الوطنية.

قلت لأحمد ناصر:

ـ هذا كلام نظري! ألم تضربكم وتدمّركم الجبهة الشعبية وجبهة تحرير تغراي/١٩٨١؟ عندما اتّحدوا ضدكم ودمّروكم دون رحمة؟

ـ كنا نريدهم متماسكين.

ـ يا أبا عمار ماذا كانت ستفيد هذه الاتفاقية مع البعثة الخارجية إذا لم تطبق في الساحة؟

ـ كانت هناك مساعي تجري فيما بينهم، وقد تم لقاء بين البعثة الخارجية بقيادة عثمان سبي، واللجنة الادارية بقيادة اسياس افورقي في الخرطوم/. ومثّل الطرفين عثمان وأسياس وبدلاً من العودة إلى بعضهما بعضاً، تمّت الطلقة النهائية عام ١٩٧٦، ونتيجة لهذا الطلاق أصبح في الساحة ثلاثة تنظيمات، وزاد الطين بلة.

قال /أحمد ناصر/:

ـ حاولنا أن ندفع من أجل لملمة الطرفين بعضهما مع بعض، فما كان من أسياس إلا أن قال:

ـ أنا لا أجلس مع عثمان مطلقاً. وعثمان يقول أنا لا أجلس مع أسياس..

كان /أسياس/ يقول:

ـ دعونا نتفاوض نحن وإياكم، أي الجبهة الشعبية وجبهة التحرير، إننا لانقبل عثمان، ولانقبل أية اتفاقية وقّعها.

قال /أحمد ناصر/ متابعاً حديثه:

ـ بقينا لمدة عامين من ١٩٧٥ إلى ١٩٧٧ ندافع عن مواقفنا، وللأسف فإن اتفاقاً غير معلن كان بين اسياس وعثمان لمحاربتنا، عثمان يقول اننا ماركسيون، وأسياس يقول إن الجبهة تتعامل مع سبي الرجعي، ولا تتعامل مع المقاتلين الذين يسفكون دماءهم. الجبهة تتعامل مع رواد الفنادق الفخمة وتقصد سبي الرجعي.

اتفاقية اكتوبر

وفي شهر اكتوبر وبالوساطة السودانية، وبحضورٍ عربي، تم اتفاق سُمي باتفاقية اكتوبر بين الجبهة والشعبية، وفي الوقت ذاته ارسل عثمان، رسالة إلى محمد أبو القاسم ابراهيم /نائب رئيس الجمهورية السودانية، يقول فيها (إذا توحَدت جبهة التحرير والجبهة الشعبية، في تنظيم واحد، فنحن على استعداد أن نحلّ تنظيمنا، أي تنظيم قوات التحرير الشعبية).

إنها المزاودة بعينها! هل اخذ عثمان موافقة قاعدته العسكرية التي تم تشكيلها سريعاً ورأسها /أبو بكر/ محمد جمع/؟

قال أحمد ناصر لي فيما بعد:

ـ عندما اجتمعنا بنائب رئيس الجمهورية السودانية، سألته: هل تعكس هذه الرسالة موقف قوات التحرير الشعبية كافة أم كسابقتها؟ أجابنا نائب رئيس الجمهورية السودانية اللواء /محمد أبو قاسم/:

ـ دعوهم يتحمّلون هذه المسؤولية. إذن توقيع اتفاقية اكتوبر مع الجبهة الشعبية، والتي مثّلها عن جانب الجبهة، أحمد ناصر وعبدالله سليمان. وعن جانب الجبهة الشعبية مثّله /اسياس افورقي/ وسعيد باري/، وقّعنا سوية، واتُفق على أن تلتقي الاطراف في، الساحة الارترية، وكان الموعد بعد شهر، ومرّت الايام، وكنت أنا في ارتريا،

وكنتُ قريباً مـن منطقـة حكـات[1]، وذهبـتُ لأشـهد هـذا اللقاء فجـاءت الجبهة الشعبية، ومعها حراسة كاملة، وزيّنت هذه الحراسة (ب. ت. ن استقدمتها الجبهة الشعبية، اما الجبهة فقد جاءت بصواريخ /ب. ٧).

هل هذه ساحة حرب أم ساحة مفاوضات وحـوار اخـوي؟ كـان كلٌ منهم يريد، أن يظهر قوته ويمارس ضغطـه. كـان ذلـك فـي شـهر /نوفمبر/١٩٧٧/، وفي هذا اللقاء تمّت مناقشة اتفاقية الخرطوم، فظهـر تباين في وجهات النظر.

الجبهة تقول:

- ننسّق مع بعضنا، إلى أن نصل إلى مؤتمر وطنـي، تُعلـن منـه الجبهة الوطنية الديمقراطية الواحدة.

الشعبية تقول:

- لا!.. كل شيء خاضع للتنسيق، وإلى متى سيستمر هذا التنسيق؟

واستمر حوار الطرشان هذا، لمدة ثلاثة أيام، وفي النهاية قالت الجبهة الشعبية:

- إن ماطرحتموه سوف ندرسه، في قياداتنا ونرد عليكم.

قلت لأحمد ناصر:

- هل ردّوا عليك؟

- لا..

فجأة دخلت الشعبية في معركة /مصـوع/، وكـأن لقـاء حكـات ليس له أي معنى من جانب الشعبية.

---

(١) قرية أرترية صغيرة.

وعندما سألت أحمد ناصر عن معنى ذلك.

قال:

ـ أريد أن أوضّح لك شيئاً، إن الامريكان ضدنا على طول الخط، والسوفييت مع اثيوبيا. ونحن نأخذ سلاحاً، من الأشقّاء العرب الذين، كانوا يشترونه من السوفييت، ويعطوننا إياه. كنا نرى أنه من الضروري استمالة الاتحاد السوفيتي إلينا، أو على الأقل تأمين أن يكون على الحياد، يجب أن نشعر بقيمة المرحلة وأن نتعامل معها بذكاء، لا حباً بالاتحاد السوفيتي ولا بغيره، نريد مصلحة وطننا.

نحن نأخذ الكلاشينكوف من العرب، والسوفييت يبيعون هذا السلاح، للعرب كي يوجّه ضد اسرائيل. اذن هذا السلاح لم يقاض بموقف يوقف حجب الدعم عن ارتريا، لأن الأشقّاء في الدول العربية سوف يدافعون عن موقفهم الوطني إذا سئلوا من قبل الاتحاد السوفييتي: لماذا يعطون السلاح إلى الارتريين؟

ومن الممكن أن يقول الاتحاد السوفييتي «إن هذا السلاح قد يقف ضد استراتيجيتنا في البحر الأحمر». هل نفتح جبهة جديدة؟ خاصة أن الامريكان ضدنا بشكل دائم، كما أن لاسرائيل دورها في اثيوبيا وارتريا. فهي التي تقوم بتدريب الكوماندوس في اثيوبيا، ثم إن شركة /انكودا/[1] في /اسمرا/ هي التي، جنّدت نفسها وأعطت اسرائيل اللحوم وغيرها في حرب ١٩٦٧.

---

(١) انكودا: شركة لحوم في أسمرا.

سألت /أحمد ناصر/:

ـ هل كان من الممكن أن يتفهَمكم السوفييت ويتفهَموا قضيتكم؟

أجاب:

ـ ربما وخاصة وأن، أشقاءنا العــرب يزكوننّـا عنـد السـوفييت، وبالاضافة إلى هذا فالاتحاد السوفييتي، يناصر كل حركات التحرر في العالم، وهو ضد الامبريالية والصهيونية.

ـ ألستم أنتم ماركسيون؟

أجاب أحمد ناصر:

لا، نحن وطنيون.

ثم تابع حديثه:

ـ عندمـا زرنـا الاتحـاد السـوفيتي، لـم يكـن أمامنـا إلا طريـــق المصادقة، وشرح مواقفنا ومحاولة تفهم السوفييت لنــا، فـلا يجـوز أن نقوم بمعاداة السوفييت والمعسكر الاشتراكي. لإننا قـد نحـرج اشـقاءنا العرب الذين لهم، علاقة وطيدة مع الاتحاد السوفييتي.

إننا نريد أن نسهّل الطريق لاشقائنا المسؤولين، عندما يطرحون قضيتنا للسوفييت. معظم القادة العرب الذين يقدمون العون والدعم لنا، من مال وسلاح وتدريب وغيره، قالوا للسوفييت: «إن الثـورة الارتريـة معادية للامبريالية والصهيونية وعليكم أن تتفهموها».

هذا هو موقفنا في جبهة التحرير، هذه قضية حسّاسـة وهامـة، لنا ولاشقائنا، وعلينا أن نتعامل معها بدقة وعقلانية.

ـ كنتم تواجهون نظام /الدرك/ الذي يضربكم بسلاح سوفييتي.؟
ـ هذا صحيح كنا نواجه، طائرات الميغ والدبابات والصواريخ السوفيتية، وكافة الأسلحة الفتّاكة وعلى الرغم من هذا وحفاظاً على حقنا، وعلى أن يكون الاشقاء العرب، في وضع مريح ولا نسبب الإزعاج لهم، ونثير المشاكل. فضّلنا أن نتعامل بهذه القضية، بكل مرونة ونضمّد جراحنا. كنا نقول دائماً إن من حق السوفييت والاثيوبيين، أن يقيموا علاقات من أي نوع يريدونه.
ـ ألا تعتقد يا أخ أحمد أن هذه العلاقة، واقصد العلاقة بين السوفييت والاثيوبيين، كانت موجّهة بالدرجة الأولى ضدكم؟
ـ لا.. إن لاثيوبيا مشاكلها، مع كل من الصومال والتغراي واورومو والعفر. لا شك أننا نحن الارتيريين معنيون أكثر من الذي ذكرته. نحن في أول القائمة لضربنا وسحقنا. نحن الذين ساعدنا على إنهاء عهد الامبراطور هيلاسيلاسي. لم يفهمنا المسؤولون في اثيوبيا ــ رغم ترسانة السلاح، وذُبحنا ليلاً ونهاراً وتم تشريد شعبنا وتدمير قرانا. رغم ذلك لابد أن يسقط هذا النظام كسابقه وكما قلت.
ـ يقولون: إن قيادة الجبهة تحالفت، تارة مع الشيوعيين وتارة أخرى مع المسيحيين وهكذا.. هذه النغمات التي بدأتها قوات التحرير الشعبية بقيادة عثمان، وردّدتها في صحفها وأحاديث أعضائها وبياناتها، والأخطر من ذلك أنهم كانوا يرفعون تقارير، بحقنا إلى دول عربية معيّنة. بالإضافة إلى كل هذا، تراكمت المشاكل في الجبهة وتمّ عزلنا مادياً في هذه الدول العربية.

ـ لقد قمتم بزيارة إلى موسكو في شهر أيار وحزيران ١٩٧٨ هل هذا صحيح؟

ـ هل تستدرجني وأنت تعرف كل ذلك؟

ـ ألم نطلعك على كل شيء قبل حدوثه؟

ـ يا كحلا من فمك أحلى.

ـ نعم زرنا موسكو وكنتُ أنا على رأس الوفد الذي، ألف من صالح اياي وعبد الله سليمان ويوهنس ذرء ماريام، والتقينا في موسكو بالكسندر ديزا ساسخوف. وقدّمنا مطالبنا وتتلخص بالاستقلال الكامل لارتريا. كنا نطالب بحل عادل لقضية ارتريا، ألستم أنتم تدعمون حق الشعوب في تقرير مصيرها؟ ألسنا شعباً إذن؟ نريد دعمكم ومساندتكم ليكون لنا دولتنا. ثم قلنا للسوفييت:

ـ يجب أن تدعوا بقية الفصائل الموجودة، على الساحة وكنا نقصد الجبهة الشعبية، وقوات التحرير الشعبية، للمشاركة في الحوار ونفضّل أن نكون بوفد موحّد وهذا التزام بمواقفنا.

دافع السوفييت عن نظام الدرك وعن منغستو، وقال الكسندر ديزا ساسخوف أن منغستو يرأس نظاماً تقدمياً، يمشي إلى الأمام، هذا نظام تقدّمي معادٍ للامبريالية والرجعية والصهيونية.

قلنا لهم: يجب أن تفهموننا. سوف نأخذ دعماً، من أي جهة في هذا العالم، طالما هذا الدعم يعزّز من صمودنا، ويحقّق لنا استقلالنا، هذا ما دار من حوار ونقاش في موسكو. وكانت فرصتنا أن

نلتقي بالسوفييت وجهاً لوجه، ونطلعهم على ما نريد وعلى، ما نحـن عازمون عليه. ولكن للأسف إن رفاقنا في الفصائل الارترية، استثمروها بشكل ردىء، وتم تشويهنا وشوّهوا وجـه الجبهـة المضـيء، فـانعكس على الدعم الذي كنا نتلقّاه مـن الدول العربيـة البترولية، لقد وقـف الأخوة الصوماليون مع اشقائنا أصحاب الدول البترول ضدنا.

قلت لأحمد ناصر:

ـ سمعت بأنك قمت بزيارات، إلى كل الدول العربية فـي ذلـك الحين: فماذا كانت النتيجة؟

ـ نعم.. زرت معظم البلاد العربية ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧. كنت أطلـب منهم أو بالأحرى /أشحد/ منهـم أن يمدونـا بسـيارات لنقـل الجرحـى والتموين والسلاح، فلم أجد أحداً يقول لنـا: (تفضـل وخـذ جـزءاً مـن حاجتكم)، لم نـأخذ سـيارة واحـدة، بينمـا كـانت تُعطـى لغيرنـا مـن الفصائل، الأموال والسيارات ومواد تموينية وغيرها. أين هذه الفصـائل اليوم؟ من تبخّر تبخّر، ومن بقي أصبح تحت رحمـة الجبهـة الشـعبية لذلك أقول:

(رحم الله إمرءاً عرف نفسه فوقـف عنـد حـده). كيـف نقـف بوجه الاتحاد السوفييتي وهذا مطلبهم، كنا نريد أن نقول لهـم: لقـد أصبحنا قرب قوسين أو أدنـى مـن الاسـتقلال، نرجوكـم سـاعدوننا، لانريد نقوداً بل نريد مواداً غذائية، نريد ذخـيرة، نريـد مدافـع مـن عيـار /٦٢/مـم أو /٨٢/مـم. لقـد كنـا فـي ضواحـي /اسمرا/، وكنـا

لوحدنا. ساعدونا اليوم فغداً ترون ارتريا المستقلة الوطنية، وإذا استثنينا سوريا والعراق فإنهما لم يبخلا علينا بل أعطونا كل ماطلبنا. إنما البقية من اشقائنا ساعدونا قليلاً.

كنا نقول يا أخواننا، (ساعدوننا فسنكون لكم الرديف القوي غداً) فعلى من نراهن؟ هذه هي حساباتنا، وهي حسابات وطنية صرفة. إن الصومال وعثمان سبي واسياس بدأ هؤلاء يشتمون الاتحاد السوفيتي، وكوبا ثم يعرضون علينا أن نقوم بكيل الشتائم لهم.

قلت /لأحمد ناصر/:

ـ ألم يقاتلكم السوفييت والكوبيون؟

ـ لا.. لم يقاتلون، ولم يدخل أرتريا أحداً من هؤلاء، إلا في الفترة الأخيرة وهم على مستوى الخبراء.

قلت لأحمد ناصر:

ـ إنني عندما كنت في أوغادين[1]، أثناء الحرب تم أسر كوبيّ يدعى /ارنالدوكارلوس/ وأجريت معه مقابلة وسألته:

لماذا أنت في أوغادين وأنت، كوبي؟

أجاب كارلوس:

أنا شيوعي، وسأقاتل في أي منطقة تستدعي، أن أكون فيها بجانب الحرية.

قلت لكارلوس (كلنا تقدميون لكننا لم نقاتل مع الاثيوبيين، وهل قتال الصوماليين الذين يقاتلون من أجل أرضهم واستقلالها ضد الاثيوبيين هل هذا القتال هو حرية؟).

---

(١) الصومال الغربي.

ثم سألته سؤالاً آخر:

إذا أطلق سراحك اليوم فماذا تفعل؟

فقال: (أعود وأقاتل مرة ثانية).

ويتابع /أحمد ناصر/: يا أحمد خليها على الله يا أحمد، إن كاسترو كان يقف إلى جانب، منغستو هيلا مريام ويمدّه بالرجال والعتاد. إن الكوبيين لم يحاربونا، لماذا يطلبون منا أن نقول إن كوبا تحاربنا؟ لم يكن يحاربنا لا الاتحاد السوفيتي، ولا المنظومة الاشتراكية. كانوا يعزّزون منغستو وإذا صح التعبير أكثر نقول:

(لم يقاتلونا مباشرة).

- إذن كيف تم القبض على عدد من الضباط والخبراء السوفييت داخل ارتريا؟

- نعم تم القبض على عدد من الخبراء، فالموضوع إذن كان على مستوى الخبراء فقط وفي الفترة الأخيرة وليس في البداية، لقد بدأ التآمر على الجبهة قديماً، لكنه نشط من جديد. إنهم يريدون هدم هذا البنيان الذي شيّده دم الشعب الارتري، وفي شباط /١٩٨٠/ قام وفد من قيادة جبهة تحرير أرتريا إلى موسكو.

- ماذا كانت النتيجة؟

- لم تأت هذه الزيارة بشيء جديد. أما الشيء الجديد الذي سمعناه فهو: أن جبهة التحرير الارترية لديها برنامج زراعي جيد.

سألت أحد قادة الجبهة:

ـ هل زاركم وفد واطّلع على تجربتكم الزراعية هذه؟

ـ لا.. لم يدخل السوفييت عن طريقنا، بل عن طريق اثيوبيا. قالوا «إن برنامجكم الزراعي أفضل برنامج رأيناه في افريقيا، إنها تجربة رائعة». ثم قالوا «إن كل ما تقدمتم به هو صحيح».

قلنا لهم:

(هذا هو الحق ونريد استقلال بلدنا، ونحن لن نتدّخل ولا نتدخّل بشؤون شعوب اثيوبيا، نحن ضّد الامبريالية العالمية والامريكان واسرائيل).

قلت لقيادة الجبهة:

ـ لقد دفعتم ثمناً غالياً لآرائكم ومعتقداتكم. أين جبهة تحرير ارتريا اليوم؟ ومن ساعد الجبهة الشعبية ومن ساعد على إنهاء النظام في اثيوبيا؟ أليس هم الامريكان؟

أجابني أحد الرفاق قائلاً:

ـ هذا كان رأينا ومعتقداتنا، التي قاتلنا من أجلها. إن كلمة الحق قلناها وسنقولها دائماً. من توسّط بين الجبهة الشعبية واثيوبيا؟ أليس هو /هرمن كوهين/ المسؤول في وزارة الخارجية الامريكية؟ ألم يستقبل كارتر اسياس افورقي في طائرته عندما وقف في مطار الخرطوم؟ من أدار مباحثات /أتلنتا/ وضغط على الاثيوبيين؟ أليس هم الامريكان؟ هل حباً بسواد عيون الارتريين؟ أليس الامريكيون هم قمة الامبريالية؟ أين الجبهة العظيمة التي كان مقاتلوها ينتشرون من /قرب دولة جيبوتي/ إلى الحدود السودانية؟ ماذا جنت بعض الدول العربية

بعدم مدّ يد المساعدة الحقيقية لهن؟ لن اقول على من توضع المسؤولية، فالتاريخ هو الذي سوف يتكلّم.

ـ سألت أحمد ناصر:

ماذا قال لكم السوفييت أيضاً؟ سمعت من مصادر موثوقة أن هناك عملاء وجواسيس للامريكان.

ـ أرجوك أن تعفيني من الإجابة، واستطرد متحدثاً: ثم قال لنا السوفييت إن رأيكم هذا في، استقلال بلدكم عمّم على، صعيد الدولة السوفيتية كلها، لأنه صحيح ومنطقي بموضوعيته. لذا نرجو منكم ألا تقوموا بعمل مثلما يفعل الآخرون. واعتبرتُ هذا انتصاراً لنا ولقضيتنا. طالبوا بحقكم هذه آخر كلمة قالوها لنا، طالبوا بحقكم..

وازدادت الحملات علينا. من كل جانب، وحين أكون في معسكر /فورتو/ في ارتيريا، يقولون أني في موسكو، وحين اكون في دمشق أو بغداد يقولون أني أقابل الاثيوبيين سراً. إني لم أقابل في، حياتي السياسية حتى الآن، اثيوبيا واحدا لا سراً ولا علناً.

قلتُ لقد علمت من أحد الأصدقاء، أن السوفييت، قالوا لوفد من الجبهة، بأن قادة الشعبية وقوات التحرير هم عملاء للامريكان. قال سيمنوف رئيس الوفد السوفييتي (إنهم جواسيس) (.....) قالها بالحرف الواحد. هل صدق سيمنوف أم لا؟

ثم سألتُ احمد ناصر:

ـ ما رأيك بهذا الكلام؟ هل صحيح ما قاله سيمنوف؟

أجابني أحمد ناصر:

قلت لك ماعندي وكفى..

اتفاق مع الجبهة الشعبية ومفاوضات في ألمانيا

قلت لأحمد ناصر:

ـ طالما لاتريد أن نتكلم فلنغيّر الموضوع.

أجريتم اتفاقاً في شهري سبتمبر واكتوبر عام ١٩٧٥ مع الجبهة الشعبية ويقول هذا الاتفاق:

(أن أي لقاء مع اثيوبيا يجب ان يكون مشتركاً) أصحيح هذا؟ وما الذي حدث؟

قامت الجبهة الشعبية من وراء ظهرنا، بإجراء ثلاث مقابلات مع الاثيوبيين، في ألمانية الديمقراطية، رغم وجود نص صريح ومتفق عليه، بأن أي لقاء مع الاثيوبيين يجب ان يكون مشتركاً بيننا. فوجئنا بهذه اللقاءات وتمت هذه اللقاءات في شهر كانون الثاني وشباط وحزيران وكانون الأول /١٩٧٨/ وأجرى هذه اللقاءات مع الاثيوبيين، وفد برئاسة اسياس افورقي والأمين محمد سعيد وبرعاية ألمانية.

قلت لأحمد ناصر:

ـ أنتم التقيتم والشعبية في ١٩٧٨/٥/٢٢ في مدينة /كرن/ في ارتريا، ألم تتفقوا على شيء؟

ـ نعم التقينا في مدينة /كرن/ في هذا التاريخ، وكان هذا اللقاء قد جرى الإعداد له، قبل مدةٍ. ذهبنا في الموعد المحدد وضمن وفد كبير برئاستي وعضوية كل من عبد الله ادريس رئيس المكتب العسكري وابرهيم توتيل رئيس المكتب السياسي وعبد الله سليمان مسؤول العلاقات الخارجية وملاكي تخله مسؤول الأمن. اجتمعنا وكان على رأس وفد الجبهة الشعبية رئيس التنظيم رمضان محمد نور وابراهيم عانه وآخرون.

وأسأل عن اسياس أين هو؟

أجابني رمضان.

ـ إنه موجود في ارتريا ولعمل طارىء لم يستطع الحضور. لم يكن رمضان صادقاً، إن اسياس كان موجوداً عند الألمان ويلتقي مع الاثيوبيين، في برلين سراً، ويعمل من خلف ظهرنا. نحن ننسّق أن نكون سوّية، وهم يعملون عكس ذلك.

صدّقناهم في بادىء الأمر، ألسنا نحن ثوار وصادقون؟ لم يخطر في بالنا، أن يكونوا في هذا المستوى، اتفقنا نحن والشعبية أن يكون لنا وفد سُمي الوفد الموحد للقيادة السياسية العليا، يضمني أنا احمد ناصر رئيس جبهة تحرير ارتريا ورمضان محمد نور رئيس الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا. ويرافقنا مسؤولا العلاقات الخارجية من كلا التنظيمين. اتفقنا ان نزور الدول العربية الشقيقة والدول الأوربية

والافريقيــة، هكــذا تــمّ الاتفــاق فيمــا بيننــا. وعــدت إلــى مقــري فــي /هواشيت/[1] وهناك وجدت برقية تقول:

(يجب حضورك فوراً إلى الخرطوم)، إن أمراً هاماً حدث ويحدث. والبرقية كانت مرسلة من عبد الله سليمان، وتقول البرقية ان اسـياس فـي ألمانيا؟ كيف عرف بوجود اسياس في برلين، يتفاوض مع الاثيوبيين؟ ولم يطل الجواب إن سفارة ألمانيا الديمقراطية أخبرتهم بذلك.

يتابع ناصر: أتيت إلى الخرطوم، ومنها إلى دمشـق، والتقيـت بصالح اياي، وهناك جاءت تفاصيل الخبر الذي يقول، إن الاثيوبييـن والجبهة الشعبية، يتفاوضون في ألمانية، وتحت رعاية المسؤولين في جمهورية ألمانية الديمقراطية.

قال لنا الألمان «إن رفاقكم في الجبهة الشـعبية موجـودون فـي برلين، ويحاورون الاثيوبيين، وعليكم أن تحضروا إلى برلين بسـرعة». إذن /اسياس/ في برلين وليس في ارتريا كما قال رمضان محمد نور.

قال /أحمد ناصر/:

ـ إن الألمان قالوا لنا: أن عضواً فـي اللجنـة المركزيـة للحـزب الاشتراكي الموحّد قادم من ألمانية، لهذا الغرض وسوف تلتقون به في بيروت، وهذا ما تمّ في دمشق. إذاً علينا الذهاب إلى بيروت والالتقـاء بالمسؤول الألماني هناك، هكذا قـال لـي /صـالح ايـاي/ وفـي بـيروت التقينا القائم بأعمال السفارة وكان ذلـك فـي الشـهر السـادس /١٩٧٨/ قلنا للقائم بالأعمال:

---

(١) منطقة ارترية.

«ما هذا التصرف؟ وما هذه الفوضى؟ كيف تدعون وفداً ارتريا عدة مرات وتخفون عنا هذا؟ ربّما يكون ذلك من حقكم، أما أن تقولوا لنا أحضروا إلى ألمانيا، فهذا لا يليق بنا ولا بكم.

قلت لأحمد ناصر:

ـ ألا تعتقد أن هذا شأن ألمانيّ..؟ ثم قلت له إن الألمان عام ١٩٧٧ دعوا وفداً من قوات التحرير، وذهب الوفد وكان برئاسة /محمد سعيد ناود/ والتقى بالألمان. ثم ألم يذهب مسؤول العلاقات الخارجية في الجبهة /عبد الله سليمان/ إلى المانيا والتقى بالألمان أيضاً؟

أرجو المعذرة من القارىء لأن لي تعليقاً بسيطاً:

(بعد ٢٩ عاما اتضّح لي، أن صديقي /صالح اياي/ لم يكن يطلعني إلا على ما يريدْ هو..) إن حلولاً سلمية هي المطلوبة فأنتم أحرار أن تدعوا من تشاءون، أما نحن فلنا رأينا نحضر أو لا نحضر. هذا ما قاله /أحمد ناصر/ للألمان.

قلت له:

ـ ألا يعلم الألمان أن هناك اتفاقاً بينكم وبين الجبهة الشعبية بإلا يلتقي أحد بالاثيوبيين سراً أو علناً إلا وتكونون معاً؟

قال /أحمد ناصر/ هذا للقائم بالأعمال الألماني:

ـ أنتم استقبلتم الوفد، من وراء ظهرنا، كذلك فعلت الجبهة الشعبية، لقد اجتمعتم ثلاث أو أربع مرات سرية من وراء ظهرنا، فما هو المقصود من تصرفكم هذا؟

بدأ التأثير يظهر على وجه القائم بالأعمال الألماني بل كان واضحاً عليه. سكت قليلاً ثم قال:

ـ إن اللجنة المركزية للحزب، أوفدت أحد اعضائها لتتناقشوا معه، هذا ما قاله له لنا القائم بالأعمال الألماني.

وتابع أبو /بردى/ قائلاً:

ـ بعد أيام التقينا بعضو اللجنة المركزية، في بيروت. وكان يصحبني المناضل /صالح اياي/. التقينا به مدة ثماني ساعات، أربع ساعات قبل الظهر، وأربع بعد الظهر. قلت له أي لعضو اللجنة المركزية:

ـ هل تريدون أن تخلقوا فتناً فيما بيننا بلقائكم هذا مع الجبهة الشعبية؟ هذا عمل غير لائق بكم وبمعتقداتكم.

قال لنا عضو اللجنة المركزية:

ـ نرجوكم أن تنضموا إلى وفد الشعبية.

ـ أي وفد؟ تتفقون أنتم والشعبية من وراء ظهرنا، ثم تقولون انضموا للوفد!! هذا شيء معيب، ونحن لانقبل به ونرفضه، ولن نذهب إلى ألمانية.

لم يبق هناك ثقة في معتقداتهم، ونحن لانعرف ماذا تم في هذه اللقاءات، لماذا أخفيتم أنتم والجبهة الشعبية هذا الموضوع عنا؟ هناك سر في الموضوع، أنتم تعلمون أننا وقعّنا اتفاقية بهذا الخصوص لكن الذي تم يعتبر غدراً من الشعبية خاصة. ربما يكون قد جرى اتفاق سري بينكم، فما الذي يدرينا ألا يتم هذا من وراء ظهرنا؟

إذا كنتم تعتقدون بأن الجبهة الشعبية، تستطيع أن تنفرد بالحل، فاستمروا معها، أما إذا كنتم تريدون علاقة معنا نحن جبهة التحرير الارترية. فأهلاً وسهلاً ونحن حاضرون، نحن بعد فترة سنذهب إلى موسكو، وبعد أن ننهي مباحثاتنا مع السوفييت من الممكن أن نعرّج على ألمانيا ونلتقي بكم. أما بخصوص حضورنا الآن، ومشاركتنا بالوفد فنحن نرفض.

قلت لأحمد ناصر:

ـ كنتُ قد سمعت بأن هذه اللقاءات، لم تُسفر عن شيء، سمعت ذلك بطريقتي الخاصة.

قال احمد ناصر:

ـ أراد عضو اللجنة المركزية الألماني أن يهدىء الموقف فقال:

ـ إن المباحثات كلها قد فشلت.

لم نكن نثق بكلامه، إلا أن الألماني قدّم لنا بعض الوثائق التي تؤكّد فشل هذه اللقاءات، ثم قال عضو اللجنة المركزية الألماني:

ـ إن وفد الجبهة الشعبية برئاسة /اسياس افورقي/ مغادر، وقلنا لهم: إن هذا لايليق بكم كعقائديين.

هذا ما قاله لنا عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الألماني الموحّد، نحن رفضنا الذهاب إلى ألمانية وعاد هو إلى بلده. وسألت /أحمد ناصر/:

ـ إنكم عدتم والتقيتم بالألمان من جديد أليس هذا صحيحاً؟

ـ نعم.. التقينا بالألمان في، طريق عودتنا من موسكو، ولم تسفر اللقاءات عن شيء. وكرّر الألمان محاولاتهم عن طريق الفلسطينيين واليمنيين، لكن دون جدوى.

قلت لأحمد ناصر:

ـ إن لكم علاقة طيبة باليمنيين، ولهؤلاء علاقة مميّزة مع الاثيوبيين فما هو دور اليمنيين في هذا؟



دور اليمن الجنوبي

ـ كنا نلتقي دائماً بالأخوة اليمنيين، وإن الأخ /عبد الفتاح اسماعيل/ قال لنا إن وفداً من الجبهة الشعبية الارترية يريد ان يلتقي بكم، وسوف يكون معهم بعض المناضلين الفلسطينيين، وأنا أفضّل ان تلتقوا بهم خاصة، وأن الفلسطينيين يتبنّون الجبهة الشعبية. ناقشوهم بخطئهم الذي ارتكبوه، وأنا اقول لكم أنهم أخطأوا فعلاً.

ثم قال عبد الفتاح اسماعيل:

ـ الأفضل لكم ولهم، أن تكونوا وفداً واحداً، وأن تكونوا مع الحل السلمي العادل للقضية الارترية.

وهذا ما فعلنا. إذ أصدرنا من بيروت بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢٩، بياناً حول الموضوع، ثم عدنا والتقينا مع الجبهة الشعبية في اليمن، وكان ذلك بحضور يمني ممثلاً بـ /سالم صالح/. أثناء اجتماعنا مع الشعبية. والذي حضر قسماً منه القائد اليمني /عبد الفتاح اسماعيل/ لكن القلوب غير صافية منا ومن الشعبية وكما يقولون: /الباديء أظلم/.



بداية الأزمات

وكان وفد الشعبية في /عدن/ برئاسة /اسياس افورقي/ ورمضان محمد نور في حينها، وكنت أنا في /عدن/. وسمعتُ بعض أطراف ما كان يدور، ثم سافرتُ الى /جيبوتي/. وفعلاً بدأت تتكاثر الأزمات، فالامدادات كانت شبه معدومة، والظروف العسكرية رديئة. وفي عام ١٩٨٠ ـ ذكرت الدعايات التي كانت تطلق على الجبهة، وكان /اسياس/ وبالتعاون مع /عثمان/، كان الإثنان في حلفٍ غير معلن ضد الجبهة. قال لي أحد الاخوة السودانيين:

ـ أصحيح أن الجبهة قد اتفقت مع الاثيوبيين في موسكو؟

ـ حملة مركزة لها أثرها في الجبهة. فالصحافيون المرتزقة أتوا من كل مكان من العالم العربي والغربي، وكم بالغ هؤلاء في الكتابة والاشاعات، والى حدٍ ما قاموا بتعبئة العالم العربي ضد الجبهة. قالوا للسودانيين:

ـ إن الجبهة باتت تهدّد أمنكم.

وعاد القتال مرة ثانية، بين الاشقاء. لكن الجبهة الشعبية وجبهة تحرير /تجراي/ الحاكمة حالياً في اثيوبيا، اتفقوا فيما بينهم على ضرب وتدمير ج. ت. آ. كان هذا في عام /١٩٨٠/ كنت في ذلك الحين في /ارتريا/، وكنت ألتقي دائماً بالاخوة القياديين الذين لم يكن يروق لي تصرفات وأفعال بعضهم.

ـ بدأ التحالف بين شعبية /ارترية/ وشعبية /تجراي/ ضدنا منذ زمن بعيد، إلا أن التنفيذ بدأ في ١٩٨٠/٨/٢٠، وتم عقد حلف بين الشعبيتين، وبدأ القتال في الساحل الشمالي، وفي منطقة /أدوبحا وتبح/. لقد اعطوا مبرّرات كثيرة لهذا القتال، ومن هذه التبريرات التي تبنّتها الجبهة الشعبية وغيرها بأن ج. ت. آ تتفق مع السوفييت، وهذا ادعّاء باطل، وليس له أي أساس، إنهم يزوّرون التاريخ.

قالت الجبهة الشعبية، إن جبهة تحرير ارتريا، وبالتعاون مع الجيش الاثيوبي، يعدّون العدة لضرب الجبهة الشعبية وتدميرها.

هذا كذب، والتاريخ سوف يكشف، بل يعرّف من هو العميل الذي قتل شعبه، إنهم يريدون أن يتفرّدوا بالسلطة، إذن كيف نفسّر اتفاق الشعبية وتجراي ضد الجبهة؟ هؤلاء ارتريون وجبهة تجراي تجراوين.

قال أحمد ناصر:

ـ سمعت أن عبدالله ادريس كان يتخوف دائماً ويقول:

(إن الجبهة الشعبية تعد العدة مع ج. ت تجراي للهجوم على الجبهة).

صحيح ماقاله الأخ عبدالله وأنت أول من حذّرنا وهذا للتاريخ. لكننا اتفقنا سابقاً مع الجبهة الشعبية، وضمن التنسيق العسكري بيننا، على أن نرسل لوائين من الجبهة ولواءاً من الشعبية إلى منطقة /بركه/، لكنهم أي الشعبية، لم يرسلوا ولا مقاتلاً واحداً، ساعدناهم قاتلنا معهم. أليست المقولة هي من اجل الاستقلال؟ إذن فلتتحد البنادق.

تابع أحمد ناصر حديثه قائلاً:

ـ قلت لرفاقي وبصفتي ضابط خريّج الكلية العسكرية في العراق:

ـ علينا أن نسحب وحداتنا من الساحل، وهذا يتيح لنا عملاً عسكرياً منظماً، إذا أردنا أن نقوم بالدفاع عن وجودنا.

إن تجاهل العمل العسكري الوطني، هو من الامور التي أدّت إلى انهيار الجبهة ومثال على ذلك:

(عندما كنت في ارترية وكان برفقتي الأخ المناضل /ابراهيم محمود/ مررت في قرية كبيرة تدعى /دولك/[1] صرخت على /ابراهيم محمود/:

ـ ما هذا؟ مسيرة وانتم في هذا الوضع: نعم مسيرة إن هذا من صنع رفاقك، أصحاب /حزب العمل/، ماذا وجدت؟ إنها مسيرة لأطفال يحملون أعلاماً حمراء يلوّحون بها.

بعدها سألت رئيس المكتب السياسي /ابراهيم توتيل/ عن هذه الظاهرة المظاهرة. أجابني:

ـ إنها مسيرة أيها الرفيق!

وتساءلت: (ألم يكونوا يعلمون بأن الجبهة الشعبية يزحف جنودها بالآلاف لدفن جبهة التحرير؟ نعم.. وقت دفنت الـ ج. ت. أ. ذات الخط الوطني وإذا سألتموني عن /ابراهيم توتيل/ ماذا يفعل الآن وأين هو؟ الجواب حاضر:

---

(١) دولك: قرية أرترية.

(لقد انضم إلى الجبهة الشعبية مع مجموعة صغيرة وأصبح محافظاً لمنطقة /سمهر/ ثم عزل. إن ابراهيم توتيل من قبيلة /الباريا/.

فعلاً لقد دفنت جبهة التحرير، لكن الحياة لم تدفن، ولن تدفن، فالمستقبل للخط الوطني، ولابد أن يعود الحق إلى نصابه.

في هذه الإثناء قامت الجبهة الشعبية بإصدار بيان من ثلاث عشرة صفحة، تحدّثت فيه عما هو موجود، وغير موجود، وكان (يشّتم) من هذا البيان بأن هنا شيئاً مبيّتاً. إن الجبهة الشعبية بعد التدفق الذي حدث في السنوات السابقة، استوعبت اعداداً كبيرة من الشباب الارتري وقد تفوقت على الجبهة من حيث العدد.

يقول أحمد ناصر (يجب ان تسحب هذه الوحدات العسكرية الموجودة في الساحل. إن ج. ت تجراي و ج الشعبية من الممكن أن تقوما بضرب هذه الوحدات. لكن للاسف إن رفاقنا لم يتحفّظوا بسحب هذين اللوائين. وكان المسؤولون عن هذه الوحدات /ابراهيم توتيل/ ومحمود حسب/، لكن هؤلاء كانوا خارج الميدان. في هذه الاثناء حشدت اثيوبيا وحدات عسكرية ضد الجبهة.

قلت لأحمد:

ـ ألا تعتقد بأن اتفاق اثيوبية مع الشعبية تم بمحض المصادفة؟

أجاب /أبو بردى/، وهذا اسم ابنته التي ولدت دمشق، وعرفاناً ومحبة

لدمشق سمّي ابنته، باسم النهر الشهير في دمشق«أجاب أبو بردى: التاريخ سوف يظهر ذلك في المستقبل يا أبا سعدة.

كانت اثيوبيا تريد أن تفتح طريقاً من مدينة /مندفرة/ إلى /عرزه/ إلى /أوحين/ و /بارنتو/ ثم إلى مدينة /تسني/[1] الحدودية. لقد اغلقنا هذا الطريق ومنعنا الامدادات من الوصول إلى النقاط الاثيوبية.

- إني لم أشاهد أي مناضل أو جندي ما بين منطقتي /فورتو تسني/ فكيف يحدث هذا؟ كنت أقول بضرورة سحب الوحدات العسكرية الموجودة في الساحل ومن الضروري أن يأتي الجيش إلى هذه المناطق وقد أشرت لرئيس المكتب العسكري الأخ عبدالله دريس وقلت له بالحرف الواحد:

- يجب أن ندمر قوات الاثيوبيين في جبهة /أوحين/ وإن لم ندمّر هذه القوات، فسيكون الخطر علينا جسيماً؟

وبالفعل أخذ برأيي، وأُرسلت وحدات عسكرية ورأسها المناضل /محمود حسب/، ودمّر الوحدات الاثيوبية. واستولينا على /أوحين/ في /مندافرة/، ثم اتخذ قرار جماعي، بابقاء هذه الوحدات في مكانها. كان هذا مخالف لإرادتي لكنه قرار جماعي.

في هذه الاثناء ذهب كل من /عبدالله ادريس وابراهيم توتيل/ إلى السودان، وقالا للاخوة السودانيين (إننا نختنق، نريد عتادنا

(١) (مندفرة، عرزة، أوحين، بارنتو، تسني) مدن ارترية.

وتموينا وسياراتنا محجوزة عندكم منذ سبعة أشهر. أعطونـا ممتلكاتنـا وإلا فلن يرحمكم التاريخ. ولم يرد أحد علينا.

ـ فعندما قمنا بضرب القوات الاثيوبية في /أوحين/، لم يبق في الساحل وبعض المناطق إلا الاسـلحة الثقيلة، وهذه لاتفيد فـي هـذه الظروف. لم أكن مرتاحاً لوجود الجيش في /أوحين/، لكنني كما قلت أنا ملتزم بالقرار الجماعي، فرئيس المكتب العسكري عبداللـه ادريـس وابراهيم توتيل رئيس المكتب السياسي، رأيا ضـرورة سـحب الجيـش من هذه المنطقة، لكن بعد فوات الأوان.

ولنقف قليلاً ونقوم بمحاولة تحليل بسيطة فنجد أن طبيعة ج ـ ت تجراي /، كانت ترتكز على الطائفية البحتة. بهذه الروح الطائفيـة بدأ الاقتتال بيننا وبينهم.

وعودة إلى الوراء قليلاً، بدأ /حروي/ بعدائه للجبهـة وتشكيله مايعرف بالفالول ثم بإضافة وإعطاء صفة أخرى للفـالول، عرفـت فيمـا بعد بالتحرير والديمقراطية. ثم برز اتجاه /عبدالله ادريس/، وابتعـدت العناصر الوطنية وانشغلت بأمور ثانوية. وهذه العناصر الوطنيـة متمثلـة /بأحمد ناصر وصالح اياي/ وسعيد صالح وخليفة عثمان والدكتور هبتي /ومحمود حسب/ و /حامد آدم سليمان/ ومحمد أحمد عبده/ و /حـامد محمـود/ و /عبداللـه ادريـس/ و /ابراهيـم ادريـس/، وقـد زج الأخـير بالسجن بحجة التآمر على الجبهة. ثم جاء قتل /عبد القـادر رمضـان/ وسـعيد حسـين/ هـذا المنـاضل الـذي سـجن /١٢/ سـنة فـي سـجون اثيوبيا. قتل على أيدي رفاقه في /دنكاليا/ بحجة الاعداد لانقلاب.

وإذا شئنا أن نذكر هؤلاء الوطنيين جميعاً، فستضيق الصفحات. وليعذرني القراء واخوتي الارتريون الوطنيون بتقصيري هذا. ثم إن التحاق أعداد كبيرة من الشباب من المرتفعات، وعدم تمتعهم بأي تجربة نضالية وتنظيمية سابقة، وتأثرهم بتفسيرات /اسياس افورتي/ كانت لهم تحفظاتهم الخاصة عليه وعلى أسلوبه وأفكاره. وعلامة الاستفهام هي ماذا يعرفون عنه.

قال لي في أحد الايام الدكتور /برخات/ وكان يزورني في منزلي في دمشق:

(إن اسياس كان يعمل في القاعدة العسكرية الامريكية في /اسمرا/ والتي تعرف باسم /كانيوستيشن/.

قلت للدكتور برحث: (هذا لايعني شيئاً لأن كثيراً من زعماء العالم اضطرتهم ظروفهم للعمل في مؤسسات استعمارية فليس لهذا الامر شان كبير عندي لكن الدكتور برخت عنى الكثير؟ وإن التحاق هؤلاء الشبان بجبهة التحرير الارترية كان لهم هدف وهو /تثويرها/ من الداخل وكانوا يظهرون استخفافاً بمنجزات جيش التحرير والثورة.

وهذا نموذج من الذين كانوا يريدون تثوير الجبهة. عندما كنت في منطقة /فورتو/ أتجول فيها وجدت صناديق فارغة فظننت أنها للعتاد العسكري وعندما فتحتها وجدت العتاد العسكري عبارة عن خمور من الانواع كافة.

ومرة أخرى كنت أجري مقابلات للمناضلين والشعب في منطقة /ادريس دار/ ثم ذهبت إلى منطقة /القاش/ للسبب نفسه، وعدت إلى

/فورتو/ ودخلت إحدى الخيام دون استئذان، فوجدت فيها فتاة جميلة فخرجت مسرعاً لأدخل خيمة فوجدت فتاة ثانية وقلت في نفسي:

(ماهذا هل رحلت القيادة ودخلت مكانها فتيات جميلات للتمويه)؟

لا.. لقد اتضح أي فيما بعد أن هاتين الجميلتين تخصان أحد الرفاق القياديين.

لقد بدأ السوس ينخر جبهة التحرير الارترية من داخلها وخارجها كما قلت: بعد انهيار النظام الاثيوبي التحق آلاف الشبان بالجبهة وهذا أدى إلى تحول كمي ونوعي وظهرت دلالته في الجبهة.

كان لهم دور كبير في بذر الفتنة والخروج عن العمل النضالي. صحيح أن المرأة الارترية قد ساهمت مساهمة فعالة في الثورة. وقدمت المرأة شهداء. لكنني أنا شخصياً لا أؤمن بأن المرأة يجب أن تقاتل بالسلاح، كما يقاتل الرجل لأسباب كثيرة. فتركيب المرأة الفيزيولوجي، يختلف عن تركيب الرجل. والقوة الجسدية للرجل تختلف عن قوة المرأة، لكن هذا لايقلل من أهمية المرأة، فلها دور أكبر من دور الرجل.

وعلى سبيل المثال لا الحصر ولا النوعية كان هناك جاسوس اثيوبي برتبة ضابط. وكان يعذب ويقتل كل من يشتبه به و /سعدية/ فتاة جميلة من منطقة /حلحل/ استدرجت سعدية هذا الضابط إلى مكان منعزل لممارسة الحب. لكنه لم يجد الحب بل وجد الفدائيين بانتظاره فقتلوه وعلقوه بشجرة ليكون عبرة لغيره. وهذه الحادثة تمت

في قرية /هيكوتا/[1] وهذه قريبة من مدينة /بارنتو/[2] عاصمة /الكوناما/ وفي /هيكوتا/ قضيت أياماً قبل تحريرها وبعده.

وقبل التحرير كنت أنام خارج البلدة وبعد التحرير صرت أنام قرير العين في /هيكوتا/ ثم انتقلت منها إلى /بارنتو/ المحاصرة حيث قاتلت بجانب القائد محمود حسب.

إذا كما قلت: للمرأة دور وللرجل دور. كل له أهميته لكن أن يكون شاب وشابه في الادغال والجبال وبدون عمل فما الذي سيحدث؟ هل تريد ان نقول: أن للثورة وجهاً حضارياً تقدمياً بوضع الشاب بجانب الفتاة فهذا سبب من الاسباب التي أدت إلى قتل العملاق.. عملاق الشعب الارتري ألا وهو جبهة التحرير الارترية.

إذا كان لهؤلاء الوافدين الجدد ولا أقول كلهم فهناك بعض المدسوسين على هؤلاء الشبان والشابات وكانت مهمة المدسوسين تدمير الجبهة وخلق تنظيم جديد يتمثل بالافكار الوافدة.

فالشعارات التي طرحوها كانت شعارات جوفاء لا معنى لها. وما شعارهم وحدة القوة الثورية العالمية واسقاط الرجعية المتمثلة في المناضلين القدامى إلا تدمير الجبهة وقد تم لهم ما أرادوا.



---

(١) هيكوتا، حلحل: قرى كبيرة.

(٢) بارنتو: مدينة.

كيف دمرت الجبهة

في عام /١٩٧٨/ كان لدى الجبهة كميات كبيرة من الأسلحة، قدمت للجبهة من سورية والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية وغيرها، هذه الأسلحة كان الأخوة السودانيون[١]، قد جمّدوها بحجة أن جبهة التحرير الارترية، تكمّل الاستراتيجية السوفيتية وهم شيوعيون، إذن أصبحت الجبهة تشكّل خطراً على أمن السودان. هذا ما كان يقال عن سبب تجميد الأسلحة، أما بقية الفصائل فالباب كبير ومفتوح لها.

هل من المعقول أن تهدّد الجبهة الأمن القومي للسودان؟ هل من الممكن خيانة السودانيين؟ هذا غير معقول وغير وارد. فكميات الاسلحة التي كانت ترد إلى الجبهة من سوريا وبعض الدول العربية كبيرة جداً. هذا ما كانوا يقولونه ويعترفون به وهذا مارأيته بعينيَّ وصوّرته بأفلامي. إن الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير ارتريا السيد /اسياس افورتي/ قال بالحرف الواحد مايلي:

«نستطيع أن نقول عموماً، يوجد تعاطف في الدول العربية تجاه القضية الارترية، سواء عن معرفة أو من منطلق العواطف المجردة. مشاكل العرب كثيرة طبعاً، لايوجد دعم من جانب الدول العربية لو أخذنا كل دولة على حدة قد نفاجأ لوعرفنا أن الدعم الذي قدمّته الدول العربية للثورة الارترية من عتاد ومال ومواد انسانية لايساوي شيئاً كدعم من هذه الدول

(١) نظام الرئيس جعفر النميري.

هذا واقع ونحن لانقدر أن ننكره، أي لايوجد دعم من أي دولة عربية، طبعاً يوجد ترويج من قبل الاستعمار الاثيوبي، وبعض القوى التي عندها مصالح، من اطلاق شائعات وأكاذيب للثورة الارترية وللجبهة الشعبية، نحن في غنى عن الدخول في مهاترات مع هذه القوى. نحن نقول: ما في حاجة اسمها دعم عربي هذه مش اساءة للعرب ولاتشويه لما ما يكون في دعم نقول ما في دعم ولما يجي دعم نقول في دعم.

هذا ما قاله الامين العام للجبهة الشعبية في عام ١٩٩٠، حول دعم الثورة الارترية من الدول العربيــة التي انشر هنا بعض الوثائق والتي تبيّن حقيقة توجهات الجبهة الشعبية.

لكل رأيه، لكن الواقع والحقيقة غير ذلك،وهذا،ماقاله /السيد اسياس/ إن الجبهة الشعبية لها توجهها وجبهة التحرير الارترية لها توجهها. إذن فإن العرب هم الخاسرون من تدمير جبهة التحرير الارترية.

بدأ القتال من قبل الشعبيتين شعبية تجراي وشعبية أرتريا ضد ج ـ ت ـ أ. كانت المؤامرة كبيرة ومتعددة فقد نزلت الوحدات التجرينية من جنوب /منطقة اكلي قوزاي/ ثم من غربها وشرقها جاء التجرينيون بالآلاف وقاتلوا قوات الجبهة وحسمت المعركة لصالح الشعبيتين، ومن تبقى من وحدات الجبهة انسحبت إلى الجبال ثم انضمت إلى القوات الموجودة في منخفضات /اكلي قوزاي/ وبالتحديد في /منطقة هازامو/:

ـ حسمت جبهة /دنكاليا/ الجنوبية لصالح التمرد، وفي /هازامو/ بدأت المعركة مع جبهة تجراي كانت وحدات تجراي العسكرية معززة

بالآليات لم نقاتل الجبهة الشعبية ولم نرى جندياً واحداً منهـا، بل كـان الذي يقاتل عن الجبهة الشعبية هي جبهة تحرير تجراي.

وهذه هي مناطق القتال: /دنكاليا سرايين اكلي قوزاي والقاش/. أما الجبهة الشعبية فقد قاتلتنا في الشمال وفي منطقة /عنسبه/ وحتـى في الساحل قاتلت جبهة تجـراي إلـى جـانب الجبهـة الشعبية لقـد وصلت المعركة إلى /حماسير وسرايين/.

كان القتال يتم بمجموعات صغيرة فخرجـت هـذه المنـاطق مـن أيدينا وخرجنا من منطقة سمهر ومن دنكاليا الجنوبية وبسبب الظروف تم الانسحاب من /دنكاليا الشمالية/ ومن /اكلي توزاي/ ومـن /هزامـو/ انسحبت الجبهة من كل هذه المناطق بعد استيلاء تجـراي والشـعبية عليهما. وتوقف القتال.

هنا شعر السودانيون بالتآمر على الجبهة وتدخلوا وطالبوا بوقف القتال وكان القتال قد وصل إلى منـاطق (بركـة وعنسـبة وجبـال ماريـا وحلحل) كان هذا القتال قد بدأ في /٢٠/٨/١٩٨٠.

فهل ياترى يعيد التاريخ نفسه فما أشبه الأمـس بـاليوم أن التـاريخ قدم لنا شواهد وأمثلة وما أمثلة التاريخ المـاضي إلا كمـا يحـدث اليـوم ألـم يستعن الامبراطور الاثيوبي /لينا دنقل/ بالبرتغال للقضاء على الاسلام؟ ألـم يستعن ملوك الحبشة بالقوى الخارجية للقضاء على الاسلام والمسلمين؟

إن الامبراطور /مينيليك/ استعان بالايطاليين والانكلـيز وقيـاصرة روسيا للقضاء على الاسلام. وأتى من بعدهم الامبراطور /هيلاسيلاسـي/

فاستعان بكل قوى الغرب من أجل القضاء على الاسلام، وقد استطاع هيلاسيلاسي القضاء على سلطنة /جمة/ في عام ١٩٣٤ (ثم جاء منغستو هيلاما ريام) وضرب سلطنة الاوسا المسلمة لكنه لم يستطع القضاء على الاسلام والمسلمين كما لم يستطع غيره.

إن سلطان /الاوسا/ علي مرح/ الذي التقيت به لمرة واحدة ولوقت قصير وللسلام فقط في /السعودية/ قال ان اخوتنا العرب والمسلمين يمدون لنا يد المساعدة في كل الظروف وخاصة الظروف الصعبة. إن جبهة تحرير ارتريا قد أمدت هذا السلطان بالأسلحة وذلك للدفاع عن السلطنة وقيمها ومعتقداتها. إن الملك يوهنس الأول الذي عقد مجلساً قومياً ليحث طرق محاربة العرب المسلمين، ثم امر بمنع المسلمين من ان يعيشوا إلى جانب المسيحيين فالملك /يوهنس/ فعل ذلك في أول يوم تسلم السلطة وذهب الملك ومن سبقوه، وبقي العرب والمسلمون، إن ما حدث في السابق ينطبق على ما يحدث في ارتريا أي على جبهة التحرير الارتيرية ذات الهوية الوطنية.

إن /السيد اسياس افورقي/ قال في إحدى (تصريحاته عن عروبة ارتريا وعضويتها في الجامعة العربية مايلي حرفياً):

«إن الاشتراك في الجامعة العربية أصبح عنده شروط قومية أو مواصفات معينة، هناك الصومال وجيبوتي والسودان، إذا نظرنا لترتيبات هذه المجتمعات والاعتبارات، العرقية والتاريخية والثقافية، لا نجد هذه الاعتبارات أقوى في الصومال وجيبوتي منها في ارتريا. ولكن اثارة هذه المسائل ليست ذات أهمية في اعتقادي. البت في هذه

المسألة هي من مسؤولية ارتريـا، إن الجامعـة /كمحفـل/ اقليمـي، إذا كان الشعب الارتري مُطالب بالمشاركة، فيما يمكن أن يبت بالمسـألة.

هناك شيء مؤكّد، هو مهما كـانت مواقـف هـذه الـدول تجـاه القضيـة الارترية في مرحلة النضال، ومهما كانت مـرارة الشـعب الارتـري فـي تجـاهل العـرب لقضيتـه وعـدم دعمـه لنضالاتـه، نقـدر أن نقـول إن التعقيدات والمشاكل وبالذات المرارات التي نحس بها بتجاهل العرب لنضالاتنا ماهي إلا قضية سيتجاوزها الزمن، وسـتظل الشـعوب عندهـا علاقات أرفع من التنظيمات الاقليمية أو التحالفات الآنية القائمة.

ـ ونتيجة لذلـك تراجعنـا للحـدود السـودانية وانهزمنـا ونزلـت قوات الشعبية إلى /بركة/ وقطعت قواتنا المسلحة.

ـ إن جيش الجبهة العظيم كان منتهيـاً لا مـن القتـال إنمـا مـن الصراعات التي تفجّرت، وحالة عدم الانضباط في القيادة والمهـاترات ووضع اللوم على البعض هذه هي الحقيقة؟!!

لم ينته الجيش في القتال إنما ضُرب وأُنهي لهذه الاسباب.

إنهار جيش التحرير ودخل الاراضي السودانية.

ـ اجتمعت بالقياديين في الجبهة وقلت لهم:

(طالما وصلتم إلى هنا إلى اراضي السودان الشقيق اعيدوا ترتيب انفسكم والتحقوا بوحداتكم ولملموها ولكن للاسف لم يستجب أحد؟.



ضربة النميري الصاعقة والتجريد من السلاح

جاء الاخوة السوادنيون، وهم يحملون قرارهم بأيديهم. واراد الاخوة السودانيون، ان يجرّدوا ماتبقى من سلاح عند الأخوة الثوار. إن قرار مجلس الدفاع السوداني كان قد أقر تجريّد جبهة التحرير من السلاح. كان ذلك في ٢٠/٨/، وفي ٢٢/٨ أخبر السوادنيين، القياديين في جبهة التحرير ومنهم، ملاكي تخله، الموجود في الخرطوم بقرار السودانيين.

وفي ٢٣/٨/ أبلغت القيادة السودانية لقادة الجبهة أن تسلّم سلاحها أو يقاتلها الاخوة السودانيون. إن القتال مع الجيش السوادني عمل مشين، ولم يقبل به الاخوة الارتريين والعمل. أن يخرجوا بسرعة من الاراضي السودانية خوفاً على ما تبقى من الجبهة وعلى الجيش السوداني. فهم أشقّاء والسودان يستضيفهم.

واتُخذ قرار في الجبهة وقلت يجب عليكم، أن تغادروا الاراضي السودانية بأي شكل، حتّى لو قاتلتم الشعبية وتجراي. المهم أن تخرجوا بأسلحتكم وإن قرار القيادة يقول: (عدم القتال مع الجيش السوداني) ثم ان منطقة (تمرات) قريبة، وعليكم أن تتوجهوا إلى هناك، لكن الاخوة الثوار لايستطيعون أن يتقدّموا بهذا الاتجاه لأن الاخوة السودانيين، حاصروهم وهم يملكون الطائرات والدبابات وغيرها.

قطعوا عنهم كل شيء حتى المواد التموينية ثم شكّل الاخوة الثوار مجموعة عمل، ووضعوا عبدالله ادريس على رأسها ثم كلّفوا ابراهيم توتيل وملاكي تخله بمهمة خاصة. وفي ٨/٢٣ توجّه رئيس الجبهة أحمد ناصر إلى /كسلا/ وذهب إلى المكان الذي سينطلق منه عبد الله ادريس، وهذا المكان يدعى /كركون/ منطقة سودانية.

وقال عبدالله ادريس لأحمد ناصر: (هل هناك شيء جديد تم مع المسؤولين السودانيين في كسلا؟

يقول أحمد ناصر: (لم أستطع أن أقابل أحداً من المسؤولين السودانيين فاللواء السوداني عبد الماجد غير موجود، وكان عبدالله ادريس في حالة غير طبيعية. وقد جمعنا كل قادة الوحدات وقلنا لهم: يجب أن نتحرك إلى تمرات). رفضوا وقالوا: (لن نذهب إلى تمرات... الافضل أن نسلّم لأثيوبيا بدلاً أن نسلم للجيش السوداني. كان هذا كلام زعلٍ وغضبٍ من المرارة التي، لاقوها من نظام نميري. وكان علي رأس قادةٍ هذه الوحدات المناضل /تمساح/[1] وبدلاً من تمرات اتّجهوا إلى الساحل.

ثم قمنا بدفن وثائقنا في منتصف الليل. وكنا نخفي وثائقنا، وانتظرت عبدالله ادريس طوال الليل ولكنه ذهب ولم يعد.

وأثناء هذا جاء الجيش السوداني بآلياته، وجرّد كل الثوار من أسلحتهم، فتركوا المكان باتجاه الجبال غير أن السودانيين سبقوهم وبكل الاتجاهات.

---

(١) تلقى تدريبه العسكري في سوريا: اغتيل بعد مدة.

وقام الجيش السوداني، بتجّريد الوحدات التي يرأسها المناضل ادريس علي، وقد تمّ التسليم للجيش السوداني.

وأصبح الموقف كالآتي:

(إن الجيش السوداني، قام بتجّريد قوات الجبهة المتبقية وقد حدث هذا أيضاً في لواء جبراي تولدي[1]).

يقول أحمد ناصر:

(علينا ترك الجرحى والمرضى، وأصحاب المعنويات المنهارة، وأن نأخذ أسلحتنا ونتقّدم إلى الامام. أي واحد يستطيع ان يتقدم فليمش، والسلاح ادفنوه، في هذه الجبال، وكان من تبقى من الجيش لواءان من أفضل وأحسن الالوية عندنا وقد تم تجريدهما أيضاً.

جاءني مسؤول الامن وقال لي:

(إن المعنويات منهارة ومن الصعب التقدم).

ـ جلست في المكان الذي دفنت فيه المستندات، فجاء /الهدندوا/ ونكشوا في الارض، واتلفوا المستندات، وكلما كانوا يشاهدون صندوقاً يعتقدون أنه سلاح أو نقود فيكسرونه. كان الهواء يبعثر المستندات، كما بعثرت الجبهة الشعبية وجبهة تجراي، جبهة التحرير الارترية.

يقول أحمد ناصر:

ـ قررت أن أذهب للسودان وأقابل المسؤولين السودانيين.

في الطريق اعترضتني دبابة سودانية، وامسكوا بي وقادوني إلى الحامية السودانية، هناك تكلمت مع مسؤول الامن في الحامية، قلت

---

(١) تلقى تدريبه العسكري في سوريا.

له (ماهذا التصرف أليس الارتريون إخوانكم؟ وأنا عربي مثلكم ما هذه البهدلة أنحن أعداؤكم)؟ تكلمت معهم بمرارة وألم، وكان رد فعل الضابط السوداني، التعاطف معي. كان الاخوة السودانيين متألمين لكن الاوامر هي الاوامر! قلت لمسؤول الامن: عليك أن تتجاوز وظيفتك، وتقف بجانب إخوتك. لقد استجاب هذا المسؤول وأطلق سراحي.

يتابع أحمد ناصر: (قابلت المسؤولين السودانيين، وقلت لهم: (لقد جردتمونا من سلاحنا وأخذتموه، نحن اشقاؤكم وتعاونا معكم في أمور كثيرة، لها أهميتها بالنسبة للسودان. لدينا خمسة ألوية دون طعام، فلا تتركونا نموت في الصحراء). وأعطانا السودانيون الأمر بمرور التموين إلى المقاتلين، ثم قابلت أعضاء المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني. قالوا لي: (إننا باسم الشعب السوداني نأسف لما حدث لكم) أجبتهم: (بدلاً من الاسف كلّموا جعفر النميري، واطلبوا منه أن يعيد لنا أسلحتنا)، ثم قمت بزيارة إلى سفارات الدول العربية الموجودة في الخرطوم، وقام السفراء العرب بمساعي متواصلة، مما اضطر وكيل وزارة الخارجية السودانية أن يجتمع بالسفراء العرب وقام بتهدئة السفراء وقال لهم:

- إن الارتريين اشقاؤنا، وسوف نعمل على اعادة أسلحتهم وممتلكاتهم.

تمت هذه الاحداث خلال ثلاثة أيام.

وأعود إلى الماضي القريب وإلى جلستنا في مكتب العلاقات الخارجية بدمشق عندما قلت لعبدالله ادريس رئيس المكتب العسكري بحضور صالح اياي وحسين خليفة:

ـ يا عبدالله أنتم تتجهون نحو الهاوية.

ورد عليّ عبدالله:

ـ خليك بأفلامك يا أبا سعدة...

ويا ليتني سمعت كلامه وبقيت بافلامي، على الأقل كنتُ فعلتُ شيئاً. لقد أبعدوني عن عملي طوال /٣١/ عاماً. إن عمري الآن /٦٠/ عاماً وقد أضعت أكثر من نصف عمري مع هذه القيادة. نعم إن الوقت قد فات لعودتي إلى عملي و (قاعدوني) قبل وقتي، أي قبل أن يحين موعد تقاعدي في الحياة. لم أعد استطيع ان أفعل شيئاً سوى العودة إلى الماضي وإلى الذكريات. لقد قتلوني قبل أن يأتي أجلي. على كل حال أنا أفضل من غيري فأنا مازلت حياً واستنشق الهواء وإن كان الهواء فاسداً. أما الشباب الذين دفنوا وغطى التراب وجوههم (الله يرحمهم ويسكنهم جناته) وأما من تشرد وهام على وجهه (الله يساعده).

وكنت دائماً مع /صالح اياي) احذّره وأفضي إليه بكل مايصلني من أخبار. كنا نتشاور بالصغيرة والكبيرة. كنا نُعتبر جسدين بعقل واحد، هذا ما يعرفه الارتيريون وغير الارتريون، إن بعض الدسّاسين يقولون:

(ـ إن أحمد أبو سعدة في جيب صالح اياي).



هل من منقذ

بعد فترة من الزمن مرت بمرارتها اتصل بي صالح اياي في ساعة مبكرة وقال لي:

- إني أنتظرك..

قلت له في الهاتف:

- ما الذي حدث؟.

- انها الساعة الخامسة صباحاً.

وكان من عادته دائماً أن يصحو في وقت مبكر.

في الساعة السادسة التقيت مع صالح قال لي: ان عبد الله ادريس مريض، وموجود في القاهرة للعلاج، ما رأيك في أن تذهب وتقابله وتشجّعه على العودة لارتريا؟

أقلعت الطائرة السورية الساعة العاشرة صباحاً، إلى القاهرة وأنا على متنها لم أذهب إلى الفندق، بل ذهبت الى مكتب الجبهة في القاهرة، وهناك وجدت الأستاذ /محمود صالح/، وتوجهنا سوية إلى حيث يسكن /عبد الله ادريس/ الله.. ما هذا؟ أصبح فمه الى جانب وجهه، وكان يتأتيء قليلاً، لقد أصيب بمرض عصبي.

تحدثت كثيراً مع عبد الله الذي كان بادياً عليه الألم والتعب، وزاده المرض العصبي، لم يختلف كلامه عن كلام وحديث /أحمد ناصر/.

قلت لعبد الله :

- إني أشعر أنك تريد أن تقول شيئاً، وأرى أنك تحمّل مسؤولية ما حصل لرفاقك وعلى رأسهم أحمد. ناصر.

ولم يجبني بشيء.

قلت لعبد الله :

- عليك بالعودة إلى أرتريا! والتعاون مع اخوانك لإعادة بناء الجبهة.

هذا باختصار مادار بيني وبين عبد الله ادريس.

هنا أعود الى حواري مع أحمد ناصر. قال أحمد ان الصراعات في القيادة هي سبب هذه الكارثة. اذن يجب التفاهم والعمل بهدوء، والشخص الذي يجب يتّفهم هو عبد. الله ادريس وأرسلت له رسالة أقول له فيها :

- ان النساء والشيوخ بكوا، عندما مرّت عربات الجيش السوداني، وهي محمّلة بأسلحة الجبهة. كان الارتريون يصرخون ويشتمون قادة الجبهة، كنت أنا مع الحضور، انظر إلى سلاحنا، وهو محمول على سيارات الجيش السوداني، ونحن في هذا الجو، كانت امرأة قريبة مني سقطت على الأرض وماتت. إنها لم تستطع أن ترى هذا المنظر المذل، كان جميع الارتريين في ذهول تام، وكلام كثير وروايات تُنسج هنا وهناك. كان من الصعب أن يصدّق الانسان أن جيشاً ينهار ويفقد أسلحته بهذا الشكل.

- ذهبت إلى مدينة كسلا السودانية لا أرى ما يمكن عمله.

وهنا سألني العم حسين[1]:

- «ماذا تقولون عنا في سورية؟ بعد أن قدمتم لنا كل هذا السلاح؟ أنتم (زعلانون) منا! كيف فعل أولادنا هذا؟ شوبدو يصير بنا يا أبا سعدة؟»

قلت له: - ان سورية وبقية الدول العربية التي يهمها انتصار الشعب الارتري، سوف تساعد وتعيد بناء الجيش من جديد.

- الله يطمنك على بيتك وأولادك مثل ما طمنتني.

جاءني صديقي محمد عمر يحيى وقال:

- هيا سنذهب الى كركون.

وما هي إلا ساعة وكنت عند مدخل المعسكر الذي، أقامه السودانيون لجيش التحرير الارتري. وعند المدخل كانت توجد مجنزرة سودانية ومثلها حول المعسكر. المجنزرات والجيش السوداني يحيطون بثوار جبهة التحرير الارترية.

وتساءلت: ما هو الالم؟ ما هي المرارة؟ كيف وصل هذا الجيش إلى هنا من دنكاليا من جانب جيبوتي الى الهضبة الى كافة أنحاء ارتريا؟

كان جيش التحرير متواجداً، ألم أزرهم وأعيش بينهم؟ ألم أسجل المعارك والبطولات لهذا الجيش العظيم؟ من أتى بهم إلى السودان؟ الشعبية وتجراي وأخيراً قيادتهم، يا ليتني بقيتُ بأفلامي كما قال لي عبد الله ادريس!



---

(١) مسؤول عن دار الضيافة في كسلا.

سكر في المعسكر

عند باب المعسكر طلب أحد الجنود السودانيين، التصاريح التي بحوزتنا، ودخلنا إلى المعسكر، دخلنا إلى السجن، دخلنا إلى مأتم جيش التحرير. لم يكن هناك لا معسكر ولا سجن انه /كاباريه/ كبير جداً. وأنا أدور في المعسكر كنت أسمع الغناء والرقص وأسمع النكات. وتجولت في المعسكر حوالي الساعتين، لم يكن هذا معسكراً ولا سجناً، بل كباريه من الدرجة العاشرة. حتى الخمرة كانت موجودة. من بين الذين شاهدتهم ــ وهم غير مبالين ــ ادريس نور حسين ـ هذا الذي شغل منصب مسؤول في مكتب العلاقات الخارجية في دمشق رأيته ممسكاً في يده علبة بيرة مدّها وقال لي:

ـ تفضل يا أبا سعدة..

كان ردي سريعاً وقوياً:

ـ أنت لاتخجل! أنت بلا قيم!.

فما كان من محمد عمر إلا أن شدني من يدي ومشينا. وفي الطريق التقيت بابراهيم توتيل رئيس المكتب السياسي.

ـ ما هذه المهزلة يا ابراهيم توتيل؟

وأمسكته من ياقة الجاكيت وقلت له:

ـ هذه هي نتيجة تصرفك وأعمالك مع الآخرين!

ـ انزل يدك عن ياقتي يا أبا سعدة!

ـ لاتخف سوف انزلها. أتذكر مسيراتك الحمراء يا ابراهيم؟ الم تقل لي عندما حذّرتك وقلت لك إن الشعبية وتجراي وغيرهما، يعدان مؤامرة لضرب الجبهة وسمعتها؟ أتذكر يوم قلت لي في منطقة /عاليت/ مقر قيادتك، وبحضور ادريس قريش، أن لنا عليك بعض الاستفسارات؟ من الذي أتى بجيش التحرير الى هنا؟ من الذي أفسد هؤلاء الناس؟ هل هي الرؤيا الثورية؟ هل هو حزب العمل العظيم؟

(لي عودة الى حزب العمل الارتري).

أنتم أبطال هذه المهزلة! والى الآن سَكرٌ ورقصٌ وغناء ومناضلات؟ لقد فاتني أن أخبركم:

بعد أن اعتقلني ملاكي تخله وابراهيم توتيل في مقر قيادته بمنطقة عاليت ثم أفرج عني ـ جاء ابراهيم الى سورية وهو في طريقه إلى ايطاليا، وكان يحمل جواز سفر سوري. لقد أكرمته وتعشيت معه في منزلي، بحضور صالح اياي وغيره. لم أقل له شيئاً عما فعله بي حينما سجنني، لأني كنت مقتنعاً بقضية الشعب الارتري.

لو سألتموني عن ابراهيم توتيل الآن، أين هو؟ أقول لكم انه أصغر مسؤول في حكومة الجبهة الشعبية:

ـ من المشبوه؟!!

ـ لمن الاستفسارات.. والملاحظات؟؟؟! عني أم عنك؟

لم يتكلم كلمة واحدة، لم ينبس ببنت شفة!

تركته والحزن يملأ قلبي، وقلتُ لمحمد عمر يحيى الذي، حاول أن يخفف عني بكلماته الطيبة:

ـ يا محمد عمر! لا أريد أن أبقى هنا! أريد أن أعود الى كسلا، ماذا سيقول التاريخ عن هذه الكارثة وأبطالها؟ يجب تصفية كل من هو مسؤول! وترك جثثهم للوحوش والضواري لتنهشهم. كان الألم يملأ نفسي، عدت إلى كسلا والله لم أنم طوال تلك الليلة. كان طيف المرأة الارترية التي هُتك عِرضها وألقيت عارية، وقد اغتصبها عدد كبير من الجنود الاثيوبيين بهمجية ووحشية لايمكن وصفها، بعد أن جردوها من ملابسها وصلبوها على الأرض بحبال من يديها، وتوالت أعداد كبيرة من جنود أثيوبيا واغتصبتها، وهي مصلوبة بهذه الطريقة فماتت المسكينة، وما كان منهم إلا أن ضربوها بالفأس على رأسها بعد أن كانت ميتة.

عندما وصلت الى مكان جثتها، كانت بقايا الاغتصاب والوحشية لاتزال على جسدها، وتم اعتقال من ضربها بالفأس ونفذ فيه الحكم، وألقيت جثته الى جوارها وتمت مطاردة البقية، ثم دفنت المسكينة حسب الشريعة. صدقوني مرت على هذه الحادثة سنوات طويلة لكني، ما زلت أعيشها، خاصة التفاصيل الدقيقة حول اغتصابها وموتها. كيف كان هذا المجرم وعشرات من رفاقه ينظرون إليها وهي عارية مصلوبة وأخذوا يتناوبون عليها، أمام بعضاً البعض حتى بعد أن فارقت الحياة. كان هذا في منطقة /بركة العلالي/ حيث

كنت أنا والشهيد محمود حسب وبعض الأخوة المقاتلين، شهوداً على هذه العملية الهمجية.

هل ذهب دم حليمة وشرفها هدراً؟

هل ذهب دم آلاف المناضلين هدراً؟ هل ذهبت البيوت والقرى التي دُمرّت وحُرقت بلا مبرر؟ هل سلاحنا وأموالنا ذهبت هدراً؟ لا... ان الشعب الارتري هو شعب أمين ومكافح، انه شعب صابر وقد نال حريته بعد كل ما حدث.



عقد المجلس الثوري

وتتالت الأحداث بسرعة وقررت قيادة الجبهة عقد المجلس الثوري، وتم تكليف كل من: (ابراهيم توتيل وتسفاماريام وملاكي تخلى) بالذهاب الى منطقة كركون وتهاداي - من أجل شرح الموقف والدعوة لانعقاد المجلس. لم يكن القياديون يحترمون أنفسهم فيما بينهم. ومن المعروف - في وقت الهزائم - القياديون لايحترمون أنفسهم.

كان كثير من أعضاء المجلس، متخوفين في هذا الجو المتوّتر والمكهّرب من أن يقوم عبد الله ادريس بعملٍ ما. وإذا سألت نفسي: (ماذا يمكن أن يفعل رئيس المكتب العسكري فلا أجد إجابة، لأنهم جميعهم مشتركون في تدمير الجبهة. إلا أن الاجابة كانت عند أحمد ناصر إذ قال لي:

- ان التخوّف في مكانه، فلربما يلجأ أحدهم الى التصفية الجسدية أو الاعتقال، ولم اسمّي أحداً بالاسم لكنني قلت لبعض الرفاق: أنتم مناضلون، وقد ناضلتم من أجل الشهادة، وفي النضال لايمكن لأحد أن يضمن روحه. التقى عبد الله ادريس واخوانه، بأحمد ناصر، قال ناصر لعبد الله ادريس محمد:

ـ إننا سوف نعقد اجتماعات المجلس الثوري في منطقة شبه محايدة، وندمج بعض المقاتلين المسلحين مع اخوانهم غير المسلحين، فيصبحوا كلهم يحملون السلاح وهذا يعطي التهدئة والأمان لكثير من اعضاء المجلس، ويجب أن يكون تسفاي تخله هو مسؤول الأمن. وتمّ الاتفاق على ذلك. إلا أن عبد الله ادريس أصر على تحميل أحمد ناصر مسؤولية الهزيمة وتكلم /عبد الله/ بكلامٍ حول التسليم والدخول إلى السودان؟

ـ أجاب أحمد ناصر، عبد الله وقال له:

ـ أنا يا عبد الله لم آتِ بجيش التحرير الى السودان، ومن هو الذي سلّم أنا أم أنت؟ أنا لم أكن أقود الجيش. تركت جيش التحرير في كل أنحاء أرتريا، عندما ذهبت إلى الخارج لأعرض قضيتنا.

ـ ألم تكن انت مسؤول المكتب العسكري ورئيسه؟ اننا لانريد أن نلوم أنفسنا في الوقت الحاضر على الأقل:

ـ إننا بصدد إعادة بناء الجيش. اننا في اختيار تاريخي نخرج من هذه الهزيمة أم لانخرج؟ هذا هو المطلوب!

إذن اتفق أحمد وعبد الله، على انعقاد المجلس وبالفعل جاء أعضاء المجلس كلهم، وكان هذا هو الاجتماع السادس للمجلس. ونتيجة للمداولات ظهر هناك اتجاهان: الاتجاه الأول، ضد عبد الله ادريس والمكتب العسكري، والاتجاه الثاني، ضد ابراهيم توتيل وملاكي تخله رئيس الأمن.

كان عبد الله ادريس يقول:

ـ نحن فشلنا، والقيادة فشلت، ويجب اسقاط اللجنة التنفيذية، وانتخاب لجنة قيادية جديدة، وهذا هو الحل في رأيي ورأي اخواني أما البقية فكانت تقول:

ـ بالرغم من فشل القيادة، إلا انها يجب أن تستمر في هذه الظروف الصعبة. وعاد عبد الله ادريس واقترح أن يكون حسين خليفة رئيساً للجبهة. فرُفض هذا الاقتراح من الطرف الثاني، أي طرف المكتب السياسي والأمني.

ـ هذا هو القرار الذي تبنّاه معظم القياديين والجنود. إلا أن عبد الله ادريس وحسين خليفة ومحمود حسب وغيرهم، كانوا يرون في التغيير مصلحة الجبهة.

وتفاقمت الأزمة واشتد الصراع..



تغيّر الموقف السوداني وعقد السمنار

وأصبح الأخوة الارتريون جاهزين للسنمار، وهنا حدثت بعض التطورات فقد جاء مندوب عن وزارة الدفاع السودانية وهو اللواء /ابراهيم الجعيلي/ ورافقه أحد أعضاء المجلس العسكري الانتقالي الذي أطاح وأسقط /جعفر النميري/.

جاء بطائرة هلكوبتر من الخرطوم ونزل في الوحدة السودانية العسكرية في مدينة كسلا، وطلب من الضباط السودانيين أن يُحضروا /أحمد ناصر/ إليه. وبالفعل حضر /أحمد ناصر/ ومعه /حسين خليفة/ والدكتور هبتي/. وقال اللواء ابراهيم لأحمد ولاخوانه:

ـ إننا ارتكبنا خطأ استراتيجياً بتجريدكم من الأسلحة. ان الحكومة السودانية قررت إعادة السلاح لكم كاملاً ونحن جاهزون.

إذن السودانيون، سيعيدون السلاح إلى ثوار الجبهة؟

ـ إذن على قيادة الجبهة أن تطلب عقد سمنار موسّع لمناقشة الأوضاع المستجدة.

ذهبت إلى منطقة راساي، واجتمعت بالجنود، وسمعت منهم كلاماً قاسياً حيث يصفون أعضاء المجلس بأنهم متآمرون وهم الذين باعوا الجبهة فهم خونة إذن؟ وأدركت أن هناك عاصفة سوف تهب على من تبقى من أعضاء المجلس والقيادة، وقرّرت أن أفتش عن أصدقائي القياديين، لكنني لم أجد أحداً منهم أبداً، عندها عدت أدراجي إلى دمشق.

وأثناء وجودي في دمشق، وصلتني رسالة من صالح اياي، يقول فيها (أرجو أن تحضر الى السودان في وقت قريب جداً، لأن هناك سيمنار للجبهة، سيعقد في وقت قريب، ووجودك ضروري جداً.

سافرت بالفعل الى الخرطوم ثم إلى منطقة راساي الحدودية. وفي راساي التقيت بكل من الدكتور يوسف برهانو وعمر محمد وحسين خليفة وادريس قريش وغيرهم. فأنا لديّ معلومات غير أكيدة بأن عبد الله ادريس يحضّر شيئاً في السر. وقبل فترة كنت قد قلت لأحمد ناصر، وعبد الله ادريس، كل على حدة:

ـ ان وضعكم هذا غير صحي، وان المرأة الحامل إذا لم تلد طبيعياً، فابحثوا عن طبيب ليولّدها؟! الوضع كان في حاجة الى ولادة قيصرية عاجلة، لأن الجنين يمكن أن يموت، فالجنين يجب أن يرى النور، وكنت أقصد إعادة وحدة الجبهة، كنت أريد جرّاحاً ماهراً، يعيد الأمل للشعب الارتري، لا أريد جزّاراً يقطع ما تبقى من الجنين. أريد ولادة طبيعية تتم بالتفاهم ما بين الأم والجنين، والدكتور هو الواسطة كنت أريد طفلاً صحيحاً معافى يكبر ونكبر معه.

إن الأمين العام للجبهة الشعبية قال: (اننا سنذوّب جبهة التحرير الارترية).

وهذا ما حصل فعلاً؟

وفي راساي كنت أدور على المقاتلين، وأشحذ هممهم، كان المقاتلون يعتبرونني أخاً وصديقاً وفيّاً لهم، فكانوا يرتاحون لي ويُفضّون

لي بأسرارهم حتى الخاصة منها. كان كثير من المقاتلين قد التقيت بهم في أماكن عديدة من أرتريا، تقدم مني أحد المقاتلين وقال:

ـ أنسيتني يا أبا سعدة؟

ـ كيف أنساك؟ ألم تحضر لي الماء لأطفيء ظمئي؟ ونحن في طريقنا إلى منطقة سرايين؟

والحقيقة أن هذا الشاب كان يرتاح لي، عندما كنت أطلب منه شيئاً وخاصة عندما أقول له:

ـ أرجوك أن تدلق الماء على رأسي لأغسّله؟

ومقاتل آخر كان قد رسمني، في بداية رحلتي، إلى دنكاليا، رسمني وأنا سمين. وفي منتصف الطريق عاد ورسمني وأنا نحيف، وفي نهاية الرحلة رسمني وأنا هيكل عظمي، هذه الرسوم كانت عبارة عن خطوط غير مفهومة، ولايُفهم منها غير المحبة والمودة والسعادة لكلينا. هو سعيد لأن صورته كمقاتل سوف تظهر. وأنا سعيد لأني بجانب الحق. كان هذا المقاتل قد صاحبني مرتين، الأولى في دنكاليا، والثانية في المرتفعات عندما كنت مع المناضل حامد محمود أثناء تحرير المدن الارترية.

وفي /خورراساي/[1] حين كنت أتنقّل بين المقاتلين، وجدت الأخ حسين خليفة جالساً مع بعض العسكريين يتناقش معهم باهتمام بالغ فقلت له:

ـ أحس أن في الجو شيئاً، والعاصفة أصبحت قريبة.

---

(١) منطقة حدودية سودانية.

وقف حسين خليفة وقال لي:

ـ متى ستغادرنا يا أبا سعدة؟

ـ هل أنا ثقيل عليك لهذه الدرجة؟

ـ لا... أبداً... إنما رفيقك /محمود حسب/ يبحث عنك، ويريدك لأمر ضروري وهو موجود في كسلا ينتظرك.

هززت رأسي، وتركته حينها أحسست بأن شيئاً يُدار في الخفاء، ذهبت إلى خيمتي القريبة من خيمة /أحمد ناصر/ وجلست على باب الخيمة لوحدي، ومر من أمامي الدكتور /يوسف برهانو/ حاملاً بيديه صحناً كبير. جاء وسلّم عليّ وجلسنا دقائق ثم انصرف. كانت أفكاري مبعثرة، كنت أحاول أن أجمع خيوط ما حصل، وما سوف يحصل. ذهبت إلى مكان أحمد ناصر، وكان الوقت ظهراً، وجلسنا تحت صخرة كبيرة كانت تسندها حجرة صغيرة. قلت لأحمد ناصر:

ـ لديّ احساس بأن شيئاً ما سوف يحدث، فأرجو أن تنتبه لنفسك.

حضر المناضل موسى وقال:

ـ حبابك يا أبا سعدة/ الغداء جاهز!

وأكلت مع /أحمد ناصر/ وكان هذا آخر غداء لنا سوية بل كان آخر يوم التقيت به في أرتريا.

قلت لأحمد ناصر: ـ اسمع /يا أبو حميد/ هناك شيء يعدّ، وفي الخفاء، ولكن لا أعرفه، ولا أعرف مداه، والمقاتلون غير طبيعيين. ثم سألته ـ ولازال يذكر: ـ هل ستضع المرأة؟

ولم يجبني وعدت الى خيمتي.

ولملّمت في ذهني مشاهداتي للمقاتلين، وللقادة ولكلام /حسين خليفة/، وكلام المسؤول العسكري /عثمان صالح/ لي وكلام /صالح اياي/ عندما أرسل لي رسالة بأن أحضر بسرعة، وعرفت ما سيحدث اليوم أو غداً، لا أريد أن أكون شاهداً على مجزرة يمكن أن تحدث، ودّعت رفاقي وعدت إلى كسلا، وفي بيت أحد المقاتلين حيث نزلت كان ينتظرني شاب قال لي إنه من طرف /محمود حسب/.

ـ ان الرفاق ينتظرونك في بيت محمود.

بعد أن تحمّمت، وبدلت ملابسي، ذهبت الى منزل محمود. وكان ينتظرني على أحر من الجمر ويريد أن يقول لي:

ـ غداً سوف نقوم بالجراحة /وتوليد/ المرأة. غداً سوف يرى الجنين النور.

في منزل /محمود حسب/ كان هناك كل من /عبد الله ادريس/ حامد محمود/ حامد آدم سليمان/ يوهنس دْرء مريام/ و/عمر سليمان/ مندوب الجبهة في دمشق ـ لم أجد /صالح اياي/ بينهم.

سألتهم: ما هذا الاجتماع؟ هل هو مجلس حربي لقرار ما؟ أم هو اجتماع أحباب لاغير؟

ضحك /عبد الله ادريس/ و/محمود حسب/ و/حامد آدم سليمان/ وحامد محمود ويوهنس لأنهم، فهموا أني أعرف ماذا يعدّون أما البقية، فقد دخل هذا الكلام عليهم وخرج دون أن يفهموا شيئاً.

تحدثنا عن انهيار الجبهة، وعلى من تقع المسؤولية. ثم قلت لهم إن الوقت تأخر وأنا عائد للخرطوم، وأنا أعتقد أن لديكم أعمالاً هامة أو أحداثاً لذلك ائذنوا لي، وأرجو أن أسمع أخباركم، وان تكون بخير. وذعّتهم وأنا أعرف ما سيفعلون غداً.

أوصلني /عبد الله ادريس/ إلى الباب وقال/لمحمود حسب/:

ـ اتركنا لوحدنا أنا وأبو سعدة.

ثم أخرج من جيبه مفتاحاً صغيراً وقال لي:

ـ أنا أعرف أنك بحاجة إلى سيارة، وقريباً سوف أكون في دمشق وسوف أهديك مفتاحاً كهذا.

وهز المفتاح في وجهي.

ـ نريد أن نهديك سيارة جديدة، أنت واحد منا، وفينا، إننا سنّوفيك بعضاً من حقك ولو جزءاً صغيراً.

ولم أجب /عبد الله/ بشيء، لأن أفكاري قد تأكدتْ من أن عبد الله، يريد أن يفعل شيئاً غداً. يريدني عبد الله إلى جانبه.



انقلاب في الجبهة

في صباح يوم /٢٥/٣/١٩٨٢، تحرك /عبد الله ادريس/ وأخوانه من كسلا ووصلوا إلى منطقة /راساي/، وفي المساء أطلقت الرصاصة الأولى وكان /٢٥/ مارس، وأنا سأروي لكم هذه التفاصيل كما عشتها وكما سمعتها.

قبل حوالي نصف ساعة من المعركة، دخل اثنان من المناضلين إلى خيمة /أحمد ناصر/ المنصوبة تحت الحجر الكبير الذي تسنده /حجرة/ صغيرة.

ـ يا أحمد.. هناك حركة غير طبيعية (ونحن خايفين عليك).

أجابهم أحمد ناصر:

ـ تخافا عليّ، ومم؟

ـ إن الأمور غير طبيعية في الخارج، وحركة الجنود غير طبيعية. قال لهم أحمد ناصر:

ـ اسمعا يا إخوان... منذ /١٢/ عاماً لم يكن للجبهة برنامج سياسي، وكان التآمر القبلي على أشده، وفي مؤتمري /عواتي/ /وكر/ لم يحدث شيء، فهل من المعقول الآن أن يحصل شيء؟ هل من الضحالة ـ بعد هذا السمو من الجبهة ـ أن يحصل شيء؟ وخاصة ونحن موجودون على الحدود السودانية ونحن مهزومون؟

كان هذا رد /أحمد ناصر/ لكل من ولد سلاسي عقبا /وتخلة ملاكي/ اللذان يعيشان الآن، واحد في السويد، والآخر في النرويج، هذا ما دار قبل نصف ساعة، من الطلقة الأولى، وفي الساعة الخامسة والنصف من /٢٥/ مارس سمع البدو إطلاق الرصاص وبغزارة، وهربت الجمال وصرخت النسوة وركن كل إلى زاويته. بدأ إطلاق النار غزيراً ثم توقف فجأة. فما الذي حدث؟ كان /عثمان صالح/ يركض وبيده الكلاشنكوف ويصرخ على الجنود، ثم يأتي /حامد زيبوي/ ويرفع الكلاشنكوف ويصوب الرصاص أيضاً. لكن على من وإلى أين؟

/أحمد ناصر/ في خيمته يستلم نقوداً من /حسين خليفة/ لصرفها على التنظيم، /ملاكي تخلة/ يجلس على الرمل، وسط الخور ينظر إلى الأفق ولعله كان يتساءل: (ماذا الذي يحصل في الجبهة) أما /عبد الله ادريس/ والدكتور /هبتي/ فكانا خلف القوات. /ومحمود حسب/ يحرّك المقاتلين هنا وهناك، أما /حامد محمود/ فكان يركض والكلاشنكوف في يده، كان /ملاكي/ ينظر للغروب وكان الغروب الأخير. أُطلق الرصاص عليه من قبل أحد الجنود وخرّ على الرمل يتخبّط بدمائه، سقط على وجهه، فدفن وجهه في الرمال، والدماء تسيل من جسده، ودخلت الرمال في عينيه، لقد سدت الرمال عينيّ /ملاكي تخلة/ مسؤول الأمن في جبهة التحرير الارترية.

هذه الرمال في عينيه حجبت، الغروب إلى الأبد، وامتزجت الرمال بدمه كانت هذه الرمال من ارتريا والسودان، أليست راساي

منطقة حدودية؟ أصبح لون الرمل أحمر قاتماً، هكذا سقط /ملاكي/ وهو أول من سقط في الساعة الخامسة والنصف من مساء /٢٥/ مارس، وكان الجرحى هنا وهناك ومنهم /عمر صالح/ الذي لم يكن إلا كادراً بسيطاً ويعيش الآن في مدينة ود مدني السودانية. لقد سقط المناضلون، برصاص بعضهم بعضاً، وليس برصاص العدو الاثيوبي أو الشعبيين. خرج احمد ناصر من خيمته راكضاً.

ـ عندما سمع إطلاق الرصاص، معتقداً أن الجبهة الشعبية وتجراي تهاجمهم، خرج من الخيمة مع /حسين خليفة/ الذي كان يعطيه النقود من أجل التموين. وكان هذا يعرف مسبقاً بأن هذه العملية ستتم، خرج ناصر من الخيمة ليجد رفيقه /ملاكي/ مرمياً على الأرض، ويعوم في بركة من الدم. واشتد إطلاق النار.

قال لي أحمد ناصر: فوجئت ـ على حين غرة ـ بجندي يصوّب البندقية إلى صدري، ويطلب مني أن أرمي مسدسي. ولا أذكر تقاطيع هذا الجندي حتى مماتي. وسمعت صوتاً من بعيد ينادي: (قف... قف... أعطه مسدسك يا أحمد..) كان هذا الصوت هو صوت /ادريس هنغلا/ الذي قتلته الجبهة الشعبية فيما بعد وهو عسكري وخريج سوريا.

وسألت /أحمد ناصر/:

ـ هل كنت مستعداً للقتال وقد فرض عليك؟

ـ أقاتل من؟ هؤلاء أولادي وأخوتي، أنا أقاتل عدوي الاثيوبي، أنا لا أقاتل أبنائي وأخوتي. إذن لولا /ادريس هنغلا/ لأطلق الجندي

الرصاص وأرداني قتيلاً، وكانت الشهادة لي. وكان الجندي الذي أراد قتلي يبعد عني حوالي عشرين متراً، وقد ملأوا صدر هذا الجندي بالحقد والكراهية، ولولا ذلك لما سدّد البندقية إلى صدري، لم يتكلم معي بل كان يصرخ أن أرمي مسدسي! وأنا الآن أعرفه من بين الملايين، إذا التقيت عيناي بعينيه، ولكني لا أعرفه قبل الحادث، ولا أعرف أين هو الآن وهل هو حي أم لا!....

وأعتقد بأنه من أقليم الساحل، وقد أحضره /حامد محمود/. ثم قام أصحاب الحركة بعدها، بجمعنا قريباً من جثة ملاكي ـ وكان هناك جريحان. قلت /لحامد زيبوي/ ـ الذي كان يحمل البندقية وهو من منفّذي الحركة.

ـ اسعفوا إخوانكم الجرحى.

قلت أنا لأحمد ناصر:

ـ هل هناك مقاتل اسمه /محسود الانكليزي/ وهو الذي أطلق النار على /ملاكي/؟

ـ لم أر من أطلق الرصاص، لاني كنت في الخيمة كما سبق وقلت لك.

ـ هل صحيح أن /محمود حسب/ صرخ قائلاً (طلقة واحدة تكفي هذا الكلب) أي ملاكي....

ـ لا علم لي بهذا....

ـ لقد تم جمع كل من /أحمد ناصر/ والجريح /عمر صالح /وعثمان خليفة/ وهيلا آب وتسفاي دقيقه/ وبقية رفاقهم وصوّبوا إلى صدورهم البنادق.

وسألت أحمد:

ـ ألم تشاهد /عبد الله ادريس/؟ أو ألم يشاهدك هو وأنت في تلك الحال؟

ـ كان /عبد الله ادريس/ في الخلف بانتظار الحسم. ونحن سائرون مررنا بجانب /عبد الله ادريس/ والدكتور /هبتي/. نظرت إلى عبد الله ادريس فأشاح بوجهه عنا. أردت أن تلتقي عيناي بعينه لأقول له: (اهذا هو الشرف الثوري؟) ثم مررنا بجانب /حسين خليفة/ الذي كان معي قبل لحظات، وكان يقوم بعملية التمويه. والتقت عيناي بعينه، فما كان منه إلا أن طأطأ رأسه، وسرنا إلى الساحة، فوجدت زملائي مجتمعين ويقوم الجنود بربط أيديهم. وتقدم /محمود حسب/ من /سعيد صالح/ وسدد إليه الكلاشينكوف وصاح بالجنود.

ـ اربطوه!.... اربطوه!....

وتم تقييد /سعيد صالح/ بالحبال، وهو الذي حرّر المئات بل الآلاف من سجن أسمرا وعدخالا /ومحمود حسب/ يعتبر صديق /سعيد صالح/ والاثنان بطلان. كان /محمود حسب/ منفعلاً جداً لدرجة أنه مستعد لقتل معظم اعضاء القيادة، وأنا أعرف طباع /محمود حسب/ إنه مقاتل شرس وعنيف، إنه وطنّي، ولكنه لم يكن سياسياً، إنه مسيّس حبه لوطنه وتحرير أرضه.

سألت /محمود حسب/ في عام ١٩٨٣ أيام انعقاد المؤتمر الخاص بتنظيم الجبهة التي رأسها /عبد الله ادريس/ فيما بعد. قلت له:

ـ هل تعاملون أحمد وسعيد والآخرين معاملة طيبة؟

وصعد الدم إلى وجه محمود وأجابني:

ـ نحن إخوة لعن الله الشيطان!......

وعلى فكرة إن /سعيد صالح/[1] و/محمود حسب/[2] قتلا في مدينة كسلا. /سعيد صالح/ مات بضربة حجر على رأسه، وقالوا أنه وقع عن الدراجة /ومحمود حسب/ أُطلقت النار عليه أمام منزله فسقط شهيداً ولكن بأيدي من؟؟!...

عندما تم ربط /سعيد صالح/ بالحبال صار يضحك بشدة. وعندما شاهده /أحمد ناصر/ والجنود من الخلف يسددون البنادق تلاقت أنظارهم. يقول لي أحمد ناصر:

ـ هذه اللحظات وهذه الاشارات وهذا الاحساس تعيش مع الانسان حتى يصل إلى القبر نعم كان يضحك وهو مقيّد بالحبال. ومشينا سوية أنا وبقية الأخوان، حيث وضُعنا في مكن منعزل، وضعونا تحت الحراسة، كيلا نهرب، وبتنا ليلتنا الأولى، ونحن سجناء أخواننا. كان لأحمد ناصر حقيبة صغيرة فيها بعض الأوراق والوثائق وراديو وحاجيات صغيرة. قال لهم: ـ أعطوني حقيبتي....

---

(١) تلقى تدريبه العسكري في سوريا.

(٢) تلقى تدريبه العسكري في سوريا.

وعندما أحضرت الحقيبة كانت مكسورة يقول لي أحمد ناصر بألم:

ـ هل تتصور من كسر الحقيبة إنه صديقك /محمود حسب/.

وأشرقت الشمس من عمق ارتريا على راساي حيث كان المناضلون رفاق ؟أمس سجناء أخوة السلاح والدم.

أشرقت الشمس ليجدوا أنفسهم سجناء وتحت رحمة زملائهم.

في الصباح جلس الأسرى وقد صحوا على أصوات المناضلين /عبد الله ادريس/ و/صالح اياي/ و/محمد أحمد عبدو/ و/محمود اسماعيل/ قال عبد الله ادريس لأحمد ناصر وإخوانه:

ـ إننا نتحفّظ عليكم، وهذا التحفظ سوف يرفع بعد أيام إن شاء الله...وقمنا بهذه الانتفاضة من أجل تثبيت الجبهة، ورد أحمد ناصر على عبد الله ادريس وزملائه:

ـ أريد أن اقول لكم أنني كنت ومازلت أناضل، من أجل تثبيت وحدة الجبهة ووجودها، ثم أن أي تجربة تقيّم بنتائجها، والذي يهمني هو وجود الجبهة. فإذا كان هذا الأسلوب الذي اتبعتموه يحقق الوحدة، ويثبت الجبهة فأنتم مخطئون، وسنرى ذلك وأنا اسألكم:

ـ من الذي سيتحمل نتائج ما فعلتموه هنا؟

رد /عبد الله ادريس/ و/صالح اياي/ قائلين:

ـ إن ما حدث قبل اليوم سوف نتحمله سوية. أما قيام الحركة المباركة فنحن نتحمل نتائجها، نحن أصحاب حركة /٢٥/ مارس.

رد عليهم /أحمد ناصر/:

ـ لم يخطر في بالي في يوم من الأيام أن نرفع البنادق في وجوه بعضنا! لم أكن أتصور أن يحدث هذا.

وانتهى الحوار ما بين السجناء والسجّانين.

فمن يتحمل نتائج ما حصل؟

وذهب /أحمد ناصر/ رئيس جبهة تحرير ارتريا إلى السجن بعد أن عزلوه بمفرده، في منطقة نائية ليقضي عشرة أشهر في السجن.

وفي أحد الأيام جاء القادة الأربعة وهم: /عبد الله ادريس/ و/صالح أياي/ و/حسين خليفة/ و/محمود اسماعيل/ سلموا عليّ وكأن شيئاً لم يحدث. سألني كل من عبد الله ادريس وصالح:

ـ هل حصل لك شيء يا أحمد؟

ـ لا.. وماذا سيحصل لي؟

ـ لقد تحفظّنا عليك، ونحن لا نحقد عليك، وسوف نعود ونعمل ونلتقي من جديد وأجبتهم وأكدت لهم:

ـ إن الذي يهمني هو جبهة التحرير، أما سجني فهذا شيء شخصي. وضعتموني في /زريبة/ وهي أمامكم، فأنا لا أقوم بفعل شيء إذا لم أكن مقتنعاً به، ربما أحاوركم ونصل إلى نتيجة إيجابية، وقد لا نصل، وهذا الحوار يجب أن يكون خارج هذه /الزريبة/ ـ /زريبة/ الحيوانات؟

هنا انتهى الحوار ما بين السجين والسجانين.

ـ فمن يتحمل نتائج ما حصل؟

* * * * *

قصة جديدة؟

أقف هنا لأترك الكلام عن السجن وأبدأ الكلام بقصة جديدة بعيدة عن الدم والسجن والانقلابات.

- في بداية شهر آذار من عام ١٩٧٧ التقيت بالأخ عثمان سبي.

- أخبرني عثمان بأنه يعد للمؤتمر وهو المؤتمر الأول لقوات التحرير الشعبية وسوف يعقد في ١٩٧٧/٣/٢٢ وعليه فأرجو أن تستعد.

قلت لعثمان:

- إني حاضر.. ودعت عثمان على أن نلتقي في الخرطوم في ١٩٧٧/٣/٢٠.

في بهو فندق صحارى الخرطوم كنت ألتقي بالصحفيين والمصورين زملائي وحتى الرسميين من ضيوف مؤتمر قوات التحرير الشعبية.

كانوا يسألونني عن الطريق والحياة والمناضلين في ارتريا وكيفية النوم والطعام والخطر وأنا أعطي كلا ما يريد صح أو غير صح حسب رغبته. ارتريا أمامنا وسوف يرون أنفسهم. لكنهم محظوظون لم يمشوا على أقدامهم ولم يأكلوا البجبوج[1] الذي هو ألذ من العسل؟ إني أراهن بحياتي على أن كل الموجودين لا يستطيعون أن يأكلوا لقمة واحدة من هذا الطعام الذي أكلته مع الثوار في رحلاتي السابقة. وأنا على هذه الحال من الحكي والسوالف أطل مذيع التلفزيون السوداني يعلن مقتل القائد /كمال جنبلاط/ في لبنان. وساد

(١) طعام ارتري ريفي.

الصمت والهدوء بهـو الفنـدق فكثـير مـن الموجوديـن يعرفـون القـائد /كمال جنبلاط/.

انسحبت من البهـو لادخـل إلـى غرفتـي وأنـا أتسـاءل فـي نفسي:

ـ لماذا يقتل هـذا الرجـل. لابـد أن تكـون اسـرائيل وراء مقتلـه فمتى نتخلص من اسرائيل؟!...

نمت والهموم تملأني والأحلام والكوابيس تلاحقني. رأيـت فـي حلمي اني في العراق وأقوم بتصوير اعـدام /عبـد الكريـم قاسـم/ وفعـلاً كنت قد أوفدت في عام /١٩٦٣/ وأعقـاب ثـورة الثـامن مـن آذار إلـى بغداد ورأس الوفد في ذلك الوقت الأستاذ /هيثم بشير/.

أخذنا الأخوة العراقيين إلى مبنى الاذاعة حيث تم اعدام /عبـد الكريم قاسم والمهداوي/ وكان رئيس المحكمة أيام حكـم /عبـد الكريـم قاسم/ ادخلونا الى غرفـة الموسـيقى وهنـاك وجـدت الجـدران مثقوبـة وعليها بقع من الدم وشعر من رأس القتلى وقـال لـي مرافقنـا هـذا هـو شعر /عبد الكريم قاسم/ واسـم المرافـق كـان /ابراهيـم الزبيـدي/. وقـد أصبح فيما بعد مديراً للإذاعة العراقية.

صحـوت مـن حلمـي أو مـن كـابوس علـى صـوت رنيـن الهاتف.

ـ الو....

ـ من؟

ـ اسبروم

ـ صباح الخير يا /اسبروم/ كيف حالك؟ خمس دقائق وأكون عندك.

ـ من هو اسبروم هذا؟

ـ أعرفه منذ عام /١٩٦٨/ حين كان يأتي إلى الإذاعة السورية إلى قسم ركن الجزيرة العربية الذي، كان يعدّه /أبو نبيل/ وهو من اللاجئيين السياسين السعوديين في حينها. كان /اسبروم/ هو المعد للبرنامج الموجه لارتيريا هناك تم تعارفنا عن طريق الأخ /أبو نبيل/ الذي عاد إلى السعودية ويعمل الآن مديراً لإحدى الشركات الحكومية في الظهران.

/عثمان صالح سبي/ كان يعتمد على /اسبروم/ ويعتبره يده اليمنى ولا أعرف من أين أتت هذه العلاقة الوثيقة مع بعضهم بعضاً، وتشاء الصدف أن يأتي إلى دمشق كل من المناضلين أسياس افورقي ويوسف عثمان (صايغ) ويلتقيا بالسيد اسبروم فيصحبهما هذا الأخير إلى الإذاعة السورية، حيث وجه أسياس أفورقي كلمة إلى الشعب الارتري قال فيها وباللغة التجرينية «يا شعبي الارتري المناضل أتحدث إليكم من سوريا العربية سوريا الثورة إلى....»

بينما يتحدث السيد يوسف عثمان باللغة العربية.

قال لي /اسبروم/ بعد أن سلّم عليّ:

ـ إن كافة الوفود سوف يغادرون الخرطوم الى كسلا بالطائرة.

ثم اقترب مني وهمس: ـ أنت ابق هنا، وغداً سوف تغادر إلى كسلا مع الأخ عثمان فهو يحترمك ويريدك أن تكون معه وفعلاً غادرت الوفود بالطائرة الى كسلا. لا عربات ولا لواري ولا تراب لقد غادروا بالطائرة. ياليتهم غادروها في القطار أو عربات النقل وعانوا المعاناة التي عشتها ويعيشها اخواني الارتريون في تنقلاتهم.

في صباح اليوم التالي، جاء الأخ /محمد علي محمود/ مندوب قوات التحرير الشعبية، في دمشق سابقاً، واصطحبني إلى مطار الخرطوم. وجدت في المطار الأخ /عثمان سبي/ و/عمر برج/ الذي أصبح رئيساً للتنظيم، بعد وفاة /عثمان سبي/ وكان أيضاً /محمد سعيد ناود/ والذي أصبح فيما بعد رئيساً لجبهة تحرير ارتريا /التنظيم الموحد/ و/طه محمد نور/ الذي يعيش الآن في اسمرا/ ويعمل في احدى مؤسسات الدولة الارترية ومرافق عثمان /الخاص والدائم /طلول.

ركبنا طائرة صغيرة /استؤجرت من احدى الشركات الأجنبية العاملة في السودان وتسمى التكسي الجوي، ولاتتسع إلا لستة أشخاص.

في الطائرة قلت مازحاً:

ـ لو أن الطيار الغربي هذا، ذهب بنا لاسمرا، بدلاً من كسلا وخاصة أنك صيد ثمين وهام يا عثمان.

ـ لاتنس أنك سوري، ولا تقل أهمية عني يا أبا سعدة.

ـ نعم كان عثمان يثق بي ويحترمني. ويقول لي عندما نلتقي على انفراد.

ـ نرجو أن نلتقي سوية في الحرية.

إلا أن ارادة الله فوق كل شيء. فقد توفي /عثمان/ قبل أن يرى الحرية والاستقلال لبلده.

في مطار كسلا استقبلنا عدد من المناضلين الارتريين، وعلى رأسهم /عمر سراج/ رئيس مكتب قوات لتحرير الشعبية في العراق، وكان من المقربين الى عثمان. اصطحبنا الى أحد المنازل في كسلا حيث استرحنا بعض الوقت.

بعد الظهر استقل /عثمان سبي/ اللوري. جلس هو بجانب الباب وجلست بين السائق وعثمان، وبدأ اللوري رحلة العذاب والمعاناة. كنا حوالي عشرة لوريات وكلها محمّلة بالتموين ومحروسة جيداً، وكان المحروس جيداً هو /عثمان/، لم يستقل هو سيارة صغيرة كاللندروفر، اعتقد واعتقادي في مكانه، هي مسألة تمويه، فليس من المعقول أن يستقل لوري بدلاً من سيارة صغيرة، وهذا من الناحية الأمنية قد يكون صحيحاً. فلا يخطر على بال أحد أن /عثمان/ موجود في اللوري وأنا معه، نعم لقد كنت من ضمن أدوات التمويه /عثمان/ أخرج كتاباً وأخذ يقرأ وكان يطالع كثيراً جداً. ونمت أنا وهطل المطر بغزارة فأيقظني عثمان وقال:

ـ كيف تستطيع النوم في هذه الأحوال؟

ـ إنني يا أخ عثمان في سيارة ولانمشي بأرجلنا.

ـ ألم تحس أن السيارة يمكن أن تقع. ألم تسمع أنينها؟
ألم تتأثر بالمطر؟
ـ ماذا تريد مني أن أفعل؟
وعدت الى نومي، أريد أن أقطع هذه الساعات الطويلة بالنوم.
لي هنا ملاحظة (لماذا أطالوا الطريق؟ من كسلا إلى حشنيت ـ بأسوأ الأحوال يستغرق الطريق ثلاث ساعات ـ أما لماذا هذه الاطالة فعلمها كان عند /عثمان/ واخوانه.
وتناولنا طعام العشاء في اللوري، دون أن ننزل وبعد /١٢/ ساعة وصلنا إلى /حشنيت/ مكان المؤتمر، وقد وجدنا خيمة مُعَدة لي. وفي الصباح صحوت باكراً وتجوّلت بين المقاتلين، والتقيت بالمناضل /عثمان عجيب/[١] وسلم عليّ وهو أحد الثوار الذين تدربوا في سورية. ثم التقيت /بمحمد أبوزرد/ وكان يمثّل حزب البعث العربي الاشتراكي في المؤتمر.
ثم كان اللقاء بالأخ المجاهد الارتري /ابراهيم سلطان/ الذي رحّب بي كثيراً، وكان قد زارني في منزلي.
جلست مع العم /ابراهيم وسألته عن بقية زملائي الذين، زاروني في منزلي ومنهم /الدكتور برخت/ و/تدلا بايرو/ قال لي:
ـ لا أعرف عنهم شيئاً!
وكأن سؤالي عنهم، قد أزعجه، لقد زارني في منزلي في حي /المزة/ في دمشق كل من /المناضل ولد آب ولد ماريام/ والذي التقيت به في كل من /دمشق والقاهرة وروما/ والجنرال /ذرء ماريام/ قائد

(١) قتل في الخرطوم فيما بعد وهو خريج كلية ضباط الاحتياط في مدينة حلب.

البوليس الاثيوبي السابق وهو /والد يوهنس/ مسؤول الاعلام في الجبهة والذي حاولوا أن يضعوه أو يكون بديلاً /لحروي تدلا بـايرو/ والدكتـور /برخات/ الذي التقيت به في روما مـرة ثانيـة الـذي، يتكلـم العربيـة بركاكة وكان /تدلابايرو/ رئيسـاً للـوزراء ومـن مؤسسـي حـزب الوحـدة الذي تأسس في ١٩٤١/٥/٥. وكان من أهـداف هـذا الحـزب المطالبـة بالوحدة مع أثيوبيا وكان تمويله المـادي والروحـي مـن قبـل الكنيسـة القبطية والحكومة الاثيوبية. كان لهيلاسلاسي تأثير كبير مـن الناحيـة الدينية وكان يلقب /بالمسيح الأسـود/. ولما تبيّنـت الحقيقـة والنوايـا الخبيثة لهيلاسلاسي ترك تدلا بايرو رئاسة الوزراء، وعمل في صفـوف الحركة الوطنية، وعاش بقية حياته في السويد ومات فيها. وكان ممن زارني أيضاً معهم المعلم /محمـود سبي/ الـذي قضـى /١٢/ عامـاً فـي السجن وهو من المتشدّدين والمتمسكين باللغة العربية والثقافة العربيـة كأخيه /عثمان/ الذي لم أسمعه في يـوم مـن الأيـام يتكلـم بغير اللغـة العربية، وهما مثل /أحمد ناصر وعبد اللـه ادريـس وجعفـر علـي أسـد والشيخ ادريس محمد وسيد أحمد هاشم/.

كان الحديث يدور بينـي وبيـن /ولـدآب/ باللغـة العربيـة، أمـا الجنرال /ذرء ماريام/ فكانت لغته العربية ركيكة جداً. وقـال الجـنرال بالتجرينية:

ـ إن جذورنا عربية، لكـن الغـرب واسـرائيل حـاولا ويحـاولان طمس هويتنا، فقد كان يخجل عند ذكر كلمة اسـرائيل، كـان يصمـت واعتقد بأن سبب خجله وصمته لأن الاسرائيليين قـد دربّـوه عسـكرياً:

كل هؤلاء الكبار لم أسمع منهم كلمة واحدة ضد الجبهة، بل كانوا مجمعين على أن الجبهة هي الشوكة في عين أثيوبيا، لم أسمع منهم أي رأي أو طرحٍ يشعرني، بأنهم غير عرب، باستثناء الدكتور /يرخت/ الذي كان لايجيد التعبير باللغة العربية. /لنا جذورنا عربية/ لم أسمع منهم أي تناقض مع العروبة والهوية، وعلى فكرة فان الدكتور /يرخت/ يرأس حالياً لجنة الدستور في ارتريا، كما أنه أستاذ محاضر في إحدى الجامعات الامريكية.

وألف كتاباً عن ارتريا والعرب، لكنه على مايبدو لم يقرأ التاريخ بالشكل الصحيح؟

هؤلاء الوطنيون ذهب منهم من ذهب إلى دار الآخرة ومنهم من ما يزال حياً.

جلست مع المجاهد /ابراهيم سلطان/ وقلت له:

ـ أريد أن أسمع منك شيئاً عن تاريخ ارتريا ونضالها، وضحك العم ابراهيم ـ وكان صاحب نكتة وروحاً مرحة، قال لي وهو يبعد عصاه التي لم تكن تفارقه:

ـ هل تريد أن تخمني يا أبو سعدة (أي تمازحني)؟

أنت أصبحت واحداً منا وتعرف كل شيء، ما رأيك أن نزوّجك من عندنا؟

ـ الله ويدك.... وعلى شرط يا عم ابراهيم أن تدفع مهر العروس أنت داخل أرتريا.

ـ أنت في عيوننا يا أبا سعدة... كلنا هدية لـك، ألسـت أنـت أول أخ عربي صوّر أولادنا، وعمل لهم أفلامـاً، وتكلـم عـن قضيتنـا، ونـاضلتَ معنا ورغم الظروف، والصعوبات التي واجهتنا، أنت منا ونحن منك.

وقلت له:

ـ يا عمِ ابراهيم من الذي /يخم/ الثاني أنت أم أنا؟.

ضحكنا وقال العم المجاهد ابراهيم سلطان: غداً نشرب الجبنـة في الخور، ونتكلم على رواق!

ـ إلى الصباح يا عم ابراهيم فالصباح رباح.

بعد الظهر افتتح المؤتمر التنظيمي الأول لقوات التحرير الشعبية وكان فـي يـوم ١٩٧٧/٣/٢٢ واستمر حتـى ١٩٧٧/٣/٢٨. لقـد كـانت /مظـاهرة/ لا تختلـف عـن أي مظـاهرة عربيـة. كنـت أسـمع هتـاف المناضلين وهم يردّدون الشعارات قائلين بالروح بالدم نفديك يا أرتريا، بالروح بالدم نفديك يا عثمان.

وكان عثمان يمشي في الصف الأول ومن خلفــه، وحولـه يسير المنـاضلون، وهـم يرفعـون البنـادق، وكـانت الزغـاريد تتصـاعد مـن الأخوات الحاضرات.

وسط هذا كله افتتح المؤتمر وألقيت الكلمات تلو الكلمـات مـن ممثلـي الدول العربية وبعض الشخصيات، واختتم الأخ /عثمان/ حفل الافتتاح بكلمة

وطنية: عبّر فيها عن تطلع الشعب الأرتري للوحدة والاستقلال وعن دور الأمة العربية في دعم الثورة وعن الأصدقاء والوحدة الوطنية.... إلخ.

في الصباح الباكر وقبل شروق الشمس صحوت على صوت /ابراهيم سلطان/ وهو يسأل بصوت مرتفع:

ـ أين خيمة أبو سعدة؟

وعرفته فوراً لأن صوته مميزاً وخرجت من الخيمة وقلت له:

ـ لا تزال الدنيا ظلاماً، يا عم ابراهيم! هل رأيتني في نومك؟ أم لم تعد تستطيع الجلوس دوني؟

ـ بعد أن صليّت الصبح وقرأت القرآن الكريم، أحببت أن نصبح سوية، الله يهديك!....

وذهبنا إلى /الخور/ وعلى صوت النار، وتحميص البن، ودقة المهباج جلسنا، وكان الجنود جالسين بانتظار سيادتي ورأيت الجلسة مرتّبة فقلت للشيخ ابراهيم:

ـ لماذا أتعبت نفسك يا عم ابراهيم؟

ـ أنا لم أفعل شيئاً، فهؤلاء المقاتلون هم الذين تعبوا وقاموا بكل الأعمال، أما عن هذا الذي يدق البن، فهو الذي تبرع /بالجبنة/. وتحدث الأخ ابراهيم سلطان وسألني عن بلدي الحبيب ولازلت أذكر صوته الذي مازال يرّن في أذني.

ـ كيف البلد يا أبا سعدة؟ كيف صحة أخينا الكبير وكان يقصد السيد الرئيس حافظ الأسد؟ اسمع يا أبو سعدة! بلدنا هذه سورية، هي أمنا.

عندما كان يكلمني، كنت أنظر إلى وجهه ذي السمات العربية، وأتفرس في عينيه وأتسأل:

(كيف يفكر هذا الرجل حين يكون وحيداً؟

هل الحوار الذي يدور في أعماق نفسه يكون باللغة العربية أو بالتجرينية.)

واهتزت العصا في يده وقال:

ـ بماذا تفكر يا أبا سعدة؟.

ـ الحقيقة يا عم، كنت أتساءل عندما تخلد إلى نفسك، وتفكّر كيف تتم هذه العملية بعد هذا النضال، (وكان قد تجاوز السبعين عاماً).

ـ وهل الحوار الذي يدور في ذهنك بالعربية أم التجرينية؟

ـ ألا تعلم يا أبا سعدة أن عدداً من أولادنا، ذهب إلى فلسطين عام ١٩٤٨ واستشهد عدد منهم؟ ألا تعلم أن الوفد الذي ذهب من أرتريا لشرح قضيته أمام اللجنة التأسيسية للجمعية العامة لأمم المتحدة تكلم باللغة العربية؟

ـ ماذا قلت في كلمتك أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة؟

ـ والله لا أذكر، ولكني أذكر بعض الأشياء التي طُرحتْ عليّ.

أولاً ـ أنا كنت أمين عام الرابطة الاسلامية، وهذه المنظمة تدافع عن حقوق الأرتريين وإن ٦٠٪ من الأرتريين، هم مسلمون، وإن أرتريا لم تكن في يوم من الأيام جزءاً من أثيوبيا، وإن ضم أرتريا إلى أثيوبيا تم بالقوة، وهو يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة، الذي يضمن حق الشعوب

في اختيار حكوماتها، وأن /٨٠٪/ من شعب أرتريا، مسلمون ومسيحيون يطالبون بالاستقلال، ونحن نعارض تقسيم ارتريا، وإن المسيحيين الذين رغبوا في الانضمام إلى أثيوبيا هم أقلية، إن حزب أو منظمة الرابطة الاسلامية تطالب بالاستقلال الفوري لأرتريا، ويجب أن ننال استقلالنا، وإني أقول وأؤكد أن ضم أرتريا لأثيوبيا سوف يؤدي إلى حمّامات من الدم، هذا الكلام قلته باللغة العربية ألا تعرف هذا؟.

ـ والله لا أعرف ذلك قبلاً يا عم ابراهيم.

ـ اشرب جبنة وسّخن يا أبا سعدة.

ـ هل تريد أن نضيف مزيداً من الزنجبيل؟

ـ يكفي هذا يا عم ابراهيم.

ـ هل تعلم أن في أرتريا /٢٩٢/ عشيرة، ونحن كمسلمين نعيش مع إخواننا المسيحيين في سلام ووئام، ثم إن كثيراً من زوجات أبنائنا اليوم من المسيحيات أليسوا هم أهل الكتاب؟

قلت لك إننا /٢٩٢/ عشيرة أنت تعرف أن قبيلة /البلين/ والتي تسكن في /كرن/ نصفها مسلم ونصفها مسيحي، أليس صاحبك /أبو اياي/ من /البلين/؟.

ويقصد /صالح إياي/، إسأله إذا كنت تشك في كلامي.

طبعاً العم سلطان كان يمزح عندما قال: (تشك بمعلوماتي/ فمن يشك بمعلوماته يكون فاقداً العقل أو حاقداً).

ـ هل صحيح يا عم /ابراهيم/ أنك اشتغلت مع الطليان؟.

ـ وهل أنا جاسوس؟

ـ لا.... إنما سؤال فقط.

ـ نعم عملت مع الطليان ولكن بماذا؟ عملت مترجماً لهم.

وسألني:

ـ كم عمرك يا أبو سعدة؟

ـ سبعة وثلاثون عاماً.

ـ عملت مترجماً قبل أن تخلق بخمسة أعوام، أي في عام ١٩٣٥.

ـ أنت تتحدث الايطالية إذن....

ـ إنني أعرف كثيراً من اللغات ومن اللهجات ويمكن بقد عمرك. اسمع! هذه الحكاية اسمع!

ـ ألا تريد أن تتركني أتكلم أم الكلام كله لك.

ـ أنت صغير وسوف تتكلم، في المستقبل، اسكت واتركني أحكي أنا....

في يوم من الأيام ناداني المسؤل الايطالي الكبير الذي كنت أترجم له، وطلب مني ترجمة الخبر الذي يقول: (إن القوات الايطالية قد دخلت إلىأثيوبيا الموحدة)، أتعلم كيف ترجمت هذا الخبر؟

ـ هل كنت معكم حتى أعرف؟

ـ ترجمته علىالشكل التالي:

ـ «احتل الفاشست آخر معقل مستقل، لقد استعمرنا استعمار آخر جديد لقد أصبحنا مُستعمرين للفاشست».

هل تستطيع أن تفعل هذا يا أبو سعدة؟

ـ أنا بلدي محرّر والحمد لله، ألم تخف يا عم /ابراهيم/؟

ـ إننا نحن الأرتريين لا يمكن أن تُنتزع من قلوبنا الوطنية وحب الاستقلال، وخاصة أن شعباً كشعبنا له، خصائصه الثقافية العربية الاسلامية، وجذوره العميقة. ومن هنا تعلمت وأحسست بحقيقة واحدة، وهي أن الوطنية هي الأم لأي شعب من شعوب العالم قاطبة. بماذا سرحت يا أبو سعدة؟.

كان ذكياً شديد الملاحظة رغم تقدمه في السن قلت له:

ـ كنت افكر بكلامك!

ـ على العرب أن يعملوا من أجلنا، نحن أشقائهم، أنت تعرف كل الساحل والهضبة. ونحن كأرتريين لا نريد أن يكون الساحل الأرتري نافذة لأثيوبيا المعادية للعرب تاريخياً، والمرتبطة باسرائيل في كل الأوقات. إن اسرائيل واثيوبيا في حلف واحد ضد العرب، نريد أن يكون البحر الأحمر بحراً عربياً نظيفاً من جنوبه إلى شماله، وجانبيه الشرقي والغربي، ونريد أن تكون أرتريا لأهلها بعد الاستقلال؟.

هذا ما سمعته من ابراهيم سلطان عام /١٩٧٧/ ونحن اليوم عام /١٩٩٩/ أي مضى عليه /٢٢/ عاماً بعد هذه الأعوام. كانت رؤية

/ابراهيم سلطان/ واضحة، أصبح لاسرائيل أصدقاء جدد في المنطقة ومن الممكن أن تستعمل الموانئ الأرترية ضد العرب، صحيح أننا نعمل من أجل السلام ولكن عدو الأمس واليوم لن يكون صديق الغد!

ثم إن للمستقبل أوضاعه وتقلباته فحروب الفرنجة (الصليبية) استمرت /١٦٩/ سنة وفي النهاية كان الحق وانتصر العرب.

قلت لابراهيم سلطان:

ـ أريد أن تحكي لي عن الرابطة الاسلامية.

ـ إن الرابطة الاسلامية كانت منبراً للحق والحقيقة فأسسنا الرابطة في ١٩٤٦/١٢/٢٤ برئاسة /عثمان باكير الميرغني/ وأصبحت أنا عمك /الشيخ ابراهيم سلطان علي/ سكرتيراً عاماً للرابطة. وكان مقّرنا في مدينة /كرن/ ومن أهم أهدافنا الدعوة إلى استقلال أرتريا الفوري ووحدة ترابها.

ـ لماذا كنتم تقبلون بمبدأ الوصاية البريطانية عليكم؟.

ـ ماذا تريدنا أن نفعل؟ نركض هنا وهناك ولا أحد يسمعنا؟ لكننا تنازلنا عن هذا الكلام بعدها.

ـ تنازلتم لأن الانكليز تذبذبوا كعادتهم.

ـ نادينا بوصاية الأمم المتحدة حتى نُمنح الاستقلال، لو كنت مكاننا ماذا تفعل؟ نحن نشتغل بالسياسة وهذه تحتاج إلى لعب ومن لا يلعب يحترق! كان جميع أعضاء الرابطة من المسلمين وكان نشاطنا في كل من مدن /كرن مصوع اغردات عصب تسنى/ وفي العاصمة أسمرا.

ـ إن حديثك ممتع فأرجو أن تزيدني من معلوماتك القيمة هذه.

ثم سألته:

ـ متى تكوّن أول تجمّع وطني ضم المسلمين والمسيحيين؟.

ارتاح العم ابراهيم وركز جلسته وقال للشاب الجالس أمامه:

ـ أعطنا فنجان قهوة، واضف الزنجبيل وأريده ساخناً لأسخّن نفسي فلربما أبو سعدة هو ساخن بما فيه الكفاية.

قال: في سنة /١٩٣٨/ تكوّن أول تجمع وطني من مسلمين ومسيحيين بشكل متساوٍ، كل طرف ضم /١٢/ عضواً، ماذا سمي هذا التنظيم؟.

حب الوطن (محبر فقري هقر) قالها بعظمة: (حب الوطن).

تطورت هذه الجمعية والغت الفوارق بين المسلمين والمسيحيين إلى حدٍ ما، ثم فرضت وجودها كحركة سياسية واجتماعية، ونادت باستقلال البلاد، وألغت قانون التمييز العنصري الذي، فرضه الطليان علينا، هذا كان عام /١٩٤٣/ لكن الأصابع الخفية المجرمة لعبت في الظلام، فقام كل من /اسفها ولد ميكائيل/ و /لورتر وتازاز/ بالألاعيب السياسية وأعمال انفصالية، وتحت الاغراء والدفع تفتت هذه الجمعية. والمكان الذي حدث فيه هذا التجمع والذي دمر هذه الجمعية هو /بيت جرجس/ في أسمرا، ونادى بعض قياديي الجمعية بالوحدة مع أثيوبيا. قبحّ الله وجوههم. فقمت أنا وزملائي من أمثال /حقوس ابره/ و /عبد القادر الكبيري/ وتصدينا لهما وأبطلنا ما استطعنا إبطاله من تآمر هذين العميلين.

ـ ألا يكفي هذا اليوم يا أبو سعدة؟.

ـ صحيح يا عم ابراهيم أصبحت عجوزاً وتكبر بسرعة. أين فناجين القهوة والزنجبيل والتسخين هل تعبت بسرعة؟.

أردت أن أثيره لكنه فهم قصدي وما أرمي إليه. ثم قال لي:

ـ خليك أنت شباب، واليوم كفاية لكني أريد أن أقول لك شيئاً يا أبا سعدة... أنا خايف من هؤلاء الشباب!

ـ تقصد من؟

ـ أصحابك ... أصحاب /حزب العمل/.

ـ أليسوا هم أولادك يا عم ابراهيم؟.

ـ ألست أنت عضوا في حزب العمل؟

ورفع عصاه وقال:

ـ معاذ الله.... وكفى اليوم.

ولم التقِ بالمجاهد /ابراهيم سلطان/ بعدها، فقد اختاره الله إلى جواره.

ولكن تخوفه كان في مكانه، لقد انهارت، ودمرت جبهة التحرير الأرترية بيد أبنائها، ورحل /ابراهيم سلطان/ ولم تكتحل عيناه برؤية علم أرتريا يخفق في سماء أسمرا.

ولم أر في أسمرا شارعاً يحمل اسم /ابراهيم سلطان/، لم أعرف مدى حبي له إلا بعد أن فارقنا.



عودة لمؤتمر قوات التحرير الشعبية

نعود إلى مؤتمر قوات التحرير، فالمؤتمرون تعلو أصواتهم، وتنخفض ويستمر النقاش لمدة ثمانية أيام. وبعد أن أنهى المؤتمر أعماله، أقرّ توصياته وقراراته التي كانت معّدة سلفاً.

وأورد لكم بعضاً من هذه القرارات والتوصيات:

أقر المؤتمر أن علاقات أرتريا بالوطن العربي، تقوم على أسس جغرافية وتاريخية وحضارية وروحية، والتي تعبّر عن ارتباط أرتريا بالأمة العربية ارتباطاً استراتيجياً ومصيرياً، ويكون شعار قوات التحرير /الوحدة الوطنية والبناء والتقدم/، ثم اعتبر المؤتمر اللغتين العربية والتجرينية لغتين رسميتين، وأشاد بدعم البلدان العربية، وخصّ سورية البلد العربي الأول الذي، قدّم دعماً عسكرياً للثورة. كما دان المؤتمر السلطات العسكرية الأثيوبية التي، أعطت تسهيلات وقواعد انطلاق عدوانية لإسرائيل في الجزر والشواطىء، وقرارات وتوصيات أخرى. وقد انتخب المؤتمر مجلساً مركزياً مؤلفاً من /٢٧/ مناضلاً. ثم تم انتخاب تسعة أعضاء، يمثلوّن اللجنة التنفيذية، علىأن يكون رئيس المجلس هو رئيس اللجنة التنفيذية، وطبعاً كان هذا من نصيب /الأخ عثمان صالح سبي/.

ودّعت الأخ عثمان وعدداً من رفاقه وسافرت، إلى الخرطوم ومنها إلىعدن، لأنني أود العودة إلى أرتريا عبر باب المندب.

المؤتمر الثالث لجبهة التحرير الارترية

في شهر كانون الأول من عام /١٩٨٣/ اتصل بي الأخ /صالح اياي/ وقال: (بعد أيام سوف غادر دمشق إلى أرتريا لحضور المؤتمر الوطني الثالث).

قلت له:

(أين سيعقد المؤتمر؟ وهل بقي أرض ينعقد عليها)؟

قال لي: (سوف ترى بعينك)!

وكان قد مضى عليّ شهران منذ عدت من أرتريا، هل بقي لي أو لغيري مكان نعبر من خلاله إلى أرتريا؟ كما عبرنا سابقاً من البر السوداني أو عن طريق البحر.

لم يعد هناك لواء/محمود حسب او حامد محمود: أو غيرها من الاصدقاء لكي، يستقبلونا، وتساءلت في نفسي (هل سيستقبلني السودان كما كان يستقبلني من قبل؟ هل مازالت الوجوه السودانية تحترمني كما احترمتها وأحببتها؟

كنت خجلاً من نفسي (أين الجبهة؟ أين المقاتلون؟ وهل بقيت هناك أرض محررة؟ هل خجلت قيادة الجبهة كما خجلت أنا؟ أين سيقيمون مؤتمراتهم؟

كثيراً ما ترددتُ في الذهاب دون أن أفصح عما في نفسي من ألم وخاصة أني كنت أرى وأراقب واسمع مايدور علناً وخفية.

لم أكن اعلم ولا أعرف: (هل أجيب صديقي صالح أم لا..؟) وكنت قد اتفقت واياه على مبدأ واحد وهو (إما أن أكون معه أو يكون معي. هكذا تعاهدنا. وإنني أسأل صالحاً اليوم (من الذي نكث بعهد الاخر؟).

كان البرق يضيء جبل قاسيون والمنازل المحيطة به وأنا انظر إلى محطة التلفزيون في قمة الجبل وعمود الارسال بجانبه. نظرت إليها من نافذة منزلي. كيف أن هذا الرعد وهذه الأمطار لاتؤثّر بها. وتذكرت بداياتي في التلفزيون كيف كنا نصعد يومياً إلى جبل قاسيون، حيث كان الاستديوهات هناك مع أجهزة البث وكان التلفزيون يبث من /٨ ــ ١٠/ ساعات يومياً. كم كنا سعداء بهذا العمل المميز، إنه عشقي، إنه حبي.

الامطار تهطل بشدة. ومن كان يعيش في دمشق يتذكّر شهر كانون الاول عام /١٩٨٣/ وماحصل في تلك الليالي البارقة الراعدة الممطرة. جرس الهاتف هو الذي ايقظني من تأملاتي وذكرياتي، وكان صوت /عمر سليمان/ مسؤول مكتب الجبهة في دمشق.

قال لي: (بعد قليل سنكون عندك) وكالعادة تركت اولادي نائمين، أما زوجتي فكانت مستيقظة وقالت لي (لماذا لاتؤجلون سفركم لغد أو بعد غد؟ ألا ترى هذا الطقس وهذه العاصفة؟ ودّعتها وقلت لها (انتبهي للاولاد)، وقد اعتادت زوجتي على سفري المفاجئ والطويل. وسافرنا بالطائرة السورية إلى /جدة/، كنت أنا و /صالح اياي/ وعمر سليمان/وعمر عليم/ وهذا سمّى نفسه مديراً لوكالة الانباء الارترية، كما رافقنا أيضاً الأخ السوداني /ادريس عوض عبد الكريم/ وهو ملتزم بالجبهة سابقاً، كما انه أديب وشاعر وهو الآن يعيش في

/اسمرا/ في كنف الحكومة الارترية (الجبهة الشعبية). وبتنا ليلتنا في /جدة/. وفي اليوم التالي سافرنا إلى السودان وفي الخرطوم افترقنا.

وذهب /صالح اياي وعمر سليمان/، إلى أصدقائهما، أما أنا فقد أردت الذهاب إلى فندقي القديم في السوق العربي /فندق الخليل/، إلا أن مدير الوكالة السيد /عمر عليم/ قال: لا.. انا لا أنام في أماكن شعبية، وسوف اذهب إلى قصر الصداقة وقلت له بلهجة لا تخلو من سخرية:

- يا عليم!. انت ولدت وفي فمك ملعقة من ذهب، ومن سيدفع لنا؟

- امش.. وغداً سيأتون ويدفعون لنا.

- أتعلم يا عليم كم سعر المبيت هناك؟

- نعم اعرف.. /١٢٠/ دولاراً.

وذهبت مع /عمر عليم/ و /ادريس عوض عبد الكريم/.

وفي الطريق قلت لادريس:

- لماذا لاتذهب إلى منزلك..؟

- منزلي بعيد عن الخرطوم، والوقت قد تأخر، فلا أجد مواصلات إلى منطقتنا.

- وأين بيتكم؟

- إنه في /الكلاكلا/ وهي منطقة بعيدة عن الخرطوم.

وفي قصر الصداقة قام /عليم افندي/ بحجز ثلاث غرف، واحدة له. وواحدة لادريس. وواحدة لي. كان يعرفه كل من كان يعمل في فندق الصداقة، وينادونه بالاستاذ عليم.

قلت له:

ـ والله أنت شخصية هامة وأنا لا أعرف!

كان لايستطيع أن يجيبني، بحرف واحد، طوال معرفتنا، بعضنا ببعض. ومهما أثقلت عليه فهو لايردّ لأني، أعرف أعماله ونواياه. لم يفعل شيئاً طوال وجوده، في الجبهة سوى البذخ.

أقمنا في قصر الصداقة (برعاية) /عليم/. وفي الصباح جاء /صالح واصطحب ادريس إلى منزله، وكان /ادريس/ غائباً فترة طويلة. ثم كان على ادريس بعض الإشكال من الحكومة السودانية، ذهب وبقيت في الفندق اسرح وامرح. نعم.. هذا ما كان وفي اليوم ذاته غادرت الخرطوم إلى /كسلا/ ومنها إلى ارتريا، وغادرت بطريقة غير نظامية عن طريق ما يسمى في السودان /البطانة/ أي أقرب ما يكون إلى البادية، لأني لم استطع الحصول على تصريح من الأمن السوداني. فقد منعت السلطات كل السوريين الذين، يودون حضور المؤتمر في ارتريا. حيث كان هناك وفد من سورية.

ـ /البطانة/ هي الريف السوداني الطيب المعطاء، وكنا قد استأجرنا سيارة تشبه اللند روفر مغطّاة بشادر، وتدعى (البوكس) استأجرناها بحوالي /ألفي/ جنيه سوداني، وهو مبلغ كبير.

استغرق الطريق ثلاث ليال كنت أنا /وادريس عوض عبد الكريم/ و /عمر عليم/ والسائق ومعاونه. ذهبتُ تهريباً وقد اعتدّت على هذه الطريقة، عندما اعود ينادي الأمن السوداني ويشتمونني ويحجزونني عدة ساعات ثم يطلقون سراحي. شغلة بسيطة وقد اعتدت عليها. إن السودانيين شعب طيّب وكريم ويحبون اشقاءهم العرب. وبالتالي فأنا لا أعمل شيئاً رديئاً.

كان المفروض أن نقطع الطريق بليلة ونصف لكن فلهوية ونباهة /عليم افندي/ هي التي طوّلت علينا الطريق فهو رجل دعي ويقول إنه يعرف كل شيء، حتى الطرقات فإنه يعرفها. فقد طلب من السائق أن يسلك طريقاً غير الذي، سلكه على اعتبار أنه أقصر. فضعنا في الطريق وضياعنا هذا اخذ ليلة ونصف أخرى، وفي الليل كنا ننام على الارض. أما /عمر/ فكان ينام في السيارة. في الليلة الاخيرة وجدنا فرناً منعزلاً عن القرية، فنمنا أنا وباقي الرفاق فيه، أما /عليم/ فقد بقي ساهراً لأنه لاينام في هذه الأماكن.

والله رأيت العجب، في كثير من الافراد الذين، يتصرفون على هواهم، وكما يقول المثل الشعبي (الحلوة الي والحامضة لك) وما أكثر /العليمين/ الذين ساهموا في تدمير جبهة التحرير الارترية!

وصلت إلى مكان المؤتمر، وكما توقعت كان مكان المؤتمر على الحدود السودانية الارترية، وفي الليل حيث كان يعم الهدوء ـــ كنت اسمع صوت الشاحنات على الطريق العام الذي، يربط مدينة كسلا بمدينة بورسودان.

أثناء انعقاد المؤتمر، طلبت من الأخ عبدالله ادريس، أن أذهب لزيارة الأخ أحمد ناصر في سجنه، فوافق. وقال لي: تحضر المؤتمر ثم تكون سيارة تحت تصرفك لنقلك إلى مكان وجود أحمد ناصر.

واستمرّت مناقشات ومداولات المؤتمر عدة ايام، ثم تم انتخاب قيادة جديدة جاء على رأسها كما هو متوقع /عبدالله ادريس/، والآن بعد مضي خمسة عشر عاماً على هذا المؤتمر، كنت أشعر في حينه بان الغموض يلف المستقبل، والآن ظهرت صحة حدسي. كان يجب التفاهم مع الزملاء جميعهم من سجّانين ومسجونين، كان يجب ان تخرج الجبهة من البئر المظلم الذي، دُفعت إليه وقطعت أوصالها، كان يجب اعادة الروابط التنظيمية والاخلاقية إلى ما كانت عليه. كان يجب اعادة لملمة الجبهة واحيائها من جديد. لأن الاخوة الاعداء، رضينا أم ابينا، هم المؤهلون من الناحية القومية والثقافية والوطنية الصادقة، فهم يمثّلون أمانة الخلق الارتري الاصيل. كنت أخشى على عروبة أرتريا، كما كان يخشى /ابراهيم سلطان/ ثم ألست انا عربياً؟ إذا لم يقبل الشعب الارتري أن يكون عربياً فهذا شأنه! اما أن يكون ضد العرب فهذا ليس مقبولاً من الشعب الارتري نفسه.

إلا أن ما جرى ويجري الان في حكومة الاستقلال (الجبهة الشعبية) فهو تعبير لايمثّل إلا وجهة نظر اصحابه. إن فقدان الامل العربي، بأن يكون البحر الاحمر بحراً عربياً كاملاً، هو موقف أو ظرف عارض.

انتهت أيام المؤتمر بحفلة ختامية وتمت قراءة القرارات والتوصيات، وظهرت نتائج الانتخاب للمجلس الثوري الجديد، الذي لايعترف بهم

قادة الجبهة الشرعيين، وعلى رأسهم /أحمد ناصر/ المسجون عند /عبدالله ادريس/. ويتألف المجلس الثوري من /٣٢/ عضواً /٥/ منهم احتياط وعلى فكرة الاحتياط هذه فالسيد /علي محمد[1] صالح/ استبدل زملاءه اسمه في، حينه وبعدها فبدلا، من /علي محمد صالح/، أصبح اسمه /علي احتياط/.

بعد ان تليت الاسماء جرت حفلة تم خلالها إهداء بعض الوفود هدايا رمزية، وهذه الهدايا هي «خريطة ارتريا واسم الجبهة». وكان نصيبي هدية أيضاً، إلا أن الشيء الملفت للنظر هو عندما أعلن عريف الحفل عن انتخاب /عبدالله ادريس/ رئيساً للجبهة، هتف الحاضرون وتقدم المندوب السعودي السيد /عبدالله باهبري، وخلع عباءته وألبسها لعبدالله ادريس، وعلا تصفيق بعض الحاضرين، وتدافع كل من كان يحمل آلة تصوير لتصوير هذا المشهد التاريخي، لكن للاسف لم يتمكن أحد من ان يلتقط صورة واحدة لعبدالله ادريس عندما ارتدى العباءة. إلا أنني الوحيد الذي، استطاع تصوير هذا الموقف، وحوّلته إلى صور فوتوغرافية عديدة جامدة.

ألم أقل لكم /أني أحب الفانية/ وبسرعة خلع /عبدالله ادريس/ العباءة وقبّل /عبدالله باهبري/، لكن عينيه كانت تبحثان عني، ونظر إليّ وقال:

ـ (هكذا وبسرعة يا أبو سعدة صوّرت)؟

وأجبته:

ـ (علينا أن نتعاون مع الجو يا عبدالله:

---

(١) يعمل الآن قنصلاً لحكومة ارتريا في اليمن.

وانتهت الحفلة وقلت لهم:

ـ غداً اريد السفر يا إخوان لرؤية احمد ناصر.

وجاء السيد /محمود حسب/ رحمه الله وقال:

ـ يا أبا سعدة إن الظروف صعبة والحالة غير طبيعية ومكان أحمد بعيد.

ـ لكن قد وعدّتموني بزيارته.

وبدا وجهي وقد تبدّل، ورغم كل محاولاتي، لم استطع زيارة رئيس اللجنة التنفيذية السجين /أحمد ناصر/.

قلت لهم: إذن لا بد لي من العودة.

ولم يفلحوا في أن يجعلوني أبقى: وعدت إلى دمشق؟

وسارت الامور بعد المؤتمر على مايرام وعلى غير مايرام. لقد أطلت عليكم كثيراً، لكن ليس في اليد حيلة. إذا عدنا إلى ظروف انعقاد المؤتمر فهل هو شرعي؟ إن قيادة الجبهة المجلس الثوري تعتبره غير شرعي باعتباره أنه ابن غير شرعي لانقلاب /٢٥/ مارس.

هذا هو رأي القيادة التي يرأسها /أحمد ناصر/ هل هذا من تدبير أجهزة أمنية عربية أم ولادة صحيحة؟ اني أضع بين أيديكم هذه المعلومات لتقرروا أيها أصح؟

عقد المؤتمر بحضور /٥٥٠/ عضواً يمثلون قطاعات وأجهزة التنظيم بالاضافة إلى مراقبين من السودان والسعودية وسورية ثم رسائل من العراق والصومال ومنظمات صديقة.

اعذروني اريد أن اضيف مصطلحاً حتى لايضيع القارئ. فالقيادة الجديدة.

ـ دعوني اطلق عليها /جبهة التحرير/ عبدالله ادريس/ والجبهة الشرعية التي أزيحت بانقلاب كما يقولون ـ جبهة التحرير /أحمد ناصر/ تقول ادبيات جبهة التحرير /عبدالله ادريس/ في إحدى نشراتها (إن التجربة أيا كانت هي مجموع المنظمات النظرية وأسلوب تطبيق تلك النظريات على الواقع... وما يكتسبه التنظيم خلال سيرته من دروس وما يقرّره من سلبيات وما سيضيفه المناضلون من ابداعات ومن مفاهيم وقناعات من خلال العلاقات بين الافراد، داخل التنظيم من جهة وبين التنظيم والقوى الخارجية، بما فيها العدو من جهة ثانية وعليه فإن تجربة جبهة التحرير الأرترية بهذا المعنى كانت رائدة وهي الطليعة كحدث في اطار الزمان والمكان المحددين، وبعد ذلك تفرّعت عنها وانسلخت عنها الجماعات والفصائل، واستمرّت هذه الاخيرة في سلسلة من الانشطارات، حيث ادّعى كل منهم (أنه صاحب تجربة رائدة) وتجاهلوا المنبع وحاولوا أن يصنعوا من الفرع أساساً، وأن يسمّو التقليد بالريادة والتشرذم بالجبهات الوطنية العريقة هذا ما تقوله جبهة التحرير /عبدالله ادريس/، أما ما تقوله جبهة التحرير /أحمد ناصر/ فهو (أن الانقلاب الدموي الذي ارتكبه /عبدالله ادريس/ وزملاؤه يوم /٣/٢٥/ هو عمل خياني وأدّى إلى تمزيق الجبهة

بل انهائها، وأما هذا المؤتمر فهو غير شرعي، بل امتداد إلـى خيانـة ٢٥/٣/ والكلام اكثر بكثير...

بعد أن غادرت مكان المؤتمر كنت متـأثراً جـداً، وبقيـت منعـزلاً وحدي، شعرت بخيبة الامل في عملية استرداد هيبة وقوة الجبهـة. لـم يكونوا صادقين معي وأنا الـذي وهبت حيـاتي للقضيـة الارتريـة، لكـن عزائي أني عملت لهذا الشعب المقهور. ويراودنـي السؤال مرة ثانيـة، (أليسوا هؤلاء القادة الذيـن يمثّلون هـذا الشـعب المظلوم؟ هـل أتركهـم يضربون بعضهم بعضاً؟ كما أراد العـدو الاثيوبي أو كمـا فعلـت الجبهـة الشعبية لتحرير ارتريـا؟ حيـن تضـامنت مـع الجبهـة الشـعبية لتحريـر تجراي ودمّرت بل قتلت الام، وبقرت بطنها، وقلعـت عينيهـا وقطعـت أوصالها.

هل أترك أصدقائي وزملائي وأنزوي؟ لا... فعليّ أن أتفرّغ تفرغا كاملاً والعمل مع اخواني على اعادة البناء!

لقد سيطرت الجبهـة الشـعبية علـى السـاحة الأرتريـة سـيطرة كاملة أما قوات التحرير الشعبية . (عثمان سبي) فهي صغـيرة ولكنهـا غنية ومدعومة. أما بقية التنظيمات الاخرى فهي صغيرة ولـو اجتمعـوا كلهم لما استطاعوا، أن يشكّلوا قوة تعادل نصــف جبهـة التحريـر الأم من حيث القوة والعدد.



محاولة الضرب في العمق

- يجب أن تضرب اثيوبيا من الداخل، يجب أن تضرب اثيوبيا من البحر. يجب أن نفعل كذا وكذا، كثيراً ما كنت اعرّض نفسي لأشد المحن. وعلى سبيل المثال، أروي هذه الحادثة التي بقيت حية في ذاكرتي:

- جرى لقاء بيني وبين كل من عبدالله ادريس وعمر سليمان وعمر جابر، وعندما طال الحديث وامتد، وكنت أقصد إطالة الوقت حتى يذهب عمر[1] جابر وعمر[2] سليمان، وبالفعل فقد ذهبا، وبقيت مع عبدالله ادريس نتحادث ونتشاور، ثم اتفقنا على العمل بضرب المصالح الاثيوبية داخل البلاد وخارجها، واتفقنا على العمل وبخطوط عريضة. كان في رأسي القائمة المنوي ضربها، قطار سكة الحديد الذي، ينقل البضائع والافراد من جيبوتي إلى اديس ابابا. والذي يعتبر شريان حياة اثيوبيا، يجب علينا ان نضرب مصافي النفط في عصب ومصوع، يجب تعطيل محطات الكهرباء في اديس ابابا وغيرها، يجب العمل داخل اديس ابابا فلننقل الدمار من القرى والمدن الارترية إلى اثيوبيا ذاتها. كانت هذه افكاري ومقترحاتي قلت لعبدالله في حينها:

- اسمع يا أخ عبدالله لايفل الحديد إلا النار القوية.

هذا الموضوع اتفقت عليه مع عبدالله ادريس. واتفقنا على أن نبدأ العمل فوراً.

وافق رئيس اللجنة التنفيذية الجديد لجبهة تحرير ارتريا على فكرتي وخطتي.

---

(١) عضو قيادي في ج ـ ت ـ أ ـ حينها.

(٢) مسؤول مكتب دمشق.

أطلعتُ صالح اياي على ما اتفقت عليــه، مـع عبدالله ادريـس وناقشنا بعض الامور، فوافق صالح واعتبرهـا فكـرة جيـدة ومهمـة، ثـم استعرضنا اسماء الارتريين الذين سنتعاون معهم؛ والذين سوف ينفـذون هذه المهمات التي، لها صفات النوعية المميزة.

استعرضنا اسماء كثيرة للعمل معهم. كنت جاداً، أعمل ليلاً نهاراً من أجل تحقيق حريــة واسـتقلال ارتريـا هـذا، كنـت اعتـبر نفسـي واحـداً مـن الشعب الارتيري، ألم اكـن عضـواً فـي الجبهـة؟ ألـم أحمـل بطاقـة عضويـة الجبهة؟ ألم أكن مسؤولاً في جهاز الاعلام؟ أنا وعائلتي كلها كنا نعمـل مـن اجل حرية الشعب الارتيري.

سافرت إلى جيبوتــي تمهيـداً للتعـاون مـع رفاقنـا، مـن أهـالي دنكاليا، قمت بعدة لقاءات مع بعض الارتريين المقيمين في جيبوتــي، واعذروني عن عـدم ذكـر الاسـماء لأن هـؤلاء الاخـوة مـازالوا يعيشـون ويلتقطون رزقهــم فـي جيبوتـي، بعـد أن رفضـوا الدخـول إلـى ارتريـا والعيش في ظل حكومة الجبهة الشـعبية، ولكـن هنـاك شـاب يُدعـى /كلاي/ وهو نائب رئيس مكتب الجبهة فــي جيبوتـي، كمـا أرجـو أن يعذرني الاخ صالح ايـاي لأنـي لـم أطلعـه علـى كـل التفـاصيل. زرت جيبوتي ثلاث مرات دون علم الاخ صالح اياي أو أحد من القيادة.

زرت جيبوتي من أجل التنسيق والعمل، وجيبوتــي هـذه المدينـة الكبيرة الصغيرة. بمساحتها لكنها كبـيرة بأهلهـا، فـأهل جيبوتـي طيبـو المعشر ويحبون الغريب، وخاصـة إذا كـان عربيـاً. فخـلال أيـام عديـدة أصبح لي أصدقاء، ولي أصحاب مــن رجـال ونسـاء، والخـير كثـير فـي

جيبوتي، فالقات المنتشر هنا وهناك والذي. يعتبر من ضروريات الحياة كالخبز والماء. فبائع القات في جيبوتي يفتخر عندما يقول لك:

ـ لدي قات هرري.

وهرر هذه المدينة المسلمة التي، تخضعها اثيوبيا بالقوة لها، كانت منبراً حضارياً مسلماً في الايام السابقة. وعندما كنت مع مقاتلي جبهة تحرير الصومال الغربي، اقتربت كثيراً من مدينة /هرر/ لكن قتال السوفييت والكوبيين وقوات اليمن الجنوبي. إلى جانب الجيش الاثيوبي، منعت الصوماليين من استرداد هذه المدينة وغيرها.

إذن القات متوفر والبارات منتشرة، ومابين البار والبار يوجد بار، كما أن فنادقها نظيفة ولها تسهيلات خاصة. كما أن فندق الشيراتون الذي توجد به صالة قمار فخمة، ويغص باللاعبين من كل الاجناس وغيرهم، أما المطاعم فحدّث عنها ولا حرج، والذي سأقف عنده وأقول:

(إنك تجد فتيات فرنسيات شبه عاريات، يقمن بخدمتك في المطعم وغيره إذا شئت) ثم هناك الفتيات اللواتي بشرتهن بلون الكاكاو وعيونهن تشبه عيون الغزلان. إنهن رفيقات لطيفات كريمات. أما الفرنسيات فهن أيضاً كريمات، لكن بسعر أعلى بكثير، فعندما تدخل مطعماً على شاطئ البحر، تستقبلك الفتاة الفرنسية شبه العارية وسط الجو اللاهب. فجيبوتي من أشد بلاد العالم حرارة، تستقبلك الفتاة والابتسامة على شفتيها، وهواء البحر يداعب شعرها فيرسله، على

صدرها شبه العاري، فيزداد لهيب الطقس، ويتحول إلى بركان قد ينفجر في أي لحظة. أما فتيات الكاكاو فهن شبه عراة ويرتدين الملابس الشفّافة ذات الالوان المغرية، وتسريحتهن الافريقية: فشعرهن مضفور بعناية فائقة ودقيقة، فجدائل شعرهن محبوكة بخيوط سوداء ناعمة تتدلى على وجوههن وكأنها شلال ماء. أما صدورهن شبه العارية والصاعدة بنظراتها إلى السماء دائماً تقول لك إن الدنيا بخير.

يأتيك القريدس والكافيار والسمك بأنواعه ثم المحار بجانب مايطيب لك من انواع الكحول. إلا أن المحار هو المحبّب عند الاجانب. فأنا لم أستسغه مطلقاً، رغم ما فيه من قوة دفع، لكني لست بحاجة إلى قوة دفع لأن ما بي يكفيني. كنت أتناول السمك وقليلاً من الكافيار والقريدس المقلي والمسلوق وأحياناً النيء، طبعاً بالاضافة إلى السَلطَاتْ وقرون الفليفلة الحمراء ذات الحدودية العالية والتي لاتطاق. وعند الحساب تغيب جنة عدن، لتجد نفسك في جهنم الاسعار والتي تكون أغلى من أي مطعم في باريس وبشارع الشانزيلزيه. وفي جيبوتي يستعملون الفرنك فهو يساوي تقريباً الفرنك الفرنسي. وعندما تتمشى في شوارع جيبوتي تلاحظ دوريات الجيش الفرنسي ثم دوريات شرطة جيبوتي انهم في اتجاهين مختلفين وقريباً من وسط المدينة توجد معسكرات الجيش الفرنسي، إن جيبوتي تضم القوى العسكرية الفرنسية الضارية، كان هذا قبل استقلال جيبوتي ومازال أو ربما على الخفيف، إن أهالي جيبوتي هم صوماليون عرب مسلمون.

فالصومال قُطِّع إلى خمسة اجزاء من قبل الاستعمار وكل حسب رغبته وجنسه.

المقطع الأول:

جمهورية الصومال الحالية بجزئيها الايطالي والانكليزي. الايطالي /مقاديشو/ العاصمة بما حولها من مدن. والانكليزي هرجيزه وما يعرف الآن أي بعد الاحداث الأليمة التي ألمت بالشعب الصومالي بجمهورية أرض الصومال.

المقطع الثالث:

جمهورية جيبوتي: وكانت تسمى الصومال الفرنسي.

المقطع الرابع:

الصومال الحبشي ويسمى /اوغادين/ أو الصومال الغربي فكلمة اوغادين غير محببة عند الصوماليين لأنها تضم قبيلة كبيرة تحمل هذا الاسم وفي الصومال الغربي يوجد نفط كثير ورأيت ـ أثناء الحرب والتحرير في منطقة /قلافو/ و /شلابو/ وقرب نهر /شبيلي/ أبار النفط وهي مغلقة إلى حين تحتاجها الدول الكبرى.

المقطع الخامس:

الصومال الكيني وهو من اجمل مناطق الطبيعية والتي لم تمتد إليها يد انسان.

لقد سافرت في هذا الطريق في /اللوري/ إلى كينيا لأنه لاتوجد وسائل أخرى. كنت ارى الحيوانات على الطبيعة وأهل المنطقة.

يعملون بالتهريب ما بين الصومال وكينيا. هناك تُهَرب جلود الحيوانات والعاج والخشب من أبانوس وصندل وهي التجارة الرائجة وكما قلت لايوجد طرق قانونية إنما على البركه. وفي الصومال الكيني، يقاتل الصوماليون دون ان يدري احد بهم وقضيتهم مطموسة.

كلنا نعرف أن كينيا وعاصمتها /نيروبي/ والمدينة الثانية هي ممبسا وهي مدينة ساحلية وبها ميناء كبير وأغلبية سكان هذه المدينة من المسلمين المهاجرين من عمان ومن الجزيرة العربية منذ القديم. والتقيت في هذه المدينة بشاب عماني يدعى /جعفر بن سعيد/ وهو ابن عم السلطان /قابوس/ سلطان عمان قلت له:

ـ ماذا تفعل هنا؟

اجابني جيفر ـ كما يحب أن ينادوه ـ أن أهلي وأقربائي هنا في ممبسا.

والتجارة رائجة ومربحة ما بين ممبسا وعمان. ثم ألم يكتب الكاتب الامريكي ارنست همنغواي روايته الشهيرة /ثلوج كلمنجارو/ وهذا الجبل يقع ما بين نيروبي وممبسا وهو مغطى بالثلوج. ثم إن حركة /الماوماو/[1] التي كانت ضد الاستعمار البريطاني والتي، قادها /جوموكينا كنياتا/ وأصبح بعدها رئيساً للجمهورية. كانت قواعدها في تلك المنطقة. إن كينيا بغاباتها وجبالها وسهولها وحيواناتها هي منتجع للغرب كافة. ومن هنا فإن منطقة الصومال الكيني مغموسة

(١) الماوماو ـ حركة وطنية في كينيا ضد الانكليز.

وغير مسموح بالكلام عنها، إلا أن الجبهة الصومالية والتي تسمى (جبهة تحرير الصومال الكيني والتي تدعى اختصاراً /انفدى/ تناضل من اجل حرية هذا الجزء من الصومال ليعود إلى أمه).

جلست في أحد مقاهي جيبوتي لأفاجىء بتمساح كبير أمامي يسلّم عليّ، إنه التاجر الارتيري الذي يدعى /حسن كيكا/ وهذا التاجر عاش بين اثيوبيا والسودان وهو غنّي، ويتعاون مع من يتاجر معه دون استثناء. من أين ظهر هذا؟

كانت ساعة شؤم عندما تعرّفت عليه، والذي عرفّني عليه هو /عثمان صالح سبي/ في الخرطوم وأراد أن يجلس معي فأخبرته أن لديّ عملاً وأنا ذاهب وأنه من الممكن ان نلتقي في وقت آخر.

وقف معي هذا التمساح الجائع دائماً، وسألني بعض الأسئلة الغريبة. متى وصلت؟ وماذا تفعل هنا؟

تركته على أن نلتقي غداً صباحاً في ذات المقهى. ذهبت إلى مقهى آخر قريب من فندقي الذي يدعى: منلك/وهو اسم الامبراطور الاثيوبي القديم ومعناها (الرأس). أنتظرُ الأخ /محمد علي شوم والملّقب بكلاي. هذا الشاب الطيّب الذي قال لي:

ـ يا أبا سعدة اعذرني، أنا لا أستطيع أن اضيّفك ولا فنجان قهوة. خرجت من السجن مؤخرا، ً فليس لديّ منزل ولا مكتب ولا ملابس.

نعم كانت ملابسه قديمة ورثة، اعتقدت في بادئ الأمر انه طالب حسنة وليس هو المناضل الذي انتظره.

قال لي محمد علي:

- لم ترسل لي الجبهة، أي قرش منذ سنة، أرجوك أن تبلّغ أصدقاءك بحالتي.

- ألم تكتب لهم رسائل؟ ألم تعلمهم بحالتك وبوضعك؟

- إنهم يعرفون كل شيء، لكنك أنت تعرف كيف أصبحت الأمور تمشي في الجبهة.

ودعّت /كلاي/ وقلت له:

- إني مسافر في الغد، وسوف أعرض مشكلتك على الرفاق، وأرجو أن يحصل خير.

كنت قد أنجزت ما أريده.

رجعت إلى المقهى وجلست أفكر وأتساءل:

(ماذا تفعل هذه الجمعيات الكثيرة في جيبوتي جمعيات أثيوبية وأرترية شعبية من الخارج لها الشكل الانساني، أما المحتوى الداخلي لهذه الجمعيات وهي تضم أجمل الفتيات الارتريات والأثيوبيات؟ ان هذه الجمعيات موجودة للتجسس، وتقف وراءها المخابرات الاثيوبية والفرنسية والصهيونية وغيرها، فالواجهة جميلة وتزخّرفها النساء، أما الداخل فكان لأشياء أخرى وأنا في شرودي وتفكيري، أتت حورية من الحوريات الفرنسيات التي تعج بهن جيبوتي، جلست بجانبي وقالت بالفرنسية وبنغمة راقصة.

- بونسوار. .

وأجبتها بالانكليزية فقالت:

ـ أوه...

ـ أنت تتكلم الانكليزية! هل أنت تاجر، أم دبلوماسي؟ ومن أين أنت؟

لم أجبها من أين أنا، بل قلت لها اني تاجر.

ـ وبأي نوع من التجارة تعمل..؟

ـ بتجارة الأسماك يا حبيبتي..

ـ لم تقل لي من أين أنت؟

ولم أردّ عليها. بل قلت لها بالعربية:

ـ ألا تعرفين السمك [يللي بدون حَسَك يا سمكة].

ضحكتْ لأنها لم تفهم شيئاً مما قلت. خاصة أني نطقت باللهجة الشامية، لكنها فهمتْ أنني أتكلم العربية، وقالت بلغة عربية ركيكة وبلهجة صومالية جيبوتية:

ـ ألا تريد (اموري)، أي تعاطي الحب.

قلت لها:

ـ لا.. (أنا مريض ولا أريدك أن تنعدي مني).

ـ وما هو نوع مرضك حتى اشفيك منه ياحبيبي..؟

ـ لو عرفتِ لتركت كرسيك وهربت. أتعرفين (الزهري).

ـ نو..

ـ أتعرفين السيدا..

مالت عليّ وعضتني من أذني وقالت:

ـ ألف فرنك وأنا سوف أشفيك.

كانت تعرف أنــي أكـذب، فهـذا النـوع مـن النسـاء، يسـتطيع القراءة في الأشياء (الممحية).

ـ قلت لك إني مريض..

قلتهـا بعصبيـة، وقفـت الحوريـة غاضبـة منرفزة، وانصرفـت لتبحث لها عن تاجر أو دبلوماسي آخر حتى تشفيه.

ـ ركبت التكسـي وتوجهـت إلـى المطـار وحقيبتـي الصغـيرة معـي وفيها ملابسي البسيطة، وسألت ما إذا كانت هناك طائرة مسافرة إلى جدة أو عدن أو صنعاء وكان حظي طيباً فالطائرة اليمنية مقلعة بعد قليل.

من الفندق إلى المطار إلى صنعاء ونمت في فنـدق /المخـا/ فـي صنعاء بين أهلي واخوتي ولم أعـد بعدهـا إلـى جيبوتـي مطلقـاً، هـذه المدينة التي تجمع الطيبة والجمال.

ـ إن جيبوتي صغيرة المساحة لكنها تحتـوي علـى كـل شـيء مـن الحرارة العالية إلى النسيم العليل لم أعد مطلقاً إلى جيبوتي لأن أصدقـائي عبد الله وصالح لم يكونا جادين فما أكثر الوعود وما أقل العمل..

ـ عدت إلى الخرطـوم، واختليـت بنفسـي لأيـام كنـت خلالهـا أسرح بخيالي وبذكرياتي مع أخوتـي المنـاضلين ومنهـم الأخ المنـاضل /محمود حسب/.

تذكّرت كيف استقبلني محمود حسب، على الشاطئ الارتري، بعد أن قطعتُ باب المندب. كنت أرى الابتسامة والسعادة علـى وجـه /أبو حنفي/ كان يقول لي:

ـ سوف نمشي سوية مئات الكيلومترات، وسنمضي أياماً وشهوراً سوية.

كان محمود عزيزاً عليّ، كنت أحترمه، وأحبه كثيراً. وعندما كنا نلتقي، نجلس ونفكّر في المستقبل وكان يقول لي:

(ان فيلتك جاهزة في أسمرا يا أبا سعدة)، وقلت له: (لا أريد فيلا بأسمرا، فأنا لا أحب العيش في المدن، أريد الفيلا التي كنت أسكن فيها في مدينة /مندفرا/، ثم ترسل لي الخدم والحشم. كنت أقول لأبي حنفي: /لا أريد أحداً في الفيلا من الجنس الخشن.

ـ في أي مكان كانت تقع الفيلا في مدينة /مندفرا/ يا أبا سعدة؟

ـ إنها مواجهة للبنك التجاري، وكان أحد الايطاليين قد استأجرها، وعندما بدأت الجبهة بتحرير المدينة، هرب هذا الايطالي وترك الفيلا، ألم أشارك يا محمود بتحرير مدينة مندفرا، والله يا محمود أجمل أيام الحياة كانت في هذه الفيلا. وكان /ولد داويت/ يرسل لي ألذ الطعام وأشهاه، كنت عندما أتحمم في البانيو أمسك الهاتف الموضوع بجانبي وأتكلم مع ولد داويد الذي كان محافظاً لمندفرا أقول له:

ـ يا سيادة المحافظ أريد أن أقول لك، أن الماء بارد وأريده ساخناً في المرة القادمة.

كان داويد يضحك ويقول لي:

ـ أمرك يا سيادة الرئيس!!

أين /ولد داويد/ الآن؟ وأين /محمود حسب/؟ لقد استشهدا، لقد صفّي هذان البطلان..

كنا نتسامر أنا وأبو حنفي. عندما كنا سويّة في /دنكاليا/، وعندما كنت أتمدد على الرمل وأنام مرتاح الفكر، تعب الجسد، كنت أحسّ بأن الزمن يقف ليريحني. /من أين يأتيني هذا الاحساس؟ الآن يحضرني الجواب: (انه من ألمي النفسي الذي كان يتوالد لديّ لحظة بلحظة وأنا لا أشعر به إلا كاملاً).

أنا الآن أنام على سرير وفراش وثير، وفي الصيف غرفة مكيّفة وفي الشتاء دافئة، الطعام والشراب والقهوة يأتي إليّ وكأنني /هارون رشيد/ عصري، كان فراشي الوثير في ارتريا هو الرمل، كما كان في أنغولا وأوغادين والفيتنام، أما وسادتي فقد كانت الصندل الذي أنتعله، والسماء غطائي، كان دفئي هو الأمل. كان مكيّفي هو ضحكة مقاتل. ربما الأمان النفسي أو الطمأنينية، وربما كنت أتخيّل أن الزمن وقف، بل كان الصندوق المنير في عقلي هو الذي يأمر حواسي ويقول لها: (ان الزمن قد وقف من أجل راحتك) لم يكن هذا خيالاً، بل كان أمراً واقعاً، فالأمان الذي كان قد توفر لي، والذي يشعرني بأن هناك أماناً وطمأنينة في الحياة، كان /محمود حسب/ والمقاتلون يدللونّني، ولم أكن أفكر لابعدٍ خارجي ولابعدو داخلي.

ـ من كان يتصور أن جيش التحرير والقابض على زمام الأمور من قرب جمهورية /جيبوتي/ الى السودان، هذا الشريط الذي يمتد

مئات الكيلو مترات، والذي حرّره جيش الجبهة، ينهار ويدمّر؟ كم هي المؤامرة كبيرة ودنيئة! إن لمنطقة /دنكاليا/ خصائصها ومميزاتها ولايستطيع العيش فيها إلا الأقوياء.

في تلك الليلة، لم يبق سكر ولاشاي، بقينا عدة أيام دون عصب المقاتل وغذائه، إلا أن الأخ محمود حسب، أرسل بعض المناضلين الى إحدى القرى القريبة لشراء الشاي والسكر، لقد تحرك اثنان حوالي الساعة الثامنة مساء بعد أن غيّرا ملابسهما، ولاهل المنطقة لباسهم الخاص، وهي عبارة عن وزرة يلفونّها حول الجسم، ثم قميص أو كنزة خفيفة توضع فوق الوزرة، وهذا اللباس هو اللباس نفسه في اليمن والصومال. غادرنا المناضلان، ومعهما جمل ومضى الليل والنهار ولم يعودا. وعلى فكرة الليل في /دنكاليا/ هو الرحمة بالنسبة لي، ان هذه المنطقة تعتبر من أسخن مناطق العالم، ورغم أنني كنت في شهر يعتبر شتاءاً بالنسبة لأهل المنطقة. فإذا كان هذا شتاؤهم فكيف يكون صيفهم؟

ذهبت الى محمود وقلت له:

ـ لم يعد المناضلان!

ـ لاتقلق! فسوف يصلان قريباً.

رحم الله محمود حسب، وزج قاتليه بجحيم الحياة وجهنم الاخرة.

نمت وأنا قلق على، من ذهبا ليأتيا بالسكر والشاي. بقيت أفكاري معهما، وكيف سيدخلان إلى القرى غير المحرّرة، كيف

لايكتشفهما الجنود الأثيوبيون والجواسيس؟ ماذا حدث؟ وما هذه الضوضاء الخفيفة؟ لقد وصل /الهودج/. وصل شريان الحياة شريان المقاتل الارتري، انه /السكر والشاي/ كانت الساعة الرابعة فجرا.

أتى أحدهم وقال:

ـ وصلوا! وصلوا!

ـ نعم ياحبيبي من الذي وصل؟

ـ اعمل لك شاي يا أبا سعدة..؟

ـ الآن تريد أن تعمل لي شاياً. الرابعة صباحاً وأنا نائم فأنا أريد النوم.

وتم توزيع المؤونة على المقاتلين، ان فرحة المقاتلين لا أستطيع أن أصفها، وكيف كان الجنود يخبّرون بعضهم بعضاً. كان هنا أربعمائة مقاتل، وكلهم منتشرون.

خلال نصف ساعة عرفوا جميعاً أن الشاي والسكر قد وصلا. وانتشر الخبر كالنار في الهشيم، وأبيح شرب الشاي في تلك الليلة، واليوم، لكن النظام عاد في اليوم التالي. ثلاث مرات في اليوم كنا نشرب الشاي. وانتهت /الوقفة/ والعيد ليوم واحد. لم يكن المقاتل الارتري يسأل عن اللحم أو الرز أو الخبز لأنه يقدّر ظروف ثورته. هذا هو جيش التحرير الذي دمرّته المؤامرات والخيانة الداخلية والخارجية وأنانية بعض قيادييه.



قوميات متعددة في أثيوبيا

ـ عندما كنت في عدن التقيت بإخوان شباناً وشيوخاً وهم، من قوميات مختلفة في أثيوبيا وكانوا ينشدون الخلاص من الحكم العسكري في بلادهم، والتقيت بهم أياماً عديدة، كنا نجلس ساعات طويلة نتناقش حول الأوضاع في أثيوبيا؛ أسمع آراءهم ويستمعون إليّ، واتفقت معهم على محاولة للدخول إلى، أثيوبيا وزيارتهم ميدانياً.

ونتيجة علاقاتي معهم ولمعرفتي بأوضاع المنطقة وما استنتجته من خلال تجاربي، سأرويه بشكل متواضع. إن الحديث عن القوميات الأثيوبية والطوائف الدينية وجبهات التحرير الوطنية يحتاج إلى كتب كثيرة، بل إلى مجلّدات عديدة ولكني وكما يقول المثل: (رحم الله امرءاً عرف حده فوقف عنده).

في فندق: الغولدمور /في عدن/ التقيب بأحد الشبان الوطنيين وهو من دنكاليا، ويدعى /موسى محمد/ كان يتكلم العربية بطلاقة وبلهجة يمنية وبعد السلام والكلام عن الصحة إلخ... قال لي:

ـ أنت معروف لدينا وللكثير، من الجبهات في أثيوبيا.

ـ هذا شرف عظيم لي، أن أكون بجانب الحق أينما كان.

خرجنا من الفندق، وذهبنا إلى مكان، يطل على البحر الأحمر، نظرت إلى الأفق البعيد وسألته:

- ما هي طبيعة الصراع بينكم وبين الأثيوبيين؟

- إن صراعنا هو صراع ثقافي، نحن العفر لنا كياننا وعاداتنا وتقاليدنا وديننا، إن أثيوبيا ضمت أرتريا بالقوة، وهذا يعني اضعاف المسلمين في أثيوبيا والقضاء على وجودهم السياسي.

قلت له:

- ولماذا لجأتم إلىالعرب؟.

- لجأنا إلى العرب كونهم أشقاؤنا وللاستعانة بهم، ولكن يا للأسف لم يتفهموا قضيتنا كما توقعنا. إن سياسة تذويب كيان المسلمين وطمس شخصيتهم القومية، هي من استراتيجية النظام الحاكم في أثيوبيا على مدى العصور.

- أنا أعرف يا أخ موسى أن لكم علاقة بجبهة تحرير أرتريا ماهي طبيعة هذه العلاقة وما هي عوامل بنائها؟.

استأذن وقال:

- علي أن أصلّي الظهر، وبعدها نكمل الحديث.

وعدنا إلى الفندق وهناك ذهب لأداء الصلاة، أما أنا فقد طلبت زجاجة بيرة باردة فصالون الفندق ومن فيه يفتح نفسك على مباهج الحياة.

- تقبّل الله يا أخ موسى... أتريد كأساً من البيرة الباردة؟.

- الله يسامحك، أنا لا أشرب الكحول.

- هل تمضغ القات؟.

ـ أحياناً..... سألتني عن علاقتنا بالأرتريين ، نحن العفر نعتبر أنفسنا امتداداً للأرتريين. زد على هذا، فهم عمق استراتيجي لنا.

ـ هل علاقتكم محصورة بجبهة تحرير أرتريا فقط ولماذا؟ ولماذا لا تكون لكم علاقة بالجبهة الشعبية أيضاً؟.

وأشار لي باصبعه (لا...لا....لا) أبداً (نحن نرفض أن تكون لنا أي علاقة بالجبهة الشعبية! علاقتنا مع جبهة التحرير الأرترية فقط، هذا هو الفصيل الوطني، إن الجبهة الشعبية متحالفة مع جبهة تحرير /تغراي/، إن لهذا التحالف أبعاده الخطيرة وله مدلولاته السياسية والطائفية، نحن نستطيع التأثير على المسلمين في أثيوبيا ونملك القدرة على إثارة المشاعر الدينية. فهناك مواقع ومقاطعات مثل /عروس/ و/بالي/ و/هرر/ ومنها يمكن العمل على تقويض النظام الأثيوبي.

أنتم العفر الأثيوبيين كيف تنظرون للعرب؟.

ـ إنهم أشقائنا ولكن المشكلة هي الخلافات بين العرب بعضهم مع بعض، ومن هنا يحاول الأثيوبيون الاستفادة من هذا الخلاف.

ـ إلى أي مدى يكون تأثير الماركسية في أثيوبيا؟.

ـ انتظر بعض الوقت، وسوف ترى كيف سينهار كل هذا. إننا نعرف بعضنا بعضاً في أثيوبيا وفي أرتريا، نحن وطنيون وليس لنا أي أفكار خارجة عن منطقتنا، وإذا سألتموني عن العفر أقول لكم إنهم ينتمون إلى /الكوشيه/، وكلهم مسلمون وهم يتطلعون إلى إقامة حكم

ذاتي لأبناء العفر، في إطار /اتحاد أثيوبي/ باستثناء /عفر/ أرتريا والذين يعيشون في دنكاليا.

وفي ١٩٨٣/٣/١٠ عقد في دمشق اجتماع لأعضاء من جبهة تحرير أرتريا و /حسين أحمد موسى/ وهو عفري وكان يعمل موظفا في وزارة الخارجية الأثيوبية. وكان آخر عمل له في السفارة الأثيوبية في ليبيا، مثّل جبهة التحرير الأرترية كل من /صالح اياي/ و/علي[1] اسحاق/ ومحمد صالح حمد/ و/ادريس كلايدوس/ و/محمد علي ادريس/.

وقبل هذا الاجتماع كان قد التقى /عبد الله ادريس/ رئيس المجلس الثوري واللجنة التنفيذية بعد /٢٥/ مارس، التقى مع /حسين أحمد موسى/ واتفق معه على المساعدة بقيام جبهة تحرير /عفر/ وذلك بقصد ضرب الجيش الأثيوبي وجبهة تحرير تغراي، لأن منطقة العفر تسمح بالتحرك وضرب الجيش الأثيوبي، ولهذا تم الاجتماع الآنف الذكر.

تقع الأراضي العفرية في شرق إفريقيا وفي شرق أثيوبيا وتعرف بالاصطلاح الجغرافي /بالمثلث العفري/ وهذا المثلث شبه متساوي الأضلاع. فالضلع الأول منه يمتد من ساحل البحر الأحمر من حدود جيبوتي إلى خليج زولا، جنوب ميناء مصوع، الأرتري، وهذه المنطقة تعرف باسم /دنكاليا/ الجنوبية نسبة إلى قبيلة /دنكل/ العفرية، الأرترية ويوجد فيها قبائل عفرية متعددة وتتكلم اللغة العربية.

---

(١) قائد ارتري سابق، كان من أوائل المهرولين إلى الجبهة الشعبية يهيم الآن على وجهه في جمهورية اليمن.

أما الضلع الثاني لهذاالمثلث فهو يمتد من جيبوتي إلىأديس أبابا ويشمل نهر أواش ومجاوراً لمحافظتي هرر وشوا في أثيوبيا.

والضلع الثالث يمتد من منحدرات جبال فنري أب الشهيرة قرب أديس أبابا ثم يسير مع منحدرات الهضبة الأثيوبية ماراً بمحافظات /شوا و ولو/ وينتهي في خليج /زولا/ علىالبحر الحمر، هذاالتقطيع الجغرافي هو من وجهة نظر العفر /الاوسا/.

إن تكوين أثيوبيا العام هو علىالشكل التالي وتشمل على ثلاث فصائل:

١ ـ الفصيلة السامية.

٢ ـ الفصيلة الكوشية ومنها العفر.

٣ ـ الفصيلة النيلية.

هذه الفصائل الثلاث هي التي كوّنت القرن الأفريقي. ومنها أتى التكوين الأثيوبي، فالقوميات الرئيسية المتطاحنة سياسياً هي ست قوميات وتشمل:

١ ـ الصومالية.

٢ ـ الأورومو.

٣ ـ العفر.

٤ ـ التجري.

٥ ـ التجرينيا.

٦ ـ الأمهرا.

ثم هناك قوميات أخرى مثل /فوراجي/ و/الكوناما/ وهي موجودة في أرتريا أيضاً.

ولهذه القوميات المتطاحنة ميليشيات خاصة بهم ولهم تسليحهم الخاص بهم والمصادر متعددة والأديان الموجودة في أثيوبيا:

١ ـ الاسلام.

٢ ـ المسيحية.

٣ ـ اليهودية.

٤ ـ الوثنية.

فشعب /الأورومو/ نسبة الاسلام بهم /٩٠٪/ والباقي كانوا مسلمين إلا أن المبشرين الغربيين فعلو فعلتهم، وشعب /ولو/ كلهم مسلمين، ويعتبرون من افقر الناس في أثيوبيا بل في العالم، و/الأمهرا/ مسيحيون وقليل من المسلمين، اليهودية نسبة قليلة وهم معروفون بالفلاشا وقد تم ترحيلهم حين تواطأ منغستو ـ النميري و...؟ مع اسرائيل. ومن هنا بدأ تآمر النميري على جبهة تحرير أرتريا.

والوثنيين هم /الكوناما/ المتواجدون أيضاً في منطقة القاش في ارتريا وهم أقلية و/٩٩٪/ يعتمدون على الزراعة وأهم المزروعات /البن/ وهناك مصانع بسيطة وهي بأيدي الأرتريين أما أهم صادراتها فهو /البن/ أيضاً.

فمشكلة النظام السابق واللاحق هو عدم اعترافه بهذه القوميات، ومشكلة شعب /الاورومو/ وهي من أخطرها على النظام في أي وقت كان.

إن السياسة المتبعة هي اضطهاد المسلمين والذين يشكّلون ٦٥٪ من سكان أثيوبيا، وإليكم المثال التالي: في عام ١٩٨٠ كان عدد الموظفين في وزارة الخارجية الأثيوبية /٤٠٠/ موظف في الداخل وفي الخارج /٩/ منهم مسلمون فقط والوزراء في التاريخ ذاته /١٤/ وزيراً وليس بينهم وزيراً مسلماً واحداً، علماً أن الكوارث السلطوية لا تحل إلا بالمسلمين، فشعب /ولو/ المسلم هو أفقر الشعوب وأضعفها في العالم، وإن أكبر نسبة مومسات في العالم هي في أثيوبيا نتيجة للفقر وسوء معاملة قومية /الأمهرا/ للمسلمين.

وفي عام /١٩٧٤/ قامت مظاهرة من هؤلاء المومسات وطافت شوارع أديس أبابا تطالب بحقوقها، فما رأيكم بمظاهرة للمومسات، إنها الأولى من نوعها. صحيح أن البغاء هو قديم بل هو أقدم مهنة في التاريخ، إلا أن المظاهرة قامت في أثيوبيا عام /١٩٧٤/.

إن نظام منغستو الذي سقط كان يحمّل الأرتريين تفاقم اختراع الأرتريين للمشاكل في أثيوبيا، لكن بعد سقوط النظام وأعني نظام قومية /الأمهرا/ وتولي التجرايويين السلطة وانتزاع الأرتريين استقلالهم بالقوة، فالذي حكم هم التجراويون الذين منحوا حكماً ذاتياً محدود لبقية القوميات. ليس هذا هو الحل المطلوب والمنشود، فالأحداث شبه يومية في أثيوبيا، بالذات مع /الأورومو/ وغيرهم هي دلالة واضحة على أن السلطة اليوم لم تقم باصلاحات جذرية على نطاق الحكم الذاتي الصحيح، وال٠نار لازالت مستعرة ومدفونة تحت التراب

والحجارة. وآجلا أو عاجلا سـوف تتفجّـر هـذه النـار. عندهـا سـوف تتدفق هذه الحمم فلا تبقي في طريقهـا أحـداً ممـن يحكمـون. وأقصـد بالشعبين رغـم التقـارب والاتفاقـات والدعـوات بيـن الجبهـة الشـعبية لتحريـر أرتريـا الحاكمـة وجبهـة تحريـر تجـراي الحاكمـة أيضـاً فـي أثيوبيا.

فالحل الصحيح هو إعطاء المسلمين، حقوقهـم ومشـاركتهم فـي السلطة. أي إعطائهم حقوقهم كاملـة ولـن تحـل المشـاكل إلا بوجـود جبهـة وطنيـة متكاملـة ومتراصـة، ثـم إنهـاء مشـكلة جيبوتـي الهامـة والتنافس بين العفر والعيسا. ليس من مصلحة المسـلمين الاقتتـال فيمـا بينهم. هناك من يقوم بإشعال النار بين المسلمين.

قال لي صديق عفري اثيوبي:

ـ إننا نريد إقامة تعاون عفري لإقامة حكم ذاتي لأبناء العفر فـي إطار اتحاد اثيوبي.

ـ يا صديقي إن الحكم في اثيوبيا المتمثّل بجبهة تحريرتجـراي قد أعطاكم حكماً ذاتياً. وها هو ابـن السـلطان /حنفـري علـي مرح/، رئيس للبرلمان في مقاطعتكم /الأوسا/. أليس هذا صحيحاً؟

ـ أقول لكم أن العفر الاثيوبييـن هـم حوالـي /٣/ ملاييـن نسـمة ويتوزّعون على /٤/ ولايات وهذه الولايات هي:

ـ تغراي: ولو /هرر/ شوا/ هؤلاء هم العفر الاثيوبيون.

أما فيما يخص الحديث عن شعوب اثيوبيا الأخرى، فشعب الاورمو تعرّفت على أبنائه خلال وجودي في الصومال الغربي حيث كانت تدور المعارك بين الجيش الصومالي وجبهة تحرير الصومال الغربي من جهة. والجيش الاثيوبي المدعم بقوات سوفيتية وكوبية وعربية من جهة أخرى.

في الصومال الغربي أو كما تسمَى وتعرف بمنطقة /أوغادين/، وليعذرني أخوتي الصوماليون لترديدي كلمة /أوغادين/ فهذه الكلمة تطلق على قبيلة كبيرة في منطقة الصومال الغربي.





الفصل الرابع



في الصومال الغربي

عندما شاركت، في تحرير قسم كبير من الصومال الغربي كنت العربي الوحيد الذي دخل إلى أعماق الصومال الغربي وكان ذلك عام /١٩٧٧/.

في بدء الحرب دخلت من مدينة /بلدويني الصومالية/ وخرجت من /هرجيسا الصومالية/ وفي قلب /أوغادين/ حيث قاتل الجيش الصومالي وكنت أنا بجانب المقاتلين في جبهة تحرير الصومال الغربي، والتي كان يرأسها في ذلك الحين المناضل العربي /عبد الله حسن/ سفير الصومال حالياً في القاهرة.

صوّرت وقدّمت فلماً عن هذه المنطقة. استمر عملي في هذا الفلم سنتين ذهاباً وايابا. الصومال الغربي غنيٌ بالبترول والحيوان ولم تكن ظروفي تسمح لي بمعرفة خصائص الصومال الغربي كله. وعندما ذكرت الحيوان والبترول فإني شاهدتهما، رأيت آبار النفط وهي مغلقة ورأيت آلاف الجمال وهي متجمعة حول برك الماء الكبيرة. رأيت طائرات اثيوبيا وهي تفتح نيران رشاشاتها وترمي بقنابلها على هذه الإبل. إن الثروة الحيوانية كبيرة جداً في الصومال الغربي. هذه الطائرات ترمي قنابلها على هذه الحيوانات التي لا تنتمي إلى اليمين أو اليسار إنها من مخلوقات الله المفيدة للانسان.

في الصومال الغربي قطعت مئات الكيلو مترات سيراً على الأقدام، أصوّر المعارك والقتال حتى وصلت إلى مشارف مدينة /جيكجيكا/ وعلى مقربة منها وجدت وزير الدفاع الصومالي ويدعى /محمد علي سمنتر/ يقود الدبابات بنفسه، نعم إنه وزير الدفاع الصومالي.

مررت بمدن وقرى مثل /قلافو/ /شلابو/ نهر شبلي/ نعم كان يرافقني أحد أعضاء القيادة في جبهة تحرير الصومال الغربي. وهو الأخ /سعيد حسين/ وهو رجل عربي قومي متفان بحب بلاده. ثم تعرّفت على العميد /عبد الرحمن/ قائد المليشيا والذي كان متزوجاً من ابنة الرئيس /سيادبري/، كم كان العميد متفاخراً حين يقول (لقد تخرّجت من الكلية العسكرية في سورية).

أما سلاطين المنطقة فهم كرماء في أخلاقهم، وفي شجاعاتهم الفائقة، إن أحد السلاطين وهو الشيخ أحمد عبد الرحمن وهو سلطان منطقة /شلابو/ قد ذبح لي جملاً تكريماً لي، وقال لي:

ـ أنت بين المسلمين، فكل يا أخي وامش على بركة الله!

لقد رأيت بعيّني كيف أن النساء الصوماليات اللواتي يمشين وراء أزواجهن وأولادهن وأخواتهن، يحملن الماء ويزغردن عندما تبدأ المعركة مع الاثيوبيين. صورّت الرجال عندما قاتلوا الاثيوبيين على مقربة من نهر /شبلي/.

كان الجيش الاثيوبي لا يتحرك إلا بقوافل كبيرة.

لقد صعدوا على ظهر الدبابات وليس لديهم سلاح، إلا السيوف والسكاكين والبلطات، كيف كان الجنرد الاثيوبيون يخرجون من الدبابات ويقعون أسرى. لا يقتلونهم والسبب إيمان الصوماليين بدينهم الاسلامي.

قال لي الأخ عبد الناصر، وهو من قادة جبهة تحرير الصومال الغربي:

ـ إننا نعامل الأسرى كما أمرنا الاسلام وكما فعل نبيّنا محمد (ص).

لقد صوّرت راعية إبل جميلة، وهي تقود ضابطاً اثيوبياً من قبيلة الأمهرا. هذه الراعية الحسناء تركت إبلها، وضربت هذا الضابط بعصاها على يده وأسقطت البندقية من يده ثم جرّدته من مسدسه، لن أنسَ هذه الجميلة وهي تسوق هذا الضابط إلى مكان تواجد الثوار.

إن الشعب الصومالي هو من أشجع الشعوب العربية الاسلامية ولكنني أقول:

ـ (الله يهديهم).

في قلب العاصمة ادريس أبابا وعلى مرأى، من كبار قادة العالم الاشتراكي مثل الزعيم /فيدل كاسترو/، وبعض زعماء أحد البلدان العربية كان يوءتى بالضباط الصوماليين وهم مكتفّي الأيدي والأقدام، حيث يوضعون في الساحة المخصصة للعرض العسكري والمدني. كانت تأتي النساء الاثيوبيات، وهن يحملن الأحزمة العريضة ويقمن بجلد الأسرى الصوماليين.

كثيرٌ من شعب الأورمو كان يقاتل، بجانب جبهة تحرير الصومال الغربي، ومن هناك تعرّفت على قياديي وجنود /الاورمو/ أو كما يسمونهم /الأمهرا الغالا/، لكن هذه الكلمة مكروهة ومعناها /العبيد/. لكنني كما أوردت كانت تطلق عليهم من قبل الأمهرة والتغراويين. ومن خلال وجودي معهم استنتجت هذه القراءة السريعة عنهم.

في نهاية القرن التاسع عشر، والتي تعتبر بداية جديدة من تاريخ شعب الاورمو، فالحياة الزراعية أخذت تحل محل الحياة الرعوية البدوية في أجزاء كبيرة من بلادهم، وتعداد شعب الاورمو هو /٢٠/ مليون نسمة، وهو شعب مكافح، وله تاريخه المليء بالبطولة والشجاعة، وإلى وقت قريب كانوا يقاتلون بالرماح فقط.

إن هزيمة الاورمو على يد الامبراطور /منليك/ كانت هزيمة لشعوب اثيوبيا كافة. إن الظروف القاسية المفروضة عليهم من قبل الامبراطورية الامهرية والتجراوية كالفقر والتخلف، لقد فُرضت عليهم ظروف تركتهم يعيشون في القرون الأولى.

في /١٩٢٨/ قامت الامبراطورية الامهرية المتسلطة باستدعاء القوات الملكية البريطانية من /عدن/، وضربت حركة شعب /الاورمو/ في ثورته الأولى عام /١٩٤٠/، ثاروا مرة ثانية وأيضاً أتت القوات الانكليزية من /عدن/ وضربتهم بشدة وبلا رحمة، وعام /١٩٣٥/ تم

إنشاء اتحاد كونفدرالي مع شعب /الاورمو/، وتم تقديم طلب إلى عصبة الامم للاعتراف بهذا الاتحاد كدولة، لكن بعد هزيمة الايطاليين في الحرب العالمية الثانية، تقدّم الاورميون بمذكرة إلى الحكومة الانكليزية لإقامة دولة مستقلة. لكن المستعمر الانكليزي كعادته لم يهتم ولم يأخذ برأي هذا الشعب المظلوم، بل عمد إلى إعادة الامبراطور هيلاسيلاسي إلى السلطة.

وفي عام /١٩٦٧/ قامت حركة وطنية تسمّى /ميتشاتولما/[١] فقمعت بوحشية، وشنق بعض زعماءها وشرّد الباقون. ان الاسرائيليين والانكليز والامريكان كانوا يساعدون الاثيبويين ويقصفون مواقع /الاورومو/، ان هذا الشعب كان هدفه الأول هو الحصول على تقرير المصير القومي لشعبه، وهذا الشعب ينطق اللغة الأوروميـة وعاصمته /اروميا/. وهم متواجدون في /هرر/ وبالي/ وعروس/ وسيدامو/ الوبايور/و/لجار/ وكافا /وحميوجونا/ وجزء من شوا/.

هذا هو شعب الاورومو بمعلوماتي البسيطة عنهم. إن من يحكم أثيبوبيا اليوم، هو شعب تجراي والمتمثّل في جبهة تحرير تجراي ذات الأغلبية المسيحية. إن القومية التجرينية والقومية الأمهرية وعلى مدى سنين طويلة، حاربت واضطّهدت كل القوميات الأخرى، والسلطة دائماً كانت بأيدي الأمهرة والتجراي، وحين لايكون للتجراويين يد كبيرة في الحكم ينقلبون على الأمهرة وهكذا ...

---

(١) ميتشاتولما: حركة وطنية في أثيوبيا.

وحاربت جبهة تحرير تجراي السلطة وانتصرت عليها وذلك بدعم امريكي اسرائيلي عام /١٩٩١/، وسقط نظام الحكم العسكري وسقطت القومية الامهرية. لكن هذا السقوط للقومية الامهرية. هو برأيي وحسب رؤيتي للواقع هو نجاح مؤقّت. إن نجاح الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا في تسلم، السلطة و لاجراءات والتحالفات القوية بين الجبهتين ليس له إلا تفسير واحد وهو الرابط الديني. إن هذا التحالف لن يدوم مطلقاً!

بالنسبة لثورة الشعب الأرتري، التي، قادتها جبهة التحرير الارترية ذات الخط الوطني والذي، يجمع كافة فئات الشعب فقد استُبعدت نتيجة التآمر على هذه الجبهة، والأمر الثاني وقوف الأمريكيين والاسرائيليين بجانب الجبهة الشعبية (اسرائيل القرن الافريقي).

وقد تم تحالف وتوقيع معاهدات بين الجبهتين المذكورتين. واهمها توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بينهما، فالذي يقع لأثيوبيا /جبهة تحرير تجراي/ يقع علىأرتريا /الجبهة الشعبية لتحرير أرتريا/. إن أي اعتداء على أحدهما، يكون اعتداءاً على الآخر، ثم توقيع الاتفاقية الأمنية السياسية وهناك مجموعة من الاتفاقات منها /أن الفرد الأثيوبي ـ وأنا برأيي الخاص هو الفرد التجريني ـ يحق له حمل الجنسية الأرترية أي يكون مزدوج الجنسية. إن لغة شعب تجراي هي التجرينية، وهذه هي اللغة المهيمنة في الوقت الحالي عند الجبهة الشعبية والمهيمنة في ظل النظام الحالي.

تجراي والريف الأرتري

في بداية عام /١٩٧٦/ توجّهت من مدينة /تسنى/ الأرترية، إلى المرتفعات. كانت المرة الأولى التي أركب فيها سيارة في ارتريا. في الصباح سارت السيارة العسكرية /لاندروفر/، ووصلت إلى مدينة /مندفرا/ في اليوم التالي، وقد نمت في قرية /هيكوته/ واستغرقت الرحلة حوالي ثلاثين ساعة، بينما في السابق كنا نسير على الأقدام وتستغرق رحلتنا خمسة عشر يوماً ذهاباً فقط.

سرنا على طريق معّبد دون خوف من مواجهة جنود أثيوبيين، البلد محرّر. في السابق كنا نمشي بين الجبال والأحراش، كنا نمشي في الليل أكثر من النهار خوفاً من الطائرات والجواسيس، والآن بعد تحرير المدن أصبحنا نركب السيارة ونتحدّث بالهاتف. كان ثمن ذلك باهظاً لقد بذل الشعب الأرتري دماءه، روّى الجبال والسهول.

وقد استطاعوا الثوار من ج ــ ت ــ أ تحرير معظم ريفهم وأكثر المدن، إنما أريد أن أقول إني دخلت الأراضي الأثيوبية عن طريق أرتريا، وقد وصلت قرب مدينة عدوى/ إحدى محافظات /تجراي/ كنت أتنقّل مع الشهيد /سعيد صالح/ بحرية تامة، نمت في قرية /راما/ الأثيوبية التجراوية عدة ليال، كانت قرية خضراء ومناخها قريب أو مثل مناخ بلدي. وكان الملفت للنظر في تلك القرية، هو كثرة الحانات والخمارات والنساء، ثم إن التجراويين يحبون أكل اللحم نيئاً. كثيراً ما كنت أرى قطع اللحم وهي

دامية، رأيت امرأة في إحدى الحانات تحمل قطعة لحم دامية مع قطعة خبز وجعلتها «سندويشة»، ثم ذهبت هذه المرأة مع رجل حيث مارسا الجنس في مكان شبه عام. وكانت عملية مقززة للنفس. وفي مناطق كثيرة في أثيوبيا عندما تتشاجر النساء تقول: إحداهن للأخرى /أنت لا تعرفين غير زوجك/ وتعتبر هذه إحدى الشتائم! إن /راما/ هي إحدى قرى تجراي وكانت خاضعة لجبهة تحرير أرتريا التي كانت تساعد جبهة تحرير تجراي في بدايتها ضد الجيش الأثيوبي.

هناك جملة تتردّد دائماً على ألسنة فئة من الأرتريين، وهي /تجراي تجرينياً/ ومعناها المتحدثون بالتجرينية في اثيوبيا وارتريا، وبالتحديد شعب تجراي وقسم من أهل المرتفعات في أرتريا. إن هذا التعريف يعطي أكثر من تفسير ، فالتفسير الأول هو إعطاء الطابع الديني، والتفسير الثاني هو طابع قومي. والطابع الثالث هو طابع ثقافي ممهور باللغة المشتركة، ويمكن أن تكون هذه السمات الثلاث هي تشكيل /تجراي الكبرى/؟...

إن جبهة تحرير تجراي والجبهة الشعبية لتحرير أرتريا وقياداتهما متفاهمة متقاربة حول إنشاء هذه الدولة. ولم لا؟ إنهم حسب اعتقادهم مشتركون بلغة واحدة ومذهب واحد وجغرافية واحدة وعادات وتقاليد واحدة، حتىالأسماء الشخصية أيضاً مشتركة بين أهل تجراي وقسم من أهل المرتفعات الأرترية وليس لديهم مانعاً أن يكونوا دولة واحدة؟.

وأتابع حديثي عن الجبهة الشعبية لتحرير تجراي. التنظيم الأول كان اسمه /جبهة تحرير تجراي/. أنشيء عام /١٩٧٠/، وكانت جبهة تحرير أرتريا تدرّب شعب تجراي وتقويّهم من أجل، تكوين تنظيم خاص بر وعندما تمّ التدريب العسكري، شُكلت جبهة تحرير تجراي. كانت سياسة الثورة الأرترية المتمثلة في جبهتها أن تقوّي الحركات القومية في أثيوبيا من اجل إضعاف وإسقاط الحكم، وكانت جبهة التحرير الأرترية تقوم بإمداد جبهة تحرير تجراي بالأسلحة وغيرها. وفضلاً عن هذا، فإن شعب تجراي مضطهد من قبل القومية الأمهرية الحاكمة. وبعد سنوات شُكّلت الجبهة الشعبية لتحرير تجراي، وارتبطت بقوات التحرير الشعبية الأرترية والتي كان يرأسها /عثمان صالح سبي/ و /أسياس افورقي/، حيث كان هذا هو الرجل القويّ والذي، رأس الجبهة الشعبية لتحرير أرتريا فيما بعد، التي انبثقت من قوات التحرير الأرترية، وحصلت تغييرات في الجبهة الشعبية لتحرير تجراي، فأقيلت القيادة وحلّت مكانها، قيادة جديدة برئاسة /ملس الزيناوي/ ودرس هذا في جامعة /أديس أبابا/، كذلك درس /السيد أسياس أفورقي/ في هذه الجامعة، ولكنّ اسياس لم يكمّل تعليمه الجامعي. وعندما ترأس /ملس الزيناوي/ شعبية تجراي ورأس شعبية أرتريا /أفورقي/ واتحدت الجبهتان المذكورتان وضربتا جبهة تحرير أرتريا الأم ذات الخط الوطني والتي انتهجت الثقافة العربية، وضعت الشعبيتان استراتيجية خاصة بهما وبدأتا بتنفيذها وكما قلت /إنهما

متقاربتان بكل شيء/ وكثير من هذه الحركات التي تسمى نفسها ثورية أو غير ذلك ومن الحركات في أثيوبيا حركة تسمى /حركة الأمراء/ وهم من القومية الأمهرية ومن بقايا هيلاسلاسي ثم هناك الحزب الجمهوري في عهد منفستو وغيره من الأحزاب. ورغم محاولة جبهة تحرير تجراي التي استولت على السلطة وحكمت أثيوبيا، أعطت هذه القوميات حكماً ذاتياً محدوداً، إلا أنه لم يستمر طويلاً لأنه مبنيٌ على عمل تكتيكي، وليس عملاً استراتيجياً. إن إقامة دولة جديدة في اثيوبيا يجب أن ترتكز على إرساء الحق والعدالة والمساواة، بين كل القوميات والطوائف وإعطاء المسلمين حقوقهم كاملة.



أغاني أرترية

لقد أطلتُ في هذا الشرح لأحدثكم عن بعض الروايات والقصص التي رأيتها وسمعتها: ولنبتديء بالمرأة الأرترية الجميلة شكلاً ومضموناً، فهي رقيقة ولطيفة، فعندما تنظر إلى عينيها تجدهما تنطقان بالدلال والغنج، أما نعومة جسدها عندما تلمسه كأنما تلمس الحرير، أما الثدي فهو مستدير وبديع باستدراته وصلابته، أما اليدان فهما تبدوان كأنهما بلا عظام والقدمان الصغيران تزيدان أطرافها رقة ودلالاً، لقد أعطى الله هذه المرأة جمالاً غير عادي، ولا يوازيها إلا السودانيات الشماليات والصوماليات والأثيوبيات الأمهريات، ومن لا يصدق فليسامحه الله. كثيراً عندما كنت أقترب من الأنهار الجافة ومن هذه الأنهار يكفي أن تحفر بضعة أمتار، وتروي ظمأك من الماء ويزداد الظمأ إلى هاته الفتيات الجميلات، فكنت أروي ظمأي بتصويرهن وخاصة في مناطق /بركة وساوا/ وما حولهما والساحل أيضاً. اما الوسط والمرتفعات فهنا بعض الاختلاف لأنها مناطق جبلية. والعذرية في مناطق عديدة في أرتريا هامة جداً.

فالبنت العذراء، تبقى هكذا إلى أن تتزوج أو تموت. والموت لمن يمس فتاة عذراء أو غير عذراء عند بعض القبائل. فالأرتريون عامة لا يقبلون بالخيانة الزوجية، والمرأة الأرترية كلمتها مسموعة ولها شأنها.

وفي المدن التـي حرّرتهـا الجبهـة كنـت اسـمع النسـاء وهـن يغنين أغـاني الحـب والأمـل والحرمـان. وفـي الاحتفـالات العامـة، كالمناسـبات الوطنيـة وحفـلات الـزواج، فـالمرأة تتصدّرهــا، أمـا الموسيقى فهي متنوعة فمنهم من يستعمل الآلات الحديثة والمعروفـة إلا أن الآلة الموسـيقية السائدة في الريف الارتري هي الربابة والنـاي هذا شكله عادي. أما الربابة فان أوتارها من الأسلاك المعدنيـة. فـي كثير من الأحيان وعندما يبدأ العـزف عـل الربابـة فـي الريـف فإنـه يستغرق ساعات فلكل معزوفـة معنـى وحكايـة، وهـي تتحـدث عـن الحب، إلا أنها في أكثر الأحيان تتحدث عــن البطولـة والشـجاعة. اذن المرأة الأرترية تغني وترقص وتعمــل، وأحيانـاً تقـاتل مثـل أيـة امرأة في العالم المتحضّـر والـذي، يزيـد فـي أنوثـة المـرأة الحشـمة والأخلاق. وسمعت امرأة كبيرة تغنّي بلهجة لم أفهمها. وحين سألت من كان معي من الرفـاق، قـالوا انهـم لايعرفـون هـذه اللهجـة. كـان صوتهـا حنونـاً لدرجـة أنـي فهمـت مـا تقولـه وفعـلاً كنـت صادقـاً بإحساسي؛ وعندما جاء أحد الرفاق وكان يفهم لهجتها قال: كـانت تغني للحب القديم يوم تزوجت وتركت أبويهــا، وجـاءت الـى هـذه المنطقة، لتعيش مع الراعي زوجها، لكن الأمهـرة قتلـوه ولـم تـتزوج من بعده. كانت أغنيتها من تأليفها وتقول فيها:

(لم يلمس صدري أحد بعدك. لن يخفق قلبي لأحد، إني أعيش لأن الله أراد لي البقاء، سأبقى مع رجلي ومع عشيرته.. الخ).

وفي قرية /حكات/ سمعت إحداهن تغني بلهجة /البلين/ وجلست استمع إليها، وهي تردّد أغنية رقيقة حزينة.

ـ سألت مرافقي عن معنى هذه الاغنية فقال: (إن كلام هذه الاغنية عن وجدان وتقدير حب الشعب الأرتري للعرب خاصة. تقول الكلمات:

(نحن لم نزعل لأن /كفيل/ قد سلّم نفسه لاثيوبيا،
فالخونة موجودون في كل مكان،
لكننا نتألم ونبكي لأن /كفيل/ هذا قد تعلّم وتدرّب في سوريا.
فماذا نقول لأهلنا العرب في سوريا؟)...

وفي ريف أرتريا تتعّطر المرأة بطريقة محلية، ولانـي عشت في الريف فترة طويلة. إنـي لم أدخل أي مدينة أرترية إلا بعد تحريرها، ولم تتسن لي الظروف أن أعرف كيف تتعطر المرأة في المدينة، لكني أعتقد بأن الطريقة واحدة. فالسنون الطويلة من حياتي والتي قضيتها في الريف الأرتري هي، التي أعطتني هذا الاطلاع، تأتي المرأة إلى ركن متطرف في البيت وتقوم بحفر الأرض بشكل دائري صغير، هذه الحفرة ضرورية لكل المنازل تقريباً فحين تريد المرأة أن تتعّطر، تضع الفحم في الحفرة وتشعله، وحين يصبح الفحم جمراً تضع فوقه أخشاباً معّطرة، ثم تجلس فوق الحفرة /أي تقرفص/ وتغطي جسدها ببطانية فيلفها الدخان المعطّر، وعلى قدر ما تستطيع تبقى جالسة، ويتصبب العرق من جسدها والدخان المعطّر يلفها فتصبح رائحتها ممسكة.

ومن هؤلاء النساء من تكون عارية تماماً. إن هذا يزيد المرأة جمالاً وينظّفها، ثم إذا كانت الفتاة مقبلة على الزواج يحنّون يديها وقدميّها، ويرسمون عليها أشكالاً هندسية جميلة، ثم تتعّطر الفتاة كالعادة ثم تضع نوعاً من الكريم البلدي، يسمى /الدلكة/ ويستعمل بعض الشبان هذا الكريم البلدي، ومن الرجال من يزيّن شعره. ففي منطقة /بركة والماريا/ الشبان هنا، شعرهم طويل ويربطونه في منتصفه ثم يتركون الباقي يهبط على الرقبة والخدين وبعضهم يدهن شعره بالسمنة البلدي، ولما سألتهم لماذا تدهنون شعركم بالسمن فأجابوا إن دهن الشعر بالسمن يقي العيون من الشمس ومن أمراض أخرى وبهذه الطريقة يحمون انفسهم من ضربات الشمس.

في أثناء تواجدي في أرتريا، وكنت في طريقي إلى المرتفعات، وكان يرافقني الأخ المناضل /ابراهيم محمود/ وكنا نمشي على أقدامنا، وفي الليل قطعنا الزفت /الزلط/، هذا الطريق يصل محافظة /اغوردات/ مع باقي المحافظات وهو محروس جيداً من الاثيوبيين، كنا نقطعه فرداً فرداً على ألا تكون السماء مقمرة: في الصباح جلسنا عند سفح احد الجبال العالية وفي قمة هذا الجبل توجد صخرة غريبة الشكل. كان /محمود/ ينظر إلى الجبل ويعاينه. كنا بانتظار أن تخف حدة الشمس كي نتابع طريقنا، زارنا شيخ وبعد السلام، سألنا وبلغة عربية وبلهجة قريبة من اللهجة السودانية:

ـ لماذا لم تدخلا إلى قريتنا؟ الستم انتم جبهة؟ ومن أين هذا الزول[1]؟ ويقصدني أنا.

قال له محمود:

ـ إنه عربي من سوريا.

ومدّ يده وصافحني وسألني:

ـ ما اسمك؟

ـ أحمد.

ـ صلى الله على محمد.

ومد يده مرة ثانية وصافحني أهلا بسوريا وأحمد.

ـ أنا اسمي الشيخ عبد الكريم سيد أحمد. جلس بيننا وكان (معشرانياً) كما يقولون. ودعاني لضيافته وقال:

ـ لماذا لاتبقى عندنا عدة أيام؟ (تتونس) ونستفيد منك، وتحدثني عن بلادك وعن الرئيس الأسد وبلاد العرب والمسلمين، ونحن نحدّثك عن اوضاعنا.

ثم التفت إلى ابراهيم وسأله:

ـ إنك تنظر إلى هذا الجبل فهل انت خائف من صعوده؟ ام انك تنظر إلى تلك الصخرة التي في رأس الجبل؟

كان محمود يعتقد أننا سوف نتعب، لأن معنا عفشاً كثيراً وليس معنا غير بغل واحد. إن صعود هذا الجبل يحتاج إلى أربعة أيام وهو صعب وملتوٍ وليس فيه معالم أية طريق واضحة، وسوف نتسلقه استنتاجاً وخبرة.

---

(١) الرجل حتى بلغتنا في سورية.

قلت له:

- يا شيخ عبد الكريم ما هي قصة هذه الصخرة؟ والله شغلت بالي.

قال الشيخ:

- «إن اهالي بلاد المنسع يطلقون عليها اسم /ولّيتَ تيزاي/ ومعناها /بنت الملك/، جاءت هذه إلى بلادنا مع جيش كبير وجلست هنا مع جيشها. وأنا أريد ان أقول شيئاً لأخي أحمد، هذه الصخرة التي في رأس الجبل لها قصة، وهذه القصة حدثت هنا أم في بلاد المنسع الله أعلم، لكن سأروي ما سمعته من والدي رحمه الله.

كانت بنت الملك هذه ظالمة وغنية جداً ولها جيشاً ظالماً يسرق ويعطيها. كانت ظالمة وتأكل مال الناس بالحرام، وبقيت على هذا الحال إلى أن أصبح الناس فقراء وأكلهم الجوع، وهي تزداد غنى أليس الجوع كافراً؟ إن سيدنا الامام علي رضي الله عنه قال: (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) وتساءل الناس فيما بينهم (إلى متى سنعيش في هذا الفقر والجوع والقهر والعذاب؟) إلا أن الجوع حركهم فقاموا بالدعاء عليها فهم لايملكون غير الدعاء أمام هذا الجيش الكبير، فاستجاب الله لهم وتحوّلت بنت الملك إلى صخرة كبيرة لا حياة فيها ولا تنفع لشيء. وصارت أرجل البشر والحيوانات تدوسها هذا ما حصل لبنت الملك، هذه المرأة الحاقدة والشرهة التي حرمت الناس اتعابهم وارزاقهم فقد حوّلها الله إلى صخرة جوفاء تداس بالاقدام».

قلت لمحمود:

ـ ما رأيك بهذه القصة الجميلة؟ إن الله معنا وسوف نجتاز هذا الجبل دون تعب، ونحن لسنا جشعين، لانريد مالاً ولا نظلم أحداً، ولسنا مستعمرون، ولن يكون مصيرنا كتلك الصخرة، وسوف ندوسها بأقدامنا. وضحك الشيخ وقال:

ـ أرجو لكما التوفيق..

وبقيت عين محمود على الصخرة، كان الشيخ يحمل مصحفاً كبيراً فتحه وقال:

ـ اعذرني لقد تأخرت في القراءة.

عندها جاء رجل آخر وقال:

ـ يا شيخ عبد الكريم هذه العنزة التي طلبتها!

ـ إذبحاها على سنة الله ورسوله، ثم اسّعيا في مناكبها!

وتابع الشيخ قراءة المصحف وقام الآخر بذبح العنزة..

إن صديقنا الشيخ، قد استشهد له ولدان، كانا في الجبهة، وقد استشهدا في إحدى المعارك مع الجيش الاثيوبي، وانهى الشيخ قراءة القرآن وعندما وصل إلى الآية:

«ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» صدق الله العظيم.

ابتسم وقال اهلا بأحمد وبسوريا.

إن الشيخ عبد الكريم يعيش وحيداً بعد أن توفيت زوجته، إنه رفض ان يرحل مع الذين رحلوا من قصف الطائرات، بقي يعيش مع اقاربه وازداد تمسكه بأرضه. كان أهالي هذه القرية يسكنون في كهوف يختبئون فيها، حين

تأتي الطائرات الاثيوبية وتقتل وتدمّر: كانوا يلجؤون إلى هذه الكهوف دائماً. وهم على استعداد لبناء بيوتهم لكنها ستدمر من جديد. فما الذي يجنونه من اعادة البناء؟ وقال الشيخ: يوماً ما سنعيد بناء بيوتنا.

لقد نسيت ان أخبركم عن الشعر. فللشعر دوره أيضاً. فقد سمعت أن الشاعر /علي فايد/ ينظم شعراً سياسياً وطنياً. قال هذا الشاعر:

(حطم الاعداء المواطنين وفرضوا عليهم الضريبة فيما مضى كان أبناء البلاد أقوياء أما اليوم فصارت حمايتهم بيد الظالمين. وإذا شاءت الحكومة أن تعرف حالياً فبلّغوها هذا الكلام عنا).

أما الطب والتجميل فله دوره أيضاً في الريف والقرى هناك شخص في كل قرية يسمّونه (كبير الاطباء). لصاحبنا رأيّ يتمثّل بان (فصد الدم من الرأس يمنع المرض) فيقوم بتشطيب الوجنتين شطبات كبيرة وصغيرة. ثم هناك (الشلوخ) كما يسميها الأرتريون والسودانيون فعلى الوجه تُرسم بسكين وتترك أثراً حتى الموت.

إن هذه العادات، حاربتها الجبهة، ولم يبق منها إلا القليل النادر، وهي للزينة فقط والمرأة تتزيّن بالذهب في صدرها ويديها وقدميها ثم تضع في انفها اسواراً من الذهب العريض للزينة، وانا بنظري انها تفسد جمالها، أما بنظرهم فهي الزينة التي تعطيها الجمال.

هذا في مناطق السهل والساحل. أما في المرتفعات، فالمرأة يرسم على جبينها وبين عينيها صليب صغير كالوشم. وكثيراً ما كنت أرى أطفالاً صغاراً يضعون في، رقابهم خيطاً وهذا هو التميز ما بين

المسلمين والمسيحيين. وحاربت الجبهة كل هذه التفرقة، ومن أجل هذا حوربت الجبهة ودمّرت.

وفي المرتفعات والتي تشمل كلاً من /اكلي فوزاي وسرايين وحماسين/ والعاصمة /اسمرا/ تقع في منطقة /حماسين/ كنت أرى الانوار المتصاعدة من قلبها.

كنت أقف على قمم احد الجبال المحيطة بأسمرا، حيث تقع اسمرا بين سلسلة من الجبال، واتسأءل هل سأدخلها يوماً؟ طقسها يشبه طقس بلدي، في حماسين رأيت شجرة يبلغ قطرها نحو عشرة امتار. كان المقاتلون يجلسون تحتها، ويتفيأون ظلها، ووجدت عدة سيارات مدنية وعسكرية غنمتها الجبهة، وخبأتها تحت تلك الشجرة فلا يستطيع الانسان أن يجلس تحتها طويلاً لأن الجو يكون شديد البرودة. وحين سألت /قبراي/[1] عنها أجابني ان اسمها /الباوباي/ وعمرها حوالي /٥٠٠٠/ سنة كما يقولون. ثم شاهدت أشجار (الكفيليا/ فثمر هذه الاشجار يعيد إليك النشاط والحيوية ويستعمل كدواء.

إن سحر هذه الجبال وقممها الشاهقة تقول لك: إن العودة إلى الله هي أفضل شيء/ إن الهواء النظيف يعطي الصحة والعافية، والسير وسط هذه الجبال ساعات طويلة، والتي تمتد إلى أربعين كيلو متراً، كل هذا يعطيك القوة ويزيل عنك الشحوم والامراض.



(١) قائد ارتري أخذ تدريبه العسكري في سوريا.

إرث الجبل المنهار

بعد حركة ١٩٨٢/٣/٢٥، بدأت التنظيمات الأخرى، تستقطب من ترك الجبهة من مقاتلين وكوادر وقياديين، أي كل الأطراف المقطّعة من الجبهة، اعتمدت هذه التنظيمات على ارث الجبل المنهار. فقد تم الاتفاق بين ما تبقى من جبهة التحرر بقيادة الدكتور /هبتي تسفا ماريام/ وقوات التحرير الشعبية /عثمان سبي/.

وهذا بعض ما جاء في هذا الاتفاق المبرم بعد اللقاءات التي عقدت في /روما/ وكسلا/ والخرطوم والمناقشات المستفيضة لوحدة التنظيمين.

١ ـ الدمج الفوري لاجهزة التنظيمين كافة.

٢ ـ تشكيل لجنة عليا مشتركة، تشرف على عملية الدمج.

٣ ـ يتم تشكيل لجنة تحضيرية لعائد المؤتمر التنظيمي، على أن يُعقد في فترة أقصاها ثلاثة أشهر.

٤ ـ يُعتبر أعضاء المجلس الثوري أعضاء في المؤتمر، إسوة بأعضاء المجلس المركزي، ولا يخضعون للانتخابات.

يتم سريان هذه الاتفاقية من تاريخ توقيعها. التوقيع /الدكتور هبتي تسفا ماريام/ و/عثمان صالح سبي/ حرر في ١١/ ١٢/ ١٩٨٢.

وتتوالى الأحداث وتبدأ الحرب الميدانية والتصفيات من كل الاطراف التي، بقيت على الساحة الأرترية في كفة، وتصفيات

الجبهة الشعبية في كفة أخرى. فكثيرا ما كانت تغذّي الجبهة الشعبية الكفة الاولى حتى تزيد الانشقاق وتزيد الفرقة، وتبقى هي في الساحة تسرح وتمرح، وهذا ما تمّ لها فعلاً.

بتاريخ ١١/ ٤/ ١٩٨٢ اغتيل الشهيد (محمد عثمان) والملقّب بتمساح في /القاش/، على يد عناصر من جبهة /أحمد ناصر/ وهو ردّ على قتل مسؤول الامن / ملاكي تخله/ وهذا مسيحي المذهب. و/حامد عثمان/ مسلم.

الرد كان على وتيرة واحدة بين أخوة وأشقاء وزملاء سلاح. /ملاكي/ كان وطنيا شجاعا، كانت الجبهة الشعبية تخشاه، /تمساح/ كان وطنيا شجاعاً، كانت الشعبية تخشاه!.

الاثنان صفّيا لمصلحة من؟

في ٢٠/ ٦/ ١٩٨٢ قدّمت جبهة التحرير الارترية (أحمد ناصر) مذكرة إلى اللواء عمر محمد الطيب[1] النائب الأول لرئيس الجمهورية السوداني ورئيس جهاز أمن الدولة، هذه المذكرة تتضمّن سرداً لواقع الجبهة من ماض وحاضر ومستقبل وهذه بعض الفقرات منها:

١ ـ تحت رعاية الحكومة السودانية تم توقيع اتفاق وحدوي مع قوات التحرير الشعبية، /عثمان سبي/، هذا الاتفاق لم يرَ النور وبقي كلاما على ورق، وذلك بسبب الانقسام الذي حدث للقوات،

---

(١) اللواء عمر الطيب العقل المدبر لتهريب يهود الفلاشا من اثيوبيا.

والذي نتج عنه قيام الجبهة الشعبية (رمضان محمد نـور وأسـياس افوقي). الغطاء كان (رمضان/ والاصل أسياس).

٢ ـ في أكتوبر ١٩٧٧ تم توقيع اتفاقية مع الجبهــة الشـعبية /أسـياس/ وهذه الاتفاقية تعثرت، والسبب هو الجبهة الشعبية التي خلقتهـا وذلك عن طريق افتعال الصدامات العسكرية، وفي النهاية تحـالفت الشعبية (اسياس) مع الشعبية (تجراي) الاثيوبية (ملس الزينادي) وضربت جبهة التحرير. وبعـد عـام دخلـت الجبهــة إلى الأراضـي السـودانية وفي ١٩٩٢/٣/٢٥ قـام /عبـد الله ادريـس/ بحركــة ٢٥ مارس، واعتقل رئيس اللجنة التنفيذية ورفاقه وقتل مسؤول الأمـن /ملاكي تخله/.

٣ ـ إن /عبد الله ادريس/ كان قائداً للجيش لمدة /١٣/ عامـاً، وواحـداً مـن العنـاصر الـتي، كـانت في موقـع صنـع القــرارات السياســية والعسكرية. أضف إلى ذلك شجاعته وجرأته.

٤ ـ إن العنف لايولّد إلا العنف المضاد، والخسارة سوف تكـون أكـبر، ويظل العدوّ هو المستفيد الأكبر.

٥ ـ إن ما حدث جرى داخل الأراضــي السـودانية، ونحـن نرفـض أن ننقل صراعنا إلى داخل الأراضي السودانية.

٦ ـ إننا نتقدم بمقترحاتنا التالية التي، نرى إنما تعتبر خطوات عملية في سبيل الوصول إلى وحدة التنظيم.

أ ـ اطلاق سراح المعتقلين وعلى رأسهم الأخ أحمد ناصر.

ب ـ الدعوة لاجتماع طارىء لكل اعضاء المجلس الثوري، تحت رعايتكم (أي تحت رعاية رئيس جهاز الأمن السوداني اللواء عمر /الطيب/ حيث إن المجلس الثوري هو أعلى سلطة للتنظيم على أن يُصدر قراراً بتعيين لجنة تحضيرية لعقد المؤتمر الوطني الثالث.

د ـ انتخاب قيادة انتقالية للتنظيم من خارج المجلس الثوري، لحين انعقاد المؤتمر الوطني الثالث...

هـ ـ أن يتم المؤتمر الوطني الثالث لجبهة التحرير الارترية خلال شهرين.

واختتمت المذكرة بهذا (سعادة النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس جهاز أمن الدولة).

إننا على ثقة مطلقة بأنكم لن تألو جهداً في سبيل تقديم الدعم والمساندة، لحل ما تواجهنا من عقبات ومشاكل، فقد كنتم دائما تبذلون الجهد تلو الجهد في سبيل مساعدتنا والحفاظ على وحدتنا.

وتقبلوا خالص شكرنا وتقديرنا

جبهة التحرير الأرترية

هذا ما تم فعلا. وأنا اخترت لكم القليل. القليل وأني أستذكر معكم، النصائح والارشادات والتوصيات، من كوادر الثورة وقياداتها والحكومات والدول الصديقة علّنا نصل إلى الحقيقة، وما أذكره هنا ما جرى خلال سنوات قليلة، وهذا ما استطعت أن أدوّنه في مذكراتي،

ومن خلال معايشتي للأحداث حين وقوعها. ومن المذكرات والوثائق التي أسطعت الحصول عليها. وهذه وثيقة أنشرها كاملة بعد تقديم فقرات منها.

في رسالة مؤرخة بتاريخ ٥/ ١٢/ ١٩٨١ ورقم ١١٩٧/ م ق/ ٨١. يقول فيها مسؤول مكتب الجبهة في القاهرة /ادريس كلايدرس/:

قابلت أحد المسؤولين المصريين، وبعد النقاش عن الأحداث الأخيرة، ونتائج اجتماع المجلس، كانت نتيجة المناقشات أو بالأحرى الملاحظات التي قدّمها هذا المسؤول هي وهذه فقرات منها:

١ ـ إن ما حدث رغم مرارته ورغم بعض التحفظات، هو أمر متوقع في مسيرة الثورة..... ينبغي التركيز في المستقبل.

٢ ـ ترك لوم السودان أو توجيه العقاب إليه، لأن السؤال المهم هو كيف دخلت هذه القوات الكبيرة العدد المسلحة تسليحاً جيداً وثقيلاً إلى الأراضي السودانية؟..

٣ ـ لكن ما العمل الآن.؟

يقول هذا المسؤول: إننا نؤكّد أن موقفنا ثابت ولايتغير بالنسبة لقناعاتنا في الساحة الأرترية، نحن مع جبهة تحير أرتريا، وسنتعامل كدأبنا دائماً، أي نتعامل معها بالدرجة الأولى، ونحن نحبّ أن نؤكّد التقدير الكبير، للقرار المسؤول بتسليم الاسلحة للسلطات السودانية، ورفض الدخول في قتال مع الجيش السوداني. لأن مثل هذه القرارات الصعبة، هي المحك للتصرف المسؤول...

٤ ـ كما نلاحظ أن اهتمامكم بالسعودية ليس كما ينبغي، لذا لابـد مـن بذل جهد أكبر مع هذا البلد.

وفي عام /١٩٧٧/ وتحديداً في ٥/ ١/ ١٩٧٧ عممتـه قيادة جبهـة التحرير كتاباً إلى مكاتبها في الخارج تقـول فيـه: أن عنـاصر أرتريـة مـن الجبهة الشعبية دُرِّبت على وسائل الاستخبارات فـي اسرائيل، وستأتي هذه العناصر من أوربا إلى السودان، إلى الأراضي الأرترية المحرَّرة والبـلاد العربية باعتبار أنهم أرتريون، لذلك نحذِّر مكاتبنا، من أن تستقبل عنـاصر غير معروفة، ومن أرتريا أيضاً ستتوجّه عنـاصر قادمـة مـن أديس أبابـا، وستأتي عبر الأراضي الارترية تحت تغطية أنها لاجئة، ومنها تسافر إلـى أوربـا ثـم إسرائيل. إن هـذه العنـاصر سـوف تقوم بـالتخريب السياســي والعسكري. نأمل أن تسرعوا بابلاغ كل مكاتينا بذلك... التآمر على جبهـة التحرير قديم، وما أذكره وأكتبه ليس إلا جزءاً من هذه المؤامرة الكبيرة.



تزييف العملات

جاءت مذكرة من مكتب القاهرة وبتوقيع /ادريس كلايدوس/ وتحمل الرقم (٤٥٦م ق ٧٦) وتاريخ ١٩٧٦/١٢/١٢، وهذا بعض ما جاء في هذه الرسالة نصاً وحرفاً: /موضوع تزييف الدولارات الذي مارسته الجبهة الشعبية، وهو ما كتبنا لكم عنه من قبل، حديث فيه تطور جديد، فلقد أبلغتُ في وزارة الخارجية المصرية عن هذا الموضوع.

قال المسؤولون في الخارجية المصرية إذا اتخذنا أي إجراء مضاد فلا يفسر بأنه عمل سياسي ضد الجبهة، وملخص الحديث إن هناك تزييف لنقد مارسته بعض أجنحة الثورة الأرترية وأوردوا الاسماء التالية:

١ ـ محمد علي الامين. مسؤول مكتب الكويت للجبهة الشعبية.
٢ ـ محمد علي افعرورا. مسؤول مكتب لبنان للجبهة الشعبية؟
٣ ـ رمضان محمد نور. رئيس تنظيم الجبهة الشعبية.
٤ ـ حسن كيكيا. تاجر.
٥ ـ ولد ميكائيل.؟
٦ ـ نافع كردي. ممثل الشعبية في فرنسا
٧ ـ حديش ضرار ما لو ممثل الشعبية في لبنان.

الأول كان ممثل قوات التحرير في الكويت، ثم انضم إلى الجبهة الشعبية، وهرب من الكويت لتورّطه في فضيحة مالية مع أحد المسؤولين الكبار جداً، وسجن في السودان بسبب اختلاسه أموالاً من بعض التجار العرب، واليوم مطلوب من الانتربول لتجارته بتهريب اليورانيوم، والثاني كان ممثلاً للقوات في لبنان ثم انضم إلى الجبهة الشعبية وكان يبيع ويتاجر بالسلاح وغير السلاح.

الثالث الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير أرتريا (الواجهة).

الرابع تاجر أرتري عاش كل حياته متنقلا بين اديس ابابا واسمرا والخرطوم، يتاجر ويفعل أي شيء في سبيل مصلحته، الخامس لا أعرف شيئا عنه.

أما السادس فهو ممثل الشعبية في فرنسا، ثم انضم إلى الجبهة الشعبية وقبل سنوات قتل شابا وأودع السجن من أجل إحدى الصحفيات العرب. وعندما كنا في تونس نحضر ندوة عن أرتريا شتم العرب وبلدي، بشكل سافر وتشاجرت معه، بل صفعته حين شتم العرب، عندها تدخل كل من الشيخ /ادريس محمد آدم/ و/أدام بيك/ وعنّفاه وأتيا به إلى غرفتي، وقدّم اعتذاره.

وقال /كلايدوس/ في رسالته:

إن هذه الاسماء تحت الرصد من قبل الاجهزة الامنية المصرية والكويتية والانتربول، هذا ما قاله المسؤول في وزارة الخارجية المصرية.

فكان ردي (نحن نناضل لتحرير وطننا ونعيش تحت أقسى الظروف المادية والمعنوية.

وإني أحب أن أوكّد أن تزييف عملة العدو أمر مشروع ثوريّاً لأن تخريب اقتصاد العدو، هو وسيلة من وسائل الحرب الثورية، فهل هذا التزييف هو للنقد الاثيوبي؟

كان الرد بالنفي، وقالوا من المؤكد لدينا الآن تزييف النقد الامريكي، وقالوا إذا كان بامكانكم أي - في جهاز - أمن الثورة - رصد هذا الأمر في السودان وابلاغنا عن النتيجة.

وبعد أيام وجدت /إبراهيم منتاي/، في القاهرة، وهو من المقرّبين /لعثمان سبي/ قائد قوات التحرير. وأثناء دردشة طويلة معه، دخلنا في الموضوع فقال لي حرفياً: (إن الجماعة - ويقصد بالجبهة الشعبية - زيّفوا العملة الامريكية بالاتفاق مع أمن الثورة في /عدن/، وتقاسموا المبلغ وكان هذا منذ مدة.

أما بخصوص تزيّيف النقد، فذكر أن هذا من رواية /السعيد مطهر/[1] وكان /حسن كيكيا/ وشقيقه /موسى/ موجودان في القاهرة، وقد طلب سرية الموضوع، وعدم الزج باسمه، لأن هذه الاسماء معروفة، وهي تحت الرصد. أما /سعيد مطهر/ فهو يمني الأصل وعاش في أرتريا وله تجارة في كل من السودان واليمن والسعودية واثيوبيا.



(١) تاجر يمني.

تقرير سري

الرقم /ك/ ٧٧/٦/٩٧/م التاريخ ١٩٧٧/٦/٣ مرسل من /علي محمد صالح/ إلى مسؤول العلاقات الخارجية في جبهة التحرير الأرترية بتاريخ ١٩٧٧/٥/٢.

استدعيت من قبل الدائرة السياسية في وزارة الخارجية الكويتية، وذلك لاطلاعي على زيارة وزير الخارجية /الشيخ صباح الأحمد الصباح/. الاخيرة لايران، وضمن المباحثات مع الحكومة الايرانية، تناولوا الوضع في أرتريا ومنطقة البحر الأحمر. وشرح وزير الخارجية الكويتية بالتفصيل عن القضية الأرترية والنضال العادل الذي يخوضه شعبنا... قال لهم: /أنتم كنتم تساعدون هيلاسلاسي، والآن الوضع في المنطقة تغيّر ما هو موقفكم من القضية الأرترية حالياً؟

كان الرد الايراني (لم يتصل بنا أحد من الثورة الأرترية، ونحن الان مستعدون لتقديم المساعدات للشعب الأرتري، من أجل قضيته العادلة... وبعد النقاش توصلوا لزيارة وفد إلى الكويت بطريقة سرية، واللقاء مع ممثلي الجبهات الثلاث، وذلك بعد أخذ رأي الجميع سبق وأن طلبت بعض الدول العربية من إيران تقديم المساعدة للثورة الأرترية.

كان هناك تحفّظ، أما الآن فعلاقتهم مع الكويت جيدة وعميقة، وهناك تبادل ثقة واستجابوا لمبادرة... الكويت. إن الحكومة الكويتية ترى أن دعم إيران سيكون له تأثير...

وبعد فترة سافر وفد مكوّن من الأخ /أحمد ناصر/ رئيس المجلس و/عبد الله سليمان/ وقابلا الإمام /آية الله الخميني/ فماذا كانت النتيجة؟



موقف القطر العربي السوري الثابت

ـ قالت السيدة مديرة مكتب الوزير.

ـ تفضل! الأستاذ أحمد يريدك.

ـ وتعني الوزير أحمد اسكندر.

ـ بعد السلام والكلام، قلت للأستاذ اسكندر:

ـ خيراً يا أستاذ أحمد...

ـ لا يوجد شكوى هذه المرة عليك.

ـ قال لي السيد وزير الإعلام:

ـ من هو المسؤول في مكتب جبهة التحرير الارترية بدمشق غيرك أنت بالطبع وضحك.

ـ خير، هل هناك شيء؟

ـ اخبر أصدقائك. إن السيد الرئيس حافظ الأسد تكلم مع السيد بريجينيف لمدة طويلة حول القرن الافريقي شرح فيها السيد الرئيس موقف سوريا الثابت من القضية الارترية.

ـ قال السيد الرئيس للرئيس بريجينيف والقادة السوفيت:

(إن سورية لا تؤيد الاعتداء على أرض الغير. ولكن القضية الارترية تختلف تماماً، وأوضح أن ارتريا ضمت قسراً إلى الامبراطورية

الاثيوبية. وإن الثورة الارترية هي حركة تحرر وطني تناضل ضد الاستعمار).

ـ وقال الرئيس حافظ الأسد:

«إن سوريا لها موقف مبدئي من النضال الارتري وهي تدعمه وسوف تستمر بدعمه وتزيد من دعمه العسكري والمادي في هذه المرحلة للثورة الارترية». وأوضح الرئيس للقيادة السوفيتية أن هناك خطا فاصلا بين هذا الموقف المبدئي لسورية من القضية الارترية وباقي القرن الافريقي.

ـ وقال الرئيس الأسد:

إن تقدمية النظام يجب أن تقاس من خلال عطائه للثورة الارترية وليس من خلال قمعه لها وطلب من القيادة السوفيتية أن تتعامل مع القضية الارترية بمعزل عما يدور في القرن الافريقي.

كذلك قال لي الأستاذ اسكندر: إن الصحف السوفيتية نشرت خبر اجتماع الرئيس حافظ الأسد مع الأخ أحمد ناصر رئيس جبهة تحرير ارتريا.

ـ قال لي الأستاذ اسكندر وزير الاعلام:

إننا نريد أن توضح لأصدقائك في قيادة الثورة هذا الكلام إلى أن تتاح لهم فرصة لمقابلة السيد الرئيس الذي سيشرح لهم ما دار في الحديث. هذا هو موقفنا ولكن ماذا عن موقفهم.

❁

أسياس يلتقي بيريز
وبيريز يتحدث عن
حكومة الجبهة الشعبية

بعد سنوات بلغت حوالي ستة عشر عاماً وبعد استقلال ارتريا نشرت صحيفة ارتريا الحديثة في العدد رقم ٢٩ تاريخ ١٩٩٣/١١/١٣ وبالخط العريض تقول:

١ ـ الأمين العام يتماثل للشفاء ويلتقي بيريز.

٢ ـ ارسال الرئيس للعلاج شأن داخلي لا يعني السوريين.

وانتقدت الحكومة السورية بتاريخ ٩٩٣/١/١١ أن يعالج الأمين العام للحكومة الارترية المؤقتة في اسرائيل، قالت صحيفة تشرين الناطقة بلسان الحكومة السورية في تعليق لها (إن البيان المقتضب الصادر عن الحكومة الاريترية والذي يتحدث بخجل عن نقل الأمين العام للحكومة الارترية المؤقتة إلى اسرائيل يظهر مدى الحرارة التي شعر بها المواطن الارتري وهو يرى رئيسه ينقل إلى أرض معادية للعلاج وفي أول عام من انتهاء الاحتلال، وكأن الدنيا وقفت عند حدود اسرائيل).

الحقيقة أن هذا الكلام غير صحيح أما الكلام الصحيح فهو غير ذلك، إن الذي كتب في /ارتريا الحديثة/ لم يقرأ الجريدة السورية ولم

يشاهدها بل أمليت عليه هـذه الكلمـات أمـلاء كمـا تخيـل المسـؤولون الارتريون.

والذي كتب المقال في جريدة تشرين السورية كتبـه مواطـن سـوري يعبّر عن رأيه بعد أن سـمع بـأن السيد اسياس أفورقـي ذهـب ليعـالج فـي اسرائيل وهذا شيء مؤلم ومرير لأن صـوت القنـابل الاسـرائيلية التـي دمـرت وذبحت وقتلت الشعب الارتري لا يزال صداها يرن في الآذان.

ـ إذن كان هذا رأي لمواطن عربـي سـوري آلمـه أن يذهـب أول رئيس حكومة ارترية إلى اسـرائيل بحجـة التـداوي، مـن كـان يعطـي الاثيوبيين سلاحاً؟ ليحاربوا ويقتِلوا ويحرقوا الشعب الارتري.

هذا هو الرد الارتري كما جاء في جريدة ارتريا الحديثة والـذي قال:

إننا لا نستغرب إطلاقاً أن يصدر تصريح للحكومة السورية بشأن قضية ارترية داخلية تتعلق بإرسـال الرئيـس للعـلاج تخـص الحكومـة الارترية، لأن السوريين يريدون ممالئة موقف الاسـتخبارات السـعودية المعادي للقرار الارتري المستقل. والبيـان السـوري مـا هـو إلا محاولـة لسلب القرار الارتري فلارتريا الحق بالسماح لمواطنيها العـلاج فـي أي مكان تختاره بما فيه حق الرئيس الارتري فـي المعالجـة فـي الخـارج وارتريا لا يمكن أن تخجل من ارسال رئيسها للعلاج فـي الخـارج بمـا فيه اسرائيل، ولم تعد اسرائيل ذلك الكيان المعادي الذي تتحدث عنه سورية كل ما في الأمر هو أن البيان الحكومي السوري ما هـو سـوى بيـان

مدفوع ثمنه مقدماً من الأمير /تركي الفيصل/، ولله في خلقه شؤون وبهذه المناسبة حضرني هذا الموقف (أن عزرائيل عندما أراد أن يقبض روح ابليس، قال له ابليس راجياً أطلب من الله عز وجل أن يطيل عمري. ولما سأله عزرائيل عن السبب أجاب ابليس: حتى اجمع معي قوم الكافرين).

إن العداء من بعض قيادة الجبهة الشعبية المنتقدين للعرب وللعروبة كان منذ تأسيس الجبهة الشعبية ففي شهر اغسطس /آب/ أدلى السيد اسياس افورقي بحديث إلى مجلته المعروفة باسم /ساقم/ أي /العودة/ ورقم العدد /٢٥/.

سؤال من المجلة للسيد اسياس، كانت للدول العربية منذ زمن طويل علاقات مميزة بالقضية الارترية غير أن العالم العربي لا يبدي اهتماماً أليس ذلك غريباً.

ـ اسياس: إن واحدة من المسائل التي لا يستطيع المرء أن يتحدث عنها بملىء فمه هي مواقف الدول العربية والأمر الغريب أن الاعتقاد السائد في أوربا وفي امريكا خاصة هو أن معظم أسلحتنا تأتينا من الدول العربية كما يعتقدون بأن الدول العربية تمدنا بمئات الملايين من الدولارات أما في افريقيا فهي أسوأ ويستشهد على ذلك بقول /كاوس كاوندا/ في مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية بأنه على الدول العربية /والكلام لكاوندا/ أن تكف عن تقديم الدعم للثورة الارترية.

يتابع /اسياس/ قائلاً:

(إذا نظرنا إلى المسألة بواقعية فإننا سنجد أن الدول العربيـة لا تقدم للثورة أي دعم مادي أو عسكري فليس هناك مساعدات). وبغـض النظر عن أي شيء فإن الـدول العربيـة لا تقـدم حتـى الدعـم المعنـوي ويتابع /اسياس/ قائلاً:

من الصعب التحدث عن دولة عربية واحدة تسعى بجديـة إلـى إثارة القضية في الجامعة العربية أو منظمـة المؤتمـر الاسـلامي. الـدول العربية لـم تقـدم للشـعب الارتـري حتـى فـي أسـوأ سـنوات الجفـاف والمجاعة التي تعرض لهـا أي إغاثـة أو مسـاعدات. إن هـذه الحقيقـة الأخيرة هي من أكثر المسائل التي تدعو للحزن فيما يتعلق بدور الـدول العربية في ارتريا ويتابع /اسياس/ القول:

ويعني به هذه المـرة المملكـة العربيـة السـعودية ودول الخليـج فيقول: ربما ادعت هذه الدول بأنها تقدم مساعدات لبعض الأشـخاص أو المجموعات إلا أن هذه المساعدات تهدف في حقيقتها إلى اضعاف وحدة الشعب الارتري وبالاجمال يمكن القول فيما يتعلـق بـدور الـدول العربية تدعم الثورة الارترية بكل طاقاتها وما يخلقه ذلك من تعقيـدات للقضية ساسياً ودبلوماسـياً. عمليـً لا توجـد أي مسـاعدات مـن الـدول العربية بل يبدو أن دور هذه الدول هو السلبية هناك تناقض واضح بين التصور الذي كان لدى الكثيرين عن طبيعة الدعم العربي وعلـى الثـورة الارترية أن تتصدى بجدية للمحاولات التي تقـوم بهـا الـدول العربيـة لإضعافها. نعم هكذا قال /اسياس/ إلى مجلتهم /ساقم/.

وفي ١٩٧٨/٦/١٨ أرسل /ادريس نور حسين/ المسؤول في مكتب العلاقات الخارجية في دمشق إلى الأخ /تسفاي[1] دقيقة/ هذه البرقية اسياس افورقي:

كان في المانيا الديمقراطية والتقى مع العدو الاثيوبي ونتائج اللقاء كانت غير ناجحة /توقيع/ ادريس نور حسين/.

وفي عام /١٩٧٨/ أيضاً جرت احتفالاً بمناسبة مؤتمر التضامن الافريقي العربي الذي عقد في ادريس أبابا وفي مسيرة شعبية حمراء كانت الجماهير الاثيوبية الثورية الحمراء ترفع أعلام الحزب الثوري لشعوب اثيوبيا. كان يجلس على منصة العرض /منغستو هيلاما ريام/ رئيس الدولة وبجانبه رؤساء وفود من المنظومة الاشتراكية.

ألقى الرفيق /فيدل كاسترو/ كلمة قال فيها:

إننا نطلب من الرفاق الاثيوبيين أن يحلوا قضية ارتريا حلاً سلمياً وعلى أساس النظرية الماركسية اللينة بحق تقرير المصير هذا هو رأي الزعيم /فيدل قاسترو/ وبتاريخ ١٩٨٠/٢/١٥ كان الأخ /ادريس حمداي/[2] في دمشق وهو رجل مطلع إلا أنه دائم الخلاف مع /عبد الله ادريس/، وقد التقيت /بحمداي/ مرات عديدة في ارتريا وفي السودان ودمشق أيضاً. كان /ادريس/ هذه المرة عائداً من عدن حيث كان رئيساً لمكتب جبهة التحرير في اليمن الديقراطي. التقيت به ثم شكالي القصور والاهمال اللذين يسودان التنظيم وكيف /أن الجبهة/ والورق الأخضر أصبح كثيراً فيها قلت له:

---

(١) أحد قيادي ج ـ ت ـ أ.

(٢) مسؤول مكتب الجبهة في عدن.

أي أن الأمور أصبحت /مهلهلة/ وقال لي/ يا أخ أحمد أنت شقيقنا وأنت شاهد على تاريخنا النضالي وإني ما أقوله لك هو بعض الحقائق إن وضعنا يسوء وأنا لا أعرف ماذا أقول وأفعل. وروي لي الاهمال والتقصير. قال حمداي:

إذا لم نهتم بقضيتنا فمن الذي سيهتم بها؟

طلبت من الأخوة أعضاء النيادة القدوم إلى اليمن للتباحث مع القيادة، هناك وأنت تعرف أهمية اليمن والبحر الأحمر قبل لقائي بك هنا في دمشق كنت التقيت بمسؤول كبير في عدن وهو الرفيق /مطيع صالح/ عضو المكتب السياسي وسكرتير دائرة العلاقات الخارجية في الحزب وقال لي:

إنكم في غياب ونرجو أن يكون هذا الغياب خيراً لكم. ثم قال:

إن الحزب الاشتراكي اليمني ما زال عند موقفه وهو الحل السلمي لقضية الشعب الارتري. أرجو ان تخبر الرفاق في الجبهة ضرورة زيارتنا هنا في عدن، وسوف نناقش في المكتب السياسي، موعد الزيارة يا أخ أحمد، هناك ظروف كثيرة مواتية لنا. وعلينا ان نستفيد منها، فالأخوة في سوريا والعراق والسعودية ومصر وبقية الأشقاء يدعموننا بالمال والسلاح، ونحن في غياب كما قالوا:

خلافاتنا تكبر بيننا. أتعلم كم أشقاؤنا العرب حريصون علينا. إن الأخ /مطيع/ عضو المكتب السياسي أخبرني ، وقال لي:

لدينا وفد سري في اثيوبيا، وسوف نعلم ما إذا كان هناك تطور جديد في موقف الاثيوبيين. إن رؤساء سورية والعراق والجزائر وبقية الدول العربية قد تكلموا مع السوفييت بخصوصكم ونحن بدورنا نفعل ما بوسعنا وهناك أيضاً تطورات ونريد منكم أن ترسلوا وفداً إلى هنا لوضع ترتيبات جديدة مع الاثيوبيين علّنا نصل إلى حد ما، في حل القضية الارترية.



كاسترو والصومال

في شهر آذار من عام ١٩٧٧ كنت أجلس مع /صالح آياي/ و/ادريس كلايدوس/ وبعض الأخوة الأرتريين ثم أمسكت بيد كلايدوس وجلسنا جانباً، وبعد السؤال عن الصحة والحال قلت لكلايدوس:

- (أرى أنك في /دمشق، ولست في /هافانا/ فما الذي حدث؟ وكان قد عين ليرأس المكتب في كوبا)

أجابني - وببروده المعتاد -:

(أسأل صاحبك أياي).

وكنت قد عرفت أن كلايدوس لا يصلح للعمل في كوبا، وهو من (يحبون أنفسهم)، وهو ينحاز لنفسه انحيازاً كاملاً.

قلت له (يبدو أن القاهرة تلائمك أكثر فكيف العمل في القاهرة؟

- إن العمل في مصر له ثقله.

- أجابني كلايدوس -

- (والله إن الامور تجري بشكل لا بأس به) ثم قال لي: (قبل أيام التقيت بالأخ / محمد شريف محمود) رئيس الدائرة العربية والشرق الأوسط في الخارجية الصومالية، وهو صديقي وزميلي في الدراسة. أخبرني الأخ شريف أن /كاسترو/ عندما زار الصومال كان الجو متوتراً والحوار ساخناً، بين /زياد بري وفيدل كاسترو/.

قلت لكلايدوس/ الم يخبرك الاستاذ /محمد شريف محمود/ بطبيعة زيارة كاسترو للصومال وهو الذي قطع كل هذه المسافة؟

ـ أنت قاطعتني، وأنا سأروي لك ما سمعته من صديقي (محمد شريف) تفضل ـ أخ /ادريس/ تابع نضالك... جاء كاسترو إلى الصومال موفدا من الكتلة الاشتراكية للتقريب بين اثيوبيا والصومال، وقد قال /كاسترو/ بأن منغستو سيطر على الموقف، وهو زعيم ماركسي أي أنه اشتراكي التوجه. وعلى الصومال الثوري الاشتراكي أن يسانده، ويقف بجانبه بلا تحفظ. فرد عليه زياد بري بأن النظام في اثيوبيا، ما دام لا يعترف بحق بقية الشعوب، في تقرير مصيرها كالشعب الأرتري مثلاً، فلا فرق عند الصومال بين هيلاسلاسي ومنغستو، فكلاهما (استعماريان)، وقد احتدّ النقاش بين /كاسترو وبري/، فما كان من /كاسترو/ إلا أن قال مهدّداً بأن المعسكر الاشتراكي يصعب عليه الاشتراك في مساعدة الصومال، وخاصة بأن الصومال بات يشكّل خطراً على النظام الاشتراكي في اثيوبيا.

فرد عليه /بري/ قائلاً:

(نحن نرفض أي تلويح بالتهديد، ثم قال /لكاسترو/: (اسمع عندما اخترنا الاشتراكية تم هذا بقناعتنا، وليس للحصول على مساعدة عسكرية أو اقتصادية، ولم نستأذن من أحد حين اخترنا هذا الطريق، ولهذا سوف نستمر في اختيارنا الاشتراكي، وفق تحقيق مصالح شعبنا دون أن نعبأ بالاخرين /رضخوا/ أو لم /يرضخوا/.

وانسحب /كاسترو/ غاضبا وقال (إن كلامه لا يعني ذلك فنحـن نؤمن بأن الصومال دولة اشتراكية ثابتة ومسـتقرة، مـع أن النظـام فـي اثيوبيا له توجه اشتراكي، فهـو لـم يسـتقر بعـد. لذلـك ليسـت هنـاك مقارنة بين النظامين. وكل ما نريده هو مساندة هذا النظام.

ثم سخن الحوار وازداد توهجا حين قال /كاسترو لبري/: (إنـك ترسل أسلحة ومدرّبين ومقاتلين من الجمهورية إلى أوغادين وحتى إلى /ج. ت اورومو/ وذلك لتقويض النظام في اثيوبيا.

وردّ عليـه /زيـاد/ بقـوة قـائلاً: (لا تنسـوا بـأن النظـام يعـاني بالدرجة الأولى من الثورة الأرترية، فهل يعتقدون أيضـا بـأنني أحـرك الشعب الأرتري الذي، يحارب منذ /١٦/ عاماً)؟

ثم اقترب مني /كلايدوس/ وهمس بإذني (إن /بدغورني/ سـوف يزور الصومال قريباً، وهذه معلومة من مصادر مطلعة. أتعلم يا أخ أحمد أن الصوماليين مهتمين بثورتنا أكثر من أوضاعهم، وأقول لك معلومـات خاصة وأنقل لك معلومات مهمة جداً. قبل فترة زار وفد امريكي عـالي المستوى الصومال، وكان هـذا الوفـد مـن الخارجيـة الامريكيـة، جـاء لتحسين العلاقات بين الصومال وأمريكا.

قلت /لكلايدوس/:

(من أين مصادرك؟)

أجاب:

(سمعت هذا الكلام من أقرب النـاس لـلرئيس زيـاد بـري. قـال الصومـاليون للامريكيـين أنتـم تتحملـون مسـؤولية، معانـاة الشـعب الارتري، فأنتم أصحاب القرار الفدرالي بضم أرتريا إلى اثيوبيـا. وعندمـا عمل الامبراطور /هيلاسلاسي/ وضم أرتريا بالقوة وقفتم /تتفرجـون/ ولم تفعلوا شيئاً، رغم مسؤوليتكم، وقفتم مع هيلاسلاسي في بطشه وتعذيبـه للشعب الأرتري، ولهذا فإن لشعب الأرتري لا يحمـل لكـم، إلا أسـوأ الذكريات.

سألت /كلايدوس/:

ـ أنت هنا للعمل أم للعلاج؟

فضحك ببرودة وقال (الاثنان معاً)؟!

وافترقنا وكنت اعرف مسبقاً بـأن /ادريـس كلايـدوس/ أتـى إلى دمشق من أجل التشاور مع رئيسـه /صـالح آيـاي/ وذلـك حـول إقامـة علاقة مع ايران الشاه.



مناضل من ظفار

عندما كنت في القاهرة أقوم، ببعض الأعمال الفنية، كنت ألتقي بأخ من /ظفار/، ويدعى /عبد الله/ وهو ممثل جبهة تحرير ظفار كنا نجلس إما على النيل أو في بيت الأخ /عبد الله/ في الجيزة.

وفي يوم من الأيام ضمتنا جلسة أنا والأخ /عبد الله ومحمد عمر يحيى/ وتحدثنا وتحاورنا، وكان عبد الله يسأل عن رحلتي إلى /ظفار/.

وقلت له: (إن خط ثوار ظفار يقع في آخر الطرف وهو النهج الصيني الماوي، فمن الصعب على شعب ظفار العربي المسلم. أن يقتنع بأي ايدلوجية خارجية، غير تعاليم القرآن الكريم. فيا أخ /عبد الله دعنا نكن، واقعيين فالأمور/ إن بقيت على هذا الشكل، فلن تكون هناك ثورة ظفار وغيرها.

وضربت بعض الأمثلة: مثلاً عندما تمشي في اليمن الجنوبي. هناك ممر يسمى /هوتشي منه/ أو الطريق الأحمر؟ لماذا لا يكون إسم الطريق /خالد بن الوليد/؟ أو سيف بن ذي يزن/؟

صحيح أن القادة الاشتراكيين الصينيين أو الفيتناميين أو غيرهم، قد فعلوا شيئاً لشعوبهم، ونحن لنا عظماؤنا وقادتنا، وأنا أريد أن أبسط لك ذلك يا أخ عبد الله (هل يوجد في الصين أو فيتنام أو أي

دولة اشتراكية أو غربية شارع أو ممر بإسم بطل من أبطالنا مثل /عمر بن الخطاب/ أو الإمام علي بن أبي طالب/؟ فما لنا ولهذه (الخرابيط).

لن تقوم لنا قائمة نحن العرب إذا لم نعد إلى تاريخنا ورسالة حضارتنا. كان الأخ (محمد عمر يحيى يسمع ويومىء برأسه موافقاً) أما أخونا /عبد الله/، فكان يسمع ويخزّن القات الذي، حصل عليه من أحد الدبلوماسيين اليمنيين.

قلت /لعبد الله/: (أخشى على الثورة والثوار بظفار من الاندثار. من الصعب تغيير جذور هذا الشعب بأفكار مستوردة. أليس من عمان وظفار خرج البحّار العربي ابن ماجد؟ هل له اسم على أحد الشوارع في العالم؟ لقد عشت مع ثوار ظفار، فترة قصيرة لأنني لم استطع النظر إلى الألواح السوداء وقد كتبت عليها أقوال /ماو/، ويردّدون الأغاني الثورية الحمراء، لا أريد أن أقول أكثر من ذلك ولكلٍ حال وقته. وإذا سألت اليوم عن ثورة ظفار فأقول (لقد أصبحت في ذمة التاريخ إلى يوم القيامة)، إننا نأتي بأفكار وعقائد وايديولجيات مستوردة، لاتربطنا بها أي رابط. لقد جلت هذا العالم كله ولم أسمع من أحد - كلمة واحدة عن تاريخنا وعن نضالنا عن منطقتنا، عن جغرافيتنا، وفي أحسن الأحوال يسألونك: (أنت بالقرب من اسرائيل)؟

قال لي عبد الله وبحضور /محمد عمر يحيى/:

ـ أنت تظلمنا يا أحمد كثيراً!

ـ والله لا أظلم أحداً!

ثم التفتّت إلى /محمد عمر يحيى/ وقلت:

ـ يا أخ محمد، هناك نظرية (يُعمل بها) وهي، اشتغل باليسار تصل لليمين.

ولم يعجب هذا الكلام صديقي /عبد الله/. لكن الواقع والحقيقة أثبتت صحة كلامي. وإذا سألتموني عن أخينا عبد الله فأقول لكم إنه يعيش اليوم عيشة الملوك، فهو أحد المسؤولين الكبار في حكومة عُمان. وقد فعل خيراً؟



حزب الشعب الثوري

(اشتغل باليسار تصل لليمين)

أما اليوم فإن هذه النظرية هي السائدة فالجبهة الشعبية لتحرير أرتريا، انشأت حزباً ماركسياً لينينياً وسمّته /حزب الشعب الثوري/، ومن أهم نقاط هذا الحزب الماركسي (المدبلج):

أولاً ـ إن الماركسية اللينينية هي دليل حزب الشعب الأرتري.و.....

فالماركسية اللينينية هي وحدها التي تقدّم تفسيراً صحيحاً لقوانين التطور الاجتماعي.

والحزب يتقيّد بحزم، يتصور العالم وفقاً للمادية الجدلية، والمادية التاريخية للماركسية اللينينية، ويعارض التصور المثالي والميتافيزيائي للعالم.

إن انعدام /الايديولوجية/ الواضحة، لقيادة نضال الشعب الأرتري المسلّح......؟ وسيطرة الرؤيا الاقطاعية الرأسمالية وهيمنة قيادات رجعية يمينية وانتهازية تؤدي إلى ضياع الثورة.....

إن مهمة الحزب الأساسية هي (أن ينجز التغيير الشامل في علاقات العمل والتحويل الاشتراكي)......

/كما يناضل بحزم من أجل تدمير كل النظم الرأسمالية/.......

ـ /إن ديكتاتورية الديمقراطية الشعبية. هي صمام الأمان من أجل نجاح قضيتنا الاشتراكية. ولتعزيز تضامن الاممية /البروليتارية/. وتشمل تجارب الحركة الشيوعية في العالم ولدعم جهود (كل شيوعي وكل عنصر تقدمي وكل شغيل في العالم... والشعب الأرتري بروح الاممية المعبر عنها في نداء /يابرولتاريي العالم اتحدوا)/.

ـ إن الحزب لا يستطيع مواجهة التحديات ومواجهة الاعداء، إلى أن يتمكن من بناء المجتمع الاشتراكي الشيوعي...

ـ إن حزب الشعب الثوري الأرتري يطلب من جميع اعضائه أن يضعوا مصلحة الحزب فوق مصلحتهم الخاصة...

ـ إن تحويل المجتمع الأرتري، إلى مجتمع اشتراكي متقدم كبير وقوي، وبالتالي بهدف متابعة التقدم حتى يتمّ انجاز المثل الأعلى والأسمى للانسانية ألا وهي /الشيوعية/.

ـ إن واجبات العضو في الحزب هي أولاً:

١ ـ دراسة الماركسية الينينية..

٢ ـ الحفاظ على انسجام الحزب، وتدعيم وحدة الحزب.

٣ ـ تطبيق سياسة الحزب وقراراته.

٤ ـ التقيد بنظام الحزب الداخلي، والامتثال للأخلاق الشيوعية وهذا أمر إلزامي لجميع الأعضاء مهما تكن جداراتهم ومناصبهم.

٥ ـ عدم إلحاق المصلحة الخاصة بمصلحة الحزب....

/ولنقفز إلى البند العاشر/

١٠ ـ سر الحزب (إن كل عضـو حزبـي لا يمتثـل لهـذه المتطلبـات...
تطبـق عليـه العقوبـات الانضباطيـة.. والمـادة /١٥/ مـن دسـتور
الحزب هي مادة قامت عليها الجبهة الشعبية اصلاً.

تقول هذه المادة: (إلى حين استمرار الجبهة الشعبية لتحريـر أرتريا، فـإن سـريّة الحـزب هـي الواجبـة، وإن عقوبـة المـوت هـي العقوبـة الصارمـة لانضبـاط الحـزب داخليـاً، وعلـى كـل المنظمـات الحزبية أن تتحرّى بانتباه كبير، سواء كان باتخـاذ أو تصديـق هـذا القرار...

والمادة /١٧/ تقول:

(إن حزب الشعب الثوري الأرتري وإلى حين إعلانه رسـمياً، هو حـزب سـري، ولذلـك كـل أعمالـه وتركيبتـه مبنيّـة علـى أسـس سريـة...).

إن المرجع الأعلى للحزب وللبلاد بأسرها هو المؤتمر الحزبي.. وفي المـادة /٣٤/ مـن دسـتور الحـزب، تتـابع منظمـات الحـزب فـي الجيـش الشـعبي عملهـا طبقـا لتعليمـات اللجنـة المركزيـة للحـزب، ويكلـف الفـرع الأمنـي العـام بـالجيش الشـعبي، بعمـل الحـزب الايديولوجـي التنظيمـي، وإن الجيـش تحـت قيـادة لجنـة الحـزب المركزية...

وفي المادة /٣٦/ التي تقـول «ينتخـب فـي الاجتمـاع المركـزي الأول للجنة المركزية اللجنـة الدائمـة والامين العـام المسـاعد وتتولـى

اللجنة الدائمة وظائف وصلاحيات اللجنة المركزية. هذا هو حزب الشعب الثوري الأرتري. أما حزب العمل الأرتري والتابع لجبهة تحرير أرتريا فهو سرّي أيضاً، وأنشىء وسط جبهة تحرير أرتريا وهذا هو أيضا حزب ماركسي لينيني.

وعندما كنت أسأل المقرّبين لي، في الجبهة عن طبيعة، هذا الحزب كانوا يتهرّبون ولا يجيبون إلا قليلاً.



حزب العمل
وناقوس الخطر

كنت أزور أحد اصدقائي في لبنان، وهو فلسطيني وينتمي إلى إحدى منظمات العمل الفدائي.

قال لي:

(حصلت لك على دستور أصدقائك أصحاب حزب العمل فما رأيك؟).

وأعطاني هذا الكتيّب، قلت لصديقي الفلسطيني:

(إن رأيي لم يتغيّر، وهو أن الجبهة في طريقها إلى الهاوية. إن مبادىء وأفكار حزب العمل الماركسي اللينيني هي ذاتها أفكار ومبادىء (حزب الشعب الثوري) الذي شكّلته الجبهة الشعبية، وأبقته سراً. كذلك حزب العمل أبقته جبهة تحرير أرتريا سراً أيضاً.

لكن الفارق يكمن في أن الجبهة الشعبية اعتمدت أن يكون خطها، /ماركسياً لينينياً/ متطرفاً بل قمة التطرف اليساري، لتصل إلى قمة اليمين.

وهذا ما حدث فعلاً، لقد نجحت نظرية /اشتغل باليسار تصل إلى اليمين).

(ما في حدا أحسن من حدا) فالجبهة الشعبية، لها حزب ماركسي لينيني، والجبهة أيضا لها حزب ماركسي لينيني، إذاً الخلاف ليس ايدلوجياً، وإذا لم يكن كذلك فما هو الخلاف؟ لنتابع معا سرد الوقائع والأحداث علكم تصلون معي إلى نتيجة ما.

في ١٩٧٩/٩/٩ أرسل /الأخ/ عبد الله سليمان/ مسؤول العلاقات الخارجية حينها في (ج. ت. أ) رسالة سرية جداً إلى قيادة الجبهة المتواجدة في داخل أرتريا، وهي تدور حول أوضاع حزب العمل في الجبهة.

وخلاصة هذه الرسالة ما يلي: (إن أخطار التفكك الداخلي للحزب باتت واضحة المعاني، وإذا لم نتصد للقضايا الحزبية الملحة والأساسية الراهنة، والتي أخذت تنعكس بوضوح أكثر فأكثر، وثبت أن الحزب أصبح ذيلاً للجبهة، وأنه يلهث وراء الجبهة وانقلب المفهوم الثوري والعلمي على منطقه تماماً، حيث أصبحت الجبهة العريضة تقود الحزب، وأصبح الحزب يهتز ويضطرب ويتساءل عن الحل، نتيجة التطورات والاحداث التي تحدث داخل الجبهة.

وعليه فإن مسألة عقد المؤتمر الثالث أصبحت ضرورة لا يمكن تأجيلها.. حيث تسبقه إعداد الوثائق ودراستها بعمق وشمولية، من قبل الخلايا داخل الحزب، والاستعانة بتجارب الاحزاب الشيوعية الشقيقة، بل واشراك بعض منها في اثراء تجربة حزبنا).

وتجنّب الاضطراب الذي يسود بعض منه عدداً من أعضاء الحزب. وفي رأيي يجب عقد اجتماع في حدود. ١٩٧٩/٩/٢٠ أي في هذا الشهر وأرجو أن يُحاط الرفيق /أحمد ناصر/ باقتراحي هذا.

إن الحزب كما نعلمه ونفهمه، جميعا كثوريّين ليس جبهة عريضة، ولذلك لا يمكن أن يتحمّل سلبيات وممارسات أكثر من

الذي، يحدث من قبلنا وبالذات كقيادة للحزب، هذا هو انهيار الحزب الذي أصبح ذيلاً للجبهة. هكذا يقول /عبد ا لله سليمان/ في رسالته إلى قيادة الحزب التي هي قيادة الجبهة، إن لم تكن في معظمها. والحقيقة إن حزب العمل هو رأس التنظيم وهو الذي يخطط وينفّذ والذي كانت له اليد الطولى في انهيار الجبهة.

أما إذا سألتموني أين /عبد ا لله سليمان/؟ فأقول لكم لقد أصبح امريكياً، بعد أن أخذ الجنسية، وهو يعيش هناك الآن. وكان /عبد ا لله سليمان/ من المقرّبين جداً إلى رئيس الاركان /عبد ا لله ادريس/، إلا أن الأخير طرده من الجبهة بسبب يعرفه كثير من الأخوة الأرتريين.



اتفاقية جدة

وتدور الأيام وأستبق الزمن لاروي الآتي:

- (في أحد الفنادق الفخمة في /جدة/ التقى كل من: **الأخوة الأعداء / عبد ا الله ادريس محمد/ عثمان صالح سبي/ عبد القادر جيلاني/ ومعهم اعضاء قياداتهم.** وصدر عنهم الآتي:

إيماناً بحتمية وحدة فصائل الثورة الأرترية ونزولاً للرغبة الأكيدة والواعية، **للجماهير الأرترية داخل الوطن وخارجه، وبعد** الاستفادة السابقة والمتعددة **لوحدة الفصائل الأرترية، ولأجل الوصول** إلى الاستقلال الكامل لأرتريا، سواء بالحل السلمي أو الكفاح المسلّح، فقد اتفق كل من جبهة التحرير الأرترية /عبد ا الله ادريس/ وقوات التحرير الشعبية وقوات التحرير الشعبية للجنة الثورية على الآتي:

أولاً - دمج الفصائل الثلاث في تنظيم واحد. وفقا لبرنامج ودستور واحد.
بحيث يشمل الدمج المؤسسات التابعة للتنظيمات الثلاث.

ثانياً - يتم انجاز الدمج في فترة زمنية اقصاها ستة أشهر.. من تاريخ التوقيع على هذه الوحدة الاندماجية.

ثالثاً - يعقد كل تنظيم مؤتمراً. يضم قواعده وكوادره لانتخاب مجلس قيادي للتنظيم.

رابعاً - بعد انتخاب المجالس القيادية الثلاثة، يعقد كامل اعضائها مؤتمراً عاماً تنحصر عضويته في القيادات المنتخبة الثلاث.

يتولى هذا المؤتمر:

أ - انتخاب لجنة تنفيذية للتنظيم الواحد من بين اعضائها.

ب - وضع البرنامج السياسي والتنظيمي للتنظيم الواحد واجازة الدستور الموحد.

ج - بعد ان ينهي المؤتمر مهمته. يتحّول كامل اعضائه إلى أعضاء للمجلس الوطني /البرلمان الأرتري/.

د - **يؤكّد الموقعون إن أي تكتل طائفي أو حزبي أو ديني أو قبلي محظور حظراً قاطعاً.**

هـ - تم الاتفاق على تحديد أعضاء المجلس الوطني /٧٣/ عضوا موزعين كالتالي:

١ ـ /٢٧/ عضوا لجبهة التحرير الأرترية. /عبد الله ادريس/.

٢ ـ /٢٧/ عضواً لجبهة التحرير الأرترية قوات التحرير الشعبية. عثمان سبي.

٣ ـ /١٩/ عضواً لجبهة التحرير الأرترية قوات التحرير الشعبية اللجنة الثورية.

و - تؤكد الاطراف الثلاثة الموقعة على هذا الاتفاق، باعتبار أنه خطوة ايجابية نحو الوحدة الشاملة، وتدعو الجبهة الشعبية للحاق بهذا الركب، تكملة لارادة ورغبة الشعب الأرتري. تم التوصل إلى هذه الاتفاقية بمساعدة وجهود اصدقاء الثورة الأرترية.

صدر بتاريخ ١٩٨٢/١٢/٢٣.

ـ /عبد اللـه ادريـس محمـد/ رئيـس المجلـس الثـوري واللجنـة التنفيذية لجبهة التحرير الأرترية. (بعد حركة ٢٥ مارس).

ـ /أبو بكـر محمـد جمـع/ رئيـس المكتـب التنفيـذي - اللجنـة الثورية لقوات التحرير الشعبية.

ـ /عثمـان صـالح سـبي/ رئيـس اللجنـة التنفيذيـة والمجلـس المركزي لقوات التحرير الشعبية.

ـ أقف لأقدم بعض الشرح والملاحظات حول من وقّع هذه الاتفاقية:

١ - الاخ /عثمان صالح سبي/ توفي في القاهرة عـام /١٩٨٨/ بظـروف غير واضحة.

٢ ـ /عبد الله ادريس/ أعلن قبـل أشـهر الكفـاح المسـلح ضد حكومـة الجبهة الشعبية.

٣ ـ /أبو بكر محمد جمع/ يعيش تحت ظل الحكومة الأرترية الجبهـة الشعبية وقد عيّن تكريمـاً لـه محافظـاً لمدينـة /أم حجـر/ أو ثمنـاً للخدمات التي قدّمها للجبهة الشعبية.

بعـد هـذا حصلـت مواقـف متباينــة بيــن التنظيمـات، غـير المتجانسة فكرياً وتنظيمياً. أما مواقف الدول العربية فقد اختلفت حول هذه الاتفاقية.



فمثلاً: إن الصراع الداخلي أو بمعنى آخر التآكل الذي نخر وينخر العمود الفقري، لقوات التحرير الشعبية بسبب، وجود عناصر قوية موالية للجبهة الشعبية، بحيث أصبح الرأس غير قادر، على ضبط تحرك هذا التنظيم. فالاخوة في قوات التحرير الشعبية من أمثال /محمد سعيد ناود/ و/أحمد جاسر/ كانا يرفضان التحاور مع /عبد الله ادريس/. وأنا أعتقد بأنها لأسباب شخصية /فعبد الله ادريس/ رجل عربي قويّ وله طموحات، منها المشروع ومنها غير المشروع، وإن الأخيرين /محمد سعيد/ و/أحمد جاسر/ لهما طموحات بترؤوس هذا التنظيم، أي قوات التحرير الشعبية (علماً أن أحمد جاسر كان مرتبطاً سراً بالجبهة الشعبية).

إلا أن الرجل القوي وهو /عثمان صالح سبي/ كان يريد التخلص منهما. أليس عثمان هو الآمر والناهي في قوات التحرير؟ فهو لا يريد أن يشاركه أحد في قراراته أو نزعاته.

كان عثمان يقول لي:

(إن هؤلاء الشبان قد /شاخوا/ أو تكلسوا في أحسن الأحوال، وأنا لا أسمح بالغلط . رحم الله عثمان، هذا الرجل العربي الوطني، وإذا دعيتُ له فهل سيرحمه التاريخ؟

إنـه أول مـن عمـل علـى إقامـة تنظيـم، غـير تنظيـم جبهـة التحرير الأرترية، عندما قام بتشكيل قوات التحريـر الشـعبية عـام ١٩٧٠ [وليس أحد أحسن من أحد] فالكل أصبح قادة، ويريدون أن يترأسـوا، وهـذا مـا دفـع /بـأحمد جاسـر/ و/محمـد سعيد نـاود/ للانفصال عن قوات التحرير الشعبية، وتشكيل فصيل خاص بهمـا. وتكررت المحاولة التـي بدأهـا /عثمـان/ وانهيـار الجبهـة وهيمنـة الجبهة الشعبية على الساحة الأرترية.

وكان /محمد سعيد ناود/ الذي أصبح، في وقت لاحق رئيساً لهذا التنظيم الموحّـد، بعـد أن تخلـى عـن /أحمـد جاسـر/ الـذي دعمته الجبهة الشعبية، وإذا سألتموني عن هؤلاء الأربعة أقول لكم ما يلي:

١ ـ توفي الأخ عثمان رحمه الله وخلفه /عمر البرج/.

٢ ـ انضم في وقت سابق /محمد سعيد ناود/ إلى التنظيم الموحّـد، مع مجموعته الصغيرة. وبقي /أحمـد جاسـر/ لوحـده إلـى أن طلبـت منـه الجبهة الشعبية تصّفية تنظيمه ففعل دون تردد، بل بترحاب.

وعندمـا زار /أحمـد جاسـر/ أرتريـا المستقلة، كرمتّـه الجبهـة الشعبية لتعاونه السري معها، ثم لفظتـه الشـعبية ليعـود إلـى القـاهرة ويعيش فيها. لقد كان /أحمد جاسر/ هو الآمر الناهي لقـوات التحريـر

الشعبية داخلياً، عندما كان /عثمان صالح سبي/ رئيساً للتنظيم، لكنه تمرّد على عثمان، وأنشأ التنظيم الخاص به.

أما /عبد القادر جيلاني/ رئيس اللجنة الثورية فهو رجل عربي، ويؤمن بالتضامن العربي حسب عقيدته (إلا أنه في الشهور الماضية أقيل من رئاسة اللجنة الثورية وحل مكانه: /آدم صالح/: الذي أقيل أيضاً بعد مدة قصيرة.

ـ بعد انقضاء حوالي ستة أشهر على ما وعد به /عبد الله ادريس/ القيادة في سورية، أن ينسحب من اتفاقية /جده/، إلا أنه لم ينفّذ وعده ونتيجة لهذه. ولاشياء أخرى /أجهلها/، تم اغلاق المكاتب في سورية ومنع اعضاء قيادة الجبهة، وبعض اعضاء التنظيم من الدخول إلى سورية، بعد اغلاق المكاتب بوقت قصير عاد /أحمد ناصر/ إلى دمشق، وأفتتح المجلس الثوري مكتباً له في دمشق، وأعيد التعامل مع جبهة التحرير الأرترية (أحمد ناصر).

في تلك الاثناء حضر إلى القطر السيدان /رمضان محمد نور وأسياس افورقي/ اللذان يشغلان منصب الأمين العام، والأمين العام المساعد في الجبهة الشعبية لتحرير أرتريا، وتم اللقاء بينهما وبين القيادة القومية، وسافر /اسياس/ بعد أيام قليلة وبقي /رمضان محمد نور/ حوالي الشهر وهو قابع في مكتب الشعبية ويجتمع هنا وهناك

مع فلان وفلان، وانصبّت اهتماماته بالاستيلاء على مكاتب **الجبهة** وممتلكاتها في القطر العربي السوري. وجاء الرد عنيفا وقاسياً فقد رفضت القيادة القومية تسليمهم المكاتب والممتلكات.

وجهة نظر شخصية.

ـ أثناء تواجد الأمين العام للجبهة الشعبية /رمضان محمد نور/ في دمشق، اجتمع مع رئيس جبهة تحرير أرتريا /أحمد ناصر/، وبعد مناقشة مستفيضة، استمرت اسبوعاً كاملاً، صدر بيان مشترك عن الجبهتين جاء فيه: «إنهم اتفقوا على إقامة نوع من الوحدة والتنسيق فيما بينهم... وقد وقع على هذا».

جاء الرد سريعاً وسريعاً جداً من الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية السيد /أسياس أفورقي/ قال فيه /إن هذا البيان الصادر في دمشق وما جاء به من نقاط حول الوحدة بين التنظيمين لا يعبّر إلا عن وجهة نظر شخصية /لرمضان محمد نور/ وإن الجبهة الشعبية قيادةً وثواراً غير ملتزمين بما جاء في هذا البيان.

التوقيع

الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية

أسياس **أفورقي**

إن صالح أياي، رجل أمين ولا ينكر المعروف والجميل. لكنني لا أعلم كيف طاوعته نفسه، وهو الشهم الأمين بحق شعبه واصدقائه لأن يعمل تحت، ظل وحكومة الجبهة الشعبية.

في يوم من الأيام كنت أنا وصالح أياي في السودان قال لي: (بماذا تفكر يا أحمد؟) لم أكن أريد أن أخبره، أو أثبّط من عزائمه بأن هذا التنظيم، أي التنظيم الموّحد غير متجانس، ولا أرى فائدة تُرجى منه.

قلت له (الا ترى الأوضاع السائدة في هذا التنظيم يا صالح؟ أليس من الصعب أن يلتقي الأخوة الأعداء في تنظيم واحد؟ وللمرة الأولى شعرت بأن صالح تراوده فكرة التخلي عن العمل النضالي، حيث قال لي: (والله يا أحمد أنا تعبت كثيراً لكن الوطن غالي).

وأحسست بأن صالح يشعر ويعرف، ما أشعر به وأعرفه، ثم قال لي (إن الأخ عثمان سبي رجل وطني، رغم كل تصرفاته، وهو أفضل الموجودين، وهو معروف ومقبول عربياً ودولياً، وعلينا أن نعمل وإياه، ولربما استفاد من تجاربه.

وقال لـي /اذهـب يـا أحمـد والتـقِ بعثمـان، فهـو موجـود فـي /جده/، وفي أحاديثي الخاصة معــه، كـان يحـترمك ويقـول (إن هـذا الرجل صديقنا بحق، لذا التقِ معه فهو يسمع منك ويحترمك.

رغم أن عثمان كان فردي التفكير والقرار. فقد عملت بـرأي الأخ صالح، وسافرت إلى جدة، والتقيت بالأخ عثمان، وبقينا لوحدنا يومـاً كاملاً، في غرفتي بفندق /العطاس/ بجدة.

جاء الأخ عثمان رحمه الله إلى غرفتي وأمسك بالهـاتف وطلـب من الاستعلامات، بألا يعطونني أي مكالمة داخلية أو خارجية، وقـال لهم (قولوا أن أبا سعدة خارج الفندق).

تناولنا طعام الافطـار، سـوية فـي الغرفـة، وتغدينـا فيهـا. كنـا نتناقش ونتبادل الرأي وكان كل همي هو دفع هذا التنظيم إلى الأمـام. واتفقنـا علـى العمـل ضـد اثيوبيـا وإفهـام الشـعبية، علـى أننـا قـوة لا يستهان بها، وذلك من خلال أعمــال مميزة ضـد اثيوبيـا، خاصـة إن المملكة العربيــة السـعودية فتحـت مخازنهـا العسـكرية وأعطـت هـذا التنظيم إمكانيات عسكرية ومادية لا يُستهان بها.

وفي اليوم التالي بعد الظهر جاء صالح أياي، وسافر مع عثمـان سبي، إلى الخليج. وغاب عثمان وصالح في الخليج مـدة ثلاثـة أشـهر رغما عنهم. كانت مدة الزيارة اسبوعين، ثم صارت ثلاثة أشهر، وكان

صالح وعثمان يتصلان بـي بين الفينـة والأخرى. وجاء الفرج حين أخبرني صالح أياي من أبو ظبي بأنهم غدا مسافرون إلى تونس، وأرجو أن تلحقنا إلى هناك.

وبعد ا نت معهم في تونس. كنا أربعة أشخاص حيث انضم إلينا /حمد كلو/ نائب رئيس مكتب أبو ظبي /عثمان أبو بكر/. وأنا لا أعرف كيف أن /حمد كلو/ هذا الرجل الذي أمضى حياته في الجبهة الأم، أن يكون نائباً لعثمان أبو بكر، هذا الطالب الذي تخرّج حديثاً، ورفّعه عثمان إلى رئاسة مكتب الخليج. كان حمد كلو في تونس من أجل استلام مكتب الجبهة (عبد الله ادريس) وتحويله إلى التنظيم الموحّد، وقد جاء بمساعدته السيد عبد الله باهبري، وهو رجل مسؤول في مكتب الأمير تركي الفيصل مدير المخابرات السعودية والمسؤول عن الأرتريين كافة، والامير تركي الفيصل يعرف الأرتريين ويتعامل معهم، أي باختصار هو المسؤول عن الشؤون الأرترية. إلا أن وساطة عبد الله باهبري مع التونسيين لم تثمر، وبقي المكتب على ذمة جبهة التحرير الأرترية (عبد الله ادريس).

وفي مدينة تونس تمشيت أنا وعثمان سبي، على البحر واطلعني على ما تم معه في منطقة الخليج، واتفقنا على أن أذهب أنا إلى اليونان لاتمام فلمي السينمائي والبحث عن قوارب بحرية سريعة..

الخ ثم قال لي عثمان (لقد صورتني كثيراً، ولم أر شيئاً من هذه الصور وأنا لديّ آلة تصوير، ولنترك الاخوان أن يلتقطوا لنا صورة سوية).

ومشيت مع عثمان على شاطىء البحر.

قال: بلهجة هادئة لا تخلو من الحزن:

ـ (يا أحمد ـ إن شهر رمضان المبارك قادم، وأنا أريد أن أمضي هذا الشهر الكريم مع عائلتي وأولادي في دمشق، فأرجو أن تعمل جهدك، ليسمحوا لي بدخول سورية، ولو لمرة واحدة في شهر رمضان، حتى أقضي هذا الشهر مع عائلتي وأولادي. أرجوك أن تعمل جهدك).

ـ وقلت له (والله سوف أعمل جهدي، وانقل هذا الكلام إلى الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي الرفيق عبد الله الأحمر).

وافترقنا على أن نلتقي في السودان، بعد انتهاء عملي، وقبل شهر رمضان. عدت إلى دمشق وقابلت الاستاذ عبد الله الاحمر ونقلت له رغبة الأخ عثمان.

فقال لي الأمين العام المساعد: (نرجو أن يحصل خير).

لكن عثمان مات.

وقد سبقت يد المنية، تحقيق أمله بزيارة دمشق أثناء شهر رمضان الفضيل، رحمة الله عليه.

وطار عثمان من تونس إلى القاهرة، وكان يشكو من الجيوب الأنفية، وقال /لصالح أياي/.

(إني أريد أن أعمل هذه العملية البسيطة لأني متضايق من هذه الجيوب) ودخل المستشفى لاجراء هذه العملية البسيطة لكنه لم يخرج إلا جثة هامدة.

قال لي صالح أياي على الهاتف:

(إن عثمان قد تعافى، وبعد ثلاثة أيام نحن في السودان). قلت له: (سلّم على عثمان، وقل له نرجو أن يتحقق طلبك الشخصي).

قال لي صالح (نحن ننتظرك في السودان الاسبوع القادم حيث منحنا السودانيون قطعة أرض كبيرة جداً، بالقرب من كسلا، وتسمى الأرض هذه (ساساريب[1]). وهناك سيقام معسكر للقضايا العسكرية والادارية. ألم أخبركم بأنه ليس هناك أرض أرترية بيد أحد سوى بيد الجبهة لاشعبية هذا لا يعني عدم تواجد مقاتلين لكنه بشكل مجموعات صغيرة.

ودّق جرس الباب لمنزلي، وعلى غير عادتي، فتحت الباب لاجد حسن كنتباي، مندوب التنظيم الموحد بدمشق أمامي وشكله غير طبيعي... (خير يا حسن.. أول كلمة قلتها له (ادخل) جلسنا سوية وكانت في يده

---

(١) ساساريب – منطقة سودانية يمر منها نهر عطبرة.

سيكارة وحسن شاب مهذب، ويعرف الأصول، وبغض النظر عن كل ما قيل حول حسن كنتباي، فأنا أعتبره رجلاً أميناً، من خلال عملي وإياه سوية، (هل حصل لاولادك وزوجتك شيء لا سمح الله...؟ وانقضّت الصاعقة (مات عثمان يا أحمد)..

وتسمّرت في مكاني، ولدقائق ونحن صامتان، وقلت له (أمس مساء كلّمني صالح، وقال إن عثمان قد تعافى، وسيغادر القاهرة إلى السودان، (لقد توفي عثمان في يوم ١٩٨٨/٤/٤ في مشفى السلام بالمهندسين بالقاهرة. قال لي حسن (إن عثمان بعد اجراء العملية، قام بتأدية الصلاة وحدث نزيف في أنفه ومن جراء هذا النزيف توفي، هذا كل ما قاله لي صالح أياي على الهاتف.

قال (أخبر أبا سعدة)، واتصلوا بي وأنا موجود في فندق (سونيستا بالقاهرة).

وعلى الهاتف قال لي صالح (تعال إلى هنا!)، كان صالح صديقي الحميم، وكان يريدني دائما إلى جانبه، وأنا كذلك لكّن الأمور لم تكن في صالحنا، قلت في نفسي (ماذا سأفعل إذا ذهبت إلى مصر)؟ وآثرت البقاء في دمشق مع حسن، لنفكر ماذا سيحدث لهذا التنظيم غير المجيد؟).

رحمة الله عليك يا عثمان، والله يساعد الشعب الأرتري. رغم كل تصرفات عثمان سبي، إلا أنه كان رجلاً وطنياً عربياً، ثقافة

وعملاً، والان وقد مضت على وفاته عشر سنوات، وأنا **أعتبر وفاته** بهذه الطريقة أمر غير طبيعي؟ وكنت قد شككت **بظروف وفاته**، واطلعت الرفاق عليها. هل سمعتم أن إنساناً يموت من جراء عملية جيوب أنفية؟ إن عثمان كما أعتقد .. مات مقتولاً! والتاريخ هو الذي سيثّبت صحة هذا الكلام أو خطاءه».



الانقلاب الأول
في التنظيم الموحد

قبل وفاة عثمان بحوالي عامين، تم فصل /عبد الله ادريس/ ورفاقه من التنظيم الموحّدَ بتهمة الخيانة والاتصال مع العدو الاثيوبي وقد اصدر المجلس الوطني الأرتري بياناً سياسياً يقول هذا البيان:

(لهذا... وبعد دراسة موضوعية لواقع الحال، والظروف المحيطة. اتخّذ المجلس قراراً بفصل الضالعين في مؤامرة /الخيانة الوطنية/، من أعضاء اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني وهم:

١ ـ عبد الله ادريس محمد/ النائب الأول لرئيس اللجنة التنفيذية.

٢ ـ /عبد القادر جيلاني/ النائب الثاني.

٣ ـ /آدم صالح/.

٤ ـ يوهنس ذرء ماريام/ رئيس المجلس الوطني.

٥ ـ /محمود حسب/.

٦ ـ /حامد محمود/.

وقد صدر هذا القرار عن قيادة التنظيم الموحّد: وبعدها صدر ما سمي بملف الخيانة رقم واحد)؟

يقول هذا الملف، إن عبد الله ادريس وزملاءه /تخابروا/ مع العدو الاثيوبي، وأقاموا جسوراً من التفاهم والتعاون معه، وقام الاثيوبيون باعطاء عبد الله ادريس سيارتين محمّلتين بالاسلحة، من اسلحة الجيش الاثيوبي وذلك تحت ستار. معركة وهمية مصطنعة مع الجيش الاثيوبي. تمت هذه المعركة المصطنعة بتاريخ ١٩٨٦/٣/٢٣.

هذه هي رواية المجلس الوطني، أو ما سمي /بملف الخيانة رقم واحد/.

وكنت قد سألت عثمان سبي.

(هل هذا صحيح ما فعله عبد الله ادريس)؟

قال عثمان (إن عبد الله ادريس ـ من أجل السلطة ـ يفعل أكثر من هذا).

وفي وقت آخر قلت لصالح أياي أعتقد وأجزم بأن فراقكما، وأعني عبد الله ادريس وصالح أياي، أصبح فراقاً أبدياً إلى يوم القيامة. وهما صاحبا حركة (٢٥) مارس، ولولا مساهمة صالح أياي في هذه الحركة لباءت بالفشل. قال لي صالح أياي (هذا ما جاء في الملف /أما رأيي أنا فمن الصعب تصديق هذا، ألم أقل لكم أن هذا التنظيم له وضع خاص وهو غير متجانس؟.

أما رأيي أنا فإنني أقول وبكل أمانة وصدق، إن هذا الملف ملفّق، و/عبد الله ادريس/ ورفاقه عرب وطنيون بلا أدنى شك وإن

الذي أوحى بكتابة هذا الملف، هو /عثمان سبي/ و/دبلجه/ كتابة وتصوراً هو /عمر جابر/[1].

وقبل انعقاد المجلس الوطني بيومين، أي في ١٩٨٦/٧/٢٠ وفصل عبد الله ادريس وزملائه، وزيادة في البلبلة وإثارة للفتن، قامت الجبهة الشعبية باغتيال المناضل (ولد[2] داويت تمسكن) عضو المجلس الوطني، وكان ذلك في مدينة /كسلا/، فولدداوين عمل في الحركة الطلابية في /مندفرا واسمرا/ والتحق بالجبهة عام ١٩٦٥ - وكان يعمل سراً ضد سلطات الاحتلال الاثيوبية في /اسمرا/ واعتقل فيها وحكم عليه بالسجن /١٠/ أعوام، قضاها كاملة.

وعندما تسلم الحكم العسكريون في اثيوبيا تم تبديل الحكم من عشر سنوات إلى الإعدام، وقبل تنفيذ الحكم تم تحرير سجن /سنبل/ عام /١٩٧٥/ على يد الشهيد /سعيد صالح/ والذي قتل أيضاً في مدينة كسلا السودانية في وقت لاحق، وعيّن /ولد داويد/ مشرفا ادارياً على الوحدة رقم /٩/ وذلك من عام ١٩٧٥ - ١٩٧٨/، ثم عين قائداً للواء /٦١/، ثم قام بدورة عسكرية في سورية لغاية عام ١٩٨٠/ وبعدها عاد ليعين قائد لواء ومشرفاً على الجبهة الوسطى وفي عام ١٩٨٢/، انتخب في المؤتمر الوطني الثالث (عبد الله ادريس) عضوا في المجلس الوطني ومديراً لمكتب المنظمات الجماهيرية. في ظل هذه الاجواء المحمومة والمسمومة، ونتيجة الفراغ وطرد أعضاء من اللجنة التنفيذية، تم انتخاب لجنة تنفيذية جديدة في ١٩٨٦/٧/٢٨، فالتغيير إذن قد تم وأصبح التنظيم الموحّد يهيّمن عليه عثمان صالح سبي كما أراد.

---

(١) مسؤول الاعلام في التنظيم الموحد.

(٢) تدرب عسكرياً في سورية.

كان هذا الحدث في ١٩٨٤/٥/٤ وزادت الخلافات تفاقما بين التنظيم ككل، خاصة بعد وفاة /عثمان/ وصار اعضاء القيادة يريدون اقتسام التركه التي، خلفتها وفاة عثمان، إلا أنه تم اختيار /عمر برج/ رئيساً للتنظيم والذي، يعتبر نفسه الخليفة الأكيد /لعثمان سبي/. إلا أن هذا لم يرق إلى كل من /عثمان أبو بكر/، مندوب التنظيم الموحد في دولة الإمارات، /وعلي برحتو/. وإذا قلنا الحقيقة فإن أكفأهما هو (الأخ علي برحتو) فهذا الرجل مثقف وله القدرة على التحرك والاقناع.



النفق المظلم

ودخل التنظيم في نفق مظلم، هذا أفضل ما سمعته في تلك الفترة إلا أن هذا النفق كان واضحاً لي، وللمطّلعين على مجريات الأمور، داخل التنظيم الموحّد.

/فالجبهة الشعبية كان لها أشخاصها في قيادة التنظيم الموحّد وفي الكوادر، وحتى بالجنود/. لقد كان التخريب متعمّداً، وفي إحدى المرات عندما كان عدد من أعضاء القيادة، يزورون المقاتلين احتجزهم المقاتلون، وطالبوا القيادة بأن تراجع نفسها، وتتوقف عن عمليات البذخ والفوضى. فمثلاً إن أحد القادة /الكبار/ قام بجولة ترفيه في بعض الدول الخليجية ورافقته زوجته، وهذا أمر غير طبيعي وغير مألوف بالنسبة للثورة عامة، وللارتريين خاصة، كانت هناك نزهات سياحية، ويا ليتها كانت تثمر عن شيء، لم تكن تثمر إلا عن الزيادة في التفكك.

أحد المسؤولين قال لي (أريد أن يكون لي حرس شخصي، فأرجو أن تجد لي وسيلة لتدريب عدد من الشبان الارتريين، حتى يكونوا لي حراساً شخصيين. وصدّقوني أن هذا الانسان ليس له مكانة ولايشكّل ـ لاسابقاً ولاحاضراً ولا مستقبلاً ـ شيئاً ذي أهمية. وكل ما في الأمر أنه يحب الظهور ولديه امكانيات مادية.

إذن هناك بعض القياديين، يريدون حراساً شخصيين. لو طلب محمد أحمد عبده، قائد القيادة العامة، أن يكون له حراساً، فمن الممكن التفكير بالأمر.

أكياس السكر والدقيق

في يوم من الأيام طلبت إحدى سفارات الدول العربية في الخرطوم وفداً على مستوى ¨ ادة لأمر هام، وذهب هذا الوفد لمقابلتهم. هل تعرفـون ماذا كان يرتدي هؤلاء المناضلون؟ إن سراويلهم وقمصانهم مصنوعة بأيديهم ومن أكياس السكر والدقيق، عندما رأهم السفير العربي، اعتقد انهم يطلبون حسنة وليسوا هم الوفد القيادي المطلوب للمقابلة الهامـة. اسـألوا المنـاضل /محمد عمر يحيى/ ألم يرتدي سروالاً وقميصاً من أكياس الدقيـق والسـكر؟ اسألوا قائد جيش التحرير الارتري /محمد أحمد عبـده/ مـاذا كـان يرتـدي في وقت من الأوقات؟ وأين يعيش الآن؟... اسألوا زملاءهم المناضلين مـاذا كانوا يرتدون؟ وماذا كانوا يأكلون؟؟!

في عام /١٩٧٠/ قابلت أنا والأخ /صالح ايـاي/ السـيد الرئيـس حافظ الأسد، في دمشق كـان /صـالح ايـاي/ ينتعـل الصنـدل وقميصـه الخاكي ممزق من طرف كمه.

قال لي مسؤول التشريفات (أنت أتيت بشحاد تشـحد عليـه أم بمسؤول أرتري)؟

ولولا لم تكن المقابلة مقرّرة، وحان موعدها لما، أدخلنا مسـؤول التشريفات، الى السيد الرئيس. والله أقول لكم لـم يكـن لـدى /صـالح اياي/ في حينها ثمن قميص وأنا كذلك؟.

/محمد أحمد عبده/ هذا القائد الكبير ـ كان في جيبه حوالي تسعين ألف دولار، وجدته عند بائع الفول السوداني في /كسلا/ يفطر بعدة قروش، قلت له: (يا اخ محمد أنت تملك كل هذه النقود لماذا لا تأكل جيداً؟). أجابني: (انها ملك الثورة، وأنا لا أملك منها مليماً واحداً).

واليوم ـ أين /محمد أحمد عبده/؟ هذا القائد الذي أوصل بشجاعته وأمانته الشعب الارتري الى مؤتمرهم الأول؟ وقاتل الاثيوبيين قتالاً شرساً ورافقته في عدد من المعارك.

لقد رفض العيش في ظل حكومة الجبهة الشعبية وقال: (لا أستطيع العيش وأنا أرى نكران وجحود قيادة الجبهة الشعبية ومحاولتها طمس شخصية الانسان الارتري، والمتمثلة في ثقافته وعلاقاته بأشقائه. أن /محمد أحمد عبده/ يعيش اليوم في مدينة /كسلا/ السودانية بين اللاجئين الارتريين الذين بنوا له كوخاً من الطين والقش يعيش فيه.



مؤتمر التنظيم الموحد

بعد فترة انعقد مؤتمر للتنظيم الموحد ولكن أين تم انعقاد هذا المؤتمر؟ هل في العمق الأرتري، أم على الحدود السودانية الأرترية كغيره.؟.

إن المؤتمر الوطني الأول، لجبهة التحرير الأرترية عام /١٩٧١/ انعقد في عمق الأراضي الأرترية، وفي منطة /آر/ وكذلك المؤتمر الثاني للجبهة، أما المؤتمر التنظيمي الأول لقوات التحرير الشعبية فقد عقد في الأراضي الأرترية القريبة، من الحدود السودانية. كذلك المؤتمر الثالث للجبهة (عبد الله ادريس)، فقد عقد على الأرض الأرترية قريباً من الحدود السودانية.

أما المؤتمر هذا فإنه عقد في عمق الأراضي السودانية. وفي منطقة قريبة من مدينة أكسلا /تسمى/ ساساريب/. أما لماذا لم يعقد في الداخل؟ فالاجابة على هذا السؤال متروكة لقادة التنظيم.

أما أنا فأقول لأنهم لا يملكون القدرة، على انعقاده في الأراضي الأرترية، والسبب هو خوفهم من قاعدتهم المتمثلة بالجنود والكوادر السياسية المتبقية. نعم كانوا خائفين على حياتهم، ثم إن ما يمكن توفيره هنا، من النعيم لا يمكن توفره هناك. وسأشرح لكم ما رأيته وما صوّرته، فكل كلامي موثّق بالحقائق.

قلت لقادة التنظيـم الموحـد لي سؤال: (أنتـم تقولـون أن لديكـم أراض محررة وتأخذون السلاح والمـال لذلـك فلمـاذا لا يعقـد المؤتمـر في الداخل؟. لم يجبني أحداً منهم.

قلت للأخ حسن كنتباي:

(وا لله يا أخ حسن أنا ليس في نيتي أن أحضر هذا المؤتمر).

أجابني:

(يا أخ أحمد! نحن سوية مـع بعـض، وعانينـا سـوية، ولربمـا نستطيع أن نصحّح، أو على الأقل، نقف بوجه الانحرافات والتدهور، الذي أصاب هذا التنظيم. فليس لدينا خيار آخر.

وكنت قد اتفقت مع الأخ صالح على حضـور المؤتمر، إلا أنـني كنت أبحث في نفسي، عن عذر يمكنني من عدم الذهاب، إلى السودان وحضور المؤتمر. لكن كلام الأخ /حسن/ ووعدي لـلأخ /صـالح/، وبقيـة الرفاق هو الذي، جعلني أعدل عـن رأيـي، واتفقـت مـع الأخ /حسـن كنتبـاي/ أن نذهـب إلى السـودان لحضـور المؤتمـر. وكـان الأخ /حسـن عثمان كنتباي/ حينها مسؤول مكتـب دمشـق للتنظيـم. وإذا سـألتموني عن معنى كنتباي أقول لكم أنها تعني (أمير).

سافر حسن قبلي إلىالسـودان وكـانت لديـه أمـور خاصـة عليـه انجازها، وبعد أيام اتصل الأخ /حسن كنتباي/.

وقـال لي بـالحرف الواحـد (نحـن بانتظـارك). قلـت لحسـن: (خلال أيام أكون عندكم).



انقلاب في السودان

ووقع انقلاب في السودان أطاح بحكومة /الصادق المهدي/. ولكن الرفاق في التنظيم، اتفقوا مع القيادة الجديدة، على السماح بإقامة المؤتمر في حينه، وتمت الموافقة للأرتريين والأصدقاء لحضور المؤتمر، وفق قائمة الأسماء التي ستحضر المؤتمر وتأتي إلى السودان. وسافرت من دمشق ويصحبني السيد /حامد طنبار/ المسؤول المالي للتنظيم الموحد بدمشق.

وسافرنا على بركة الله، من دمشق إلى الخرطوم، وفي الطائرة التقيت بالسيدة /زهرة[1] جابر/ وابنتها، كانت ذاهبة لحضور المؤتمر؟ وعلى الأصح كانت مكلّفة من الجبهة الشعبية، للذهاب وحضور المؤتمر.

إن السيد /أسياس أفورقي/، رئيس الدولة الحالي في أرتريا قال/ في مؤتمر الجبهة الشعبية، عندما برز اسم السيدة /زهرة جابر/ كعضو في القيادة المركزية للجبهة الشعبية، وعند احتجاج كثير من المؤتمرين، أن زهرة جابر كانت رئيسة اتحاد المرأة في التنظيم الموحد وما قبله فكيف تصبح عضواً في قيادة الجبهة الشعبية؟ اجاب السيد رئيس الدولة (إن المناضلة زهرة جابر كانت عضواً منذ سنوات طويلة في الجبهة الشعبية).

---

(١) رئيسة الاتحاد النسائي في التنظيم الموحد.

وكنت قد كشفتها سابقاً في أكثر من مناسبة وأخبرت كلا من حسن عثمان وصالح إياي وقبلهما محمد صالح حمد بحقيقتها إلا أنهم كانوا يضحكون ولا يهتمون.

وصلت طائرتنا إلى الخرطوم، في وقت حظر التجول، وأخذنا تصاريحنا. وذهبنا أنا والسيد /حامد طنبار/ إلى فندق متواضع، إلا أن التعب والارهاق وقلة الفلوس كل ذلك جعلنا ننام في هذا الفندق المتواضع.

في الصباح صحوت، ولم أجد /حامد طنبار/ موجوداً. جلست في بهو الفندق البسيط لوحدي. وما هي إلا دقائق حتى أتى صاحبنا وسألته (أين كنت؟) فقال: (ذهبت لأؤدي صلاة العيد).

ونزلنا نبحث عن البيت الذي استأجرته قيادة الجبهة، وبقينا في الشارع ساعات نبحث عن وسيلة توصلنا إلى البيت، الدنيا عيد والطرقات، فارغة، وليس هناك أحد. إلا أن الله أسعفنا فوجدنا سائق سيارة، وبعد أخذ ورد أوصلنا إلى المنزل. وكان البيت كبيراً وفيه ثلاث فتيات يقمن على خدمة أعضاء /اللجنة التنفيذية/ للتنظيم الموحّد/، وكنت وحامد طنبار/ مفلّسين/ والتموين والنقود بيد السيد /اسبروم/ مسؤول الاقتصاد. واسبروم لا يعطي إلا وفق مزاجه.

وقفت في البيت أصرخ وأقول (ارسلوا لنا سكراً وشاياً وقهوة وطعاماً، وقولوا لاسبروم عندما يدفع، من بيت أبيه أن لا يطعمنا. فهذا من أموال الشعب والثورة، وليس له فضل في إطعامنا، وعليه أن

يرسل لنا ما نريده. بعد التهديد والوعيد والكلام /البذيء/. جاءنا الخير والذي جاء كان مقنّنا، قليل من السكر والشاي، أما الطعام فعلمه كان عند ا لله).

كان السيد أسبروم مسؤول الاقتصاد، في التنظيم الموحّد يقوم، بنوع من الابتزاز والاستفزاز، وقلب الموالاة له وللجناح الذي يمثّله. فمن يخضع له يأكل ويشرب، أما من يحمل وجهة نظر مخالفة لاسبروم وزملائه، فيعيش على البركة، والجناح هذا ممثل بشخص /عمر برج/ وزملائه/. واسبروم يقلّل من المواد التموينية، وغيرها لإضعاف المناهضين لجناحه. فمثلاً لا يترك كيلو من السكر في بيت /التنفيذية/، بل يرسل لهم السكر مقنناً، فإذا كان العدد خمسة أعضاء يرسل لهم سكراً (لأربعة أشخاص ويعمّم هذا على بقية المواد التموينية، وبقينا يوماً وليلة في بيت التنفيذية، والذي يقع في الدوار الثاني، من شارع الامتداد في الخرطوم، والقريب من السفارة الايطالية.

في اليوم الثاني جاء الأخ /طه[1] ياسين/ ونقلني إلى منزله، وقام بكل ما يستطيع من تكريم وضيافة، إلا أنني لم أكن مرتاحاً من الناحية النفسية، فالسيدة /زهرة جابر/ وابنتها كانتا في بيت /طه ياسين/، وهي تريد أن تسمع من الأحاديث والنقاش لتقوم بواجبها..؟..

كنت أتحاشى الكلام الهام، أمام /زهرة/. وكانت تعلم أنني أعرفها. دائماً كنت أقول لها عكس ما أريده.

---

(١) مناضل أرتري تقاعد قبل أوانه.

قضيت ليلتي عند الأخ /طه ياسين/ وفي اليوم الثـاني أوصلـني، إلى محطة باصات كسلا، ومنهـا انطلقت إلى كسـلا وقـد صحبـني في البـاص /حامد طنبار/ و/زهرة جابر/ وكان حامد دائم الشكوى من / زهرة جابر/.

كان يقول: (إنها لا تفعل شيئاً سوى أخـذ النقـود والتـنزه هنـا وهناك) ويقول لي (هل تصدق يا أبا سعدة هذه التمثيلية التي تقوم بأداء الأدوار فيها هي وزوجها؟.).

هذه كانت وجهة نظر /حامد طنبـار/ /بزهـرة جـابر/ و /محمـد نور أحمد/. أما رأي /زهرة جابر/ /بحامد طنبار/ فإنه مريـض ومعقـد، أما /حامد طنبار/ هذا الـذي تعلـم وأخـذ الكفـاءة والبكالوريـا وشـهادة الجامعة من دمشق فقد هرب من دمشـق، بعـد أن أعطتـه سـوريا كـل شيء كما هي عادتها، غادر مدينة دمشق متخفياً بعد أن سـلم معلميـه من الجبهة الشعبية ممتلكات جبهة التحرير الارترية.



معسكر ساريب

وفي صباح اليوم التالي، غادرت كسلا إلى منطقة /ساساريب/ السودانية، حيث المعسكر الأرتري ومكان إقامة المؤتمر، وبرأيي إن /ساساريب/ المعسكر، لا يختلف عن معسكرات اللاجئين، إلا أنه ذو خمسة نجوم، وإليكم هذه الرواية عما كان يدور في المعسكر وخارجه. ومن هم المتنفذون في هذا التنظيم غير المتجانس؟.

إن الذي يملك المال وما أكثره عند بعضهم، فصاحب المال، هو المتنفذ وصاحب الأمر والنهي. لقد أصبح التنظيم الموحّد مأوى لكل طامع، ولكل صاحب حاجة، كان غنياً بالمال بالنسبة للتنظيمات الصغيرة.

في يوم من أيام المؤتمر قال لي /عمر برج/ وهو رئيس التنظيم، بحضور كلٍ من /محمد سعيد نادو/ و /حسن عثمان كنتباي/ و /علي برحتو/ و /عمر جابر/ و /عثمان أبو بكر/ و /زرؤبيدو/ و /محمد شيخ عبد الجليل/ في الأول قلت له (عليكم أن تفكروا وتعملوا لمصلحة شعبكم، وأن يكون لهذا التنظيم، دور فعّال في الساحة الأرترية، وأن نعيد أمجاد جبهة تحرير أرتريا، يجب أن نتخلى عن جلسات الفنادق والبذخ، ونعود إلى الريف للعيش بجانب المقاتلين، كما كان سابقاً. أي أن تعودوا إلى الريف الأرتري، وخاصة أن المملكة العربية السعودية اليوم تمدّكم بالمال والسلاح، فيجب أن

تكونوا على مستوى رفيع وثوري، يمكّنكم من العمل على مستوى الساحة، داخلياً وخارجياً.

وأجابني /عمر برج/ رئيس هذا التنظيم الورقي (لا نريد في يوم من الأيام أن تكون لنا قيادة قومية) فأجبته (ماذا تقصد.) قلت (يا عمر بيك وأمام الحضور - إذا ما أعجبتك أفكاري فأنت غير مُجبر على التعامل معي، وهل أنتم عرب أم لا؟ وهل تعتقد أني أعمل في هذا التنظيم من أجل سواد عينيك؟ إن لي أملاً واحداً هو تغيير قيادة هذا التنظيم، والاتيان بقيادة جديدة.

أجابني أنت سوري (وماذا دخلك؟) قلت له: (إن أموال القيادة القومية) والعرب وسلاحهم، هي التي مكنتّك من أن تقول هذا الكلام للأسف! من يعطيك السلاح؟! من يعطيك المال وتذاكر الطائرات؟ هل هي أثيوبيا أم امريكا أم اسرائيل: أم العرب؟ إني أتعامل معكم، على أساس أنكم عرب، أما إذا كنتم غير ذلك، فليس لي علاقة بكم.

بعد ذلك تطورت المسألة بعض الشيء.

هذه الرواية توضحّ ما كان يجري في التنظيم الموحد، ومن هو المهم في هذا التنظيم، إنه صاحب المال. وهناك شاب يدعى /ابراهيم منتاي/ وهو من المقربين من المرحوم عثمان سبي، ويعتبر نفسه صاحب الورثة، وله نفوذه في التنظيم، فعندما وصلت كسلا وذهبت إلى بيت الضيافة، جلست في بهو الدار، ووجدت كثيراً من القياديين ومنهم /علي برحتو/ رئيس المجلس الوطني للتنظيم الموحّد، وقلت

لهم مازحاً: (أنتم تنزلون في بيت الضيافة المخصص للقيادة، وهو بيت مكيّف وبقية الناس تنام على الأرض، أو على سرير بال). قال لي حارس المنزل: (شايف هلناس كلهم ينامون في أرض الدار و/ابراهيم منتاي/ وحده فقط، ينام في غرفة مكيّفة، ولا يسمح لأحد أن ينام معه).

قلت له: (الرجل مليان)! وهذا حق /للمليان/؟.

وصلت إلى المعسكر في ساساريب أو بالأخرى /منتجع ساساريب/، وفوراً توجهت إلى مكان القيادة ويسمونه: مكان التنفيذية).

كثيرٌ من القياديين فوجئوا بي، وكأني نزلت على رؤوسهم من السماء، فلم أجد ترحيباً بي، والسبب في ذلك ما كانوا يسمعونه مني من كلمات، وما أقوم به من أفعال. حتى وصل إلى سمعي ما قاله رئيس التنظيم /عمر برج/ حين سأل:

(من الذي أتى بأحمد أبو سعدة للمؤتمر؟).

أجابه أحدهم: (ألا تعلم يا حضرة الرئيس؟).

إن أحمد أبو سعدة مسؤول في شؤون الاعلام وغيره، وسكت /برج/ على مضض مع زملائه.

في منتجع ساساريب، كانت هناك خيام وضمن هذه الخيام، /ناموسيات/ مع أسرَّة مريحة، وهذه /الناموسيات/ الشفافة هي لأعضاء القيادة لتقيهم من الذباب والبرغش. ولما سألت (لمن هذه الخيام

الفخمة؟) وأردت الامعان في المشاكسة. أجابوني: (إنها لأعضاء القيادة).

وأعود إلى مفكرتي لأذكركَم كم عدد الأشخاص الذين ينامون في الخيام:

١ ـ عمر برج.
٢ ـ عثمان أو بكر.
٣ ـ عثمان دندن.
٤ ـ ابراهيم منتاي.
٥ ـ اسبروم.
٦ ـ وضيف المؤتمر. عبد الله باهبري مندوب المملكة العربية السعودية للمؤتمر.

أما بقية أعضاء القيادة من أمثال /صالح أياي/ و /محمد صالح حمد/ و /علي برحتو/، فإنهم كانوا ينامون على الأرض في هذا المنتجع. وكان كل واحد من أصحابنا هؤلاء يقوم على خدمته وحراسته عدد من الجنود، ثم أنشأوا حمّاماً ومطعماً خاصاً لهم. وكل يوم يأتي صهريج محمّل بالماء من مدينة كسلا، ثم تأتي سيارة التموين المخصصة لأعضاء القيادة من كسلا أما البقية فيأكلون ويشربون مثل الجنود.

وعندما سألت أحد المؤتمرين المناضلين (من أين تشرب يا عثمان[1] داير؟) وكان مسؤول الأمن في المعسكر (قال من جهنم!) إذن تحمم من نار جهنم يا عثمان أجابني: (أكثر من جهنم هذه ؟).

(١) يضع حالياً في سجون الجبهة الشعبية. وأخذ تدريبه العسكري في سوريا.

قضيت ليلتي الأولى في مقر القيادة، إلا أن المضايقات كانت واضحة، حيث لا ماء ولا طعام ولا سرير، نمت علىالأرض مع الجنود، والحمد لله هكذا تعلمت وعشت مع جيش الجبهة. وفي الصباح كانت القهوة تأتي إلى الخيام، ثم يأتي الحمّام بعدها، ويعود المناضلون كل إلى جناحه بعد الحمام يأتي الفطور. أما نحن المساكين، فكنا نتدبّر أمرنا، وبعد الظهر أي قبل الغروب يجلس الاخوان على ضفاف نهر /عطبره/ الذي يمر من هذه المنطقة، وتحضر /النراجيل/ ويبدأ الحديث و/الأركلة/ سوياً.

هنا كانت تتخذ القرارات الهامة، اما بقية المؤتمرين فهم بعيدون عن كل هذا، غروب جميل وهواء نظيف، وماء بارد وشاي وقهوة، والأراكيل وأصواتها تعلو أصوات العصافير، وصوت مياه النهر /شوبدك أحلى من هيك/ خاصة وإن المراكز والمناصب مؤمنة.

في أحد الأيام كنت أنا والمرحوم /محمد صالح حمد/ نتغدى سوية، وجاء /عمر جابر/ وجلس معنا. /محمد صالح حمد/ كان حريصاً على ملازمتي طوال فترة وجودي، وجاء الطعام الذي كان فاصولياء بالبندورة وخبز، وأكبر غواص لا يستطيع أن يخرج قطعة لحم، حتى حبات الفاصولياء كانت قليلة، كنا نغمّس الخبز بالمرق ونأكله، وكانت تمر من أمامنا صحون الطعام، إلى الخيام الفاخرة، وكنت أصرخ بأعلى صوتي /الأونو/ أي الأول، ويمر عدد من الجنود يحملون الصواني فأصرخ بأعلى صوت /السكوندو/ أي الثاني، وتتكرر

هذه العملية. كنت أقول /لعمر جابر/ وأقصده: (لماذا لا تأكل معهم وتتركني أنا و /حمد صالح/ سوية؟) وكنت أعرف بأن /عمر جابر/ وقدميه الاثنتين مع الجناح الغني. ثم تأتي الفاكهة وأخيراً القهوة والشاي، ونحن نتطلع بأعيننا ونشّم بأنوفنا هذه الروائح الدسمة. بالله عليكم ألم أشهيكم عملية حضور المؤتمرات والطعام الفاخر؟.

على الطرف الآخر كان بقية المؤتمرين وهم ينتظرون الفرج من هذا المؤتمر /المكرب/. أين أرتريا وجبالها؟، أين السهول والوديان؟. أين جيش الجبهة؟. أين القيادات وأين ... وأين؟! !.

إن المؤتمر الوطني الأول الذي عقد في عام ١٩٧١ وفي عمق أرتريا، كان رمزاً للمساواة والديمقراطية، كان كل مؤتمِر قائداً أو كادراً أو مسؤولاً مثله مثل، الجندي. لم يكن هناك فارق مطلقاً، القائد يغسل ملابسه كما يفعل الجندي، كان كأس الشاي هو الفطور، والغداء، والعشاء مع أشياء قليلة، وكانت المياه المائلة للملوحة، هي شراب القائد والجندي والضيف. أما مؤتمرنا هذا فقد عقد في الأراضي السودانية، وليس هذا انتقاص من الأراضي السودانية، كان من المفروض أن يعقد هذا المؤتمر في الأراضي الأرترية.

قلت لأصدقائي في المؤتمر: /ما هذه المهزلة ما هذا الكرنفال؟ كانت الاجابة واحدة. (عليك بالصبر يا أحمد، لربما نخرج من هذا المؤتمر ونفعل شيئاً).

كنت أرى الكثير من بعض القياديين يقومون بتدليل ومحاباة السيد /عبد الله باهبري/، كنت أشعر وأعلم بأن /السيد باهبري/ هو صاحب الكلمة المسموعة، بل هو صاحب القرار، ومن يقول غير هذا فإنه يكذب على نفسه. الصراع على أشده /فعمر برج/ يريد أن يكون رئيساً وكذلك /عثمان أبو بكر/ و /أبو بكر محمد جمع/ و /علي برحتو/ كلهم كانوا يتوددون إلى السيد /باهبري/ لعل أحدهم يصبح رئيساً، أما السيد /باهبري/ فكان يعلم ويعرف ما في أنفس هؤلاء ويدرك تماماً ما سيفعل؟!!.

في الصباح كنت آتي إلى مكان إقامة القيادة، وأمر من أمام الخيام الفخمة، وأذهب وأستحمّ في حمام الملوك، كنت أستحم لا حباً بالنظافة، إنما نكاية بأصحاب الحمام القيادي، وضاق صدر الزملاء القياديين مني، من هذا الجسم الغريب الذي يستّحم بحمامهم. طلبوا من الحراس منعي من الاستحمام، هؤلاء الحراس هم جنود، ويعرفونني منذ القديم، أو يسمعون بأسمي، فلم ينفذوا أوامر قادتهم، بل كانوا يبتسمون. وفي الصباح كنت أجلس في قصر التنفيذية، مع الأخوة السودانيين الذين يحضرون المؤتمر، وكلهم من الأمن السوداني ويرأسهم مقدم جاء من الخرطوم خصيصاً ليحضر هذا المؤتمر.

كنت أجلس مع الأخوة نشرب القهوة ونتكّت ونضحك، وهذا لايروق لبعض القياديين، وزاد عمق الصلة مع الأخوة السودانيين، فاثنان منهم كان لهما شقيقات يدرسن في دمشق وحلب.

وذات صباح دخل المقاتل /أبو بكر محمد جمع/[1] إلى مقر التنفيذية، وهو بلباس الميدان ويضع على جانبه قنبلتين من نوع /الأنيركا/ وهي طويلة وفي رأسها عصا قصيرة، وبحركة لا شعورية مددت يدي وسحبت قنبلة من خصره وصرخ أبو بكر وقال: (ماذا تفعل؟) وببرود أجبته (والله أتفرج عليها، وإذا سمعت كلامي يا أخ أبو بكر ارم هذه القنبلة على هذه القيادة، وسيسجل لك التاريخ نقطة بيضاء في حياتك الخاصة، وخاصة أنت مناضل قديم). أخذ مني القنبلة غاضباً وهو يتمتم (ما الذي جاء بأبي سعدة إلى هنا؟!) وهنا عمَّ الضحك من قبل الأخوة السودانيين، وضحك المقدم فؤاد وقال: (تفضّل) ودعاني إلى خيمته: (لقد ارتحت منك يا أخ أبو سعدة كثيراً) قلت: (يا أخ فؤاد أرى أنك مرتاح في هذه الخيمة وفطورك فخم، ألا تدعوني لمشاركتك). أجابني: (من أجل هذا دعوتك). كان رجلاً لطيفاً وهادئاً إنه سوداني. قال لي: (كيف سحبت القنبلة من أبو بكر؟).

أجبت: (كيف تسمح له ـ و/أنت مسؤول عن الأمن وهو في أرض سودانية/ بهذه القنابل التي ليس لها أي معنى سوى التفاخر الكاذب). قال لي: (على كل تعال كل يوم، وافطر معنا، حتى نتونس معاً) وسمعت صوت /صالح اياي يصرخ وينادي /يا أبو سعدة/. ودعّت الأخ فؤاد وركضت إليه وأديت له التحية. وقلت: (أنا تحت أمرك يا زعيم). قال لي: (اركب السيارة نريد أن نذهب إلى جلسة المؤتمر). قلت له: (اتركني وبلا مسخرة). قال: (اركب يا أحمد بالله عليك).

---

(١) عينته الجبهة الشعبية محافظاً ثم طردته ويهيم الآن على وجهه.

وركبنا معاً وما أجملها من مصادفة. ركب السيد عبد الله باهبري و /عمر برج/ في المقدمة وركبت أنا و /صالح اياي/ و /عمر جابر/ في الوسط. وركب /إدريس كلا يدوس/ و /محمد صالح حمد/ و /ابراهيم منتاي/ في الخلف. قلت لصالح: (والله السيارة جديدة وجميلة). قال لي: (اشكر الأستاذ عبد الله باهيري على هذا) قلت لصالح: (لولا وجود الاستاذ باهيري في المقدمة، كان عليك أن تجلس بجانب الرئيس، فلقد سمعت في كواليس المؤتمر بأنه ربما تصبح رئيساً، فأجابني بأعلى صوته: إنها سيارة الرئيس، ولا يريد أن يجلسني بجانبه، حتى لا تلمس رجلي رجله، فتنتقل العدوى إليَّ فأصبح رئيساً. وضحكنا كلنا باستثناء /عمر برج/ الذي قطّب حاجبيه. قلت له: (يا أبو اياي لو رجلك لمست رجله تصير مسؤولاً فماذا لو لمست.... فما الذي يحصل؟ عندها ستصبح رئيس وزارة، وازداد الضحك. وأدار عمر برج وجهه إليّ وقال: (أنتم قليلو الأدب). وعم الضحك أيضاً قلت: (ياشيخ عمر أريد أن أهنئك مسبقاً، وأقول لك مبروك على الرئاسة سلفاً). قال لي بحدة: (كيف عرفت ولم ينته المؤتمر؟). قلت له: (إن رجلك تلامس رجل عبد الله باهبري) وزاد الضحك وساد الهرج والمرج وهنا صرخ /عمر برج/ قائلاً للسائق: (قف فأنا لن أركب مع أبي سعدة واياي قليلي الأدب، فما كان من السيد عبد الله باهبري إلا أن قال: (كلنا نضحك يا أخ عمر). جاءتني النكتة وقلت: (دير ضهرك لضهر الأستاذ باهيري حتى تثبت الرئاسة).

وشتمني عمر برج وقال: (والله لن أركب معك ومع صالح اياي بعد الآن).

بعد الانتهاء من الجلسة حيث كان الكلام والمسرحية بدأت، وبدأ الممثلون عفواً، سكان منتجع ساساريب بالظهور وإلقاء التهكمات. بعد الظهر أخبرت أصدقائي وقلت لهم: (هذا هو اليوم الخامس، ويكفيني هذا ولن أبقى دقيقة وسط هذا الكرنفال والتهريج والسلام عليكم). وهذا ما تم وإلى كسلا غادرت /المنتجع/، ثم غادر معي المقدم فؤاد وأصبحت برفقة المسؤول الأمني وسألته: (ما رأيك فيما يحدث؟) أجابني: (أنت حاضر وأنا أيضاً، وأنت تعرف أكثر مني وما شاء الله، كلهم أصحابك وأصدقاؤك هل سيستمر هذا التنظيم؟!). أجبته: (القيادة التي ستخرج من هذا المؤتمر هي التي ستحّدد على ضوئها استمرار هذا التنظيم أم لا).

وفي كسلا ذهبت إلى بيت الضيافة، لحين انتهاء المقدم فؤاد، من بعض أعماله، وذهبت خلسة من بيت الضيافة إلى بيت /المناضل محمود[1] حسب/، وأمام منزله قلت له:

(اسمع يا محمود! هناك كلامٌ كثيرٌ يُقال، وأن الجبهة الشعبية ترصدك، فأرجو أن تنتبه لنفسك، فالحياة لا تُوهب مرتين...

وابتسم وقال بهدوئه المعتاد:

(إن شاء الله يا أحمد: ألا تريد زيارتنا في ارتريا ونعيد الأيام الجميلة معاً).

---

(١) أخذ تدريبه العسكري في سوريا.

قلت له: (يا محمود أنت تعرف شعوري ومحبتي لكن هل يوجد لديكم مقاتلون وأرض تعيشون عليها).

قال تعال وشاهد بنفسك. إننا نحبك ونتذكرك كثيراً لكن يبدو الأخ صالح قد أحببته أكثر منا بكثير وضحك.

(محمود حسب حيث كان مع جبهة /عبد الله ادريس/) على كل حال يا محمود الأيام بيننا وأرجو أن نلتقي قريباً فهذا يحتاج إلى تحضير وترتيب ودعته ولم أعرف أننا لن نلتقي أبداً. بعد أسابيع قليلة انطلقت رصاصات الغدر والخيانة لتستقر في جسده وإلى الأبد. لقد حجبوا النور عن عيني محمود، وأغلقوا عينيه إلى الأبد. لكن النور عرف طريقه بل شقه ونالت ارتريا استقلالها.

كانت هذه الرصاصات، هي رصاصات الجبهة الشعبية، حيث قتل أمام منزله وهو يهم بالدخول. أما مؤتمرنا مؤتمر ساساريب والذي انعقد ما بين ١٨ ــ ١٩٨٩/٧/٢٨ فقد انتخب قيادة جديدة ممثلة باللجنة التنفيذية، والمجلس الوطني وهي على الشكل التالي:

١ ـ /عمر محمد البرج/ رئيساً للجنة التنفيذية.

٢ ـ صالح أحمد اياي/ نائباً للرئيس ومسؤولاً عن الشؤون السياسية والتنظيمية.

٣ ـ /أبو بكر محمد جمع/ رئيساً للمكتب العسكري.

٤ ـ /محمد عثمان أبو بكر/ رئيساً لمكتب العلاقات الخارجية.

٥ ـ /حسن محمد عثمان كنتباي/ رئيساً لمكتب المالية والاقتصاد.

٦ ـ /نوري محمد عبد الله/ رئيساً لمكتب الأمن.

٧ ـ /محمد شيخ عبد الجليل/ رئيساً لمكتب الاعلام والتوجيه المعنوي.

٨ ـ /ابراهيم محمد ابراهيم/ رئيساً لمكتب السكرتارية.

٩ ـ /حقوس برهاني/ رئيساً لمكتب الشؤون الاجتماعية والتعليم.

وقد انتخب قبل انتخاب رئيساً التنفيذية رئيساً للمجلس الوطني وهو /علي برحتو/ ونائب رئيس المجلس /محمد صالح حمد/.

هذا ما جاء به المؤتمرون أو فرض على المؤتمرين. كل هذه /التوليفة/ لم تكن صحيحة. فخمسة من اللجنة التنفيذية كانوا يريدون الرئاسة لهم وهؤلاء هم:

١ ـ صالح اياي.

٢ ـ أبو بكر محمد جمع.

٣ ـ عثمان أبو بكر.

٤ ـ عمر البرج.

٥ ـ علي برحتو.

هذا التنظيم منذ البداية كان يعاني سكرات الموت، إلا أن نزاعه استمر طويلاً. وزادت الصراعات وذهبت الوفود إلى هنا وهناك، والجبهة الشعبية تكبر وتتقوى، وتفرض هيمنتها على الساحة كلها، والتنظيمات الصغرى تتآكل والاغتيالات تتصاعد، وكلٌ يغني على ليلاه.



تصفية الجنود

في /٢٩ ـ ١٩٨٩/٨/٣٠/ قامت الجبهةالشعبية بمحاولة تصفية الجنود التابعين للتنظيم الموحّد، وبقية الفصائل الأخرى، ثم أعقبها الحوار بين الاثيوبيين والجبهة الشعبية في مدينة /أطلنتا/ في الولايات المتحدة، وكان هذا الحوار برعاية الأمريكيين، إذن لا بد من تصفية كافة التنظيمات، حتى تجلس الجبهة الشعبية، على الطاولة منفردة، وتتربع على الكرسي، وتتفاهم مع الأثيوبيين بالرعاية الأمريكية.

كان من أبرز القادة الذين تمّت تصفيتهم /محمود حسب/ بتاريخ ١٩٨٩/٩/٣ ثم أعقبته محاولة قتل /عبد الله ادريس/، في الخرطوم فنجا بأعجوبة.

ناود وتنظيمه

ثم عاد الأخ /محمد سعيد ناود/ مع تنظيمه الصغير، وطلب انضمامه إلى التنظيم الموحّد بعد أن انفصل عن /أحمد جاسر/.

وتنظيم قوات التحرير الشعبية الذي كان يرأسه /أحمد جاسر/، ويعاونه /محمد سعيد ناود/ فقد انفصل عن قوات التحرير، عند قيام التنظيم الموحّد، وتم اجراء اتفاق للدمج بينهما.

وصدر بيان بذلك وكان هذا بتاريخ ١٩٨٩/٩/١٦ /ومحمد سعيد ناود/ لم يكن له خيار في ذلك. وهو رجل مثقف ثقافة عالية وله تاريخ حافل وقد ولد في عام /١٩٢٦/ ودرس في بورسودان.

وهو اليوم، يعمل تحت ظل، حكومة الجبهة الشعبية التي، عيّنته محافظاً، ثم ترك الوظيفة أم تُرِك؟ أما رفاقه في التنظيم فلم تعيّن الجبهة الشعبية أي واحد منهم، فخياره في الذهاب إلى التنظيم الموحّد كان مجبراً عليه، حيث لم تكن له أية موارد، ليستطيع الاستمرار. من هنا كان اندماجه في التنظيم الموحّد.

بعد هذه الوقائع هل نستطيع أن نستنتج إلى أين كانت تتجه الساحة الأرترية؟ فنظرة سريعة إلى الأحداث السابقة نستنتج أن ما وصلت إليه هذه الساحة كانت في النتيجة مايلي:

١ ـ قدّم الاتحاد السوفيتي، دعماً مادياً وعسكرياً يقدر بـ /١٧/ مليار دولار، لنظام الحكم في أثيوبيا، وقد شاركت المنظومة الاشتراكية بما فيها /كوبا/ والأحزاب الشيوعية في العالم، ومعظم الأحزاب الشيوعية العربية، في دعم اثيوبيا.

وهذا ليس بجديد في العلاقة الاثيوبية الاسرائيلية فسابقاً كانت الأسرة السليمانية (ومقصود بها عائلة هيلاسيلاسي) عائلة كانت تتحكم بتفويض إلهي، كما يدّعون، أما كيف جاء هذا التفويض فلنسأل أصحابه، أو كما كان يدعّي هيلاسيلاسي بأنه حفيد النبي /سليمان الحكيم/ الذي كان نبياً وملكاً. إن أسطورة ملكة /سبأ/ لم تكتب في التاريخ إلا لوقت قريب.

٢ ـ في نهاية عام /١٩٨٨/ بدأت الأمور تتفاقم في اثيوبيا.

٣ ـ دخول الامريكيين ـ والذين لم يتخلوا عن اثيوبيا /هيلاسيلاسي/ وأثيوبيا،/ منغستو/ إنهم عملوا مع الظروف المتباينة ودعموا في عهد

/منغستو/، الاتحاد الديمقراطي الاثيوبي، وهذا الاتحاد هو من قومية الأمهرة ومن أنصار /هيلاسيلاسي/. إن الأمريكيين دعموهم مادياً وعسكرياً.

٤ ـ إن منغستو كان يمثل نظاماً اشتراكياً، وللمزاودة في هذا ظهرت أحزاب اارية وشيوعية في اثيوبيا ممثّلة بالحزب الثوري.

٥ ـ هيمنه وظهور، الجبهة الشعبية لتحرير تجراي، وجبهة تحرير العفر، وجبهة تحرير الاورومو.

٦ ـ تم تحالف طائفي غير معلن، بين الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا، والجبهة الشعبية لتحرير تجراي (تجراي تجرينيا) أي المتحدثين بالتجرينية في اثيوبيا وفي المرتفعات الأرترية.

٧ ـ بدأ الوعي الأمريكي يفتح عينيه شيئاً فشيئاً. وهذا ممّثل بكلمة الرئيس الأمريكي /كارتر/، حيث ألقى خطاباً في نيجيريا، وفي مدينة لاغوس، أبدى فيه تخوفاً من الاستعدادات التي، تتخذها حالياً حيث قال أن قوات أجنبية تستعد للقيام بعملية عسكرية في أرتريا، مما سيؤدي إلى اراقة مزيد من الدماء.

كان هذا عام /١٩٧٨/ فهذا الحرص المبكر الذي اتسمت به السياسة الامريكية، والمتمثلة في مخاوف الرئيس /كارتر/ من اراقة المزيد من الدماء في أرتريا؟.

في حينها قال رئيس المجلس الثوري أحمد ناصر في تصريح له حول خطاب /كارتر/ إذا عدنا قليلاً إلى الوراء نثبت للعالم أن أرتريا المناضلة وقعت ضحية مؤامرة امبريالية خبيثة دشنتها امريكا في عام /١٩٥٠/ بربط مصير ارتريا بأثيوبيا، مقابل الحصول على قواعد عسكرية

حيوية، وامتيازات أخرى في هذه البقعة الاستراتيجية من العالم، وإن الضم القسري النهائي يمر دون وقفة عالمية حاسمة.

عندما ضمت اثيوبيا ارتريا قسراً، لم يتحرك أحد، بل وقفت أمريكا وساندت هذا الضم إلى أن أصبحت ارتريا، في وقت من الأوقات جزءاً من اثيوبيا. في ارتريا أقيمت أكبر قاعدة اتصالات في المنطقة وتعرف باسم كانيوستيشن.

فمتى وقفت الامبريالية العالمية والامريكان يساعدون الحق؟ /كارتر/ خائف على ارتريا وثورتها، فيما تقوم القطع البحرية الامريكية الغربية واسرائيل باستعراضاتها البحرية واسعة النطاق على سواحل البحر الأحمر.

٨ ـ انهيار جبهة التحرير الأرترية ذات الخط الوطني وبروز تنظيمات صغيرة على الساحة الأرترية، وهذا أهم حدث.

وللدلالة على هذا الترابط، هو التواطؤ الذي تم أيام ترحيل /الفلاشا/. ثم تواطؤ الضباط الاثيوبيين، والذين أعدمهم /منغستو/ بعد معركة /أفعبت/[1]، فتسليم الضباط والخبراء السوفيت من قبل بعض الضباط الأثيوبيين الكبار، كان إيعازاً من المخابرات الأمريكية. وفي ١٩٨٩/٣/٢ نشرت جريدة الاتحاد الصادرة في أبو ظبي صورة للقاء /جعفر النميري/ مع /شارون/ حول قضية الفلاشا وكانت لأطراف قيادية أرترية معروفة، علاقة هامة وأساسية في قضية الفلاشا.

---

(١) ثاني مدن الساحل.

كان هناك مناضل أرتري واسمه /هيلا كرزه/[1] وهذا الشاب مطّلع على نشاط الجبهة الشعبية في شتى الاتجاهات، وكان هذا الشاب صديقاً لي، وقد التقيت به ارتريا ثم في الخرطوم.

قال لي: (إنني أعرف شيئاً عن موضوع ترحيل الفلاشا، واليوم لديّ عمل قريب من الخرطوم، وسأوافيك بعد أيام. وكان /هيلا كرزه/ يعمل في الهلال والصليب الأحمر الأرتري وهذا آخر عمل شغله وسافر. أو هذا ما اعتقده ـ ولم يعد. انتظرته كثيراً إلى أن أصابني الملل. ثم سمعت فيما بعد أن الجبهة الشعبية قد قتلت هذا الشاب في منزله، ولم يعلم أحد أين يسكن هذا الشاب، سوى فتاة أرترية تعمل عنده، أي تقوم على ترتيب أمور بيته، وجد مقتولاً في بيته واختفت الفتاة.

بعدها أرسل الأخ /جابر سعد/[2] مندوب ج ـ ت ـ أ في أمريكا مذكرة إلى قيادة التنظيم يشرح الاستنتاجات واللقاءات التي تمت بينه وبين جهات عدة في أمريكا، وهذا نص الرسالة التي حصلت عليها بشق الأنفس، ورحلة الاستاذ /جابر سعد/ مندوب التنظيم الموحّد امتدت حوالي الشهرين، تمت فيها عدة لقاءات في أمريكا، والتاريخ هو ٦/٥/١٧/٧/ ١٩٨٢/ يقول في مذكرته ما يلي: (هناك رأيان حول أرتريا في الولايات المتحدة، الأول: يتمثل في وزارة الداخلية والرأي الثاني: المخابرات المركزية. فوزارة الداخلية ترى أنه يجب الحرص

---

(١) أخذ تدريبه في سوريا.

(٢) توفي قبل مدة.

على وحدة منظمة الوحدة الإفريقية، فهي ضد أي عمل يؤدي إلى تقسيم أي دولة عضو في المنظمة، أما رأي المخابرات المركزية فهي ترى (منعاً للتغلغل الشيوعي) في المنطقة، أن تقوم بتقديم المعونة المادية (العسكرية المبطّنة) إلى إحدى التنظيمات الأرترية، وهي معروفة لديكم (الجبهة الشعبية)، ثم تحّث بعض الدول العربية النفطية والسودان، على تقديم مساعدات للجبهة الشعبية، ثم هناك جماعات ضاغطة من يهود أمريكا، وهذه الجماعات نشطة جداً، وإن البعض منها مرتبط بالسفارة الأثيوبية، وبعض الأرتريين المعروفين بانتمائهم للجبهة الشعبية، ثم إن اليهود يسعون إلى توجه وفد يهودي للاطلاع على أوضاع اليهود في أثيوبيا (الفلاشا)، ويحتمل أن يصل الوفد في شهر أكتوبر /١٩٨٣/ باسم مجلس النواب الأمريكي.

الدوائر الأمريكية تتحسّس من عروبة أرتريا، لذلك لابد من ربط هذا الانتماء، بما يسمى بالانتماء للجغرافيا السياسية، ويجب أن تكتب لغة غير العربية، وخاصة المرسلة إليهم، ولابد من توضيح وتكرار الأسباب التي جعلت اللغة العربية لغة رسمية في جبهة التحرير. ثم إن التركيز على الجبهة الشعبية، في وسائل الاعلام الأمريكية المختلفة، سببه الرابط الديني والتوجه للجبهة الشعبية، وأما طروحات الجبهة الشعبية فهي التي تؤثّر بهم، ومن هنا يأتي الدعم للجبهة الشعبية.

ثم يقول الأستاذ جابر سعد/ في نهاية تقريره (التقيت في لندن مع اللواء /أياسيسو منقشا/ وكان يشغل منصب سفير أثيوبيا، في لندن سابقاً، وهو من قادة رابطة تحرير أثيوبيا، ولقد فهمت منه أن

تنظيمه، منقسم أو انقسم على نفسه، وهو على استعداد للتعامل مع الجبهة لا مع الجبهة الشعبية، بحجة أن الجبهة الشعبية اتفقت مع القسم الآخر من تنظيمه، واقترح أن يكون اللقاء سرّياً، وقال إنه يعرف المناضل /فسهيت كداني/، واقترح بأن تشكّل لجنة للتعامل مع بعضنا، وسوف تكون لهذه نتائج تنعكس على الساحة الأرترية، من نشاطات سياسية وعسكرية) وبهذا انتهى نص المذكرة التي كتبها الأستاذ جابر سعد.

إن الوحدة التي تتشدّق بها كل قيادات التنظيم، والتي هي حلم لكل أرتري، فهي الكلمة السحرية التي تنضوي تحتها الجماهير الأريترية، إلا أن القسم الكبير من هذه القيادات غير صادق وتستخدم الجماهير من أجل تحقيق أغراضها، فكثير من القياديين لا يملكون زمام أمرهم ليقرّروا ما تمليه عليه شعوبهم وقضاياهم، والحقيقة أن لقيادة الجبهة الشعبية الدور الكبير في بعثرة التنظيمات الأخرى وخاصة بعد أن دَمّرت..... الجبهة الأم. فالجبهة الشعبية كانت تخشى وحدة هذه التنظيمات الصغيرة، وتعمل بوسائل مختلفة لضرب أي توجه وحدوي وطني، حتى تبقى مسيّطرة على الساحة، وفي كل مرة توصف هذه المنظمات بالرجعية العربية تارة، وبالشيوعية تارة أخرى. في عام /١٩٧٧/ تم اتفاق بين الجبهة الأم والجبهة الشعبية، وأقيم بهذه المناسبة مهرجان. وقال لي بعدها الأخ /عثمان سبى/ وبالحرف الواحد: (إن المسؤولين الأمريكيين في السفارة الأمريكية في الخرطوم، كانوا منزعجين من هذه الاتفاقية، وقد أرسلوا أحد موظفيهم

ليخبر اسياس بهذا الانزعاج من هذه الاتفاقية، وفي اليوم التالي ذهب /اسياس أفورقي/ إلى حي العمارات في الخرطوم وقابل أحد أصدقائه السودانيين، وقال له بالحرف الواحد: (لن... لن أتوّحد، وكل ما فعلته أنني سايرت الكثيرين، ومن بينهم الحكومة السودانية، وكان مع هذا السوداني رجل مسؤول من إحدى الدول العربية، وكان السوداني يقيم له حفلة لها رنينها وأنغامها، وأعقّب على كلام الأخ /عثمان/ بعد سنوات طويلة من هذه الحادثة: (أن زيارة أسياس للشخصية السودانية وزيارة المسؤول العربي كان لهما صلات بالمسألة الأرترية ثم تأتي النتائج متلاحقة ومتباعدة في وقت واحد، ما الذي حدث بعد وقت شبه طويل؟

اتجه السيد /اسياس أفورقي/ من منزل السفير الأمريكي في الخرطوم وبسيارة السفير دائماً وعليها يرفرف العلم الأمريكي، ودخل إلى مقصورة الرئيس الأمريكي السابق كارتر حيث كانت طائرته الخاصة قابعة في مطار الخرطوم. جرى حديث مطوّل بين كارتر وأفورقي وبين الطرفين، وما هذا إلا وصلة أضيفت إلى وصلات العلاقة الأمريكية بالجبهة الشعبية، أما لماذا سكتت الحكومة السودانية في حينها؟ فمبرّراته عند الحكومة السودانية.

وبعد وقت قصير، بدأت اللقاءات العلنية والسرية بين الأثيوبيين والأرتريين بالرعاية الأميركية، أما لماذا اختارت الولايات المتحدة الجبهة الشعبية؟ فأنا أعتقد أن ما دونته سابقاً، دليلاً كافياً ووافياً، على مدى الارتباط المبكّر بالأمريكيين؟

تم الحوار بين أثيوبيا وأرتريا في اطلنطا، ثم اقترح الأمريكان أن يكون اللقاء الثاني، في /نيروبي/ عاصمة /كينيا/، ثم فرضوا شخصيات بعيدة عن الثورة وعن الدول العربية، مثل رئيس كينيا /دانييل أرب موى/ ليكون له دور مميّز في إجراء الحوار.

إن قيادة الجبهة الشعبية ترفض الثقافة العربية مفهوماً ولغة، والمتنفذون في قيادة الجبهة الشعبية، لهم تجاوزاتهم التي، فاقت كل المفاهيم العربية الاسلامية، حيث فرضوا على المسلمة أن تتزوج وتُنكح من مسيحي، كان هذا تحت اسم /الثورية/ ثم اقاموا أماكن لقضاء المتعة واللهو، حيث يلتقي الشبان الفتيات دون أي عرف أخلاقي، سماوي أو بشري، وكانوا يأتون إلى القرى يأخذون الفتيات والفتيان تحت اسم الثورة والثوريين. كان التنسيق سرياً بين القيادة العليا وإن لم يكن كلها، إنما المتنفذون هم أصحاب القرار، وبين المخابرات الأمريكية بإبعاد الأرتريين عن جذورهم، وطمس التعاون العربي الأرتري، وكان هذا من أهم توجيهات أصحاب النفوذ في قيادة الجبهة الشعبية، واعتبار الدور العربي سلبياً، وأنه كان يفرض الانشقاق في الساحة الأرترية! كلام باطل وليس له أي أصل! إن السيد أسياس أفورقي، ووزير داخليته قد أعلنا، أكثر من مرة /إن الدول العربية لم تقدّم شيئاً يمكن أن يذكر للشعب الأرتري، ومقولته الدائمة هي: (إننا سنواجه العرب حتى ولو تعاملنا مع الشيطان)/!!.

- بدأت المنظمات التي تُسمى منظمات إنسانية ـ ومجلس الكنائس العالمي الذي، احتضن الجبهة الشعبية لتحرير أرتريا، ثم جبهة تحرير تجراي، وركّز الألمان الغربيون مساعداتهم في جبهة تحرير تجراي وقدموا لهاتين الجبهتين الدعم الكبير من المال وغيره.

- إن قيادة الجبهة الشعبية ـ ولنكن منصفين أكثر ـ بعضهم كان له ارتباط مع المخابرات الأمريكية، إلا أن العلاقة القديمة ظلّت متوارية عن الأنظار، إلى أن جاء الوقت لاعطائها روحاً ولباساً جديداً والتي تمثّلت بالمنظمات التي ذكرته.

- في عام /١٩٨١/ بدأت الولايات المتحدة بتوضيح العلاقة القديمة، بتقديم المساعدات السخية للجبهة الشعبية التي، كانت تأتي في أوقاتها، وأصبح المال متيسراً جداً، من أجل شراء الأسلحة، من هنا وهناك، فكثيراً ما كنت ترى في مرفأ بور سودان الآليات الضخمة والصناديق ممهورة باسم الولايات المتحدة الأمريكية.

في الحالات العادية قد تكون هذه طبيعية، فكل الدول تحتاج إلى الآليات الكبيرة والأدوية والملابس وأشياء أخرى، أما أن تكون هذه المعدات لتنظيم الجبهة الشعبية، فهذا يطرح سؤالاً يحتاج إلى تفسير /من أين المال لشراء هذه الأشياء؟ وخاصةً أن السيد اسياس أفورقي قد صرّح في أكثر من مناسبة أن الدول العربية لم تقدم ميليماً واحداً للثورة الأرترية؟ فمن يدفع ثمن هذه الأشياء؟ كل هذه كانت تصل إلى الجبهة الشعبية حتى أجرة شحنها وتفريغها، كان مدفوعاً.

في /١٩٨٩/١٩٩٠ تلقّت الجبهة الشعبية دعماً مادياً بلغ /١٢٣/ مليون دولار فقط! إذن المال والتسهيلات للجبهة الشعبية كان عملاً استراتيجياً للغرب متمثلاً بمجلس الكنائس، والمنظمات التي ترفع شعار الإنسانية، ثم دخول الرئيس الأسبق كارتر على الخط. ومن المعروف بأن كبار الضباط في الجيش الأثيوبي كان لهم ارتباط بالمخابرات الأمريكية، وقد أوعزت هذه الأجهزة إلى كبار الضباط بالتفاهم، مع الجبهة الشعبية. وفعلاً تم هذا، والزمن هو الذي برهن على هذا الارتباط المتكامل. إن المقاتل الأرتري هو الذي أعطى دمه من أجل تحرير ترابه.





الفصل الخامس

أرتريا تحررت بمال
وسلاح عربي
وبدماء ارترية



التنكر للمساعدات العربية

في صباح أحد الأيـام أخـبرني السـيد ع... م... هاتفيـاً، وكـان يرغي ويزبد ويكيل الشتائم لأسياس والجبهة الشعبية، وقال لي: (لقـد حصلت على المجلة التي يقول فيها أسياس (إنه في المسـتقبل سـيكون مع اسرائيل) وسلّمني فيما بعد قصاصة هذه المجلة.

وفعلاً كـانت أقـوال السـيد أسـياس مقرونـة بـالفعل. إن السـيد أسياس كان صادقـاً في تصرفاتـه، لأنـه لم يخـرج عـن مفهومـه، وهـو معاداته للعرب ونكران دورهم المتمثل في الدعم الكبـير والهـائل لقضيـة الشعب الأرتري.

وأنا أقدّم هنا بعض الوثائق التي تثبت العلاقـة الأخويـة الـتي تعاملت بها الدول العربية مع الأرتريين شعباً وقيادات، ومن المعروف أن سورية والعراق هما الدولتان اللتان تـزودان أرتريـا بالسـلاح، وأن أول دولة أعطت السلاح لأرتريا هي سورية، ثم العراق. وتتالى الدعـم العربي متمثلاً بالسودان والسعودية والكويت ودول الامـارات العربيـة المتحدة واليمنيـين سـابقاً ودول المغـرب العربـي ثـم منظمـة التحريـر الفلسطينية. فهذه الوثائق هي رمز للعلاقة التي ربطت الأمـة العربيـة بالشعب الأرتري. وليعذرني الأخوة القراء والجهات الحكوميـة إذا لم أنشر وثائق لها، والسبب عدم تمكني مـن الحصـول عليهـا لأسـباب خارجة عن إرادتي.

والوثائق هذه عبارة عن واحدة من مئات الوثائق وأعطيتها أرقاماً. فالوثيقة رقم /٢٤/ والتي زودّني بها أحد الأرتريين عندما علم بأني أعد كتاباً عن أرتريا، تقول هذه الوثيقة وهي عبارة عن وصل: استلم الأرتريون سلاحاً من سورية بموجبه تحت رقم /٦/٢١٧ تاريخ ١٩٧٦/٧/٢ وصل استلام.

١ ـ رشاش ثنائي عيار ١٤,٥ مم ثقيل كامل عدد /١٢/.

٢ ـ مدفع عيار /٣٧/ مم م\كامل عدد /١٢/.

٣ ـ صفيحة تلقيم الطلقات عدد /١١٩/.

٤ ـ آلية إطلاق كوابر كاملة /١٠/.

٥ ـ صاروخ طراز /ES/ موجه كامل عدد /١٠٠/.

٦ ـ صاروخ موجه طراز /K3A/ عدد /١٠٠/.

٧ ـ صاروخ /٥٢/ مم /S5K/ عدد /٦٠٨/.

٨ ـ مفجر لا سلكي /RV2(04)S/ عدد /١٠٠/.

٩ ـ مدخرة كهربائية /F - 949/ عدد /١٠٠/.

١٠ ـ طلقة /٢٣/ مم متفجرة خارقة عدد /١٠٠٣٢/.

١١ ـ طلقة عيار /٢٣/ مم ثاقبة محرقة عدد /١٠٠٣٢/.

١٢ ـ قنبلة طائرة متفجرة زنة /١٠٠/ كيلو عدد /١٠٠/.

١٣ ـ قنبلة طائرة متفجرة زنة /٢٥٠/ كيلو عدد /١٠٠/.

١٤ ـ صمامة عدد /٣١٢/.

١٥ ـ طلقة عيار /١٤,٥/ ثاقبة محرقة عدد /٨٠٠٠٠/.

١٦ ـ طلقة عيار /١٤,٥/ ثاقبة محرقة خطاطة عدد /٤٠٠٠٠/.

١٧ ـ طلقة عيار /٣٧/ مم /م.ط/ ثاقبة خطاطة عدد /٣٦٠٠٠/.

١٨ ـ صاروخ ٩/ ٣٢ مم /كوبرا/ عد /٣٠/.

١٩ ـ طلقة عيار /٣٧/ مم متفجرة عدد /٢٠٤٠٠/.

فقط تسعة عشر قلماً لا غير تابع للوثيقة /٢٤/.

١ ـ مدفع عيار /٣٧/ مم ضد الطائرات كامل عدد /٤/.

٢ ـ قاذف عيار /٤٠/ R.B.G أر بي ج /٢/ عدد (١٥/.

٣ ـ رشاش خفيف عيار /٧,٦٢/ مم صيني كامل عدد /١٠/.

٤ ـ بندقية عيار /٧,٦٢/ مم ألمانية بلا حربة عدد /١٠٠٠/.

٥ ـ طلقة /٥٧×٧,٩٢/ عادية طويلة /٢٥٠٠٠٠/.

٦ ـ طلقة /٧,٦٢/ مم × ٣٩ عادية /٥٢٠٠٠/.

٧ ـ قذيفة آر بي ج حشوة جوفاء، عدد /٢٤٠/.

٨ ـ قذيفة /آر ـ ب ـ ج/ ٧ حشوة جوفاء عدد /٥٠٠/.

٩ ـ قنبلة /ب ـ ١٠/ متفجرة عدد /٥٠/.

١٠ ـ قنبلة /ب ـ ١٠/ عدد /٥٠/.

١١ ـ رمانة يدوية هجومية /١٠٠٠/.

١٢ ـ طلقة /٣٧/ مم م.ط متفجرة خطاطة /٢٠٤٠/.

١٣ ـ طلقة عيار /٣٧/ مم م.ط ثاقبة خطاطة (ملاحظة تم ترحيل هذه المواد بحضور الرفيق .... مندوب القيادة القومية على الباخرة /عبوده/.

وهذه وثيقة تحمل رقم /٣٣/ مرسلة من العراق ضمن أربع رحلات جوية ١٩٧٧/٥/١٥ وهي كالتالي:

١ ـ مدفع هاون عيار /١٢٠/ مم كامل عد /٤/.

٢ ـ مدفع هاون عيار /٨٢/ مم كامل عدد /٦/.

٣ ـ مدفع عيار (٣٧) مم م.ط عدد /٦/.

٤ ـ قاذف (ب ١٠) عديم التراجع عدد /١٠/.

٥ ـ قاذف آر ب ج /٧/ كامل عدد /١٠/.

٦ ـ رشاش ثقيل عيار /١٢,٧/ مم عدد /١٠٠/.

٧ ـ رمانة يدوية دفاعية عدد /٥٠٠/.

٨ ـ رمانة يدوية هجومية /٥٠٠/.

٩ ـ طلقية عيار /٧,٦٢/ × ٣٩ عادية /٤٥٠٠٠٠/.

١٠ ـ قذيفة آر ب ج /٧/ حشوة جوفاء عدد /١٥٠/.

١١ ـ قنبلة ب ١٠ حشوة جوفاء /٧٥/.

١٢ ـ قنبلة ب ١٠ متفجرة عدد /٧٥/.

١٣ ـ قنبلة هاون /١٢٠/ مم متفجرة /٩٦٠/.

١٤ ـ قنبلة هاون /١٢٠/ مم مضيئة /١٠٨/.

١٥ ـ قنبلة هاون /١٢٠/ مم دخانية /٧٢/.

١٦ ـ قنبلة هاون /١٢/ مم مضيئة /١٨٠/.

١٧ ـ قنبلة هاون /٨٢/ مم متفجرة /١٨٠٠/.

١٨ ـ طلقة عيار /١٢,٧/ ثاقبة محرقة عدد /٢٤٠٠٠/.

١٩ ـ طلقة عيار /١٢,٧/ ثاقبة محرقة خطاطة /١٢٠٠٠/.

٢٠ ـ طلقة عيار /٣٧/ مم متفجرة خطاطة عدد /٣٠٦٠/.

٢١ ـ طلقة عيار /٧/ مم م.ط ثاقبة خطاطة عدد /٥٤٠/.

صورة للمكتب العسكري. تابع للوثيقة /٢٥/.

١ ـ قذيفة هاون /١٢/ مم متفجـرة عـد الصنـاديق /١٦٢/ صنـدوق كـل منها يحوي /١٠/ يكون المجموع /١٦٢٠/ قذيفة.

٢ ـ قذيفة هاون /٨٢/ مم متفجرة عدد /١٦٢/كل صندوق يحوي /١٠/.

٣ ـ قذيفة هاون عيار /١٢٠/ مم متفجرة /٨١/ صنـدوق كـل منهـا فيـه قذيفتان المجموع /١٦٢/ قذيفة.

٤ ـ طلقة عيار /٣٧/ مم م.ط عدد الصناديق /١٤٥/ كل صندوق يحـوي /٢٠/ المجموع /٢٧٢٠/.

٥ ـ طلقة عيار /١٢,٧/ عد الصنـاديق /١٧/ سـعة كـل صنـدوق /١٦٠/ المجموع /٢٧٢٠/.

٦ ـ شحنات لقذيفة الهاون عد الصناديق /٣/ يساوي /٣/.

٧ ـ صمامات لقذيفة الهاون /٢/ = /٢/.

صورة للمكتب العسكري بتاريخ ١٩٧٧/٥/١٥.

الأخوة جبهة التحرير الأرترية تحية الثورة وبعـد: مـدرج فيما يلي كشف بالأسـلحة والذخـائر المرسـلة إلىالأخـوان جبهـة التحريـر الأرترية وبواسطة المندوب الأخ سالم وهي كالتالي:

الأسلحة	الكمية
كلاشن خشبي	٤٤
رشاش سيمانوف	١٠
بندقية إنكليزية ٣٠٩	٢٩
بندقية جكم	٢٧
بندقية ماوزر ألمامي	١٥
رشاش دمترلوف	٥
رشاش براون أمريكي	٥
رشاش هيرستال	١
بندقية إم (١)	٤٠
بندقية ناتو	٢٥
مدفع /١٨/ مم	١
مخزن كلاشن	١٦٠
مخزن شمايزر	٢٠
مخزن ديمتروف	١٥
مخزن بروانتغ أمريكي	١٥

مخزن مرستل	٦
مخزن طوسون ١٢ مم	١٢
مخزن ناتو	٥٠
قذائف ب ، ن	٥٠
ف ان ف بالكيلو	٥٠٠
قنابل يدوية	١٥٠
عتاد ناتو	٥٠٠٠٠
عتاد كلاشن	٨٥٤٠٠
قذائف ٨١ مم	١٠٠
عتاد بارفاس	١٠٠٠٠
عتاد انكليزي ٣٠٣	٣٩٣٠٠٠
عتاد طوسون	٢٠٠٠
عتاد براوننغ أمريكي	٤٥٠٠

تاريخ /١٩٧٧/٢/٢٤.

مسؤول جهاز تسليح ابراهيم غالب

ثورة حتى النصر

ومن دمشق خرجت هذه البرقية وتحمل رقم /٧٨/٤/٢٣٧/ تاريخ ١٩٧٨/٤/١٥/ وموقعة باسم صالح أحمد اياي، وموجّهة إلى عبد الله ادريس. يقول فيها: (قادم إليكم المناضل محمد عمر كابوس) برفقة السفينة ويحمل قوائم الأسلحة والعتاد المقدمة من الأخوة السوريين

والفلسطينيين، وفيها بالطبع المواد التموينية والأمور كلها، تسير /زي العسل/ وطبعاً الرفاق أحمد ناصر وعبد ا لله سليمان أخبروك بكل تفاصيل الحوارات مع الديمقراطية[1].....

وعليك تفاصيل المواد التموينية:

١ ـ /٥٠/ طن قمح.

٢ ـ طن شاي.

٣ ـ مائة واثنان طن سكر.

٤ ـ عشرون طن معلبات.

٥ ـ ثلاثون طن رز.

٦ ـ عشرون طن عدس.

٧ ـ ألفا بدلة عسكرية جاهزة.

٨ ـ أربعمائة وخمسون جوال /شدد/ صنادل.

٩ ـ مائة وواحد وسبعون بالة قماش كاكي.

١٠ ـ /٤٥/ طن كتب عربي وتجريني.

١١ ـ عشر سيارات عسكرية مرسيدس مرسلة لك قائمة بالأسلحة المقدمة من السوريين والفلسطينين قد أطيل عليكم فأرجو أن تغفروا لي فالحقيقة يجب أن تظهر كعين الشمس.

وفي تاريخ ١/١٥/ ورقم /١٩٧٨/١/٩ أرسل عبد ا لله سليمان رئيس مكتب العلاقات الخارجية إلىالميدان هذه البرقية والتي يقول فيها:

---

(١) الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.

(مرسل إليكم بالطائرة /شارتر/ التابعة لشركة /T.N.A/ من طراز بوينج /٧٠٧/ المواد العسكرية التي قدمت من **الجمهورية العربية السورية** ويرافق الطائرة المناضل عبده ياسين عضو مكتب جبهة التحرير الأرترية بدمشق، والمهمات هو /٣٢/ طن وعدد الصناديق /١٠١٠/ صندوق ومنهم /٥/ علب بلاستيكية/.

١ ـ كلاشنكوف عدد /٢٠٠/ أخمص حديدي.

٢ ـ سيمانوف /١٥٠/.

٣ ـ دكتريوف /١٠/.

٤ ـ مدفع ب ١٠ / ٤ مع وحدتين فارغتين.

٥ ـ هاون عيار /٦٠/ مم عدد /٦/.

٦ ـ هاون /٨٢/ مم /٤/.

٧ ـ مدفع دوشكا عدد /٤/ مع وحدتين ناريتين.

٨ ـ صواريخ كاتيوشا /٤٧٠/ صاروخ.

٩ ـ قنبلة يدوية دفاعية /٣٠٠/.

١٠ ـ قنبلة يدوية هجومية /٣٠٠/.

١١ ـ طلقة عيار /٧,٦٢/ عدد /٣٠٠٠٠٠/.

وفي تاريخ ١٩٧٧/١/٢، وقّع القائد أبو جهاد خليل الوزير، أمراً بإعطاء ثوار أرتريا أسلحة وذخائر، وهذا هو القرار (حركةالتحرير الوطني الفلسطيني /فتح/ القيادة العامة لقوات العاصفة قيادة منطقة

بيروت. قرار (يتم صرف المـواد التاليـة مـن الأسـلحة الموجـودة لـدى المستودعات السورية للأخوة جبهة التحرير الأرترية المجلس الثوري:

١ ـ بنادق كلاشن /٥٠٠/.

٢ ـ بنادق ماوزر /١٥٠٠/.

٣ ـ جرينوف /١٠/.

٤ ـ دوشكا /١٠/.

٥ ـ مدفع هاون /٨٢/ عدد /١٠/.

٦ ـ مدفع هاون /١٢٠/ مم /٤٤/.

٧ ـ الغام /م ا/ عدد /٢٠٠/.

٨ ـ الغام /م ا/ عدد /١٠٠٠/.

٩ ـ طوربين بنجالور عد /١٠٠/.

١٠ ـ ذخائر موزر /٣٠٠٠٠٠/ طلقة.

١١ ـ ذخائر كلاشن /٢٠٠٠٠٠/ طلقة.

١٢ ـ قذائف هاون /٨٢/ مم /٨٠٠/ قذيفة.

١٣ ـ قذائف هاون /١٢٠/ مم /٤٠٠/ قذيفة.

القيادة العامة لقوات العاصفة (أبو جهاد).

وفي ١٩٧٨/٥/٢١ خرجت برقية من مكتب العلاقات الخارجية إلى الميدان تتضمن المواد العسكرية المقدمة من سورية وهي كالآتي:

١ ـ كلاشنكوف عدد /٥٠٠/.

٢ ـ سيمونوف عدد /١٠٠/.

٣ ـ رشاش دكتريوف عدد /٢٠/.
٤ ـ رشاش كولينوف عدد /١٠/.
٥ ـ مدفع بـ /١٠/ عدد /١٢/.
٦ ـ مدفع هاون /٨٢/ مم عدد /٦/.
٧ ـ ألغام مضادة للآليات عدد /٢٠٠/.
٨ ـ ألغام مضادة للأشخاص عدد /٦٠٠/.
٩ ـ قنابل يدوية هجومية عدد /١٠٠٠/.
١٠ ـ قنابل يدوية دفاعية عدد /١٠٠٠/.
١١ ـ طلقة /آر ب ج/ ٢ عدد /١٠٠٠/.
١٢ ـ طلقة /آر ب ج/ ٧ عدد /٥٠٠/.
١٣ ـ ذخيرة /م ط/ ٣٧ عدد /٤٠٠٠/.
١٤ ـ ذخيرة للأسلحة الروسية /٧,٦٢/ عدد مليون.
١٥ ـ ذخيرة /١٢,٧/ خمسون ألف طلقة.
١٦ ـ ست قطع صواريخ كوبرا سام /٧/ مع /٢٤/ صاروخ.

نعم هذا واحد من مليون بما قدمته سورية والبلاد العربية، وأنا لا أدافع عن أمتي وبلدي، إن ما أقوله إنما لاحقاق الحقيقة وللتاريخ. أما دولة قطر فبالإضافة إلى ما كانت تقدّمه من مال وسلاح، فقد أرسل الأخ صالح اياي هذه الرسالة إلى عبد الله سليمان بالخرطوم يقول فيها:

١ ـ الأدوية المرسلة من قطر ستصلكم جواً بعد أربعة أيام عن طريق جده وعليه، يرجى ابلاغ السلطات السودانية، حتى تأذن

بدخولها، وأيضاً تبليغ الهلال والصليب الأحمر، الأرتري، ليقوم باجراء استلامها وترحيلها إلى الميدان.

٢ ـ يقول حمد كلو راجعوا السفارة القطرية بالخرطوم، لاستلام المبلغ المقرر من الحكومة القطرية كدعم للثورة.

٣ ـ يرجى إفادتنا بوصول السفينة /دينا/ وهل فرغت شحنتها؟

٤ ـ ترقبوا وصول السفينة /حسناء/ لبنانية الجنسية، يقودها القبطان سيد بديع من ميناء السويس بتاريخ ١٩٧٩/٨/١٨/ وهي تحمل هدية الأخوة المصريين وهي عبارة عن /٣٠٠/ طن ذخيرة وقذائف ورمانات يدوية.

٥ ـ المناضل أحمد ناصر بصحبته علي محمد اسحق سيتحركان يوم الخميس إلى طرابلس في زيارة رسمية بدعوة من حكومتها.

التوقيع

صالح أحمد اياي

وبتاريخ ١٩٧٧/٥/٢٥ أهدت الحكومة المصرية للجبهة الشعبية لتحرير أرتريا الأسلحة: وهذه هي المواد المقدمة من جمهورية مصر العربية.

الأسلحة:

١ ـ /٢٤٠/ قاذف /آر ب ج/ م.د.

٢ ـ /٣٠/ مدفع ب ١٠ د.م

٣ ـ ٢٤٠ هاون /٨٢/ مم.

٤ ـ /٤٠٠/ بندقية /٧,٩٢/ موزر بلجيكية.

٥ ـ /٣٥٠/ رشاش قصير لانكستر /٩/ مم.

٦ ـ /١٠٠/ رشاش قصير برتا /٩/ مم.

٧ ـ /٢٠٠/ رشاش إسباني خفيف.

٨ ـ /٤٠٠/ بندقية إيطالية /٧,٩٢/.

ألغام:

١ ـ /١٠٠٠/ لغم /م.د/.

٢ ـ /١٠٠٠/ لغم /ج/١/.

٣ ـ /٣٠٠٠/ قنبلة يدوية نصف هجومي ونصف دفاعي.

الذخيرة:

١ ـ مليون طلقة /٧,٦٢/.

٢ ـ ألف وخمسمائة طلقة للمدفع /١٠/ ش. ق طلقة مدفعية.

٣ ـ /١٨٠٠/ قذيفة هاون.

٤ ـ /١٢٠٠/ قذيفة هـ. آ. ر. بي. ج. م. ل. كان في هذا /١٩٧٧/٥/٢٥.

٥ ـ ٣٠٠٠ قنبلة يدوية نصف هجومي ونصف دفاعي.

مصر العربية

وفي ١٩٨٠/٦/٢ وردت برقية من الميدان تقول: (وصلت الأشياء التالية مع المهمات العسكرية الكويتية المقدمة للجبهة):

١ ـ موجهات مدفع /١٢٠/.

٢ ـ موجه رشاش.

٣ ـ موجه لعشرة مدافع /م ط/ ٢٠ مم مطلوب موجهات لخمسة مدافع وخزنه ومفاتيح.

٤ ـ مطلوب /٨/ كشافه مدفع /م ط/، /٤٠/ مم.

٥ ـ مطلوب عشرة كشاف مدفع /٢٥/ رطل.

يرجى إشعار الكويتين والعمل على إرسالها. إن البنادق متوفرة بكثرة، المكتب العسكري بحاجة ماسة إلى ذخائر /م ج/ وتوجه هذه الذخائر موجودة في الكويت.

المصريون قدموا /١٠٠/ قاذف بدون قذائف ولا توجد أي كمية من القذائف في المستودعات أيضاً هناك نقص في:

١ ـ قذائف /٧٥/ أمريكي وهذا المدفع فعّال ويوجد عدد منه وينقصه الذخائر.

٢ ـ ذخيرة كلاشنكوف /٧,٦٢/.

٣ ـ ذخيرة وشكا /١٢,٧/.

٤ ـ ذخيرة ألمانية /٤٢/.

٥ ـ م ط /١٤,٥/.

٦ ـ /م ط/ غربي عيار /٢٠/ مم.

التوقيع المكتب العسكري

وبالنسبة للمملكة العربية السعودية وليبيا والجزائر والمغرب وموريتانيا واليمنيين لم أتمكن من الحصول على الوثائق. إلا أن مخازن المملكة العسكرية وغيرها من الدول العربية. قد فُتحت مع أموالها.

هـذه وثيقـة أخـرى تحمـل الرقـم /٣٦٦ ـــ ٦ ـــ ٧٨/ تـاريخ ١٩٧٨/٦/٣ الأخ المناضل عبد الله ادريس عضو اللجنة التنفيذية رئيس المكتب العسكري تحية الثورة وبعد:

(تلقينا مساعدات عسكرية من مكتب فلسطين والكفاح المسـلح في بغداد نرجو أن تعملوا بأن يسمح للأخوة السـودانيون بدخولهـا إلىالخرطوم من قبل السـلطات السـودانية، ونرجـو أن تبلّغونـا لكـي نبلغ مكتبنا في بغداد، لاجراء عملية الترحيل كما تلقينـا مسـاعدات تموينية من العراق وقد تحركت سفينة مـن العـراق يـوم ١٩٧٨/٦/٢ ومعهـا مـواد تموينيـة وتركتـورات عـدد /١٢/ المطلـوب اسـتقبالها والابراق لنا بعد وصول السـفينة إلـى مينـاء بورسـودان، لأن الأخـوة طلبوا هذا مرفق مع هذه الرسالة قائمة المهمات المقدمـة مـن الأخـوة العراقيين الأخوة أحمد ناصر وعبد الله إدريس وصالح اياي موجودون فـي بـيروت اسـتلمت إلـى برقيتـك المواجهـة أحمـد نـاصر وسـوف يتم ابلاغه عـن مضمـون البرقيـة هاتفيـاً اليـوم هـذا وتقبلـوا تحياتنـا النضالية.

مكتب العلاقات الخارجية.

لمن يهمه الأمر: تحية الثورة وبعد

تتقـدم حركـة التحريـر الوطنـي الفلسـطيني فتـح بتقديـم الأسـلحة المرفقـة بالكشـف هديـة منهـا إلـى جبهـة تحريـر أرتريـا

يرجى تسهيل مهمة الأخوة وعدم معارضتهم وإنها ثورة حتى النصر.

ع/ العمليات العسكرية

العقيد طارق سليم

التاريخ ١٩٧٧/٩/١٠

النوع	العدد
١ ـ مدفع رشاش ١٤,٥	١
٢ ـ رشاش ماك بلجيكي	٦
٣ ـ رشاش وكذربوت	١٢
٤ ـ رشاش جوفوند	٦
٥ ـ رشاش ديمترون	٣٦
٦ ـ رشاش ٥٠٠	٤
٧ ـ سبطانة احتياط ٥٠٠	٥
٨ ـ رشاش دوشكا	٣
٩ ـ مدفع هاون ١٢٠ مم كامل	١٠
١٠ ـ مدفع هاون ٨٢ مم	١٦
١١ ـ قذيفة هاون ٨٢ مم	١٠٠٠
١٢ ـ عتاد دوشكا و ٥٠٠	٦٠٠٠٠
١٣ ـ متفجرات بالصندوق	١٢٥
١٤ ـ طلقة مدفع ٨٢ مم	٢١٠٠

١٥ ـ صواعق كهربائية	٥٠٠
١٦ ـ فتيل كورتكس بالمتر	٧٠٠٠
١٧ ـ ألغام م.د	٢٥٠
١٨ ـ قنابل أتيرجا	٦٠
١٩ ـ قذائف آر بي ج ٧	٦٠٠
٢٠ ـ عناونا قوبا شرشور	١٨٠٠
٢١ ـ مناظير .م. ١٦	٥٠
٢٢ ـ منظار ١٢٠ مم	١٠
٢٣ ـ مسدس ٧ مم	١٠
٢٤ ـ كاتم صوت للمسدس	٢٠
٢٥ ـ عتاد ٧ مم بالعلبة	٥٥

حشوات ٨٢، ٨١، ١٢٠ مم صواعق ٨٢، ٨١، ١٢٠ مم.

كما قامت سوريا وبعض الدول العربية، وحركة التحرير الفلسطينية (فتح) بتقديم أسلحة وأموال، إلى الحزب الثوري لشعوب أثيوبيا، وذلك نتيجة لتوصية من الثورة الأرترية، حتى تتمكن الثورة الأرترية، من تحقيق النصر على العدو الأثيوبي، وهذه وثيقة بالأسلحة التي أهديت إلى الحزب الثوري، لشعوب أثيوبيا، والتي أقدّمها مختصرة، كما جاء في هذه الوثيقة.

١ ـ مجموع البنادق ٤٦٥.

٢ ـ مجموع الرشاشات ٤٦.

٣ ـ مجموع الموانع ١.

٤ ـ ذخائر.

هذا بعض من الوثائق، التي تضمّنت الأسلحة والعتاد مما قدّمه العرب، فضلاً عن المئات من المنح الدراسية في الثانويات والجامعات العربية، فضلاً عن التموين والمواد الغذائية والألبسة.

فتقييم هذا كله يعود للقارئ الكريم. أما الجامعة العربية وموقفها فأتركه للمعنيين والمسؤولين في الجامعة العربية، إلا أنه حدث بتاريخ ١٩٨٠/٦/٣١ أن أُرسلت مذكرة تحمل هذا التاريخ وبرقم /٦٨٤٤/ و /هذه فقرة من هذه المذكرة والتي، قدّمتها جبهة تحرير أرتريا، قوات التحرير الشعبية، اللجنة الثورية المؤقتة، إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، والتي تقول فيها «لم يخف الأرتريون في يوم من الأيام اعتزازهم كونهم من أحفاد أؤلئك المهاجرين، الذين كانوا يمارسون عبور البحر الأحمر وينقلون معهم حضارة حمير وسبأ، إلى القرن الإفريقي وفي أول فرصة أتيحت لشعبنا للتعبير الصريح عن انتمائه القوي، اجتاحت ربوع أرتريا مظاهرات عارمة عام /١٩٥٢/ لم تهدأ، إلا بعد أن أجبرت مستشاري الأمم المتحدة على تضمين الدستور الأرتري المادة /الثامنة والثلاثين التي كانت تنصّ على كون اللغة العربية لغة رسمية وطنية للبلاد/ إن النضال الأرتري جزء لا يتجزأ من نضال الأمة العربية، وذلك لأن علاقة أرتريا بالوطن العربي، هي علاقة الجزء بالكل، إنها حقيقة اجتماعية جغرافية

طبيعية، ولا يمكن تجاهلها، دون الاصطدام بالواقع، وهي حقيقة تاريخية، والتاريخ لا يرجع إلىالوراء ليغيّر مجراه».

هذه فقرة من فقرات المذكرة، وهي تحمل توقيع /علي محمد سعيد برحتو/ عضو اللجنة الثورية، رئيس دائرة العلاقات الخارجية لقوات التحرير الشعبية.

وفي الدورة الرابعة والسبعين، اتخذت الجامعة العربية قرارها التاريخي، بتأييد ودعم كفاح الشعب الأرتري، وفي تاريخ ١٩٧٩/١/٩ أرسل مكتب العلاقات الأرترية بدمشق، برقية من دمشق إلى تسفاي دقيقه في الميدان يقول فيها:

(تحرك وفد الجبهة الشعبية لتحرير تجراي من الخرطوم، ويتكون من ثلاثة أعضاء إلىالقاهرة، ومهدت له لقاءات بالمسؤولين المصريين، والمكتب كان يتحمل نفقاتهم بعد انتهاء لقاءاتهم في القاهرة، توجهوا إلينا في دمشق وفيها مهدنا لهم لقاء مع القيادة القومية.

هذه كانت استراتيجية الجبهة وهي محاربة الجيش الأثيوبي لكن بمن تحاربه؟ هنا كانت الغلطة القاتلة. إلا أن الآية انقلبت على الجبهة وكان هذا خطأ قاتل مكّن الأعداء من تدمير الجبهة.

وفي مفكرتي وجدت ما يلي:

في يوم من الأيام أرسلت برقية إلى عبد الله ادريس وأحمد ناصر وجاءت هذه البرقية بشكل تحذير أقول فيها: إن ما يجري بطرفكم هو هجوم أثيوبي مركّز يهدف إلى استعادة المدن، والاحتمال أن تكون مدن

الهضبة، هي المقصودة. احذروا من الالتفاف على قواتكم من محور /مندفرا/ ـ وإذا تم هذا فإن القوات الأثيوبية التي تتحرك من العاصمة أسمرا على كل المحاور هدفها سحق قواتكم في الطريق، احذروا هناك معلومات على أن الشعبيتين الأرترية، والتجراوية، تبيّت لكم عملاً عدوانياً كبيراً، أكرر/ عملاً عدوانياً كبيراً. نريد آخر المعلومات مع تقدير الموقف حتى نستطيع تقدير الموقف ونتصرف على ضوئه. هذا هو موقف العرب وأصدقاء الثورة الحقيقيين. وقبل فترة خرج السيد /ولد آب. ولد ماريام/ والذي يتمتع بلجوء سياسي منحته له الحكومة المصرية، وعاش في القاهرة ثم غادرها وانتقل إلى روما ليعيش فيها، وقال ويبشّر بقيام دولة طائفية على البحر الأحمر، ثم دعّم كلامه بعدها السيد /أسياس أفورقي/ أثناء المقابلة التي أجريت معه من قبل صحيفة الحياة اللبنانية ١٩٩٠/٥/٢ قال اسياس أفورقي: «لن أحارب اسرائيل ولن أتعامل مع العرب».

وأنا لا أريد أن أسبق الأحداث وأقول ماذا سيحصل بعد أن تحالفت حكومة الشعبية الأرترية مع حكومة الشعبية التجراوية هل ستكون دولة أكسوم؟ إن هذا الزواج المدني لن يستمر طويلاً ومن يعش سيرى ذلك؟.

إن ما يقال عن رئيس الوزراء الأثيوبي /ملس زيناوي/ بأنه ثوري ديمقراطي، بل إنه ليبرالي، فما الذي يعنون بهذا الجواب؟ واضح /فملس الزيناوي/ تجراوي ويرأس جبهة تحرير تجراي ورئيس الحكومة الحالية التي تحالفت مع الجبهة الشعبية لتحرير أرتريا، ولكن إلى متى سيستمر

هذا التحالف؟.. قريباً سنرى ماذا سيحل به وخاصة عندما تتناطح (الكبوش) على السلطة، إن البعض لهم توجهات سياسية خطرة، فهم يعتبرون أن العرب والثقافة العربية، هي خطر عليهم، وعلى توجهاتهم، ويتحسسون م[illegible]ء اسمه العرب والعروبة، وما التنسيق الحاصل بين أثيوبيا تجراي، وإرتريا الشعبية، إلا دعم الأول للآخر والآخر للأول. فالجبهة الشعبية أسقطت من حسابها كل النضال الأرتري وقالت: (إن النضال الأرتري الفعلي لم يتم إلا في عام ١٩٧٧) أي عند تشكيل الجبهة الشعبية، أما الماضي وتضحيات الشعب الأرتري بقيادة جبهة التحرير الأرترية فكان لعباً وغير محسوب! فمن الذي قاتل الأثيوبيين؟ ومن ساعد في إسقاط نظام هيلاسلاسي؟.....إلخ.

إن بعض قادة الجبهة الشعبية، لم يضعوا في حسابهم، في يوم من الأيام أي لقاء أو تعاون حقيقي، مع أي أرتري، كان خارجاً عن دائرة استراتيجيتهم، وخاصة من كان يؤمن بجذوره وانتمائه العربي. وللأسف الشديد كان معظم قياديي التنظيمات الأخرى، بعد انهيار وقتل الأم جبهة التحرير الأرترية، يسعون ويعملون ما تمليه عليهم، الجبهة الشعبية بدراية أو غيردراية، وبمختلف الوسائل، وخاصة أن موضوع الوحدة بين الأرتريين هو حسّاس ودقيق.



في صنعاء

في شهر آب أغسطس ١٩٨٩، تلقت عدة تنظيمات ارترية دعوة من الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية العربية اليمنية، لزيارة صنعاء. وجاءت الوفود ورؤساء التنظيمات. وتم اللقاء بين رئيس الجمهورية العربية اليمينة /علي عبد الله صالح/، وهذه الوفود.

وقال لهم الرئيس اليميني: (إني أعرض عليكم وساطتي لحل قضيتكم سلمياً) ثم أضاف: (عليكم بالتفاوض المباشر مع الأثيوبيين، وأنا أرى وأفضل أن توحّدوا صفوفكم، فهذا ضروري وأفضل لكم). ثم قال: (إني كلفت العقيد /غالب غمش/ رئيس جهاز الأمن الوطني والسيد /أحمد الأرياني/ وكيل وزارة الخارجية، للحوار معكم ومواصلة الاجتماعات).

وبقيت الاجتماعات أسبوعاً كاملاً. وقد توصلت هذه التنظيمات الأربعة إلى اتفاق فيما بينها من أجل الوحدة والتفاوض، مع الأثيوبيين، لحل القضية الأرترية، على أن يكون الاتفاق برعاية السودان والدول العربية ويتمّ التنسيق معها.

١ ـ يتم تشكيل وفد أرتري موحّد، يتولى التفاوض مع الحكومة الأثيوبية، على أساس تصور موحّد بين الفصائل الأرترية.

٢ ـ تم الاتفاق على أن توحّد الفصائل نفسها، في إطار وطني واحد.

٣ ـ هذه التنظيمات ستعود إلى قياداتها، لتستكمل تفاصيل وتسمية وعمل الاطار الوطني الوحدوي، الذي تم الاتفاق عليه.

ثم عادت هذه الوفود إلى السودان. وفي يوم ١٩٨٩/٩/١٢ اجتمع اللواء /ا ح بكري الملك/ حاكم الاقليم الشرقي السابق، في مدينة كسلا، بالفصائل الأرترية الخمسة وقال لهم: (نرجو منكم وباسم الحكومة السودانية أن تعجلوا بوحدتكم لأن هذا يخدمكم ويخدم الخط الوطني في الساحة الأرترية). ثم قال لهم: (إن السودان مستعد لمساعدتكم وتقويتكم).

كان السودان ـ وهو البلد العربي المجاور لأرتريا، يشعر ويعرف ماذا يتم في الخفاء، فبعمله هذا يريد أن يضمن النهج المستقبلي، لجيران المستقبل، فضلاً عن روابط الأخوة بين البلدين.

وأنا هنا لا أريد أن أعدّد هذه الروابط ويكفي أن أقول: (إن السودان استضاف مليون إنسان أرتري خلال محنته، إنما أذكره فقط. وترجمة لهذا وصل من الخرطوم، إلى مدينة كسلا اللواء أركان حرب /الزبير محمد صالح/ نائب رئيس مجلس قيادة ثورة الانقاذ الوطني، كان هذا بتاريخ ١٩٨٩/٩/١٦).

قال لهم السيد اللواء: (إننا نناشدكم باسم السودان، أن تسارعوا بتحقيق الوحدة الاندماجية فوراً، وإقامة تنظيم واحد، ونحن من جانبنا في حالة توحدكم، سنلعب الدور المطلوب منا، وذلك لتقويتكم عسكرياً ودعمكم سياسياً). قال لهم اللواء الزبير نائب رئيس مجلس قيادة الثورة بالحرف الواحد (غدا إذا توحدّتم سوف تكونون قوة لها كلمتها،

ورأيها وسوف تتصدّرون قضية مصير شعبكم، بل ستصبحون قـوة يحسب لها، وخاصة أن الجبهة الشعبية ورئيسها أسياس أفورقي يسعى وبشكل دؤوب، للانفراد بالساحة الأرترية حتى تكون له كلمته الأولى والأخيرة، في مصير شعبكم. وإن الجبهة الشعبية بدأت تمارس المفاوضات المنفردة مع الأثيوبيين، حسب الوساطة التي يقوم بها الرئيس الأمريكي السابق /جيمي كارتر/، ويدعمه مجلس الكنائس العالمي والذي له دور كبير في توجه الجبهة الشعبية، ليحولوا دون اشتراككم أنتم الفصائل الأرترية ذات التوجه الوطني).

هذا ما قاله اللواء، نائب رئيس مجلس قيادة ثورة الانقاذ الوطني في السودان، وفي مدينة كسلا، وقد سمعه رؤساء الوفود الموقّعين على اتفاقية صنعاء، ثم قالوا له: (نحن نرحّب ونبدي استعدادنا التام لتحقيق الوحدة وبأسرع وقت).

والذي حدث أن الفصائل عادت إلى التنافس والتناحر، فيما بينها، ونسف مشروع الوحدة، وبقيت الفصائل الخمس على وضعها، إلا أن الظروف قد فرضّت على جزء من تنظيم قوات التحرير الشعبية الذي يرأسه محمد سعيد ناود. الانضمام إلى التنظيم الموحّد، بعد أن تم الطلاق النهائي بين /محمد سعيد ناود/ و /أحمد جاسر/ رئيس هذا التنظيم، وإن انضمام جناح قوات التحرير الشعبية، إلى التنظيم الموحّد كان مصادفة لا أكثر، لاحباً بالوحدة وإنما لظروفه، تم هذا في ١٩٨٩/١٠/١.

ثم جاء واندمج تنظيم آخر، هو تنظيم جبهة التحرير الأرترية، القيادة الانتقالية، مع التنظيم الموحّد. وأيضاً له ظروفه وأصبح التنظيم الموحّد يضم أربعة تنظيمات، وأصبحت تنطوي تحت اسم جبهة التحرير الأرترية التنظيم الموحّد، وكان يوم ١٩٨٩/١٠/٣ هو بداية الحوار بين التنظيمات الأخرى، وحصل هذا اللقاء وخرجوا بتقرير سمّوه (اجتماعات لجان الحوار الوحدوي). ولجنة الحوار هذه اجتمعت مساء يوم /٣/أكتوبر/١٩٨٩ بمدينة كسلا السودانية، وبمكاتب جهاز الأمن السوداني وبحضور كل من:

١ ـ جبهة التحرير الأرترية /عبد الله إدريس/ مثّلها رئيساً حامد آدم سليمان.

٢ ـ جبهةالتحرير الأرترية المجلس الوطني مثّله رئيساً محمود نقاش.

٣ ـ جبهة التحرير الأرترية ـ التنظيم الموحّد ـ مثّله حسن عثمان كنتباي.

٤ ـ جبهة التحرير الأرترية المجلس الثوري مثّلها رئيساً ابراهيم محمد علي.

ومثّل حكومة السودان، وفد مراقب مكوّن من المقدم (السر العمده) والمقدم (عمر بخيت).

كانت هذه الاجتماعات والحوارات كمن يكذب على حاله، وأصبحت هذه التنظيمات يديرها التناقض والتناحر.

وصدر عن التنظيم الموحّد بيان وهذه فقرة منه: (أكد المؤتمر على وقوفه والتزامه، باتفاقية صنعاء الوحدوية بين الفصائل الأربع،

أما فيما يختص بالتنظيم الـذي يرأسـه /عبـد ا لله إدريـس/ إن الحـوار معه مرتبط بتوضيحه وكشفه وارتباطاته واتصالاته مع العـدو الأثيوبـي، أمام الجماهير الأرترية، الأمر الذي يعتبر جرماً بحـق القضيـة والثـورة الأرترية، وبعدها يمكن الجلوس والحوار معه).

هنا أوضح وفد جبهة التحرير الارترية رفضـه مواصلـة جلسـات الحوار، قبل معالجة هذا الموقف، خاصة أن الطرف الذي أصدر البيان كان يعتبر جزءاً من جبهة التحرير الأرترية التنظيـم الموحّـد، واعتبـاراً من إعلان الدمج في ١٩٨٩/١٠/١، وكـان هـذا أول لغـم انفجـر في هـذا الحوار.

توالى انفجار الألغام الواحد بعد الآخر، فمـن رأى إقامـة تنظيـم وطني واحد من خلال الوحدة الاندماجية الفورية وعلى مراحل. واللغـم الثاني انفجر حين قالوا:

(يجـب أن يسـبق الاندمـاج مرحلـة انتقاليـة) ، واللغـم الثـالث انفجر عندما تقـدم آخـرون (حوارالطرشـان) علـى وضـع برنـامج عمـل مرحلي، يسبق الدمج حيث اعتبروه مرحلة لتنقية الأجواء.

وفي /١٤/ تشرين الأول، انعقدت جلسة صباحية، انفجـر فيهـا لغم آخر، وهو الاتفاق على إقامـة التنظيـم الوطـني الواحـد مـن خـلال وحدة اندماجية وعبر مرحلة انتقالية، ثم اُقترح تغيير أسـلوب مناقشـة /الأجندة/ والتحول إلى مناقشة المشاريع المفصلة.

في يوم /١٦/ أكتوبر انعقد الاجتماع برئاسة /حسن عثمان كنتباي/ رئيس وفد جبهة التحرير الأرترية التنظيم الموحّد، وأوضح قائلاً: (أن لقاءات البارحة لم تتمخض عن الوصول إلى صيغة موحدة وعليه اتُفق على رفع تقرير موحّد بأعمال لجان الحوار، يتضمن تحديد نقاط الاتفاق والنقاط المختلف عليها، لتمكين اجتماع رؤساء الفصائل الذي اقُترح له يوم /٢٠/ أكتوبر، للنظر في معالجة الموقف، بما يؤمّن السبيل لوحدة الصف الوطني.

والاصابع الملوثة بدأت تلعب، وهي تلعب منذ زمن. فكل هذه الاقتراحات لهذه التنظيمات لم تر النور، لا للدمج الفوري لا للتنسيق، ولا لتنقية الأجواء.

منهم من قال: (نريد ثلاثة شهور حتى نرتب أنفسنا)، ومنهم من قال: (نريد ستة أشهر)، ومنهم من اقترح /سنتين/ وهكذا..

وأتساءل الآن، وتتراءى لي شخصية /محمد أبو بكر محمد جمع/ رئيس المكتب العسكري الذي كان يتزنّر بقنابل الأنيرجا في المؤتمر، والذي انعقد في ساساريب القريبة من مدينة كسلا. لماذا لم يلق هذا المناضل قنابله على هذه القيادة ويخلّص شعبه منها؟ وتصفّق له الجماهير وتعتبره زعيماً أكثر من حامد إدريس عواتي مفجّر الثورة؟ لقد زعل مني أبو بكر محمد جمع حين أخذت منه إحدى قنابل الموضوعة على خصره، ولم أعرف قبل سحب القنبلة إنها كانت قنابل زينة

وضعها حين كان متوجهاً إلى مكان انعقاد الجلسات، وأدركت بعدها إنها كانت قنابل زينة من أجل /الزفة/، ألا يتزين العريس والعروس ليلة الدخلة، وهذا ما كان كله /زفة في زفة/، لقد أضاع بعض قياديي هذه الفصائل، فرصة هامة وتاريخية للوحدة في فترة هامة، من حياة ومصير الشعب الأرتري. لم يتم أي إجراء وحدوي بل تم عكس ذلك، فالتنظيم الموحّد أتهم تنظيمات الجبهة الثلاثة متمثلة برؤسائها أحمد ناصر، و عبد الله إدريس، وعبد القادلار جيلاني، أنهم رفضوا الوحدة وقالوا: (نريد التنسيق فقط وليس الوحدة).

إن التنظيمات الثلاثة قالت هذا على ذمة التنظيم الموحد (نريد عامين كاملين للدمج)، أما هكذا نُدمج فالعملية ليست (شرب شوربا).

وروى لي أحد الأصدقاء: أن كل من كان مجتمعاً كان يتشّفى من الآخر، ويتشّفوا ممن؟! من شعبهم المسكين، من شعبهم المذبوح؟ كانوا يسعون إلى تحقيق مكاسب، خاصة بهم وبتنظيماتهم الصغيرة، ولم يهتموا بما كان يدور حول قضيتهم، وما كانت تقوم به الجبهة الشعبية. لم يقدّروا أهمية المرحلة، ولم يشعروا بحالة ضيم وظلم، والتجربة أثبتّت فشل كل فصيل في أن يصبح قوة مؤثرة، لها وزنها وكلمتها مسموعة، ولا شيء غير الوحدة أمامهم، ليصبحوا قوة فعالة لهم ولشعبهم، فكيف يُبنى تنظيم هش عسكرياً؟ كيف يُبنى تنظيم تأتي قراراته من فم غيره؟ كيف يُبنى تنظيم والأصابع تلعب به؟ كيف يُبنى تنظيم لا يملك القدرة على الصمود حتى يتعامل مع شعبه؟ كيف؟! وكيف...؟!.

كان اليمنيون صادقين في دعوتهم هذه الفصائل للوحدة، مثلهم مثل السودانيين والسوريين والعراقيين والمصريين والسعوديين وكل العرب، إنهم يريدون لهم الوحدة وبغيرالوحدة لن يعود العملاق عملاقاً، والشعب الأرتري صاحب القرار الوطني، والانتماء الثقافي، للظهور وأخذ قضية شعبه والمضيّ بها، إنها جبهة التحرير الأرترية الأم. لماذا التنظير والخطر علىالأبواب؟ ألم يسمعوا من القادة العرب كلهم والمنظمات والأصدقاء الحقيقيين: إذا لم يتوحّدوا فلن يكون لهم شأناً، بل سيعيشون ويعيّشون شعبهم ويدفنون ثقافته التي، نبتت في أرضهم التي ارتوت بدماء شهدائهم، ألم يسمعوا كلمة الرئيس حافظ الأسد، والملك فهد ملك العربية السعودية، وقبلهما المرحوم هواري بو مدين وغيرهم من الرؤساء العرب؟ «أن الخطر على الأبواب»، ألم يسمعوا كلام نائب رئيس مجلس قيادة الثورة السوداني وهو آخر من تكلم مع هذه الفصائل بالوحدة؟ بل ترجاهم أن يوحّدوا أنفسهم. لأن هناك من ترك أصابع الحقد والكراهية تلعب بهم. أتدرون أين هم هؤلاء القادة، منهم من يعيش تحت رحمة، حكام الجبهة الشعبية ولو بواجهة المسؤولية، ومنهم من رمى نفسه في بئرالتعاسة والظلام، ومنهم من لا يزال يناضل لايجاد حقه وحق فصيله في بلده. ألم ير الأخوة القادة أن التجارب التي خاضتها جبهة التحرير الأرترية وغيرها قبل عشرين عاماً تقريباً، وحين نسقوا مع الشعبة عام ١٩٧٩ وتدخل الأمين العام المساعد للجامعة العربية الأستاذ محمد عمران ماذا حدث؟ ألم يتعلموا منها؟ كان

في ذلك الوقت تنظيمان فقط وحين فشلت تجربة التنسيق أصبحوا ثلاثة تنظيمات، ألم تكن الحرب الأهلية الطاحنة في بدايتها تنسيق؟ وأنا هنا لا أخصّ أحداً على حساب أحد، فالفصائل الخمسة وبلا استثناء، هي المسؤولة عن إفشال الوحدة. وإني أذكر هنا لكم الأحداث التي عشتها وعلى سبيل المثال:

١ ـ الاتفاقية الأولى التي تمّت بين الجبهة الأم وقوات التحرير الشعبية باشراف الرئيس السوداني /جعفر النميري/. أكان النميري صادقاً أم أنه ينفذ ما يطلب منه؟

٢ ـ اتفاقية اكتوبر تحت إشراف نائب الرئيس السوداني /أبو القاسم محمد ابراهيم/ في عام ١٩٧٨ بين جبهة تحرير أرتريا والجبهة الشعبية لتحرير أرتريا وعلىأثرها قامت حروب أهلية! !

٣ ـ اتفاقية تونس ١٩٨٠ والتي عقدت في جامعة الدول العربية تحت الإشراف المباشر من قبل أمين الجامعة العربيةالشاذلي القليبي، ثم قامت التنظيمات فيما بعد بالاقتتال فيما بينها، ثم قامت اتفاقية جدة.

لم يكن بعض قياديي هذه التنظيمات صادقين، في قضية الوحدة، ومنهم ـ ويا للأسف من ارتبط بالجبهة الشعبية خفية، وعندما نال الشعب الأرتري استقلاله وحريته، وجدنا هؤلاء القادة ينضمون تحت راية أعداء الأمس الذين اصبحوا /أحباب اليوم/. لا أعلم (هل كان هؤلاء القادة بانضوائهم تحت قيادة الجبهة الشعبية نتيجة حبور

وسرور من أفعال قيادة الجبهة الشعبية؟ أم لأنهم بشكل أو بآخر كانوا مرتبطين بمعرفة أو دون معرفة بالجبهة الشعبية؟ الجواب لهذا التساؤل يكمن في تصرفاتهم وهم الذين قادوا تنظيماتهم وبعثروها في الهواء. صحيح أن الجبهة الشعبية فصيل وطني، ناضل وقاتل، لكن هناك كثيراً من الأسئلة التي ليس لها غير، إجابة واحدة على بعض أصحاب القرار المتنفذين من قيادة الجبهة الشعبية.

وعندما يصل القارئ باستنتاجاته إلى هنا، يستطيع أن يحدّد من هو الذي أوصل الحرية واستقلال الشعب الأرتري؟ ومن هو الذي كان يلعب في الظلام؟ ومن هم الذين بعثروا تنظيماتهم في الهواء؟ ومن الذي رمى ثقافته خلف ظهره؟

أعود إلى الموضوع واعذروني ـ فأنا دائماً أخرج عن موضوع لأدخل موضوعاً آخر، فالجروح والآلام التي عشتها وأحسستها والتي تتجسد في الشعب الأرتري، لا استطيع إلا أن أخرج من موضوع لآخر، وأنا من بين الذين أصابهم الجرح والألم ولكني تعافيت حين شهدت رفع العلم الأرتري في ساحة أسمرا عاصمة أرتريا عشية الاستقلال، نعم لقد تعافيت تماماً.

أعود لأسرد واقول (كيف كانت نهاية /التنظيم الموحّد/ والذي كان مرشحاً ـ في يوم من الأيام ـ لأن يعيد أمجاد جبهة التحرير الأرترية، ولكني كما قلت لكم إن هذا التنظيم بات أسيراً للآخرين بسبب أهواء وأمزجة بعض قياديي التنظيم الموحّد.

جاء رئيس اللجنة التنفيذية للتنظيم الموحد إلى دمشق، واجتمع بالمسؤولين أصحاب الشأن والاختصاص. ثم زارني في منزلي وتذكرنا الأخ عثمان سبي، وقال عمر برج: (لو كان الأخ عثمان حياً، لهانت كثير من القضايا) قلت له: (رحم الله عثمان، فقد كان يريد لهذا التنظيم أن يكون له شأناً، وإذا أردنا النهوض بهذا التنظيم فعلينا أن نتسامح، بعضنا مع بعض، وأن نواجه المعركة القائمة والمقبلة.



الوساطة الأمريكية

أنت تقول يا أخ عمر، أن الولايات المتحدة تتحرك ويمثّلها رئيس جمهورية أسبق، وهو /جيمي كارتر/، وأنها تلعب دوراً ضاراً، حيث حصرت وساطتها في تنظيم الجبهة الشعبية بقيادة /أسياس أفورقي/، مستثنية باقي الاصائل الأرترية الوطنية، ذات الوجه العربي، وإنها شرعت في .طلنطا في الولايات المتحدة الأمريكية — بالمحادثات.

بعد هذه المعلومات سألني عمر: (ما هو الواجب الذي علينا فعله؟). و/عمر برج/ رجل ينفعل، عند اول كلمة تقولها له، ويعتبر الكلام والحوار موجّهاً إلى شخصه، كان /عمر برج/ رجلاً نزقاً).

قلت: (يا أخ عمر أنت طبعاً، اطلعت على البلاغ النهائي، الصادر عن الرئيس الأمريكي الأسبق /جيمي كارتر/، والذي جرت المحادثات بإشرافه، في اطلنطا بولاية جورجيا، بالطبع قرأتها كما قرأناها كلنا.

أريد أن أسألك سؤالاً واحداً فقط:

ـ لماذا لم يدعكم السيد /كارتر/ لحضور هذه المباحثات؟ أو بالأحرى لماذا لم يدع أحداً من التنظيمات الأخرى، لحضور هذه الاجتماعات؟

الجواب بسيط ومعروف وله شقان الشق الأول: (هو العلاقة القديمة الجديدة بين الأمريكيين والجبهة الشعبية). الثاني: (أنتم وكما

قلت لكم ـ لا تشكّلون قوة لهـا وزنهـا وكلمتهـا، في الساحة الأرترية. أليس هذا صحيحاً؟).

أجابني /برج/:

(أنت دائماً متشائم وهجومي).

قاطعته قائلاً:

(أنا لست متشائماً وهجومياً، إنما خلق ا لله لي عقلاً، بعقلي هذا أرى وأعيش الواقع. فعندما قرأت البلاغ النهائي للاجتماعات ـ وهذا كان علنياً بالطبع، أما السري فا لله يعلم، والمفاوضون، وطبعاً السيد /كارتر/. نعم إننا نعرف علاقة الأمريكيين بالشعبية. أما علاقة الأمريكيين بأثيوبيا منغستو فهي غير واضحة للبعض. إن الطرفين اتفقا قبلاً على أن المحادثات كانت بنّاءة ومنتجة، فما رأيك أو رأيكم بالأحرى؟

لم يجب السيد برج، ولا أحد، ولا أظنهم كانوا يعرفون بلقاء كارتر بعبد ا لله إدريس وأحمد ناصر في الخرطوم.

كان هذا اللقاء في شهر نوفمبر، من عام ١٩٨٩، في فندق الهيلتون بالخرطوم، وقد رافق /الأخ عبد ا لله إدريس/ /السيد إدريس حشكب/ ورافق /أحمد ناصر/ كل من سيوم ميكائيل، ومحمود نجاش، وللعلم لم يخبرني الأخوة بهذا وإنما هذا من مصادري الخاصة.

وكما قلت: (إن الرئيس جيمي كارتر، وأثناء وجوده في الخرطوم اجتمع بكل من /أحمد ناصر/ و /الأخ عبد ا لله إدريس/، والاثنان رئيسان لتنظيماتهما، اجتمعا مع الرئيس /كارتر/ في فندق

هيلتون وكان بصحبة الرئيس /كارتر زوجته/ وعندما كانوا جالسين، على طاولة كارتر، تقدّم أحد مرافقي الرئيس، وقدّم له ورقة عليها بعض المعلومات وقال لي أحد الفضوليين الأرتريين، والذين حضروا، لقد نظرت بطرف عيني إلى الورقة، فوجدت فيها معلومات عن /أحمد ناصر، و /عبد ا لله إدريس/: صدّقني يا أخ أحمد حتى الأجهزة الأمنية الكبيرة تخطئ ولا تكون دقيقة بقول الملاحظات:

إن /عبد ا لله ادريس/ اتجاهه سوري، و/أحمد ناصر/ اتجاهه عراقي فما رأيك؟.

قال الرئيس كارتر /لأحمد ناصر/ و /عبد ا لله ادريس/ إنني أسعى مع الجبهة الشعبية إلى احلال السلام في أرتريا، ونظام /منغستو/ سوف يسقط أو سقط، وعليكم أن تعملوا تحت راية الجبهة الشعبية، وإن قبلتكم أم لا، فالمفاوضات مستمرة معكم أو بدونكم، وإني أتعامل مع السيد /أفورقي/ فقط.

وللأسف إن الأخوان في التنظيم الموحّد، لم يعرفا بلقاء كارتر بأحمد ناصر وعبد ا لله ادريس.

وذهب كل لحاله، أما أنا فبقيت أعيش بتأملاتي، وكنت قد حصلت على البلاغ النهائي للاجتماعات التي، دارت بين أثيوبيا والشعبية في اطلنطا، وإني أقدّم لكم بعض الفقرات من هذه الاتفاقية التي رعتها الحكومة الأمريكية برئاسة اليهودي هرمن كوهين؟

١ ـ أظهر الجانبان التزاماً حقيقاً، نحو عملية السلام، وتصميماً لمتابعة الجهود، للتوصل إلى نتيجة ناجحة.

٢ ـ سيمسك سجل كامل للاجراءات، وسـيزود الفريقـان بنسـخ عن أشرطة التسجيل، مع بيان خطي بالمباحثات باللغـة الانكليزيـة، وبعد كل جلسة تفاوض أو جولة من المباحثات يمكن لأي من الفريقين نشر هذه البيانات.

٣ ـ بالنسبة لجلسة التفاوض المقبلة، كما في اطلنطا، لن يكون هناك أي شروط مسبقة، وسيجري إعـلام الجمهـور عنهـا، وسيشـترك فريق ثالث بنصاب كامل.

٤ ـ سيتم دعـوة مراقبيـن، لحضـور الجلسـات، ويوجـد بعـض الخلافات، حول اختيار ودور المراقبين، كما يتم شرحه لاحقاً.

٥ ـ سـيقوم الفريقـان المتفاوضـان، باختيـار رئيـس الجلسـة أو نائبه، الذي ستقتصر مهامه على، تأمين الاجتماعات وجداولهـا وفتـح واختتام الجلسات وترؤسها.

٦ ـ وفود المباحثات تتشكل، مما لايقل عن /١٢/ مندوباً، مـن كل جانب، ويقوم كل فريق بإعطاء، أسماء هؤلاء المندوبين سلفاً، إلى الفريق الآخـر أي بمـا لا يقـل عـن أسـبوعين، قبـل عقـد كـل جلسـة تفاوض، ويحق لكل فريق تغيير أسماء الأعضاء، فـي الفريـق المفـاوض بموجب إشعار مسبق، يوجّه إلى رئيس الجلسة والجانب الآخر.

٧ ـ جدول المباحثات:

آ ـ بيان افتتاح الجلسة من قبل نائب الرئيس.

ب ـ كلمة الترحيب من رئيس الدولة في البلد المضيف.

جـ ـ كلمة الافتتاح من قبل رئيس، كل من الفريقين المتفاوضين.

د ـ الموافقة على نقاط الاتفاق التي تم التوصل إليها في المحادثات الأولية.

هـ ـ بيان نقاط الخلاف في مباحثات اطلنطا.

ز ـ البلاغ النهائي.

ح ـ كلمة الختام.

و ـ أخيراً عدم الاجتماع في أي من الدول العربية.

لقد تمت الموافقة على مهام ووظائف الرئيس ونائب الرئيس. وأحد الرئيسين يجب أن يكون زعيماً افريقياً، وكان موقف الجبهة الشعبية لتحرير أرتريا، بل أُمرت أن يكون رئيس الجلسة /كارتر نفسه/ وإن نائب الرئيس سيعين من قبل الرئيس ومن بين الدول المضيفة.

٨ ـ أما موقف حكومة أثيوبيا، فيرمي إلى أن يتم اقرار اسم الزعيم الافريقي، ولا يرغب أي زعيم افريقي بالقيام بمهمته، ما لم يوافق على اتفاقاتنا في اطلنطا، ويدرك أنه مقبول من الجانبين وإذا لم يتمكن أي من الرؤساء المختارين اصلاً، من القيام بمهمته، سيتم اختيار غيره بالاتفاق المتبادل، بين الفريقين المتفوضين.

(ملاحظة):

إن الرئيس الأمريكي الأسبق /جيمي كارتر/، كان قد اختار ـ مسبقاً وضمنياً ـ الرئيس الأفريقي /دانييل آراب موي/ رئيس كينيا لهذا العمل، وأن كل هذا الكلام من أجل إضفاء الصيغة الديمقراطية لعمله.

الاقتراح النهائي للتسوية: (سيكون هنا سبعة مراقبين وستتم دعوة آخرين، للحضور من هؤلاء المراقبين يمكن لكل، فريق أن يختار مراقبين اثنين، دون قيد ودون ممانعة من الجانب الآخر، أما الثلاثة الآخرون فتتم دعوتهم، بالاتفاق المتبادل بين الفريقين، ويمكن أيضاً تمثيل دول أخرى بواسطة مراقبين، بالاتفاق المتبادل بين الجانبين، توافق الجبهة الشعبية علىعدم إبداء أي تحفظ أو ممانعة بشأن الخيار غير المقيد، وإن المراقبين سيقومون بمهامهم كشهود، وكانت الجبهة الشعبية تصرّ على أن يقوم مركز /كارتر/ وغيرهما بتأمين عناصر السكرتارية.

٢ ـ ويصرّ الجانب الأثيوبي، علىأن نائب الرئيس سيختار، من عناصر السكرتارية الذين، يستخدمون بصفتهم الفردية.

٣ ـ قال /كارتر/ بالرغم أنه، لم يتم التوصل إلى اتفاق تام، حول الأمور أثناء المباحثات الأولية، في اطلنطا فإن الجانبين، وافقا على الاستمرار في هذه الجهود، وقد تم تفويضي بتحديد وقت ومكان المباحثات المقبلة، وإنني أفضّل استمهال جهود السلام هذه لغاية ١٩٨٩/١١/١٨. حيث سيعقد اجتماع آخر في /نيروبي/ عاصمة /كينيا/، وفي هذه الأثناء يُطلب من الجانبين السعي، إلى اتفاق حول المواضيع المتبقية وتقديم لائحة المراقبين، والاتفاق على الزعيم الافريقي الذي يعمل معي، ضمن إطار المباحثات الرئيسية.

هذا ماجاء في البلاغ النهائي والذي صدر في اطلنطا، ومن القراءة الأولية يلاحظ المرء أنه يخلو من أي اتجاه

للوجود العربي، كما نلاحظ أن الجبهة الشعبية تمشي وترسّخ أقدامها، واخواننا في الفصائل يتناحرون وإلى حد أن وصل الموقف بينهم إلى الاقتتال.

وفي ١٩٩١/٣/٢٠ أرسل لي الأخ..... رسالة يقول فيها الآتي:

(الأخ العزيز أحمد أبو سعدة المحترم، أرجو أن تكون بخير وفي تمام الصحة والعافية مع بقية الأخوان الكرام.

عزيزي:

لقد وصلت إلى [illegible] سلا، للاتصال بكم ووضعكم في الصورة عن آخر تطورات تنظيمنا، لاسيما بعد اكتشاف شبكة للتجسس والتخريب مرتّبة، مع الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا. والغريب بالأمر أن هذه الشبكة شملت عناصر قيادية من التنظيم، وعلى رأسها /محمد أبو بكر جمع/ رئيس المكتب العسكري سابقاً، وبعض القياديين من المجلس الوطني في حدود الستة أشخاص، وعدد من القادة وأن اللجنة التنفيذية اتخذت الاجراءات الوقائية والتنظيمية اللازمة نحوهم، وأصدرت قراراً بفصلهم من التنظيم وتتم محاكمة العناصر المتآمرة لاحقاً لأخذ التنظيم حقه.

الأخ أحمد: الوضع داخل التنظيم متماسك، والجميع ملتزمون بكل الاجراءات التي، تم اتخاذها وقد تم تأجيل اجتماعات المجلس الوطني، لحين تصفية الأمور واستكمال إعادة التنظيم، وقد أطلعت سعادة سفير القطر العربي السوري في الخرطوم على كل هذه التفاصيل.

(ملاحظة) معظم العناصر المتورّطة، في هذه المؤامـرة، هـم مـن جماعة /أبو بكر محمـد جمـع/ وهـذا للعلـم، البيانـات الخاصـة بهـذا والصادرة من قيادة التنظيم، مرسلة لكم مـع هـذه الرسـالة، وأرجـو أن تتكرم بإبلاغ الرفاق بطرفكم عن آخر التطورات حتى وصولي إليكم...

تقبل تحيات الأخوة.

وإلى اللقاء قريباً

الخرطوم ١٩٩١/٣/٢٠

أخوكم..........

اعفوني من ذكر اسم، مرسل هذه الرسالة خوفاً عليه، لأنه كـان من الأوائل الأفراد الذين عملوا، تحت رعايـة الجبهـة الشعبية، وأنـا للأمانة لا أنشر اسمه وتوقيعه.

ثم وقع المحظور: فقد أرسـل الأخ /صـالح ايـاي/ والأخ /حسـن عثمان/ كل على حدة، بأن أحضر للخرطوم للضرورة القصـوى، وفعـلاً نفذت ما طلب مني.

وحين وصولي لم ينتظرني الأخ حسـن لانشـغاله خـارج السـودان، وإنما وجدت الأخ /صالح اياي/ الذي اطّلعني على ما كان يدور في الخفاء. وقال:

(إن عمـر بـرج/ ومعـه /حسـن عثمـان/ صـاحبك، أي يقصدنـي بالصداقة الشخصية لحسن عثمان ـ وقال (صاحبك قد تـآمر علينـا مـع الأمن السوداني، وإنني مطلوب الآن من قبل الأمن السوداني، وعندمـا

كنا نجتمع كمجلس وطني دخل علينا، رجال الأمن السودانيين وهدّدونا ثم طردونا خارج المبنى، وعلّقت الجلسات، وهذا كله بسبب /عمر برج/ و /سعيد ناود/ و /منتاي/ وصاحبك /حسن عثمان كنتباي/ وآخرون. لقد تآمروا على التنظيم ويريدون تسخير التنظيم لجهات ..... أفضّل عدم ذكر الاسم.

ـ قلت له: (إذن حدث انشقاق آخر).

وقال: (إننا نفكر بتغيير بعض أعضاء القيادة بمن فيهم الرئيس /عمر برج/ فما رأيك؟).

قلت له: (ليس لي رأي، فهذا ما كنت أخشاه، بالأمس أسقطت /أبا بكر محمد جمع/ ورفاقه، واليوم برج ورفاقه، وغداً ماذا سيحدث؟ ما رأيك يا أخ /صالح/ بأن أقوم بوساطة مع أصدقائنا ونسوّي الوضع؟

أجابني صالح: (لقد تعاونوا مع الأمن السوداني فكيف تريدنا أن نعمل معهم؟) قلت له: (دعني أراهم علني أفعل شيئاً).

وفي الصباح الباكر جاءني الأخ /محمد عمر يحيى/، وهو من تنظيم جبهة التحرير الأرترية المجلس الثوري.

قال لي: (الجماعة تفرّقوا) ولقد أجريت عدة محاولات لكي أجمعهم، لكن للأسف لم أوفّق فما هو رأيك يا أحمد؟ وخاصة أن الجماعةوصلوا إلى طلاق لا عودة فيه.

قلت له: (سوف أحاول فأنا موجود وليس هناك أي خسارة).

وفعلاً ذهبت وقابلت /عمر برج/ الذي كان ينزل «بالجراند أوتيل».

وقلت له:

(يا أخ عمر لا يزيد الانشقاق إلا إنشقاق آخر، وهذا ليس لمصلحة التنظيم، لذا أرجو أن تلتقوا وأن تتفاهموا، وهذا أفضل، لقد أصبح هذا التنظيم أفراداً أما ماتبقى من الجيش، فقد كفروا بكم وبمن قبلكم ومن سيأتي بعدكم.

بالطبع لم يعجبه كلامي واكنه قال علىمضض: (إذا قبل صاحبك الاجتماع ـ ويقصد /صالح اياي/ ـ فأنا جاهز للاجتماع به.

ولكن هذا برأيي كان مجاملة لا أكثر، ثم حاولت مع /محمد سعيد ناود/ الذي فلسف لي الأمور ثم قال أيضاً: (إنه علىاستعداد) وكان في ذلك الوقت /علي برحتو/ يتحرك شمالاً ويميناً و/إدريس كلايدوس/ الذي كان نائباً للرئيس وفي يوم من الأيام.

قلت /لادريس كلايدوس/ علينا يا أخ أدريس أن نعمل سوية، لإعادة التنظيم إلى ما كان عليه، وتواعدنا أن نلتقي في صباح اليوم التالي، لنكمّل مشوارنا سوية، ألا وهو جمع الأخوة. لكن الأخ /ادريس كلايدوس/ كان قد أعد العدة سلفاً، للإلتحاق بالجبهة الشعبية، وفي الليل سافر إلى القاهرة، ومنها إلى اسمرا ليعمل مع حكومة الجبهة الشعبية، هذا هو موقف وتصرف نائب رئيس اللجنة التنفيذية للتنظيم الموحد في تلك الأيام؟.

قلت لصالح (إن الأخوة مستعدون للالتقاء بكم لإنهاء، هذا الخلاف الذي سيؤدي إلى انشقاقات جديدة. ومن حديثي معه فهمت /أن الأمر قد انتهى/.

قلت له /افعلوا ما تشاؤون، فلن يكون هنا غير الانشقاق/.

ثم سافرت إلى جدة لالتقي /بحسن عثمان/ صديقي و/عثمان دندن/.

وقالا لي /انظر ماذا فعل صاحبك/؟ قلت لهم (اعتقد بأنكم أصبحتم ثلاثة تنظيمات والأفضل أن يجلس كل واحد في بيته، فعمر برج لن يتخلى عن الرئاسة وسعيد ناود مقبول من جهات معينة، وطامح بالرئاسة، وعلي برحتو لابد أن يكون رئيسا في حالة تشكيل تنفيذية جديدة، وهذا ما حصل فعلا.

وقال لي حسن (يجب أن تقف إلى جانبنا) ثم جاءني /علي برحتو/ و/محمود إسماعيل/ و/إبراهيم امركاني/ و/عبد الرحمن نكروما/ وكانوا يضمنون وقوفي، إلى جانبهم لأني صديق /صالح اياي/. والحقيقة لم أكن بجانب أحد، لقد تأثّرت وأصبحت ضائعاً، كما ضاع هذا التنظيم. هؤلاء جميعا هم ...الذين اضاعوا التنظيم كما أضاعوا الجبهة، وعدت إلى دمشق وبدأت أفكر أن أعود إلى عملي الأصلي وأترك الثورة الأرترية والعمل الثوري، وخاصة أني أصبحت بعيدا عن هذه الانشقاقات، وبعيد أكثر عن الجبهة الشعبية التي، لم أحاول أن التقي بأحد منها، وإذا التقيت بأحد يكون مصادفة وليس له فعل أو تأثير، ثم فوجئت برسالة من صالح يطلب فيها. باسم الأخوّة والصداقة

ـ أن أقف إلى جانب الحق وأن أتابع عملي. ثم قال لي هاتفيا (لقد تم التغير) وارسل لي بالبريد التغييرات، التي حدثت في التنظيم، ويقول لي برسالته (إن الفترة التي امتدت من ٩/٢٩/ إلى ١٩٩١/١٠/٧ تم اختيار لجنة تنفيذية جديدة، على أساس الكفاءة والإخلاص، ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب. وتم اختيار لجنة تنفيذية جديدة، حلت محل السابقة، والتي انتهت صلاحيتها، عند انعقاد الدورة للمجلس الوطني، وفضها من قبل رجال الأمن السوداني، ثم مطالبة أعضائها بالالتزام بهذا القرار. ثم يقول صالح إننا نسعى، إلى إقامة لجنة نخولها، صلاحية الاتصال بالجبهة الشعبية لتحرير أرتريا والاتصال بسائر الفصائل الوطنية الأرترية، من أجل الوصول إلى مصالحة وطنية، ثم يقول لي في رسالته (إن هناك لجنة شكلت للتحقيق بالتجاوزات التي، مارستها اللجنة التنفيذية السابقة، وإعادة الاعتبار، لمن وقفوا أمام الانحرافات، وتعرّضوا للطرد أو التعذيب، والنظر في إمكانية تعويضهم أو تخفيف آلامهم، ثم إعادة تشكيل أجهزة المجلس الوطني الأرتري، وقد تم ذلك على هذا النحو. فلقد تم تعيين الأخ محمد صالح حمد رئيسا للمجلس الوطني الأرتري، وتم تشكيل لجنة تنفيذية جديدة رأسها علي برحتو.

هذا ما تم أما التنفيذية القديمة، والتي لم تقبل التنازل، واعتبرت هذا انقلابا فاشلا، وبقيت تمارس عملها، ويقول كل واحد (أنا التنظيم الشرعي للتنظيم الموحد).

التناحر على أشدّه بين المجموعات والأفراد، وفي غياب كامل للتنظيمات المتناحرة، تم عقد الاجتماع في العاصمة الإنكليزية (لندن) ضم الجبهة الشعبية لتحرير أرتريا، والجبهة الشعبية لتحرير تجراي، وجبهة تحرير شعب اورمو، تحت الرعاية الإمريكية متمثلة /بهرمن كوهين/ اليهودي والصهيوني النزعة، وهو مساعد لوزير الخارجية الأمريكية لشؤون افريقيا، وقد شارك في هذا الاجتماع رئيس وزراء اثيوبيا. ففي اجتماع لندن الذي ضم هؤلاء كلهم ـ وأثناء المفاوضات ـ جاءت الإشارة إلى ممثلهم، بالإيعاز إلى /ملس زيناوي/ رئيس جبهة تحرير تجراي، بدخول قواته إلى العاصمة أديس أبابا، فقد انهار الجيش الاثيوبي /ومنغستو/ أم كان هناك مؤامرة أمريكية مرتبة، فهذه الرواية تقول أن المخابرات الأمريكية قالت /لمنغستو/ (إن الأمور أصبحت ناضجة، للتفاوض فما عليك، إلا الذهاب إلى كينيا للتفاوض، حتى لا تضيع أثيوبيا، وتقسّم إلى دويلات صغيرة. يبدو أن الحيلة انطلت، على منغستو وذهب إلى كينيا، ضمن وفد كبير للمفاوضات مع الجبهة الشعبية لتحرير أرتريا، والجبهة الشعبية لتحرير تجراي، وجبهة تحرير اورومو).

وعندما وصل منغستو لنيروبي قيل له (أن الرئيس الكيني لن يستقبله أبداً)! ولم يُسمح له بالهبوط من الطائرة، وقالت له السلطات الكينية ـ عبر مكالمة قصيرة من برج المطار ـ (عليك بالتوجه إلى زمبابوي، فلقد خُلعت من السلطة، ودخلت قوات /ملس الزيناوي/

إلى العاصمة أديس ابابا، وهرب القادة من مدنيين وعسكريين، فأنت الرئيس السابق، لكنك اليوم الرئيس المخلوع) وهكذا انتهت المكالمة.

وتوجه الرئيس المخلوع /منغستو/ إلى زمبابوي، فهو يعيش اليوم بالقرب من /هراري/ حيث يدير مزرعة خاصة به، إلا أن أوضاعه المالية سيئة جداً.

وقد روى لي أحد الأصدقاء هذه الرواية، واعتقد أنها صحيحة وسمعتها من أكثر من مصدر، إلا أن صديقي اثبت لي صحة هذه الرواية، اتصل: /منغستو/ وهو في منفاه بالشيخ /سعد العبد الله/ رئيس وزراء الكويت، وذكّره بموقفه أثناء أحداث الكويت والعراق وقال له (ألم أكن إلى جانبك؟) فما كان من الشيخ سعد إلا أن أرسل له مبلغ مائتي ألف دولار، مساعدة مالية، والله يحب المحسنين! ورواية أخرى وهي صحيحة أيضاً، فقد كان لمنغستو بعض الصداقات مع رؤساء العالم العربي، واتصل /منغستو/ برئيس دولة عربية موجود خارج بلده وشرح له ظروفه المالية، فلبي هذا الرئيس طلبه وارسل له مبلغ خمسين ألف دولار، ونعود الآن لاستكمال الحديث عن أرتريا. فبعد دخول قوات تجراي، إلى العاصمة أديس أبابا دون مقاومة، دخلت قوات الجبهة الشعبية إلى العاصمة اسمرا ودون أي مقاومة. إذن تحالف الشعبيتين تجراي وأرتريا نجح، وكان هذا في يوم ١٩٩١/٥/٤ فقد انهار الجيش الاثيوبي، وتفكّك بسرعة البرق، ولم يطلق رصاصة واحدة.

إن الرئيس الأمريكي الأسبق، قد نجح في تخطيطه، وساعدته الظروف، حيث انتهى وتفكك النظام الاشتراكي، ولم يبق منه سوى اسمه فقط. فالتخطيط الذي رسم من قبل الدوائر الأمريكية، كان أكبر من أن تستوعبه الفصائل الأرترية المتناحرة، بل إن العرب شربوا المقلب الذي أعده الأمريكان، ولعب الدور بدقة بعض القادة من الجبهة الشعبية فاليمن الشمالي في حينها ـ كان يتبنّى الحوار السلمي، بين الأرترين واثيوبيا، وكلف السيد محسن العيني بذلك. لكن الأميركيين يعملون كعادتهم من الخلف.

عندما سافر وزير الخارجية اليمني، إلى اثيوبيا من أجل التمهيد لاجراء المباحثات، حيث أن الفصائل الأرترية الوطنية، والجبهة الشعبية، قد وافقتا على هذا الحوار، وعندما كان السيد /محسن العيني/ في طريقه إلى أديس أبابا، كان اسياس قي طريقه، إلى الولايات المتحدة لاجراء المباحثات، مع الاثيوبيين بالرعاية الأمريكية، وعند وصوله إلى أمريكا، رفض أسياس فكرة اليمنيين، وبقي مع الأمريكان. بينما كانت الفصائل تنتظر، لإجراء الحوار المرتقب مع الاثيوبيين، وأما أبطال وفد المفاوضات في اطلنطا فقد كان من، اسياس افورقي الأمين العام للجبهة الشعبية، وعلي سيد الذي أصبح بعدها وزيراً للداخلية، وقال (أن سوريا لم تمد الثورة الأرترية إلا بسبعين بندقية سيمنوف)!!

إذن هناك من ينتظر في اليمن، وهناك من يفاوض في أمريكا. وعندما دخل المناضلون، من الثوار الأرترين إلى أسمرا سارعت كثير من قيادات التنظيمات بالانخراط ، ووضعت نفسها تحت تصرف الجبهة الشعبية.

حقيقة إنها فرحة تاريخية لا توصف، والحمد لله الذي أعطاني العمر لأرى أسمرا وقد دخلها الثوار الأبطال.

وزادت الأمور غلياناً فالمجلس الثوري، بقيادة أحمد ناصر، اشترط مبدأ الحوار مع الجبهة الشعبية، فوافقت الشعبية على هذا اللقاء والحوار، لكي يصلوا إلى صيغة ترضي الجانبين. أما بقية الفصائل المتناحرة حيث ذهب كثير منهم، إلى الجبهة الشعبية، ليستلم مركزا أو منصبا لأنهم يعتقدون أنهم الاكفاء للعمل الخارجي، وكثير منهم يتصوّر نفسه سفيراً أو ملحقاً أو وزيراً، ولكنهم لم يعرفوا أن لهم أضابير ودفاتر في الجبهة الشعبية للمحاسبة، إذا لم يعملوا وفق تعليمات الشعبية عندما يحين الوقت. كثير منهم كانوا يجلسون في الفنادق والمقاهي وينتظرون.

وقال لي أحد اعضاء مكتب دمشق للتنظيم الموحّد، وهو أول من رتّب حقيبته، وسافر، قال لي:

(سوف أعود إليك سفيرا)

قلت له:

(قل إن شاء الله).

وسافر سفير المستقبل حتى أنه أشاع قبل سفره بأنه عائد إلى البلد ليكون سفيراً فوق العادة. نعم، رضيت به الجبهة الشعبية لكنها لم تعيّنه سفيراً، وهو يهيم الآن على وجهه ومن أمثاله الكثيرون الكثيرون..

اتفق التنظيمان الجبهة الشعبية، والمجلس الثوري على الحوار في أسمرا، ودون شروط مسبقة، وعندما سمعت بهذا قلت لبعض أصدقائي في المجلس الثوري (إنكم لم تتعلموا ولن تتعلموا) لكن على ما يبدو ـ لم يكن في اليد حيلة، فالمجلس الثوري لم يعد جبهة التحرير الأم، هذه القوة التي كان يحسب لها حساب، من العدو الاثيوبي، ومن الأصدقاء، انتهت بل دمّرت.

ذهب إخواني إلى مطار الخرطوم ليسافروا إلى أسمرا /لبدء الحوار/، وكان على رأس هذا الوفد الأخ أحمد ناصر رئيس الجبهة ــ المجلس الثوري، وفي انتظار إقلاع الطائرة جاءهم ممثل الحكومة الأرترية المؤقتة في السودان وقال لهم:

تعتذر الجبهة الشعبية عن استقبالكم في الوقت الحاضر، هكذا وبكل بساطة؟؟؟!!.. وعاد الوفد من مطار الخرطوم وإلى الآن وبعد مضي سنوات لم تحدّد الشعبية، موعدا لاستقبالهم، وإجراء الحوار معهم ـ ولن تحدّد، بل تم اختطاف اثنين من قيادي المجلس الثوري وفي مدينة كسلا السودانية وهما (تخلي قبر صادق، وولدماريام بهي،

وهما من أعضاء اللجنة التنفيذية) تم خطفهما من قبل الجبهة الشعبية وهما الآن يقبعان في سجونها.

وفي الصباح الباكر اتصل بي صالح اياي من الخرطوم وقال لي:

(لابد أنك سمعت ما فعلته الشعبية، بجماعة أحمد ناصر، وكيف أعادتهم من مطار الخرطوم.

قلت له:

(سمعت بأنك يا صالح في طريقك إلى الشعبية).

قال لي:

(هذا مستحيل وإذا تم هذا فستكون أنت أول من يعرف. السنا متفقين أن ندخل أرتريا بعد الاستقلال سوية؟أم أنك تريد أن تتنصل).

وأنا هنا أريد أن أبتعد قليلا عن العلاقات السياسية، لأقول لكم (أن الأخ صالح اياي، كان يعتبر رمزا من رموز الثورة الأرترية الوطنية، بل أحد قادتها الكبار. فكل من كان يعرفنا يقول (أنهما أخوان لم يولدا من أم وأب بل كانا أكبر من يكون لهما أب وأم واحد؟ أما هنا في دمشق. فقد قام مسؤول مكتب الجبهة الشعبية والمدعو /حديش درار/ بعمل لقاءات مع الأرتريين الموجودين في دمشق، وشمل هذا اللقاء أعضاء مكتبيّ دمشق والطلاب والأسر المتواجدة، وقال لهم (يجب أن تنضموا وتعملوا تحت راية الجبهة الشعبية، فليس هناك بعد الآن، أي تنظيم سواه، والحقيقة أن الطلاب هم الوحيدون الذين قاوموا أفكاره وتوجهه. أما أعضاء مكتب دمشق

التنظيم الموحّد، فقـد أصبـح /حديـش/ بالنسـبة لهـم، الآمـر النـاهي، فكانوا لا يفعلون شيئا إلا إذا أخذوا موافقته.

وفي يوم من الأيام قلت له:

(أتعلم يا حديش أنك تصلح أن تكون راعي أغنام)؟

فقال (أنا مرتاح لهذه التسمية) وقد فهم معناها تماما ثـم سـألت كلا من أعضاء مكتب دمشق ،لمـاذا تمشـون أمـام حديـش هكـذا وكأنـه أبوكم، لا تتكلمون إذا لم يسمح لكم بالكلام، ألهذه الدرجة ترهبونه أم لأن شكل حديش يصلح لأن يمثل أفلام الرعب)؟ وكان يأتيني كل يـوم ويقول لي ويحمّسني (أنت مناضل وأنـت قبلنـا في الثـورة ومـن بدايتهـا وأنت وأنت ..) ولم أكن أعرف ما يريده بالضبط.

وفي يوم من الأيام كان في منزلي، نشرب القهوة فقال لي:

(ألم يتصل بك الأخ صالح اياي).

قلت له: (لا.. ولم أكمّل كلامي حتى رن جرس الهاتف، وكان صالح أياي يتكلم من الخرطوم).

قلت له: (والله أنك ابن حـلال، أم أنـك وقتّهـا مـع حديـش، فهو جالس معي).

قال لي: /يا أحمد (أرجو أن تتعاون مع الأخ حديش).

وقبل أن يكمّل كلمته قلت له (ماذا تقول)؟ فسـكت ولم يتكلـم وانقطع الخط. وحين جلست كان التأثر باديا على وجهـي مـن كـلام صالح.

قال لي حديش (أريد أن أكون صادقا معك يا أبو سعدة كلهم سوف يذهبون كأفراد، ولن نقبل بهم كتنظيمات، وأنت لا تصدّقني، والحقيقة أن حديش كان صادقا في هذا. وغادر /حديش/ منزلي، ليقوم ويتفقد أغنامه؟.

في صباح اليوم التالي اتصل بي /صالح أياي/ مرة ثانية قلت له:

(إن تصرفك وكلامك معي بالأمس كان غريبا ويدّل على أنك ماشٍ إلى الجبهة الشعبية).

قال لي: (لا.. ألم أتفق وإياك عندما ندخل أسمرا سوف نكون معاً)؟

قلت له: (لا.. هذا مستحيل وانتهت المكالمة عند كلمة لا..) مني ومنه.

وبعد أسبوع من هذا الهاتف، انقطع اللقاء بيني وبينه، ودق الهاتف في الساعة الخامسة والنصف من يوم الأحد، لأسمع صوت حديش ممثل الجبهة الشعبية يقول لي:

(مبروك يا أبو سعدة إن صاحبك في أسمرا ويقصد /صالح أياي/).

ووقفت عند كلماته فقد كانت كالنار أحرقتني وبعدها نقلت إلى مشفى الرازي بدمشق، لأمكث هناك يومين، خرجت من المستشفى بعناية الله فقط، فلولا هذه العناية الإلهية لكنت عاجزا طوال حياتي.

وجاءتني الأخت /جمعية/ /أم أياي/ زوجة صالح وبكت حين شاهدتني على وضعي وقالت لي (لا تزعل يا أحمد.. لا سمح الله إذا صار لك شيء ما بتروح إلا عليك وعلى أولادك)؟ .

وا لله أقول هنا وأعترف أني صُدمت، إني احترم صالح وأحبه من قلبي، ربما فعلها لأنه /أصيب بالملل/، فقد اعترف لي في يوم من الأيام وقال:

(لقد مللت هذا التعامل مع بعضنا، وافكر أن استريح). وعلى ما يبدو قد استراح بذهابه هذا. لكني لم أرد له هذه الاستراحة بهذه الطريقة، كان عليه أن يذهب، ويبقى على رأس التنظيم، وربما حوّل هذا التنظيم، إلى حزب يقول من خلاله كلمته، ألم تعد الجبهة الشعبية بتعدد الاحزاب؟ أما أن يذهب ويتلاشى، بعد كل هذا النضال والعذاب، صحيح أن استقلال أرتريا كان أمنية بعيدة وأكبر من كل شيء، إلا أن التضحيات الكبيرة والدماء التي، قدمت كانت كفيلة بتحقيق الحلم البعيد، أنا مع أي أرتري يود الذهاب إلى وطنه والعيش فيه فلماذا قاتل الأرتريون وتشردوا ولاقوا من ويلات العذاب؟ ما لم يلاقه، إلا الأخوة الفلسطينيون إذا لم يعودوا لاوطانهم دون سبب فهو أمر غير طبيعي، أنا مع العودة والمساهمة في إعادة تعمير البلد، لكن العودة شيء، والانضواء والعمل تحت قيادة الجبهة الشعبية شيء آخر، أنا ضد كل من يعمل لتفتيت أرتريا أرضاً وشعباً، إن أرتريا لكل الارتريين على مختلف مذاهبهم، ويحق لي بعد تسعة وعشرين عاماً أن أقول (إن أرتريا لن تكون ولن تكون (تجراي تجرينا) أي لكل المتحدثين بالتجرينية في أثيوبيا، وخاصة أهل تجراي الاثيوبيين والمرتفعات الأرترية، إن

أرتريا لاهلها فقط، اسلام ومسيحيون ووثنيون عرب أفارقة أم افارقة وطنيون لا... لا.. لتمزيق الشعب الأرتري. كفاه اراقة دماء وهدم بيوت وهتك اعراض، أما الانتماء القومي للأرتريين فهم الذين يحدّدوه لا السياسة المتبعة حالياً، فكل سياسة قابلة للتغيير والتغير. من الممكن أن تقلع الأشجار ولكنك لا تستطيع أن تزيل التراب. إذن من المستحيل أن يغيّروا شروق الشمس، فالشعب الأرتري له ترابه وجذوره وثقافته العربية، ومن المستحيل تغيّير تربته، وهكذا فعل الأخ صالح وذهب ولم يعلمني كما كان يفعل سابقاً، ويطلعني على ادق اللحظات واخطرها، كنا روحا واحدة في جسدين.

ورن الهاتف في منزلي، وكان صوت صالح أياي، يتكلم من اسمرا عاصمة أرتريا المستقلة وكانت قد أخبرته زوجته بما حصل لي. وقلت له (مبروك يا أخ صالح وهنيئا لك بعودتك إلى بلدك. وهل هناك أجمل من أن يكحّل الإنسان عينيه بتراب وطنه؟

فقال لي: (تكلمت مع الأخوة المسؤولين هنا، اذهب وضع نفسك تحت تصرف مندوب الحكومة الأرترية، في دمشق. قلت له (ليس هناك مكتب للحكومة الأرترية، إنما هنا مكتب للجبهة الشعبية. ثم إنك نسيت يا صالح إني عربي سوري ولي دولتي وحكومتي، فلو كانت حكومتك هذه حكومة عربية، وتكون مختلفة مع حكومة بلدي، حينها قد أفعل هذا أي أقدم نفسي للحكومة العربية

بحالة الضرورة؟ لكن هذه حكومة الجبهة الشعبية. لكن لي سؤال (كيف ذهبت ولم تعلمني وكيف رضيت هذا لنفسك؟) وانقطعت المكالمة. فصالح أخبرني بعد أن علم من زوجته وضعي الصحي الخطير، واتصلت به أنا، وتكلمت معه طويلا. وعندما جاءت فاتورة الهاتف كان المبلغ الذي دفعته تسعة الاف ليرة لمكالمة واحدة مع الأخ صالح أياي. ولنعد إلى الشعبية.

عندما حدثني حديش في الصباح وقال لي (إن صاحبك في اسمرا) لم أصدّق إن (صالح) ذهب دون أن يعلمني، أو على الأقل يُعلم بلدي الذي، قدّم للشعب الأرتري المال والسلاح والتدريب والمدارس والجامعات والدورات العمالية والفلاحية، حتى إن بلدي قد خرّج طيارين وفنيين في سلاح الجو. حتى أن الأخ /شيكاي رمضان/ أصبح رائداً طياراً في الجيش العربي السوري، أليست أرتريا عربية هكذا؟ كان مفهومي القومي لأرتريا، أما إذا كان غير ذلك، فهذا شأن أرتري خاص. نعم أعطاهم بلدي كل ما يستطيع، أقول هذا ودون منة أو جميل. وما زال القطر العربي السوري كبقية الاقطار العربية، يقدّم المنح الدراسية وغيرها لابناء أرتريا.

جاء حديش إلى منزلي باكراً وقال لي: (ألم أقل لك إن صاحبك أبا أياي سوف يذهب وذهب؟، واليوم أقول لك خبراً آخر أن صاحبيك /محمد سعيد ناود/ و/حسن عثمان/ ستجدهما بعد مدة في اسمرا).

قلت له: (اسمع يا حديش إن من يذهب فهو ذاهب إلى وطنه، وهذا أمر طبيعي ومشروع، أما أن يذهب إلى الجبهة الشعبية فهذا أمر بنظري، غير مشروع وغير طبيعي.

وسكت وقال (يجب أن تزور بلدك الثاني أرتريا) قلت له (إن شاء الله) وكان يجلس في منزلي ويحدّثني ليريني أن زملائي كلهم، كانوا مرتبطين بالجبهة الشعبية، بشكل أو بأخر، وهذا غير صحيح مطلقاً، وأنا لا أقسو على أحد من أصدقائي فهذا وطنهم، ولا أحد ينكر الحق في بلده، إلا أنني كنت أفضّل ألا تسير الامور، كما سارت. فعندما ذهب عثمان أبو بكر مسؤول العلاقات الخارجية في التنظيم الموحّد إلى اسمرا وبشخصه أجريت له مقابلة إذاعية وقالوا له:

(لماذا لم تأت قبل الآن)؟ أجاب (كنت أجمع زملائي لنأتي سوية.

والحقيقة إن عثمان ذهب وحده ولم يذهب معه أحد، وهو يعيش الآن في القاهرة، بعد أن خرج من المولد بلا حمص. إن الاخوة الأرتريين الذين رفضوا الانضواء، تحت جناح حكومة الجبهة الشعبية ولم يرضخوا للتهديدات، ومنهم من شكّل معارضة سلمية، وهذا برأيي أفضل الحلول، فالنضال السلمي هو الطريق الصحيح، وبعضهم رفع راية الكفاح المسلح، ومنهم جبهة تحرير أرتريا عبد الله ادريس، والجهاد الاسلامي، فهؤلاء يعتمدون على الكثير من مقولاتهم، ومنها أن المنطقة العربية تمثل المحيط الجغرافي والسياسي والاقتصادي

لأرتريا، ومنهم من يذهب أكثر مـن هـذا، وهـذا مـن حقهـم فيقـول (إن أرتريا عربية ونحن عرب وسنعيد أرتريا إلى أمها، ويجب أن نكـون مـع أشقائنا العرب، وخاصة الذين وقفوا معنا في مرحلة التحرير، وهذه الدول قطعت عن شعوبها المال والسلاح والدواء والغذاء وقدمت لنـا. وأنـا أقـول إن الأرتريين هم الذين سيختارون انتماءهم القومي. ولكني أفضّله سلمياً.

وفي ١٩٩٢/٩/١٧ أرسـل إليّ الأخ حسـن كنتـابي، المسـؤول في التنظيم الموحّـد، رسـالة يقـول فيهـا (الأخ أحمـد تحيـة طيبـة، نحـن موجودون في الخرطوم، في اجتماعات اللجنة التنفيذية، وسـوف يعقـد اجتماع المجلس الوطني، خلال عشرة أيام، نرجـو حضـورك فـوراً إلى الخرطوم، وأرجو اشعارنا بموعد حضورك، وسأتصل بـك يـوم الجمعـة لاعرف موعد حضورك.

حسن كنتباي ١٩٩٢/٩/١٧

ونفّذت ما طلبه مني، وسافرت إلى الخرطوم، والتقيت بكل مـن الأخ /حسن عثمان/ والأخ /محمد سعيد ناود/ الذي قال لي (الحمـد لله لقد تجاوزنا هذه الازمة الداخلية وخرجنا، ونحن أقوى من الأول.

قلت له: لا أريد أن أدخل في مناقشات لا تجدي إلا أني أقـول (لقـد اصبح ثلاثـة رؤسـاء للتنفيذيـة - الأول /عمـر الـبرج/ المتمسـك بالرئاسـة والـذي يقـول أنـه الرئيـس الشـرعي للتنظيـم والثـاني /علـي برحتو/ والمصر أيضا على رئاسته للتنظيم والثالث هو أنت.

وقال /محمد سعيد ناود/ انت يا أخ أحمد تعرف وضعنا ووضع الشعبية جيداً، وتعرف توجهنا العربي، وأن تنظيمنا يمثل التوجه والثقافة العربية، وأكد لي (إننا نناضل مع أخوة كثيرين في توطيد توجهنا القومي، ونريدك أن تكون إلى جانبنا، ونحن نعرف ما أصابك من ألم، عندما /هرب صالح أياي/ ورفاقه إلى الجبهة الشعبية، وخاصة إنك تعتبر /صالح أياي/ رمزاً من رموز الحركة الوطنية والثورية لشعبك الأرتري، لكن للأسف، هذا الذي حدث، وعليه فنحن نريدك أن تكون معنا ونحن وإياك سوية).

قلت لمحمد سعيد: (الاتودون أن تذهبوا إلى الشعبية كأفراد مثل غيركم؟).

قال لي وبتأكيد: (لن نذهب كأفراد، ولن نحل تنظيمنا، وإذا ذهبنا فنكون سوية، والجبهة الشعبية لابد أن تعترف بتنظيمنا، وأكد لي على ذلك).

قلت له: (ليس هذا هو المهم، أن نذهب سوية أولا نذهب، المهم هو عدم حل التنظيم، ومن الممكن تحويله إلى حزب سياسي، ضمن البلد، وإذا أحببتم الذهاب إلى الوطن والتفاهم مع الشعبية، فأرجو أن يكون ضمن مفهوم التنظيم والبقاء عليه، لا أن تذهبوا وتحلوا التنظيم، وتدخلون كأفراد، فإذا تم هذا فلن تكون لكم أي قيمة سياسية، لا الآن ولا في المستقبل، وخاصة تعرفون إن الجبهة الشعبية، أعلنت أنها لن تقبل أحداً من التنظيمات مطلقا وتجربة جبهة التحرير الأرترية المجلس الثوري قائمة ومعروفة.

ثم قال لي /محمد سعيد ناود/ بخجل: (إننا طهّرنا التنظيم من العناصر المتساقطة، وسكت. لكنه تابع كلامه وقال:

(إن الأخ /صالح إياي/ وبتصرفه قضى على نفسه) قالها بخجل لأنه يعرف صداقتي لصالح، وخوفا على مشاعري تجاه الأخ /صالح أياي/، ثم قال لي (إن الذين هربوا للشعبية عددهم قليل، لا يتجاوز العشرة بما فيهم /صالح إياي/ و/محمد صالح حمد/ من مجموعة مكونة من خمسة وأربعين عضوا يشكّلو المجلس الوطني، وعليه فنحن نريد تقوية التنظيم حتى يكون لنا الدور الفعّال في أرتريا، ولن ندخل كأفراد كما دخل صالح أياي (وفرقته)، خاصة إن ظاهرة الاختراق من الشعبية على الصعيد القيادي قد انتهت، ثم إننا دخلنا في حوار دائم، مع السلطات السودانية لتعديل موقفها، وخاصة بعد أن تكشّفت لهم خطورة، نهج دور الجبهة الشعبية حتى على السودان نفسه.

في أثناء الحديث دخل /حمد كلو/ مندوب التنظيم في أبو ظبي وقال لي:

(شفت صاحبك كيف رجع لاصحابه؟) ويقصد الجبهة الشعبية، قلت له (هذا الكلام مردود عليك، فصالح أياي رجل وطني وشجاع، ولا أسمح لك بالكلام عنه، وكل الأرتريين يعرفون الخلاف بينهما .

والحقيقة أني أحب /حمد كلو/ من قلبي، فهو ذو حديث طلي، ثم إن اخلاقه دمثة وهو لطيف، وفضلاً عن هذا فهو مناضل قديم، قضى حياته في الكفاح والنضال، من أجل شعبه.

كنت دائماً أقول /لحمد كلو/ عندما يتكلم ويحرّك عينيه (والله لو كنت بنتاً لغازلتك حتى لو علقوني على حبل المشنقة، لعنة الله على السياسة، والحقيقة أني كنت إلى جانب كل أرتري كنت أقف معهم، والمؤسف إن الذي اتضح لي فيما بعد أن تعاملهم معي كان سياسياً، وإن لم يكن كلهم).

خرج /حمد كلو/ وبقيت مع /محمد سعيد ناود/ حيث قال (إن من وجهة تعاملنا والتفاوض مع الفصائل الأرترية الأخرى فإننا نحتفظ بعلاقات جيدة معها، وقد أعددنا ورقة عمل لتكون الحوار بيننا، وبين هذه الفصائل، حتى نصل إلى موقف سياسي موحّد، تجاه القضايا المصيرية التي تواجهنا.

وقلت /لمحمد سعيد ناود/ مرة ثانية (أخشى أن تذهبوا أفراداً إلى الجبهة الشعبية، وإن هناك اشارات بذلك، أرجو أن يكون لكم شأن في بلادكم، لا أن تكونوا هامشيين.

وعدت والالم يعتصرني (إن أخوتي يتساقطون الواحد بعد الآخر وتذوب الأفكار التي آمنا، بها بل تذوب أفكارهم، هم أنفسهم

الذين، يذوّبونها بتقطيع أوصالهم، عضواً بعد آخر نعم... لم يبق من الجسد شيء.

ثم قام /محمد سعيد ناود/ برفع مذكرة إلى الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي الاستاذ /عبد الله الأحمر/، وذلك من خلال السفارة السورية في الخرطوم، ثم مذكرات مماثلة إلى بقية الدول العربية أما مذكرة /محمد سعيد ناود/ فتقول: (تحية عربية وبعد: يسرني وزملائي أعضاء اللجنة التنفيذية، خاصة وأعضاء التنظيم الموحّد بوجه عام، أن أتقدم بهذه المذكرة مسجلين اعتزازنا بدور سورية الثورة وقائدها الفريق حافظ الاسد، وحزب البعث العربي الاشتراكي بدعم الشعب الأرتري وثورته طوال ثلاثين عاماً، حيث تحقق له النصر وخرجت قوات العدو في ١٩٩١/٥/٢٤.

لقد كان دعمكم لشعبنا وثورته من أجل أن ينال حريته ويقيم دولته الوطنية من جهة ومن جهة أخرى أن تأخذ أرتريا موقعها الطبيعي في الخارطة السياسية في المنطقة بكل ما تمثله من علاقات تاريخية وروابط ثقافية وصلات حضارية مع الامة العربية.. لقد كنا على اتصال مباشر ومتواصل مع سيادتكم من خلال سفارتكم في الخرطوم، حيث كنا نحرص على وضع الحقائق أمامكم أول بأول، وفي هذا الاتجاه فإنه يسرنا أن نبلغكم إننا تجاوزنا الأزمة الداخلية.. إن التنظيم الموحّد قد تحمّل مسؤولية تثبيت النهج العربي وعمقه الاسلامي الواسع، وإدراكاً منا لدور سورية الثورة وحزب البعث العربي

الاشتراكي في هذا الاتجاه فإننا نتطلع إلى زيارتكم ليكون اللقاء بيننا مباشرة، ونضع أمامكم همومنا وبرنامجنا ونشرح لكم ما يدور في أرتريا وآفاق المستقبل المنظور.

مرة أخرى نعبّر عن تقديرنا لدوركم الرائد وتحياتنا لكم ومن خلالكم للرئيس القائد حافظ الاسد ولشعب سورية الشقيق...

الخرطوم/ بواسطة السفارة السورية

محمد سعيد ناود/ رئيس اللجنة التنفيذية...

وقد أرسل لي نسخة من هذه المذكرة على اعتبار أنني واحد من هذا التنظيم..

في تلك الفترة كان يزورني /حديش/ مسؤول مكتب الجبهة الشعبية، في منزلي صباحاً، وبشكل مستمر ودائم، كان يقول لي بأن فلانا وفلان قد وصل إلى اسمرا وهكذا.. ثم قال لي (يجب أن تكون معنا يا أبا سعدة خاصة وإن لك اصدقاء بين الأرتريين، أكثر من أي أرتري آخر، كما أن الاخوة الأرتريين يحترمونك ويحترمون رأيك، وبالرغم من كونك معارض لنا، فإن معظم الأرتريين في الداخل والخارج يعرفونك، فكل مكان اذهب إليه يقولون لي: (لماذا لم يذهب أبو سعدة لاسمرا؟ وعليه فيجب أن تقوم بزيارة لأرتريا المحررة).

قلت له: (إن شاء الله سيتم هذا في المستقبل) إلا أنه كان مصرّاً - وعلى ما يبدو فإن الأوامر، جاءته من رؤسائه وبعد اصراره

عليّ قلت له /اسمع يا حديش أنا لن أزور اسمرا كأحمد ابو سعدة، إلا بعد أن تعدّل الجبهة الشعبية موقفها ورأيها من الأمة العربية، فأنا لن اتعامل معكم إلا عًلى أساس قومي، وأنا عربي أولاً وأخيراً، وأنتم دائماً تخرجون علينا برواية جديدة عن موقف العرب منكم. ألا تخجلون من أنفسكم؟ من عدم قولكم الحقيقة؟ وأريد أن أسألك (بأي سلاح حرّرتم بلدكم؟) أبسلاح الامريكيين أم الصهاينة أم بسلاح عربي؟ عليك أن تفهم يا حديش، إني عربي ولا أقبل أي كلمة تمسنا، وتمس أي دولة عربية، مهما كان توجّهها، فالعرب هم الذين، وقفوا مع الثورة الأرترية، وفتحوا مخازنهم وقدّموا لكم السلاح والمال والتدريب والجامعات والمدارس والمواد التموينية وحتى الجوازات.. الخ.

عندما تعودون إلى الحقيقة، وعدم النكران، فلكل حادث حديث. أنت سمعت هذا مني، وانقله لمعلميك، أنت كل يوم تأتي لبيتي ثم تذهب وتكتب بحقي الكتب والمذكرات إلى الجهات المسؤولة، وتقول (إنني اسيء العلاقة بين البلدين، بل أكثر من هذا، وأنا أعرف إن هذا ليس رأيك، بل رأي رؤسائك، فهم الذين يملون عليك ما تفعله، عليك أن تفهم كما فهم معلموك، إني مع أرتريا العربية، ولست غير ذلك.

وأراد أن يلطّف الجو وقال (إن القيادة في اسمرا، تريد أن تمنحك الجنسية الأرترية، تكريماً لمواقفك ونضالك مع شعبك الأرتري.

قلت له: (شكراً لك ولهم، وارجو الا تخرج من بيتي، وتذهب وتكتب إلى الجهات المسؤولة والمسؤولين في بلدي، مذكرة كالمذكرات التي كتبتها لقد اجحفت بحقي كثيراً، وحاولت أن تسيء إليّ كشخص. أكتب وأفعل يا حديش ما تشاء فأنت تمثّل تنظيمك، الجبهة الشعبية، وأنا عربي وضد كل من يحاول أن يمس العروبة وبلدي.

وغادرني حديش وهو لا يرى طريقه. من أين اتتني أخبار افعاله هذه؟ إنها من مكتبه.. مكتب الجبهة الشعبية.

وفي تلك الاثناء كان الثالوث - الذي باع نفسه إلى الجبهة الشعبية، وبعد أن خان القسم العظيم بالله - يلملم وثائق تنظيم جبهة التحرير الأرترية ويسلّمها إلى الجبهة الشعبية، وهرب الغنم الذي يسوقهم الراعي /حديش/ رئيس مكتب الجبهة الشعبية في دمشق.

كانوا يغشّون أنفسهم ويخونون اليد التي، امتدت إليهم وقت الشدة - هرب /حامد طنبار/ الذي عاش في سورية وتعلم فيها من شهادة الكفاءة حتى تخرجه من الجامعة السورية، هرب /محمد نور سعيد/ الذي عاش في سورية وتخرّج من كلية الفنون وتزوج فيها وأنجب أولاداً/، هرب /هبتي/ الذي عاش في سورية خمسة عشر عاماً كما هرب من قبله رؤساؤه.

هرب هؤلاء كلهم وكأنهم لم يعيشوا في دمشق، وعلّموا أولادهم، ولم يقولوا لاحد (السلام عليكم)! هرّبهم معلمهم حديش، وكما قال لي (هكذا اصدرت الاوامر من اسمرا) لم يودّعوا الماء الذي شربوه، وأنا

دائما أفكر وأقـول (لمـاذا هـذا الحقـد علينـا)؟ كنـت متفرغـاً للتنظيـم، احترمهم وأحببتهم ورعيتهم، وفي بعض الأحيان كنـت أرعـاهم، أكـثر مما أرعى أسرتي. كانوا أولادي وأخوتي. لقد تعلمت اشياء كثيرة من الأرتريين في الريف المحرر. كنت أعيش في الريف الأرتري. بين أهلـي أعيش، الاماني والثقة، وأعيش الأمل الذي، أراه في عيونهم. أما هؤلاء الذين ذكرتهم هنا، فكأنهم لا علاقة لهم بشعبهم.



حملة التشهير

هنا بدأت الاذاعة الأرترية والصحف، بشن حملة تشهير ضد المملكة العربية السعودية والمسؤولين فيها، وعلى رأسهم الامير تركي الفيصل مدير المخابرات السعودية. ثم كانوا يصفون التنظيمات الأرترية بأنها تسير من قبل المخابرات السعودية! بل تعدى الأمر إلى التهجم الشخصي على المسؤولين الكبار، فما كان من التنظيم الموحّد إلا أن اصدر بياناً عنوانه:

(المملكة العربية السعودية وأرتريا) كان هذا البيان رداً على اسياس افورقي الأمين العام للجبهة الشعبية، والذي ترأس الحكومة المؤقتة.

وإليكم، بعض الفقرات من هذا البيان (جاء في تصريحات نسبت إلى، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير أرتريا، ولم ينفها – هذه التصريحات التي تقول (إن المملكة العربية السعودية ودولاً عربية أخرى تثير النعرات القبلية وتقف ضد استقلال أرتريا.

إن مثل هذه الأقوال لا تصدر إلا، من كل جاحد مكابر، ولا تتفق والحقيقة التي، يتجاهلها مصدر هذا التصريح. مما يتوجب معه تبيان الحقيقة.. فحكومة المملكة العربية السعودية دأبت على دعم قضية شعب أرتريا، منذ عهد مؤسسها الملك عبد العزيز... كما ساندت القضية

الأرترية في كل، المحافل الدولية منها والاقليمية، وكانت وراء القرارات التي صدرت بحق القضية الأرترية، على مستوى مؤتمرات القمة العربية والاسلامية.. ولم يبق سرا إذا كشفنا إن حكومة المملكة العربية السعودية، كانت سبّاقة في تقديم العون، وكأن أول مبلغ دخل خزينة جبهة التحرير الأرترية كان من المملكة.. كما قدّمت تسهيلات لاستخدام أراضيها وموانئها الجوية والبحرية لعبور مئات المقاتلين إلى أرتريا، ثم اعطت السلاح والمال، فمن أين سافر اسياس افورقي في الستينات؟ ومن نقود من سافر إلى الصين الشعبية؟ حيث تدرب هناك؟ والذي أصبح أمينا عاماً للجبهة الشعبية بعدها؟ إنه أتى من بكين إلى السعودية وأكل من خيراتها وبكل أسف يتناسى هذا العطاء..

والمملكة احتضنت مئات الالوف من الأرتريين، واتاحت لهم فرص العمل والتعليم لابنائهم، وميّزتهم عبر أوامر سامية من دون الوافدين، إليها خلال الثلاثين عاماً الماضية. وما تزال تخرّج من جامعاتها الكثير من الأرتريين، ثم خصصّت لهم مبالغ طائلة لتعليم أبناء اللاجئين عبر جهاز التعليم الأرتري المستقل..

جبهة التحرير الأرترية

التنظيم الموحد..

وتشابكت الأمور وازدادت حدة. وجاء الوفد الأرتري إلى دمشق وكان مؤلفا من /محمد سعيد ناود/ رئيس اللجنة التنفيذية الجديد، وعضوية كل من الأخوة /محمود اسماعيل/ ـ /حسن عثمان كنتباي/

و/عمر جابر/ و/حمد عيشه/ مسؤول مكتب التنظيم الموحّد في دمشق والذي، عيّن ليخلف الذين انضموا تحت راية الجبهة الشعبية.

وبعد اللقاء بالسمؤولين في القيادة القومية وعلى رأسهم الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي، الاستاذ عبد الله الاحمر، ذهبنا سوية إلى مدينة القنيطرة، وأريتهم ما فعله الصهاينة من تدمير لهذه المدينة، ثم سافر الوفد من أجل متابعة عمله.

وأثناء دردشة مع الأخوة /محمد سعيد ناود/ و/محمود اسماعيل/ و/حسن عثمان/.

قال لي /ناود/: (كانت مهمتنا الأساسية للزيارة، هي إعادة وحدة التنظيم والتخلص، من رواسب الحركة الانشقاقية التي، قادتها العناصر المستسلمة للجبهة الشعبية، بقيادة صاحبك /صالح أياي/ وزميله الذي انشقّ عليه /علي برحتو/.

قلت: (يا أخ محمد سعيد أخشى أن تذهبوا مثل صاحبي في يوم من الأيام، ولقد سمعت أنكم تودون الذهاب والانضواء تحت راية الشعبية في المستقبل؟).

- يا أبا سعدة دائما تطرح هذا الكلام، وأنا أقول لك، لن نذهب وللمرة الألف، إلا ضمن تنظيمنا، وسوف نكون معاً. ثم غيّر الموضوع وقال:

- إن الأخ /حمد عيشة/ سوف، يكون مسؤول التنظيم في دمشق، وعليه فهو يريد رعايتك، /وحمد عيشة/ كان مقاتلا في الجبهة، وأعرفه من الميدان.

قلت لهم:
- كيف كانت جولتكم في السعودية؟
وردّ /محمود إسماعيل/:
- جيدة. إنك قطعت الحديث، وتابع حديثه: قلت إننا سنذهب إلى الشعبية أفراداً.
قاطعته وقلت له:
- اسمعوا يا إخوان. إن التجارب معكم، علمتْني الكثير، ثم إنكم تعملون في السياسة، ومن يعمل في السياسة يفعل كل شيء، وعليه أن يتوقع كل شيء أيضا. في السياسة صديق اليوم يمكن أن ينقلب إلى عدو /وعدو اليوم يمكن أن يكون صديق المستقبل. فما الذي يدريني بأنكم لن تبيعوا من تبقى من هذا التنظيم وتمشوا إلى الشعبية؟ عفوا.. لم أقصد بكلمتي هذه شيئا إنما هي زلة لسان أقصد هل هناك نية للتفاهم مع الشعبية.؟
- نعم..لكن بشروطنا! قالها /محمد سعيد ناود/ وبقوة. أما /حسن عثمان/ فلم يتكلم وكان مستمعاً.
وقال ناود:
- كانت مهمتنا تشمل، إعادة علاقاتنا بالمملكة العربية السعودية، على ما كانت عليه في السابق. وتمّت هذه الخطوة بنجاح تام، حيث بدأت المملكة تتعامل مع القيادة الجديدة، وقد سلّمتها المكاتب وقامت بتسفير من عبثوا من الشعبية. والتقينا بالأمير /تركي الفيصل بن عبد العزيز/ وأكّد لنا أن موقف المملكة ثابت، وهو إلى جانب

المصلحة الوطنية وأنهم نصحوا الجبهة الشعبية، الوجه الآخر للحكومة الأرترية المؤقتة، نصحوها مرارا بضرورة قبول مبدأ المصالحة الوطنية، مع باقي الفصائل الأرترية. ثم قال الأمير تركي لنا:

«- إن المملكة قامت بإبلاغ دول الخليج، وطلبت منها استقبال وفد من جبهة التحرير الأرترية التنظيم الموحّد، من أجل الضغط على الجبهة الشعبية، وذلك لمصلحة أرتريا والشعب الأرتري.

وتابع ناود يقول: وقال لنا /الأمير تركي/:

- بعد أن تتم المصالحة الوطنية فالمملكة مستعدة للبناء والتنمية في أرتريا المستقلة. وأكدّ لنا:

- إننا سوف نستمر في دعم التنظيم الموحد.

بعد هذا الشرح قلت /لمحمد سعيد ناود/:

- أخبرني أحد أصدقائي، أنكم التقيتم، بعدد من الفصائل الأرترية، هل كانت هذه الفصائل متواجدة بالمصادفة في السعودية؟ أم بدعوة من الحكومة السعودية؟

قال /محمود سعيد/:

- إنها كانت مدعوّة من قبل المملكة، وقد انتهزنا وجودها وعقدنا معهم، لقاءات مكثّفة، وهذه اللقاءات أسفرت عن اتفاق حول برنامج مرحلي، يجمع هذه الفصائل. يا أخ أحمد نحن واكبنا مسيرة الثورة سوية، وانت تعرف بلادنا أكثر منا، سرنا سوية إلى أن اندحر الجيش الاثيوبي وهزم، إن مرحلتنا هذه والمرحلة المقبلة هي مرحلة أخطر من المرحلة الماضية.

وافقته وقلت له:

ـ نعم.. يجب تثبيت الاستقلال الوطني، وخاصة أنكم أمام جملة، من التحديات لا يستهان بها، ولهذا يجب أن تتفاهموا مع السلطة الموجودة في اسمرا، كذلك عليكم أن تساهموا في وضع الاساس لدولة أرتريا المستقلة، وبرأيي أنا إن التفاهم مع الحكومة الأرترية المؤقتة ضروري، ولو كانت هذه الحكومة هي الوجه الآخر للجبهة الشعبية. لكن لي سؤال هنا (هل سيتقبلونكم كتنظيم أو كأفراد؟).

أجانبي /محمد سعيد ناود/:

ـ (لماذا تلحّ كثيراً على هذا؟ لماذا تصرّ يا أبا سعدة على معرفة المستقبل؟

أجبته: (إني لا أصرّ على شيء، فأنتم مخيّرون بما تفعلونه، لكن أنت تعرف، وأنا أعرف، والكل يعرف، أن الكلام شيء، والوعد شيء والفعل شيء آخر.

فتكهرب الجو وصمتنا قليلاً. إلا أن /محمد سعيد/ بهدوئه قال:

(نعم.. هذا صحيح وأرجو أن يكون هذا مترجم فعليا لاكلاما).

وانتهى الكلام هنا، وسافر الوفد.. وتمر الأيام ويتصل بي الأخ /حسن عثمان من جدة. وقال:

(أريد أن أطلعك على بعض التطورات.. إن المملكة العربية السعودية تسعى من أجل تحقيق المصالحة الوطنية، واليوم تم استدعائي

إلى مكتب /الامير تركي/ وقابلني مسؤول المكتب /عبد الله باهبري/، وأنت تعرفه جيداً. قال (إن المسؤولين في المملكة، بادروا بابداء رغبة المملكة السعودية، من أجل فتح حوار بين الجبهة الشعبية وبيننا، للوصول إلى اتفاق وطني يضمن توحيد الجهد الأرتري، من أجل استكمال انجاز التحرير، واعلان سيادة واستقلال أرتريا.

وهذه المبادرة كما قال لي حسن كنتباي - تمت الاستجابة لها من قبل الجبهة الشعبية، أي قبلت بمبدأ الحوار، أجبت مقاطعاً: (إن شاء الله) وتابع حديثه قائلاً: (لكن بشرط أن يتم الحوار في اسمرا) وأعتقد أن هناك شروطاً تفصيلية، سأطلعك عليها عندما أعرفها.

- وماذا كان ردكم يا أخ حسن؟

- قمنا بابلاغ المملكة باستعدادنا، أيضاً لمبدأ الحوار الجاد، دون أي شروط سوى، شرط التفاوض كتنظيم.

- وقلت لحسن مقاطعاً:

- أرجوك أن تعيد الجملة الآخيرة.

فضحك حسن بأدبه المعتاد وقال:

(سوى شرط التفاوض كتنظيم. هل أنت مرتاح؟ يا أبا حميد؟ واليوم سوف يصل، /محمد سعيد نادو/، إلى جدة من الخرطوم، ليناقش بعض التفاصيل مع الأخوة السعوديين، هذا ما عندنا يا أخ أحمد فما هو رأيك؟

- يا أخ حسن! أنت تعرف رأيي، والله إذا مشت الأمور بهـذا الشكل، تكونون قد حقّقتم نصراً، وتكون الجبهة الشعبية صادقة في لملمة الشمل.

وانتهت المكالمة عند هذا الحد.

وفي صباح اليوم التالي عاد الأخ /حسن واتصل بي وقال:

(إن /محمود اسماعيل/ سوف يسافر إلى اسمرا ليقوم بترتيبات الحوار).

وبعد يومين اتصل /حسن/ وقال (سافر اليوم /محمود اسماعيل/ إلى اسمرا لترتيب الزيارة وبدأ الحوار وقال لي:

(ما رأيك لو أتيت إلى هنا)؟ قالها وهو صادق، أنه يريد أن نكون معاً، ولكن هناك أشياء تقال وهناك أشياء لا تقال. إن بعض الأفراد لا يريدون وجودي وقد يكون هذا رأيهم، أو أن هناك من ضغط عليهم، وهذا الاعتقاد، وهو الأكثر احتمالاً.

قلت (يا حسن... إن هذه الأيام سوف تحدّد مستقبلكم السياسي، وأرجو ألا يكون قد حُدّد مسبقاً، وأنت ذكي وتعرف ماذا أعني. لكن ذكّر إنما الذكرى تنفع المؤمنين، الشعبية هي الشعبية! فأرجو أن تضع هذا في الحسبان. وبعد لحظة صمت قال:

- (خير... وانتهت المكالمة).

كنت أعرف حسن كنتباي تماماً، وقد شعرت من خلال نبرات صوته، وخاصة عندما قال (خير) إن هناك ضغطا يمارس عليهم، وإن كان الكثير من اعضاء القيادة مستعجلين للعمل تحت ظل الشعبية.

كان يريد أن يقول لي اشياء لكنه فضّل الصمت، لأنه يعرف أن (الفأس وقع في الرأس). وبعد أيام عاد /محمود اسماعيل/ من اسمرا وجاء حسن إلى دمشق وكان أمينا في كل ما نقله، عما تمّ في اسمرا، وأنا أترك الحديث عنه للمستقبل فلم يحن وقته بعد.

وعاد حسن إلى جدة ثم تكوّن وفد للذهاب إلى اسمرا على رأسه رئيس اللجنة التنفيذية محمد سعيد ناود، وعلى ما أذكر أيضاً /محمود اسماعيل/ و/عمر جابر/ و/حمد كلو/ لقد ذهبوا كأفراد، وليس كتنظيم، فالجبهة الشعبية لا تقبل أحدا كتنظيم. وتمر الأيام والتقي /بمحمد سعيد ناود/ هنا في دمشق، ويشرح لي كما شرح لغيري أنهم ما زالوا يفاوضون الجبهة الشعبية، وأنا أقول وقلتها له (أنتم تمشون كأفراد) ثم تأتي اللحظة الحاسمة، وأفاجىء بمكالمة من الأخ /حسن عثمان/ يقول (إنه غداً في دمشق)، وانتظرته في المطار. وفي الطريق إلى دمشق أخبرني وقال لي:

(يا أخ أحمد نريد أن نصلي سوية في جامع الخلفاء الراشدين باسمرا صبيحة العيد.

أجبته: (كيف ذلك؟)

أجابني: (إننا سندخل في حوار مع الشعبية).

قلت له: (هل قبلت الجبهة الشعبية أخيراً بكم كتنظيم وإن دخولكم إلى اسمرا كأفراد أو كتنظيم).

كان /حسن/ صادقاً معي. وقال إن /محمد سعيد نـاود/ يهديك السلام فلم يعد باليد حيلة. والاستفتاء علـى الابـواب ونريـد أن نكـون حاضرين، عندما يقول الشعب الأرتري نعم للاستقلال). وفهمت قصـده تماماً ولم أشأ أن أجرحه وأقول له: (كنت أعـرف هـذا مـن قبـل، لـم تقبل بكم الجبهـة الشعبية كتنظيم، ولا حتى كأفراد، والمستقبل اثبـت صحة كلامي).

وأجبته (هذا حقكم وأنتم أرتريون وأدرى بمصلحة بلدكم).

وبسرعة اجابني حسن دون أن ينظر في عينيّ (أنت واحـد منـا وفينا) وفعلاً كان صادقاً بهذا قاطعته (لا تتعب نفسك يـا حسـن) قبـل عام أو أكثر قلت لكم هذا، هل ستقبل بكم الشـعبية كتنظيـم؟ وعندهـا (زعلتم) والآن هل قبلوا أم لا...؟. لقـد اطلعنـي /حسـن عثمـان/ لحظـة بلحظة على ما كـان يتـم فـي اسمرا وجـدة والخرطـوم، وأنـا لا أريـد الخوض بهذا حالياً، إنما اتركه للمسـتقبل. وعـاد التنظيـم لا بـل عـاد افراد هـذا التنظيـم وأكـثريتهم لعيشـوا تحـت حكـم الجبهـة الشـعبية أفرادا، فهل قبلتهم؟ لا... الشخص الوحيد الذي، تعاونت معه الجبهة الشعبية مؤقتاً هو /محمد سعيد ناود/ الذي أصبح محافظاً، ثم عـزل أمـا البقية فليس لهم أي اعتبار سياسـي أو وظيفـي، فمنهـم مـن هـاجر إلـى الولايات المتحـدة واسـتراليا وكنـدا، ومنهـم مـن عـاش فـي السـعودية، والفقراء منهم بقوا فـي السـودان، وقـد سـمعت مؤخـراً أن كـثيرا منهـم، متواجدون في القاهرة وأن أحـد المتنفّذيـن سـابقاً، يريـد /فتـح مؤسسـة

معلوماتية، أما صديقي حسن فهو يعيش ويعمل في جدة، ولا زالت صلتنا قوية، لان الصدق والامانة كان طابع علاقتنا، ولا يهمني ما يقوله الناس عن حسن أو غيره، فأنا أعرفهم ألم أقضِ حياتي معهم؟ وهكذا انتهى بل أُنهي التنظيم الموحّد وتلاشى، ليبقى في ذاكرة التاريخ مع بياناته وقزاراته الوطنية ذات التوجه العربي.

وما هو الفارق بين الذين ذهبوا قبلا وبين الذين ذهبوا بعد ذلك؟ من سيقول /لا.../ للاستقلال، إما أن يكون مجنوناً، أو من الاثيوبيين المتشدّدين أو من الخونة. إن المستقبل السياسي للشعب الأرتري الذي كان مرهونا ظاهريا بقول كلمة (نعم) للاستقلال. فقد كان مائة بالمائة يقول كلمة /نعم/، وكما كانت مائة بالمائة للاستقلال، كانت مائة بالمائة للخلافات بين فصائل الثورة المتناحرة، قبل التحرير وبعده. أما الجبهة الشعبية فكانت على علاقة مع بعض القيادات في هذه التنظيمات. أما بعض هذه القيادات، فقد كانوا على علاقة مع الشعبية، ومسيّرين من قبلها. أو كانوا مسيّرين تلقائياً، من أجل وجود مكان لهم على الأرض السياسية في أرتريا المستقلة. إذن هذه الخلافات كان البعض منها مصطنعاً، من أجل المصلة الذاتية البحتة، وانا لا أريد أن أدافع عن /صالح أباي/ و/حمد صالح حمد/ ومجموعته الذين دخلوا أرتريا بعد بيان مسهب طويل لكن في بيانهم قالوا: (إننا ندخل كأفراد) وحلوا تنظيمهم. أما من تبقى من التنظيم الموحّد برئاسة الأخ /محمد سعيد ناود/ الذي قال لي (أنا ذاهب كمفاوض عن

التنظيم. عاد من اسمرا ودخل كفرد وليس كتنظيم. أما الجبهة المجلس الثوري برئاسة /أحمد ناصر/ فقد تم اعادتهم من مطار الخرطوم بعد أن كانوا متوجهين إلى اسمرا للتحاور والنقاش كتنظيم وليس كأفراد.

عادوا من مطار الخرطوم أو أعيدوا، وقبل دخولهم الطائرة بدقائق قليلة. لان الجبهة الشعبية لم تكن جادّة بالحوار والجلوس، مع اصحاب الفكر الوطني الصحيح. إن بعض قادة الجبهة الشعبية، يعرفون أن الأخوة في المجلس الثوري، وفي تنظيم الجبهة /عبد الله ادريس/ لا يمكنهم، أن يتخلّوا عن تنظيماتهم. من المستحيل أن يدخل /أحمد ناصر/ أو /عبد الله ادريس/ كأفراد ويعيّنوا هنا أو هناك.

قد يلومني بعضهم لأني تناولت، شخص شخصية الأخ عبد الله ادريس الوطنية العربية، وهم يعرفون موقفي منهم بسبب، ما تم في الجبهة قبل انهيارها وبعده. لكن عندما تطلب للشهادة فعليك، أن تقول الحق حتى ولو كان هذا ضد نفسك، فالتاريخ لا يرحم.

لقد اعادت الشعبية، وفد المجلس الثوري للمفاوضات من مطار الخرطوم، لأنهم عرفوا أنهم لن يتخلوا عن تنظيمهم، وعن عقيدتهم. من الذي ناضل وقاتل لسنوات طويلة وعبّد الطريق؟ إن /السيد اسياس افورقي/ نفسه كان عضوا في جبهة التحرير الأرترية، وكذلك /أحمد ناصر/ رئيس الجبهة الحالي و/عبد الله ادريس/، وأنا أوضّح هنا قليلاً لاقول (أن كل ما قيل عن عبد الله ادريس كان افتراء وغير صحيح:

ومصدره كان من رفاقه الذين، اختلف معهم، ولنكـن واقعيين، فكلنا يعرف بعضنا بعضاً، فمن المستحيل أن يتعامل /عبد الله ادريس/ مـع العدو الاثيوبي. فهو رجل ناضل وقاتل ولا يمكن نكران ذلك، فالصاق التهم به يعتبر تجنيا وافتراء. وقد صُنِّـف /عبد اللـه بالمغـامر أو غـير ذلك. إلا أن الاخـوة /كـأحمد نـاصر وعبـد اللـه ادريـس وصـالح آيـاي ومحمد عمر يحيى وحمد صـالح حمـد وحسـن عثمـان والدكتـور هبتـي تسفا ماريام وتسفاي تخله وولدداويد والشهداء محمـود حسـب وسعيد صـالح وملاكـي تخلـه وغـيرهم.. وغـيرهم... كلهـم وطنيـون ولا غبـار عليهم، إنما السياسة ليس لها دين. إن الأخوة في المجلس الثوري قد رفعوا كتبا ومذكـرات إلـى الأميـن العـام للامـم المتحـدة، والمنظمـات العربية والانسانية، يؤيدون ويدعمون الاستقلال، وهذا لا تنـاقض فيـه ولا غبـار عليـه. بـل هـم - إذا أردنـا الحـق - فهـم صنّـاع الحريـة والاستقلال، ومع كل تناقضاتهم واختلاف آرائهم - هـم الذيـن حـرّروا بلادهم، هم ومن قبلهـم مـن المنـاضلين امثـال (الشـهيد مفجـر الثـورة ادريـس عواتـي وإبراهيـم سـلطان وادريـس محمـد وعثمـان سـبي، ثـم شاركهم بعدها تدلا بايرو و ـ ولد آب ولد ماريام) ثم جاء بعدهم، هؤلاء الاخوة. (لماذا ننكر ونحقد على الذين عبّدوا الطريـق وأوصلـوا الحريـة إلى الشعب الأرتري؟).

ومن يقرأ كتابي هذا وما قبله، يعرف من الذي أتى بالاستقلال؟ ومن الذي أتـى بالحريـة لشعبه؟ وأنـا لسـت نـاكرا لمقـاتلي الجبهـة

الشعبية الأبطال، والذين قاتلوا وناضلوا ودخلوا اسمرا، بـل أقـول لهـم (لقد حرّرتم بلدكم أيهـا المنـاضلون) إن بعـض القيـاديين فـي الجبهـة الشعبية، يرفضون زملاءهم الذين أوصلوهم إلى هنا).

اليوم والحمـد اللـه - أنجـز الاسـتقلال وأصبحـت أرتريـا دولـة معترف بها، ولها مكانتها المحلية والدولية. لكن السؤال المطروح (هل تتم المصالحة الوطنية المطلوبة؟). لا... بل إن الأمور بدأت تتفاعل وما الانفجارات والضحايا الذين سقطوا مؤخراً، وما القتـال الـذي دار بيـن قوات الجبهة الشعبية، وحركة الجهاد الاسلامي، إلا دليـلاً حقيقيـاً وواقعياً على أن المصالحة الوطنية قد نسفتها الجبهة الشـعبية، وإنـي أخشى أن يتفاقم الوضع، ويـزداد تفاقمـاً، أخشـى مـن جزائـر ثانيـة. صحيح أن الجبهة الشعبية تملك أجهزة أمنية قوية، فشاه ايـران كـان أيضا يملك القوى الامنية الفاعلة (السافاك)[1].

إني أقول للسـيد أسياس افورقـي، مـاذا يسـمى هـذا يـا رفيـق الماضي؟ ويا رئيس الحاضر؟ قلت هذه الكلمات عندما التقيـت بالسيد الرئيس في مكتبه في اسمرا/، مبروك يا سيادة الرئيس، فلقد أصبحت أرتريا حرة مستقلة. قلتها للرفيق السـابق، ولـلرئيس الحـالي، والـذي اجابني وهو يهزّ يدي. (مبروك أبو سعدة).

---

(١) السافاك - جهاز المخابرات الايرانية أيام الشاه.

(معاذ الله يا سيادة الرئيس، أن أحتل موقع الحكمـاء، لكنني أرى أن المصالحة الوطنية، هي التي تكفل الاستقرار والرخاء لشعبكم).

أنا لست من المحلّلين السياسيين ولكوني عشت منذ عام /١٩٦٩/ ولغاية الآن مع الشعب الأرتري. حيث نحن الآن في منتصف عام ١٩٩٩ أي أن لي مع الشعب الأرتري حياة تقدر بـ ٣٠ عاماً. فلي الحق إذاً أن أقول وأن أتساءل.

❁

القوميات

(هناك لهجات عدة، وتصل هذه اللهجات المتداولة على نطاق واسع إلى /٩/ لهجات. الحقيقة هي/٧/ لأن العربية والتجرينية لغتان وليستا لهجتين. إن المسؤولين في الجبهة الشعبية عندما يصرحون يقولون:

(هناك تسع لغات قومية في أرتريا. ولا يتحدث اللغة العربية كلغة أُمٍ في أرتريا سوى الرشايدة وبعض الجاليات التي تواجدت إبان فترة الاستعمار البريطاني والايطالي، إلا أن هذا لا يعني التحيز إلى جانب اللغة التجرينية على حساب اللغة العربية - فنحن - ناهيك عن اللغة العربية - نقوم بتدريس اللغات الاجنبية الأخرى. هذا ما قاله السيد رئيس الدولة وأمين عام الجبهة الشعبية لتحرير أرتريا في ١٩٩٤/٩/٢١، والذي نشرته جريدة أرتريا الحديثة، إنني - عندما كنت في الساحل الأرتري، أمشي على قدميّ، أخبرني أحد المشايخ الكرماء/ بأن الغزاة الايطاليين عندما /دخلوا مصوع/ تكلموا معنا باللغة العربية، ولم يتكلموا بالايطالية أو بلغة أخرى لماذا...؟ لأن اللغة العربية هي إحدى لغتينا.

هل أصبحت اللغة العربية الان لغة اجنبية تدرس بجانب اللغات الاجنبية الأخرى؟ وهل من يتكلم اللغة العربية في أرتريا هو

يمني سابق أو أجنبي؟ وأخذ الجنسية الأرترية في عهد الاستعمار؟ حيث قلتم يا سيادة الرئيس إن هؤلاء دخلوا مع الاستعمار البريطاني والايطالي! شكراً يا سيادة الرئيس، فأنا لم أقرأ تاريخ أرتريا جيداً؟ لقد أضفت إلى معلوماتي شيئا جديداً، كنت أجهله، وهو أن اللغة العربية في أرتريا هي لغة اجنبية. والله تكلمت معكم يا سيادة الرئيس باللغة العربية، وأنا أتذكر جيداً عندما كنت استمع إلى كلامكم، بل كنت مصغياً إلى حديثكم عنما تكلمتم، مع رئيس وفدنا الاستاذ /ناصر قدور/ وزير الدولة للشؤون الخارجية، واعضاء الوفد المرافقين له، حيث جاءوا مهنئين معترفين باستقلال أرتريا. كنت أصغي إليك تماماً عندما كنت تحدثنا بلغة عربية، سليمة مائة بالمائة، وكم كنت سعيداً عندما قلت لنا (اشقاءنا السوريين) لقد ردّدتها مرتين يا سيادة الرئيس، والله أقول صادقا (انها لحظات غمرتني، بها السعادة لاني كنت، استمع إلى رئيس دولة أرتريا المستقلة وهو يرحّب بنا باللغة العربية).

عندما كنت في أرتريا - والتي جلتها سهولا وجبالا ووديانا - في /ساوا/[١] تكلمت باللغة العربية، في /مندفرا/ كلموني باللغة العربية، في /سرايين/ وحماسين/ وفي الساحل، حاورت اخوتي الثوار والشعب باللغة العربية، في /دنكاليا/ كلمني العفر باللغة العربية. في كل قرية وفي كل مدينة دخلتها، لم أتكلم الا بلغتي

(١) مدن وقرى ارترية ساوا ـ بركه ـ القاس ـ متدفرا ـ سرايين ـ حماسين ـ دنكاليا الشمالية والجنوبية.

العربية، واعتقد أيضا بأن اللغة العربية هي إحدى اللغتين الرسميتين، ليس الآن في وقت الاستقلال إنما عندما ثبتت كلغة رسمية للشعب الأرتري، في الامم المتحدة. ثم إن الوفد الذي ذهب إلى الامم المتحدة، لم يتكلم إلا باللغة العربية، ثم إن المناضل الكبير المرحوم /إبراهيم سلطان/ قد تلكم مع أمين الجامعة العربية عزام باشا/ في مصر باللغة العربية، كما قلت سابقا وأقولها الآن: إن الانتماء القومي هو من حق الشعب الأرتري فقط، وليس من حق أي أحد، أن يفرض عليه انتماءه، ولا حتى من حكّامه.

ثم إن الذين عرفتهم، كقياديين وزعماء، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: ثم أتساءل /هل هم رشايدة أم يمنيين؟) /إبراهيم سلطان - ادريس محمد آدم - رمضان محمد نور - محمد علي عمارو أحمد ناصر - عبد الله ادريس - آمنة ملكين تسفاي تخله صالح أياي - عبد القادر جيلاني - ولدداويد تسفاماريام - الدكتور هبتي - علي برحتو - عثمان سبي - محمد شيخ عبد الجليل - حمد محمد صالح أبو بكر محمد جمع - زروء بيدو يوهنس زرء ماريام - آدم بيك ادريس كلايدوس حامد تركي صالح محمد إسماعيل - عبده محمد اسماعيل محمد أحمد عبده - ولد آب ولدماريام - ندلابايرو - جروي تدلابالايرو - بطرس سلمون - حكوس حكوس.

هل أذكر المئات، بل الآلاف بل مئات الآلاف، أم الملايين، كنت أتمنى أن أتعلم اللغة الثانية للشعب الأرتري وهي اللغة

التجرينية، لكن الظروف لم تساعدني، ولكني أفهمها وانطق منها بعض الكلمات، أليست هي اللغة الثانية لشعب أرتريا؟ فكان من الواجب عليّ أن أتعلم لغة بلدي الثاني.

إن أرتريا للاسلام وللمسيحيين، واللغة العربية واللغة التجرينية هما اللغتان الوطنيتان الرسميتان، هذا هو المفروض وأين ما كنت أحل في أرتريا، كنت أرى الجوامع والكنائس، فالحضارة العربية الاسلامية امتدت إلى العالم كله، وأنارت ظلام العالم، فنحن العرب أنرنا الشرق والغرب، فأينما حللت في هذا العالم، تسمع لغة القرآن الكريم متداولة، فعندما كنت في الهند وفي مدينة /كلكتا/، تعرّفت إلى صاحب مطعم يدعى /أحمد زمزم/، دعاني إلى المسجد ثم إلى منزله كلّمني بالعربية، وعندما كنت في أقاصي الجنوب الافريقي والغرب بحثنا عن لقمة العيش، سمعت وتكلمت باللغة العربية، وحين كنت في الصين وفي مدينة /كانتون/، كان هناك جامع سمي باسم /الخليفة عمر بن عبد العزيز/ والتقيت مع بعض المصلين في الجامع، وقال لي أحدهم ويدعى /محمد ين قال لي/ كيف حالك وحال العرب والمسلمين؟) نعم كان يخاطبني باللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وفي كل مكان كنت أسأل سؤالاً واحداً وهو: إلى متى ستبقى فلسطين وبيت المقدس في أيدي الصهاينة؟ كنت اسأل باللغة العربية ثم يسألونني بقولهم (لماذا نحن في هذه الفوضى؟ ما الذي حصل لامتنا ولحضارتنا الاسلامية التي أنارت العالم؟ ولماذا لا نعود إلى قيمنا

وتعاليمنا السماوية؟ لماذا لا نعود إلى الإسلام؟ إلى عدالـة عمـر؟ لمـاذا لانعود إلى بلاغة علي وفصاحته؟ لماذا لا نعود إلى سيف خالد؟ هـذه هي قيمنا الحقيقية. لماذا لا نزيل الذل عـن امتنـا لمـاذا لا نكـون يـدا واحدة؟ لماذا لا ننوثّق ونوطّد علاقاتنا مع بعضنا؟.

كنت أسمع هذا أينما حللت، وأتكلم اللغـة العربيـة. وعلـى فكرة المساجد، فإن في أرتريا مساجداً كثيرة لتعليم القرآن الكريم، ففي اسمرا يوجد مسدد كبير اسمه مسجد الخلفاء الراشدين، كنـت قد سـمعت عنـه لكـن إرادة اللـه والشـعب الأرتـري سـمحا لـي أن أشاهده عن قرب، والذي يعتبر من أقدم المساجد الاسـلامية، وقـد بني في القرن الهجري الأول، وجدد بناؤه وكان آخـره عـام ١٩٠٠ ميلادي، ثم بني بشـكله الحـالي عـام ١٩٧٣، وقـد وسـع ويتسـع بداخله إلى ٢٠٠٠ من المصلين، بينما يتسع ميدانـه إلـى /ثلاثيـن ألف أو أكثر، ومن هذا المسجد كانت تنطلق المظاهرات الوطنيـة، تنادي باستقلال أرتريا،.وفـي اسمرا أيضا يوجـد عـدد كبـير مـن المسـاجد، فهنـاك مسـجد خـالد بـن الوليـد، ومسـجد عمـر بـن الخطاب، ومسجد عبد القادر جيلانـي، ثـم هنـاك عـدد كبـير مـن المساجد في جميع أنحاء أرتريـا. وفـي هـذه المسـاجد يتـم تعليـم اللغة العربيـة، إلا أن الاحتـلال الاثيوبـي حـارب اللغـة العربيـة، وحاول فرض اللغة الامهرية بالقوة، فلـم يتسـنَ لـه ذلـك. أمـا فـي مصـوع هـذه المدينـة السـاحلية ففيهـا مسـجد الإمـام الشـافعي

وعمره يزيده على عشرة قرون، إذ بني في القـرن الثـالث الهجـري، أليس أجدادنا وأباؤنـا قـد عـبروا البحـر الأحمـر؟ وجـاؤوا بالرسـالة الالهية برسالة الإسلام؟ وطالما أجدادنا وأباؤنا عبروا البحر الأحمـر. وأنا أيضا عبرت البحر الأحمر إلـى بلـدي الثـاني أرتريـا فلأتحـدث قليلاً - وحسب معرفتي - عن البحر الأحمر.



البحر الأحمر

إن الاهمية تزداد يوما بعد آخر للبحر الأحمر. إن تصدير النفط من الخليج العربي عبر البحر الأحمر قد يؤدي - في يوم من الايام - وفي أول حرب قادمة - سوف يكون مسرحاً للعمليات الحربية، فعملية السلام السائرة الآن في المنطقة لا تقلّل من التهديد الاسرائيلي في البحر الأحمر، فأرتريا المستقلة اليوم - والذي اعتقدت في يوم من الايام أن تكون دولة عربية أو صديقة للعرب - لها شاطىء طويل يبلغ /١١١٦/ كم على البحر. فالدول العربية المطلة على البحر الأحمر هي اليمن الموحّد، السودان - السعودية ومصر وأرتريا وجيبوتي والأردن وفلسطين) فالبحر الأحمر يكاد أن يكون بحرا عربياً كاملاً، وإن اسرائيل المعتدية يهمها البحر الأحمر، ويهمها تحويله إلى نقطة ارتكاز لها، لأنه في وضعه الحالي نقطة ضعف لاسرائيل.

واسرائيل تتطوّر عسكرياً، ويبقى هدفها هو تفوقها العسكري، بما فيه السيطرة على البحر الأحمر - وفي يوم من الأيام زوّدت اسرائيل اثيوبيا بقنابل عنقودية، والرئيس الاسبق جيمي كارتر - قال بعد عودته من اثيوبيا حيث كان يقوم بوساطة السلام - قال (أبلغني الاثيوبيون بأن سلاح الجو الاثيوبي حصل على قنابل عنقودية من إحدى حليفاتنا في الشرق الأوسط (اسرائيل)، لاستخدامها ضد المتمردين، ويقصد

(الأرتريين). ثم قال كارتر إن الولايات المتحدة طوّرت هذا السلاح ثم باعته إلى دولة في الشرق الأوسط، وطبعاً أعطته لاسرائيل، **كما وأنها** أعطته لاثيوبيا. واليوم يعلن السيد /كلنتون/ أنه سوف يمدّ **اسرائيل** بأسلحة متطوّرة وبتكنولوجيا ومالاً لاسرائيل، هذا ما قاله في خطابه في الكنيست يوم ١٩٩٤/١٠/٢٧. بل يقوله ويفعله كل يوم؟.

إذن عملية السلام مرهونة بتفوق اسرائيل عسكريا وعلى كل الاصعدة ومن هنا تأتي أهمية البحر الأحمر لاسرائيل.

إن المسؤولين الاسرائيليين صرّحوا أكثر من مرة (أنهم مع اثيوبيا الماركسية وضد أرتريا العربية)، فمنذ عهد هيلا سيلاسي وامتداداً إلى منغستو هيلاماريام، وإلى ملس الزيناوي، كانت اسرائيل ولازالت تراقب الاساطيل العربية من أماكن مختلفة، من الشواطىء والجزر الأرترية، وإن اسرائيل حاولت دائما تحويل البحر الأحمر إلى نقطة ارتكاز لها كما قلنا سابقاً.

فمنغستو، قد أعطى تسهيلات كبيرة، في الشواطىء والجزر الأرترية لاسرائيل، فجزيرة /دهلك/ الأرترية، استخدمت لانشاء قاعدة تجسس، ومطارها يستخدم عند الحاجة، /فاسرائيل/ عملت على تطويق الدول العربية من البحر الأحمر. فهل فكّر العرب وعملوا علىوضع استراتيجية عربية في البحر الأحمر؟ فحاجتنا إلى هذه الاستراتيجية بعد السلام سوف تزداد. فبعد استقلال أرتريا؟ اصبحت الموانىء فيها مؤمنة لها، فهل اسرائيل، ستبقى على وعودها في السلام؟ إن تهديد

عروبة البحر الأحمر أصبح واقعاً، بعد اعطاء الحكومة الأرترية، تسهيلات لاسرائيل، حتى إن السلطات الأرترية استخدمت عددا كبيراً من الخبراء الاسرائيليين الذين يعملون فيها.

إن الدول العربية - المطلة على البحر الأحمر، والمتمثلة بالاردن والسعودية، واليمنيين (سابقاً) ومصر والسودان وجيبوتي عقدت عدة اجتماعات واتفاقيات فماذا كانت نتيجة كل هذا؟

لقد تم اغلاق باب المندب عام ١٩٧٣، عند دخول سورية ومصر الحرب ضد اسرائيل واليوم يطرق (السلام) أبوابنا، وتتسابق بعض الدول العربية لابرام معاهدات سلام مع اسرائيل، فهل توقف معاهدات السلام اسرائيل عند حدها في التوسع؟ وهل ستتخلى إسرائيل عن أهمية البحر الأحمر؟ أبداً... إنها تعمل وسوف يزداد عملها، من أجل إبقاء البحر الأحمر تحت نفوذها، فكل معاهدات السلام في لحظة ما تتلاشى عند اسرائيل. فتوجّه الخبراء الاسرائيليون إلى أرتريا، ليس مجاناً.

ولهذا فإن الدعم الاسرائيلي أليم وواضح، فلأرتريا شاطىء طويل، فعندما كانت اثيوبيا تضم أرتريا كان لها اليد الطولى في البحر الأحمر، واليوم اسرائيل تستفيد من الشواطىء الأرترية الطويلة، في ظل (السلام) وسيكون لاسرائيل اليد الطويلة والمسيطرة على البحر الأحمر، إذا لم يحصل أي تفاهم بين الدول العربية، وخاصة دول منطقة البحر الأحمر.

كان انتصار الثورة الأرترية. من وجهة نظري. يعني نهاية الوجود الاسرائيلي. في الجزر والشواطىء الأرترية. بهذا يكون البحر الأحمر بحراً عربياً. ويكون نهاية للاستراتيجية الصهيونية التي وضعها بن غوريون في البحر الأحمر. فاسرائيل اليوم وتحت اسم السلام - سوف تمد اذرعتها الملوثة بدمائنا إلى البحر الأحمر أكثر. ولن تكون محصورة /بايلات/ المخنوقة والمحاصرة. من قبل الدول العربية فما الذي تنوي الدول العربية فعله بعد /السلام/ المشوّه في منطقة البحر الأحمر؟ هذا السؤال يطرح نفسه قبل ابتلاع اسرائيل للبحر الأحمر فالسلام مصحوبٌ بحرب اقتصادية، تؤدي إلى انعاش وتقوية الدولة / العبرية/ على حساب العرب، ثم تنهب اسرائيل ثروات البحر الأحمر. فقد ضمنت عدم اغلاق باب المندب امام السفن المتوجهة إلى ايلات، ومنها، فهل نستطيع التنبوء بماهية الأمور مستقبلاً؟ وخاصة أن أرتريا وغيرها من الدول العربية اصبحت شواطئها ومدنها مفتوحة أو ستفتح في القريب العاجل لاسرائيل! !

إن /السلام/ قد يكون طويل الأمد، إلا أنه لن يكون أبدياً، فاسرائيل تحسب ألف حساب، من الآن لأي تغييرات في العالم، فلربما استيقظ عمالقة المانيا واليابان، وربما تعيد روسيا هيبتها، أمام العالم، ولربما اتحدّ العرب في يوم من الأيام، فيطالبون بفلسطين. وغيرها وربما ارتريا عادت وانضمت إلى اشقائها أم أن /السلام/ قد غير الأسم، واصبحت فلسطين في ذمة التاريخ؟

هذه التساؤلات موجودة عند كلٍ منا، وعند الغاصبين الصهاينة أيضاً.

فمن هنا يجب أن يأتي الاهتمام، وفي هذه المرحلة بالذات، إزاء البحر الأحمر والشواطىء الأرترية الطويلة.

هذا يستدعي وقفة طويلة، للدول العربية، وخاصة المطلة على البحر الأحمر.

ما أوردته من كتابي هذا يضم آرائي. وهذه هي روايتي مع الثورة الأرترية التي استغرقت معظم حياتي.



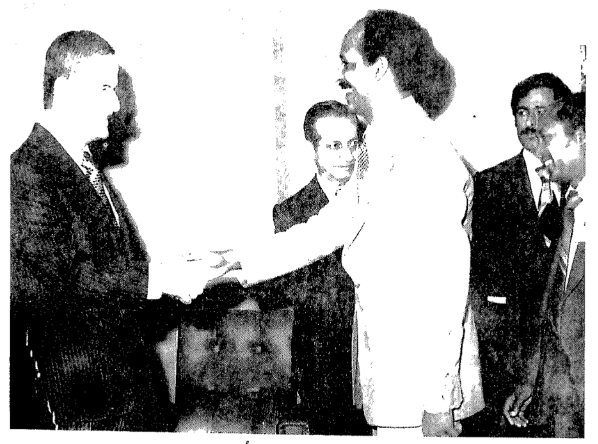


الفهرس



الرئيس القائد حافظ الأسد يستقبل أحمد ناصر

رئيس جبهة تحرير أرتريا " المجلس الثوري "



الرئيس القائد حافظ الأسد يستقبل

الدكتور هبتي تسفا ماريام عضو قيادة جبهة التحرير الارترية





في الساحل الأرتري " بنكاليا "
مع المناضل الشهيد محمود حسب



مع الشهيد ولد داويت في مدينة مندفرا



مع الأخ المناضل المرحوم عثمان صالح سبي في مدينة بنزرت (بتونس)



مع أحد المناضلين في مدينة اغردات التي حررتها ج - ت - أ



مع المواطنين في المرتفعات الأرترية



مع الثوار في ساحة مدينة مندفرا التي حررتها جبهة

التحرير الأرترية ويظهر تمثال الإمبراطور هيلاسلاسي " مغطى "



مع الفدائيين في غور الأردن



ظهرت المجنزرة الإسرائيلية. سدد الفدائي سلاحه نحوها. وفي ثواني معدودات تحولت آلة الموت الصهيونية إلى كتلة من النار واللهب والشظايا المتناثرة كان هذا في غور الأردن. وكان في ارتريا أيضا المشهد ذاته. وآلة الموت ذاتها والسلاح نفسه والعدو نفسه والفدائي نفسه.هذه الصورة تعيش في ذاكرتي. حاملة معها كل مشاعر وانفعالات ذلك الموقف.

الرجوع إلى ذكرياتي مع الثورة الارترية يجدد سؤالاً طرحته على نفسي، لماذا كان النضال مع الثورة الارترية. خيار كرست له حياتي؟

بعد كل هذه السنوات الطويلة. أعتقد ان الجواب يتمثل في إيماني بقدرة الإنسان على انتزاع حريته ، غاصبها. وبالتالي قدرتي على تحقيق حريتي أنا نفس وأعني بذلك حريتي الفكرية، هذا هو مكسبي الحقيق من الثورة الارترية. فالإنسان أخو الإنسان. كنت ه وسأبقى هكذا ما حييت.